

(الجزء الثاني)

من كتاب الاستقصا لاختبار دول المغرب الاقصى

تأليف العالم العلامة المحقق الفهامة وحيد

الاروان وفريد الزمان بحر العلوم الراوى

الشيخ أحمد بن خالد الناصرى

السلوى حفظه الله

وأدام علاه

آمين

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِحبر عن دولة بني مرين ملوك فاس والمغرب وذكرا أوليتهم وأصلهم

(اعلم) ان العلامة الرئيس أبا زيد عبد الرحمن بن خلدون رحمه الله قسم جيل زناتة الى طبقتين الطبقة الاولى هي التي كان منها مغراوة ملوك فاس وبنو يفرن ملوك سلا وقد تقدم الكلام على دولتهم مستوفى والطبقة الثانية هي التي كان منهم بنو عبد الواد ملوك تلمسان والمغرب الاوسط وبنو مرين ملوك فاس والمغرب الاقصى وهؤلاء هم الذين تعلق الغرض الا ان يذكركم فاعلم ان جيل زناتة في المغرب كما قال الرئيس المذکور جيل قديم معروف العين والاثروهم لهذا العهد آخذون من شعار العرب في سكنى انطيام واتخاذ الابل وركوب الخيل والتقلب في الارض وايلاف الرحلتين وتخطف الناس من العمران والاباية من الانقياد الى النصفة وشعارهم من بين البربر اللغة التي يتراطنون بها وهي مشتهرة بنوعها عن سائر طائفة البربر ومواطنهم في سائر مواطن البربر بافريقية والمغرب فمهم بلاد الخيل ما بين غدامس والسوس الاقصى حتى ان عامة تلك القرى الجريدية بالصحرَاء منهم ومنهم قوم بالتلول بجبال طرابلس وضواحي افريقية وبجبل أورابن بقايا منهم سكنوا مع العرب الهلاليين لهذا العهد وأذعنوا لحكمهم والاكثر منهم بالمغرب الاوسط حتى انه ينسب اليهم ويعرف بهم فيقال وطن زناتة ومنهم بالمغرب الاقصى أم آخر وكان بنو مرين منهم قبل استيلائهم على ملك المغرب أحياء ظوا عن بمجالات القفر من فيجيج الى سجلماسة الى ملبوية ورجما يخطون في ظعنهم الى بلاد الزاب ويذكرون سابتهم ان الرياسة كانت فيهم في تلك العصور لمحمد بن ورز بن فكو بن كرماط بن مرين ومرين يتصل نسبه بزانا ابن يحيى أبي الجليل وكان لمحمد المذکور سبعة من الولد اثنان منهم شقيقان وهم جامعة وعسكر وخمسة أبناء علات وكان يقال لهم باسم زناتة تيربعين ومعناه الجماعة ويرغمون ان محمد بن ورز يملك قام بأمره في قومه ابنه جامعة بن محمد وكان الأكبر من ولده ثم من بعده شقيقه عسكر بن محمد ثم من بعده ابنه الخضب بن عسكر وهلك سنة أربعين وخمسمائة في بعض الحروب التي كانت بين عبد المؤمن والمرابطين

ثم قام بامر بني مرين بعد المنضرب ابن عمه أبو بكر بن جماعة بن محمد إلى أن هلك فقام بامرهم ابنه أبو خالد محيوي بن أبي بكر ولم يزل مطاعا فيه هم إلى أن استنفرهم يعقوب المنصور إلى غزوة الأرك بالاندلس فتهدوها وأبوا فيها البلاء الحسن وأصاب محيوي بن أبي بكر يومئذ جراحات هلك منها بصراء الزاب سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة وكان من رياسة عبد الحق ابنه من بعده وبقائها في عقبه ما نذكره إن شاء الله

في الخبر عن دخول بني مرين أرض المغرب الأقصى واستيلائهم عليه والسبب في ذلك

كان السبب في دخول بني مرين لهذا القطر المغربي أنه لما كانت وقعة العقاب بالاندلس سنة تسع وستمائة وهزم الناصر وهلك الجمهور من حامية المغرب ورعاياه حتى خلت البلاد من أهلها ثم حدث عقب ذلك الوباء العظيم الذي تحيف الناس الأقبالا وهلك الناصر سنة عشر بعد هاقبايع الموحدون ابنه يوسف المنتصر وهو يومئذ صبي حدث لا يحسن التدبير وشغلته مع ذلك أحوال الصبا ولذات الملك عن القيام بامر الرعية فتضافرت هذه الأسباب على الدولة الموحدية فاضعفتها حينها وأمرضتها المرض الذي كان سببا لحياتها وكان بنو مرين يومئذ موطنين ببلاد القبلة من زاب أفريقية إلى سجلماسة يتنقلون في تلك القفار والصحارى لا يدخلون تحت حكم سلطان ولا تتألم الدولة بهم ضيقة ولا يؤدون إليها ضريبة كثيرة ولا قليلة ولا يعرفون تجارة ولا حرفا إنما اشتغلهم الصيد وطراد الخيل والغارات على أطراف البلاد وكانت طائفة منهم ينتجعون تخوم المغرب وتأوله زمان الربيع والصيد فيكثرون من أطراف البلاد ما يحتاجون إليه من الميرة ويرعون فيها تلك المدة أنعامهم وشاءهم حتى إذا قبل فصل الشتاء اجتمع نجهم بالكرسيف ثم شذروا الرحلة إلى بلادهم فكان ذلك دأبهم على مر السنين فلما كانت سنة عشر وستمائة أقبل نجعهم على عادته للارتفاق والميرة حتى إذا أطوا على المغرب من ثناياها ألفوه قد تبدلت أحواله وبادت خيله ورجاله وفنت جماته وأبطاله وعريت من أهله وأوطانه ونحف منها سكانه وقطانه ووجدوا البلاد مع ذلك طيبة المنبت خصيبة المرعى غزيرة الماء واسعة الأكناف فسيحة المزارع متوفرة العشب لقله راعيها مخضرة التلول والبالعدم غاشيها فاقاموا بجانهم وبعثوا إلى اخوانهم فاجبروهم بحال البلاد وما هي عليه من الخصب والامن وعدم المحامي والمدافع فاغتموا الفرصة وأقبلوا مسرعين بنجعهم وحملهم وانتشروا في نواحي المغرب وأوجفوا عليها بجيولهم وركابهم واكتسحوا بالغارات والنهب بسببها ولبأت الرعايا إلى حصونها ومعاقبها وتم لهم ما أرادوا من الاستيلاء على بسبب المغرب وسهله وانتجاع مواقع طله ووبله

في الخبر عن رياسة الامير أبي محمد عبد الحق بن محيوي المريني رحمه الله

لما دخل بنو مرين المغرب كان الامير عليهم يومئذ عبد الحق بن محيوي بن أبي بكر بن جماعة بن محمد المريني فكثرت عليهم وضررهم بالمغرب وأعضل دأبهم وتضاعف على الرعية بلاؤهم فرفعت الشكايات بهم إلى الخليفة عمرا كس وهو يومئذ يوسف المنتصر بن الناصر بن المنصور فجهر لهم جيشا كثيفا من عشرين ألفا وعقد عليه لابي علي بن وانودين وكتب له إلى صاحب فاس السيد أبي ابراهيم بن يوسف بن عبد المؤمن يأمره بالخروج معه لغزو بني مرين والاثخان فيهم وعدم الابقاء عليهم مهما قدر على ذلك واتصل الخبر ببني مرين وهم في جهات الريف وبلاد بطوية فتركوها ثم انقالمهم وعيالهم بحصن تازوطامن أرض الريف وصمدوا إلى الموحدين فالتقى الجمعان بوادي نكور فكان الظهور لبني مرين على الموحدين فهزموهم وقتلواهم وامتلات الأيدي من أسلابهم وأمنتهم ورجع الموحدون إلى فاس يخصفون عليهم من ورق النبات المعروف عند أهل المغرب بالمشعله لكثرة الخصب يومئذ واعتمار القدن بالزرع وأصناف الباقلي فسميت تلك السنة يومئذ بعام المشعله وهي سنة ثلاث عشرة وستمائة ثم زحف الامير عبد الحق



في ذي الحجة من السنة المذكورة بجموع بني مرين الحرباط تازا حتى وقف بازا عز يتونها فخرج عاملها  
 لحربه في جيش كثيف من الموحدين والعرب والحشدة من قبائل تسول ومكاسة وغيرهم فقتلت  
 بنو مرين العامل المذكور وهزموا جيوشه وجمع عبد الحق الاسلاب والخيول والسلاح وقسم ذلك كله  
 في قبائل بني مرين ولم يمسك منها لنفسه شيئا وقال لبنيه اياكم ان تأخذوا من هذه الغنائم شيئا فانه يكفيكم  
 منها الثناء والظهور على أعدائكم

﴿حرب بني مرين مع عرب رباح ومقتل الامير عبد الحق رحمه الله﴾

لما انتصر بنو مرين على أعدائهم الموحدين حصل في نفوس بني عسكر بن محمد من عشيرتهم نقاسة عليهم  
 وضائق صدورهم من استقلال بني عمهم حامة بن محمد بار ياسة دونهم فخالفوا الامير عبد الحق وعشيرته  
 الى مظاهرة الموحدين وأولياهم من عرب رباح وكانت رباح يومئذ أشد قبائل المغرب قوة وأقواهم  
 شوكة وأكثرهم خيلا ورجالا لحدوث عهدهم بالجزو والبداءة فأغراهم الموحدون يومئذ بني مرين  
 لينتصروا لهم منهم وانفقت كلمتهم عليهم وسعدت بنو مرين باقبال العرب والموحدين وبني عسكر اليهم  
 فاجتمعوا الى أميرهم عبد الحق فقالوا له ما ترى في أمر هؤلاء العرب المقبلين الينا فقال يا معشر مرين  
 أما ما دمتم في أمركم مجتمعين وفي آرائكم متفقين وكنتم على حرب عدوكم أعوانا وفي ذات الله اخوانا  
 فلا أخشى ان ألقى بكم جميع أهل المغرب وان اختلفت أهواؤكم وتشتت آراؤكم ظفر بكم عدوكم فقالوا له  
 ان نجد ذلك الا نبيعة على السمع والطاعة وان لا نختلف عليك ولا نفر عنك أو غوت دونك فانض بنا اليهم  
 على بركة الله فنض الامير عبد الحق في جموع بني مرين فكاك اللقاء بمقرية من وادي سبوا على أميال  
 من تافرطامت فكانت بينهم حرب بعد العهد بمثلها وقتل فيها الامير عبد الحق وكبيراً ولاده ادريس  
 ولما رأت بنو مرين ما وقع باميرها وابنه حيت وغضبت وأقسمت بأيمانها ان لا يدفن حتى يأخذوا بشاره  
 فصمموا العزم لقتال رباح واسستأنفوا الجند لقتالهم وصبروا صبراً جليلاً فنصرهم الله على عدوهم  
 فهزموا رباحاً وقتلوا منهم خلقاً كثيراً وشردوهم في الشعاب والادوية ورؤس الهضاب واحتروا على  
 ما كان في محلتهم من السلاح والخيول والاثاث وقام بامر بني مرين بعد هلاك عبد الحق ابنه عثمان  
 على ما ذكره ان شاء الله

﴿بقية أخبار الامير عبد الحق وسيرته﴾

قالوا كان الامير عبد الحق المريني مشهوراً في قومه بالتقى والفضل والدين موسوماً بالصالح وصحة  
 اليقين معروف بالورع والعفاف موصوفاً في سيرته بالعدل والانصاف بطعم الطعام ويكفل الايتام  
 ويوثر المساكين ويحنو على المستضعفين وكانت له بركة معروفة ودعوة مستجابة موصوفة وكانت  
 قنوسوته وسراويله يتبرك بهما في جميع احياء زناته وكانوا يحملون فضله وضوئه فيستشفون بها  
 لمرضاهم وكان يسرد الصوم فلا يزال صائماً طول عمره في الحر والبرد لا يرى مفطر الا في ايام الاعياد كثير  
 الذكر والاوراد لا يفتر عنها في سائر الحالات مثيراً لاكل الحلال لا يفتات الا من لحوم ابله وألبانها  
 أو ما يعانیه من الصيد معظماً في بني مرين مطاعاً فيهم يقفون عند أمره ولا يصدرون الا عن رأيه  
 ﴿حكي﴾ ابن أبي زرع عن حدثه من الثقات أنه قدم على أمير المسلمين يعقوب بن عبد الحق في وفد من  
 أعيان فاس وفتحها في ذلك في رمضان سنة ثلاث وثمانين وستمائة والامير يعقوب يومئذ رباط الفتح يريد  
 العبور الى الاندلس برسم الجهاد قال فجرى في مجلسه ذكر والده الامير عبد الحق فقال الامير يعقوب  
 كان الامير عبد الحق رحمه الله صادق القول اذا قال فعل واذا عاهدوني لم يخلف بالله قط باراً ولا حائناً  
 ولم يشرب مسكراً قط ولا ارتكب فاحشة تضر الحوامل ببركة ازاره متى عسرت عليه من الولادة وكان



يسرد الصوم ويقوم أكثر الليل وإذا سمع بخبر صالح أو عابد قصده لزيارته واستوهب منه الدعاء شديد الخوف من المصالحين متواضعاً لهم وكان مع ذلك سما لا عداثة قاهر لهم وما وجدنا الأبركة وبركة من دعائه من الصالحين أه قالوا وكان الأمير عبد الحق في ابتداء أمره قليل الأولاد فرأى ذات ليلة في منامه كأن شهلاً أربعمائة من نار خرجن منه فعلمن في جوف المغرب ثم احتوين على جميع أقطاره فكان تأويلها تلك بنيه الأربعة من بعده وهذا مثل الرؤيا التي رآها عبد الملك بن مروان من بوله في المحراب أربع مرات فكان تأويلها أن ولي الخلافة أربعة من بنيه الوليد وسليمان يزيد وهشام وكان للأمير عبد الحق تسعة من الأولاد ريس وهو أكبرهم وقتل معه في حرب رباح وعثمان ومحمد وأبو بكر ويعقوب وهؤلاء الأربعة هم الذين ولوا الأمر بعده وعبد الله وعبد الرحمن ويقال له بلسانهم رحوا زيان وأبو عياد وبنت هي العاشرة والله أعلم

### في الخبر عن رياسة الأمير أبي سعيد عثمان بن عبد الحق رحمه الله

لما فرغ بنو مرين من حرب رباح ووجعوا من اتباعهم اجتمعوا إلى الأمير أبي سعيد عثمان بن عبد الحق وكان أكبر بني أبيه بعد ادريس فعزوه بمصائب أبيه وأخيه وبإبعاده عن رضى منهم فاجتمعت عليه كلماتهم ولما فرغ الأمير أبو سعيد من تجهيز أبيه وأخيه ودفعهم ما أقسم أن لا يرجع عن حرب رباح حتى يشار بمائة شيخ منهم فسار إليهم وأنخن فيهم حتى شققتهم وأذعنوا إلى الطاعة ولاذوا بالسلم فسألهم على اتاوة يؤدونها إليه كل سنة ثم ضعفت شوكة الموحدين وتدهأت أمرهم إلى الاختلال وأشرف ملكهم على ربوة الاضمحلال وتقص ظل حكمهم عن اليد وجملته وفسدت السابلة واختلط المرعى بالهمل فلما رأى الأمير أبو سعيد ما عليه أمر الموحدين من الضعف وما نزل برعايا المغرب من الجور والعسف جمع أشياخ مرين وندبهم إلى القيام بأمر الدين والنظر في مصالح المسلمين فاسرعوا إلى اجابته وبادروا بالتلبية فدعوته فسار بهم أبو سعيد في نواحي المغرب يتقرى مسالكه وشعوبه ويتبع تاوله ودروبه ويدعو الناس إلى طاعته والدخول في عهده وحمايته فن أجابه منهم أتمنه ووضع عليه قدر معلوما من الخراج ومن أبي عليه نابذه وأوقع به قبائمه من قبائل المغرب هوارة ووزكارة ثم تسول ومكاسة ثم بطوية وفشتالة ثم سدراتة وبهاولة ومدونة ففرض عليهم الخراج وفرق فيهم المال ثم فرض على أمصار المغرب مثل قاس ومكاسة وتازاوقصر كرامة ضريبة معاومة يؤدونها على رأس كل حول على أن يكف الغارة عنهم ويصلح سابلتهم ثم لما كانت سنة عشرين وسبعمائة غزا بلاد فازا ومن بها من طواعن زناتة فأنخن فيهم حتى أذعنوا للطاعة وقبض أيديهم عن اذابة الناس بالغارات والنهب في الطرقات ثم في سنة احدى وعشرين غزا غزاعرب رباح أهل ازغار وبلاد الهبط فأنخن فيهم حتى كاد يأتى عليهم ولم يزل دأبه ذلك من تدويج بلاد المغرب وأقطاره حتى هلك باغتتيال عالج له كان رباة صغيرا شب وسول له الشيطان الفتك به فترصد غرته وطعنه بحربة في منخره فمات لوقته سنة ثمان وثلاثين وكان ذا نجدة وشجاعة وعزم وكرم وإيثار مكرماللفقها وأهل الصلاح سالكا في ذلك سنن أبيه رحمه الله

### في الخبر عن رياسة الأمير أبي معرف محمد بن عبد الحق رحمه الله

لما هلك الأمير أبو سعيد قام بالأمر بعده أخوه أبو معرف محمد بن عبد الحق فاقتفى سنن أخيه في تدويج بلاد المغرب وأخذ الضريبة من أمصاره وجباية المغارم من باديته وبعث الرشيد بن المأمون صاحب مراکش قائده أبا محمد بن وانودين لحرب بني مرين وعقد له على مكاسة فأنخن باهلها في المغارم ثم نزل بنو مرين في بعض الأحيان بنواحيها وأجلبوا عليها اقتادى أبو محمد في عسكره وخرج إليهم فدارت بينهم حرب شديدة هلك فيها خلق من الجانبين وبارز محمد بن ادريس ابن عبد الحق قائدا من قواد الفرنج

فاختلفا ضربتين هلك العليج باحداها وجرح محمد بالآخرى فاندمل جرحه وصار اثراني وجهه لقب من  
اجله بابي ضربة ثم شد بنومرين على الموحدين فانكشفوا ورجع ابن وانودين الى مكاسة مفلولا وبقي  
بنو عبد المؤمن أثناء ذلك في مرض من الايام وتناول عن الحماية ثم اومضت دولتهم ايماضة الجنود وذلك  
انه لما هلك الرشيد بن المأمون سنة أربعين وستمائة وولي أخوه علي وتلقب بالسعيد وبايعه أهل المغرب  
انصرفت عزائمهم الى غزو بني مرين وقطع أطماعهم عما سمعت اليه من تلك المواطن فجهز عساكر  
الموحدين لقتالهم ومعهم قبائل العرب والمصامدة وجوع الفرج قهضوا سنة اثنتين وأربعين وستمائة  
في جيش كثيف يناهز عشرين ألفا فسمع الامير أبو معرف باقبا لهم فاستعد لقتالهم وزحف اليهم فكان  
اللقاء بموضع يعرف بصخرة أبي يياش من أحواز فاس فدارت بينهم حرب شديدة وصبر الفريقان ولما كان  
عشى النهار قتل الامير أبو معرف بن عبد الحق في الجولة يسد زعيم من زعماء الفرج تحاملا فترفرس  
أبي معرف به وأمكنك العليج فيه الفرصة فاعتنمها وطعنه فمات فانهمزمت بنومرين وتبعهم الموحدون  
فاتخذوا الليل جلا وأسروا طول ليلتهم بحلالهم وعيالهم وأموالهم فاصبحوا بجبال غمارة من نواحي تازا  
فاعتصموا بها أياما ثم خرجوا الى بلاد الصحراء وولوا عليهم أبا بكر بن عبد الحق علي ما ذكره وكانت هذه  
الوقعة وهلاك الامير أبي معرف عشية يوم الخميس تاسع جمادى الآخرة سنة اثنتين وأربعين وستمائة

#### الخبر عن دولة الامير أبي بكر بن عبد الحق رحمه الله

هذا الامير هو الذي رفع من رايه بني مرين وسماها الى مرتبة الملك وكنيته أبو يحيى وهو أول من جند  
الجنود منهم وضرب الطبول ونشر البنود وملك الحصون والبلاد واكتسب الطارف والتسلاد  
بايعه بنومرين بعد مهلك أخيه أبي معرف في التاريخ المتقدم فكان أول ما ذهب اليه ورآه من النظر  
لقومه ان قسم بلاد المغرب وقبائل جبايته بين بني مرين وأنزل كلاً منهم ناحية منه سوغهم اياها سائر  
الايام طعمة لهم وأمر كل واحد من أشياخ بني مرين ان يتركب الرجل ويستلق الاتباع فحسنت  
حالهم وكثرت عاشيتهم وتوفرت جوعهم

#### استيلاء الامير أبي بكر على مكاسة وبيعة أهلها لابن أبي حفص بواسطته

ثم سار الامير أبو بكر فحمله قتل جبل زرهون ودعا أهل مكاسة الى البيعة الامير أبي بكر بن أبي حفص  
صاحب افريقية لانه كان يومئذ على دعوته وفي ولايته وحاصرها وضيق عليها يمنع المرافق وترديد  
الغارات الى ان أذعنوا الطاعة فافتتحها صلحا بعد اخله أخيه يعقوب بن عبد الحق زعيمها أبي الحسن ابن  
أبي العافية وبعثوا يبيعتهم الى الامير أبي بكر بالخصى وكانت البيعة من انشاء أبي المطرف بن عميرة  
الخرومي وكان من اعلام ذلك العصر ومشاهيره وولي القضاء لبني عبد المؤمن بمدينة سلا ثم استمضوه  
بعدها بمكاسة فشهد هذه القضية وكتب البيعة ولما فتح الامير أبو بكر مكاسة أقطع أخاه يعقوب ثلاث  
جباياتها جزاء له على وساطته وكان فتح مكاسة سنة ثلاث وأربعين وستمائة ثم أنس الامير أبو بكر من  
نفسه الاستبداد ومن قبيله الاستيلاء فاتخذ الاله لذلك وسما بنفسه الى مرتبة الملك وأعد له عدته وانتهى  
الخبر الى السعيد صاحب مراکش بتقلب الامير أبي بكر على مكاسة وصرفها لابن أبي حفص فوجم لها  
وقاوض الملا من أهل دولته في أمره وأراهم كيف اقتطع الامر عنهم شيئا فشيئا حتى لم يبق بيدهم  
الاقراره مراکش وما حولها بعد امتداد اطل ملكهم على المغربين وافريقية والاندلس ثم نهض  
السعيد من مراکش سنة خمس وأربعين وستمائة يريد مكاسة وبني مرين أولا ثم تلسان ويغمراسن  
ابن زيان ثانيا ثم افريقية وابن أبي حفص آخرها ولما وصل الى وادي بمت عرض جيوشه وميزها واتصل  
الخبر بالامير أبي بكر وهو بمكاسة فخرج وحده ليل ليتجسس الاخبار ويستطلع أحوال السعيد

وجوعه فتقدم حتى أشرف على محلة السعيد من كتب ولا علم لاحد به فرأى ما لطاقته به ورأى من  
 الرأى ان يتخلى السعيد عن البلاد ولا يناجزه الحرب فلحق بمكاسة واستدعى بنى مرين من أما كتبهم التي  
 عين لهم قتلها حقوا به وساروا الى قلعة تازوطا من بلاد اريف فخصصوا بها وتقدم السعيد الى مكاسة  
 فلقاه أهلها خاضعين مستشفعين اليه بشيوخهم وصبيانهم ففزع عنهم ثم سار الى فاس فزل بظاهرها من  
 ناحية القبلة وخرج اليه أشياخها فسلموا عليه وسألوه الدخول الى البلد فكرم عنهم وأبى ثم ارتحل الى  
 رباط تازا فزل بظاهرها وهناك بعث اليه الامير أبو بكر ببيعة فقبلها وكتب له ولقومه بالامان وكان  
 فيما خاطبه به الامير أبو بكر ان قال له ارجع يا امير المؤمنين الى حضرتك وأنا كفيتك أمر يغمراسن وأفتح  
 لك تلسان فتساور السعيد خاصته في ذلك فقالوا لا تفعل يا امير المؤمنين فان الزناتي أخو الزناتي لا يسلمه  
 ولا يخذله وانا نخاف أن يصطلمنا على حربك فأسعفهم وكتب الى الامير أبي بكر يقول له أقم بوضعك وابعث  
 الى حصنة من قومك فأمدته بخمسمائة من بنى مرين وعقد عليها الابن عمه أبي عياد بن أبي يحيى بن جماعة  
 وتقدم السعيد الى تلسان فكان من هلاكه على قلعة تازا من ردت ما قدمناه في أخبار دولته وكان الامير  
 أبو بكر لما نزل حصن تازوطا وأهل ذلك الحصن يومئذ هم بنو وطاس بطن من بنى مرين أجمعوا القتل  
 به غيرة وحقاسة عليه فهدس اليه بذلك بعض شيوخهم وأعلمه بما تواطأ واعليه من غدره فارتحل الامير  
 أبو بكر عنهم الى بنى يرتاس وكانوا نازلين يومئذ بين الصفا فاقام هناك معهم حتى رجعت اليه الحصنة  
 التي كانت مع السعيد وأعلموه بمقتله واقتراق جوعه فانتزاع الامير أبو بكر الفرصة في قتل الموحدين  
 واعترضهم بأكرسيف فاستلبهم وانزع الالة من أيديهم وأدار اليه كتيبة الفرخ والناشبة من  
 الاغزاز واتخذ المركب الملوكي من يومئذ ثم أخذ السير الى مكاسة فدخلها واستولى عليها واقام بها  
 أياما ثم نهض الى أعمال وطاط وحصون ملوية فاقترضها ودوخ جبالها وذلك أواخر صفر سنة ست  
 وأربعين وستمائة

### استيلاء الامير أبي بكر على فاس وبيعة أهلها

لما فرغ الامير أبو بكر من فتح حصون ملوية صرف عزمه الى فتح فاس وانتزاعها من يدي بني عبد المؤمن  
 وكان العامل بها يومئذ السيد أبا العباس من بنى عبد المؤمن فأناخ عليها الامير أبو بكر بخياله ورجله  
 وتاطف في مداخلة أهلها وضمن لهم جميل النظر وجيد السيرة وكف الاذى عنهم فأجابوه وثقوا بعهده  
 وغناؤه وأووا الى ظله وركنوا الى طاعته وانتمت الدعوة الحفصية بأمره ونبذوا طاعة بني عبد المؤمن  
 بأسامن صريخهم فبايعوه بالرابطة خارج باب الشريعة وحضر هذه البيعة الشيخ أبو محمد الغشتالي  
 ونسده الله على الوفاء بشرط على نفسه من النظر لهم والذب عنهم وسلك طريق العدل فيهم فكان  
 حضوره ملاك تلك العقدة والبركة التي يتعرف أثرها خلفهم في تلك البيعة ودخل الامير أبو بكر مدينة  
 فاس ذوال يوم الخميس السادس والعشرين من ربيع الآخر سنة ست وأربعين وستمائة بعد موت  
 السعيد صاحب مراکش شهرين ولما دخل الامير أبو بكر قصبه فاس آمن السيد أبا العباس عامل  
 الموحدين بها وأخرجهم من القصبه بعياله وأولاده وبعث معه سبعين فارسا يبلغونه الى مأمته فاجازوه  
 وادى أم الربيع ورجعوا ثم نهض الامير أبو بكر الى منزلة تازا وها يومئذ السيد أبو علي بن محمد  
 أخو أبي دوس فنازلها أربعة أشهر حتى زلوا على حكمه فقتل بعضهم ومن على آخرين منهم وست  
 ثغورها وأقطع أخاه يعقوب بن عبد الحق رباط تازا وحصون ملوية ورجع الى فاس فأقام بها نحو سنة  
 واستقامت له الامور وقدمت عليه الوفود وأمر القبائل بالنزول في البساط وعمار القري والمدامر  
 وأمنت الطرقات وتحركت التجار ورخصت الاسعار وصلاح أمر الناس واعتبطوا بولايته



بانتفاض أهل فاس على الأمير أبي بكر ومحاصرته أيامهم

لما استولى الأمير أبو بكر على المغرب وملك مدينة فاس كما ذكرنا من ربيع الأول سنة سبع وأربعين  
وستمائة إلى معدن العوام من بلاد فازاز لفتح بلاد زناتة وتدويج نواحيها واستخلف على فاس مولاه  
السعود بن خرباش من جماعة الحشم أحلاف بني مرين وكان الأمير أبو بكر لما فتح فاس استبق من كان  
فيها من عسكر بني عبد المؤمن من غير نسيبهم على الوجه الذي كانوا عليه من الخدمة مع الموحدين وكان  
من جملة طائفة من النصاري نحو المائتين وعليهم قائد منهم يقال له شريد الفرنجي فكانوا من حصنة  
السعود هنالك فوعدت بينهم وبين شيعة الموحدين من أهل فاس مداخلة وعزم الفاسيون على الفتك  
بالسعود وتحويل الدعوة إلى المرتضى فاجتمعوا إلى القاضي أبي عبد الرحمن المغيلي وفاوضوه في ذلك  
فوافقهم على رأيهم فاستدعوا شريدا وقالوا له تقتل هذا الأسود وتضبط البلد حتى نكتب إلى المرتضى  
فيبعث اليك من يقوم بأمرنا فأجابهم إلى ذلك وكان ميله إلى الموحدين وهو معهم لكونه صنعهم وكان  
الذي مشى في هذه الثورة وتولى كبرها المشرف ولد القاضي المذكور وابن جشار وأخوه وابن أبي طاط  
وولده فلما كانت صبيحة يوم الثلاثاء الموفى عشرين من شوال سنة سبع وأربعين وستمائة طلع الأشياخ  
المذكورون إلى القصبية للسلام على السعود وعلى عادتهم في ذلك فدخلوا عليه بمجلس حكمه وهاجوه  
ببعض المحاورات فغضب وانتهرهم فوثبوا به ونادوا بشهادهم وكان شريد الفرنجي واقفا في عسكره أمام  
القصبية قد واطأهم على ذلك فاقحمهم على السعود فقتله وقتل معه أربعة من رجاله واحترق العاقبة رأسه  
ورفعوه على عصا وطاقوا به في أسواق البلد وسككها واقتحموا القصر فانتبهوه وسبوا الحرم ونصبوا  
النصراني لضبط البلد وبعثوا ببيعتهم إلى المرتضى صاحب مراکش واتصل الخبر بالأمير أبي بكر وهو  
منازل بالادفاز ففرج عنها وأخذ السير إلى فاس فأنحى عليها بعساكره وشمير لحصارها وقطع المادة عنها  
وبعث أهل فاس إلى المرتضى بالصرح يخبرهم بجمع اليهم قولا ولا ملك لهم ضرا ولا نفعا ولا وجدلا لكشف  
ما تزل بهم حيلة ولا وجهها سوى أنه استجاش على الأمير أبي بكر يغمر أسن بن زيان صاحب تلمسان  
وأمله لكشف هذه النازلة عن انحاش إلى طاعته فأجابه يغمر أسن إلى ذلك وطمع أن يكون ذلك سببا  
في تلك المغرب وسلم الصعود إلى ذروة ملكه فاحتشد لحر كته ونهض من تلمسان للاخذ بحجزة الأمير  
أبي بكر عن فاس وأهلها واتصل بالأمير أبي بكر خبر نهوضه إليه اتسعة أشهر من منازلته فاسا فحمر  
الكتاب عليها وصعد إليه قبل فصوله عن تخوم بلاده فلقبه بوادي ايسلي من بسيط وجدة فتراحف  
القوم وكانت ملحمة عظيمة هلك فيها عبد الحق بن محمد بن عبد الحق بيد ابراهيم بن هشام من بني عبد الواد  
ثم انكشفت بنوع عبد الواد ونجا يغمر أسن بن زيان إلى تلمسان برأس طمرة ولجام وترك محلته بما فيها  
فاحتوى عليها الأمير أبو بكر وانكفارا جمالي فاس للاخذ بمنعها فوصل إليها في جادى الآخرة سنة  
ثمان وأربعين وستمائة وأناخ عليها بكل كاه واستأنف الجدة وأرهب الحد وشدد في الحصار وأيس أهل  
فاس من اغاثة المرتضى وسقط في أيديهم ورواؤهم قد ضلوا ولم يجدوا وليجة من دون مراجعة طاعة  
بني مرين فسألوا الأمير أبي بكر الأمان فبذله لهم على غرم ما أتلفوا له بالقصر من المال يوم الثورة وقدره  
مائة ألف دينار فحسموا لها وأمكنوه من قياد البلاد فدخلها في الثالث والعشرين من الشهر المذكور  
فأقام بها إلى رجب الموالي له وطالبهم بالمال فسوفوه وتلوا في المقال فلما رأى ذلك منهم قبض على جماعة  
من أشياخها وأمنائها وأتلفهم بالحديد وطالبهم بالمال والاثاث الذي انتبهوه من القصر فقال له شيخ  
يعرف بياض الخبث انما فعل الذنب مناسفة فكيف تهلكتنا بفعل السفهاء منا ولو فعل الأمير ما أشير به عليه  
لكان صوابا من الرأي فقال وما ذلك قال تعمد إلى هؤلاء نفر الستة الذين سعوا في الفتنة فتأخذ رؤسهم  
وتشرد بهم من خلفهم ثم تأخذنا نحن بنغم المال فقال لعمرى لقد أصبت ثم أمر بالقاضي المغيلي وابنه

وابن أبي طاط وابنه وابن جشار وأخيه فقتلوا ورفعوا على الشرفات رؤسهم وأخذوا الباقين بغرم المال طوعاً وكرهاً قال ابن خلدون فكان ذلك مما عبد رعية فاس وقادها لحكام بني مرين وضرب الرهب على قلوبهم فخشعت منهم الأصوات وانقادت منهم الهمم ولم يتحدثوا بعدها أنفسهم بغيره من يدي قننة وكان مقتل النضر المذكورين خارج باب الشريعة يوم الأحد الثامن من رجب المذكور

استيلاء الامير أبي بكر على مدينة سلامت ارتجاعها منه وهزيمة المرتضى بعد ذلك

لما أكل الله الامير أبي بكر فتح مدينة فاس واستوسق أمر بني مرين بهار جمع الى ما كان فيه من منازلة بلاد فازار فاقتمها ودوخ أوطان زناتة واقضى مغارهم وحسم علل النازين بها ثم تخطى ذلك الى مدينة سلا ورباط الفتح سنة تسع وأربعين وستمائة فملكها وتاخم الموحدين بتغرها واستعمل عليها ابن أخيه يعقوب بن عبد الله بن عبد الحق وعقد له على ذلك الثغر وضم الاعمال اليه وبلغ الخبر بذلك الى المرتضى بمراكش فأهه الشأن وأحضر الملا من الموحدين وقاوضهم واعترم على حرب بني مرين وسرح العساكر سنة خمسين وستمائة فأحاطت بسلامت افتحوها وعادت الى طاعة المرتضى وعقد عليها لابي عبد الله بن يعقوب من مشيخة الموحدين ثم أجمع المرتضى النهوض بنفسه الى بني مرين فبعث في المدائن والقبائل حاشرين فاهرعت اليه أم الموحدين والعرب والمصامدة وغيرهم وفصل من مراكش سنة ثلاث وخمسين وستمائة في نحو الثمانين ألفاً والى السير حتى انتهى الى جبال جهولة من نواحي فاس وصمد اليه الامير أبو بكر في عساكر بني مرين ومن اجتمع اليهم من ذويهم والتقى الجمعان هناك وصدقهم بنو مرين الجلال فاختل مصاف الموحدين وانزمت عساكر المرتضى وأسلمه قومه ورجع الى مراكش مفلولاً واستولى بنو مرين على معسكره واستباحوا سرادقه وانهبوا فسطاطه ونعموا بجميع ما وجدوا به من المال والذخيرة واستاقوا سائر الكراع والظهور وامتلات أيديهم من الغنائم واعتزأ من هم وانيسط سلطانهم وكان يومه ما بعده وفي القرطاس ان انهزام جيش المرتضى في هذه المرة كان عن جولان فرس بين أخبيتهم ليلا ففسبوا ان بني مرين قد أغاروا عليهم فانهم زمو الايلوون على شئ والله أعلم ثم غزا الامير أبو بكر بعد هذا بلاد تادلا فاستباح حاميته من بني جابر عرب جشم واستلم ابطالهم وألان من حدهم وخضد من شوكتهم وفي خلال هذه الحروب كان مقتل علي بن عثمان بن عبد الحق وهو ابن أخي الامير أبي بكر شعر منه بفساد الدخلة والاجماع للتونب على الامر قدس لابنه أبي حديد مفتاح ابن أبي بكر بقتله فقتله في جهات مكاسة سنة احدى وخمسين وستمائة والله تعالى أعلم

استيلاء الامير أبي بكر على سجلماسة ودرعة وسائر بلاد القبلة

لما كانت سنة خمس وخمسين وستمائة نهض الامير أبو بكر الى محاربة يغمراسن بن زيان وسمع به يغمراسن فهض اليه أيضا فكان اللقاء بين سليط فاقتموا وانهمز يغمراسن واعترم الامير أبو بكر على اتباعه فقتناه عن رأيه في ذلك أخوه يعقوب بن عبد الحق لمهدتاً كدينه وبين يغمراسن فرجع ولما انتهى الى المقرمدة من أحواز فاس بلغه ان يغمراسن قصد سجلماسة ودرعة فدخله كاتله من بعض أهلها وعورة أطمعته في ملكها فاسرع الامير أبو بكر السير بمجموعه الى سجلماسة فدخلها قبل وصول يغمراسن اليها يوم ثم جاء يغمراسن حتى نزل خارجها باب تاحسنت وسقط في يده ويشس من غلبة الامير أبي بكر عليها ودارت بينهم محاربة تكافأ الفريقان فيها وهلك سليمان بن عثمان بن عبد الحق ابن أخي الامير أبي بكر وانقلب يغمراسن الى بلاده وعقد الامير أبو بكر على سجلماسة ودرعة وسائر بلاد القبلة ليوسف بن يزكاسن واستعمل على الجباية عبد السلام الأوربي وجعل مسلحة الجنديها لتطرابي يحيى القطراني وملكه قيادتهم وانكفأ راجعا الى فاس والله تعالى أعلم

﴿وفاة الامير أبي بكر رحمه الله﴾

لما رجع الامير أبو بكر من حرب يغمراسن على سجالماسة أقام بفاس أياما ثم نهض الى سجالماسة أيضا متفقدًا لتغورها فاقبل منها عليلا ووصل الى فاس فتوفي بتحصره من قصبته أو واسط رجب سنة ست وخمسين وستمائة ودفن داخل باب الجيزيين من أبواب عدوة الاندلس بازاء الشيخ أبي محمد الفشتالي حسبا أوصى بذلك وتصدى للقيام بالامر بعده ابنه عمر على ما ذكره

﴿الخبر عن دولة أبي حفص الامير عمر بن أبي بكر بن عبدالحق رحمه الله﴾

لما مات الامير أبو بكر رحمه الله اشتمل الامامة من بني مرين على ابنه أبي حفص عمر فبايعوه ونصبوه للامر وتباروا في خدمته ومالت المشيخة وأهل العتد والحل الى عمه يعقوب بن عبدالحق وكان غائبا عندهم لك أخيه بتازا فلما بلغه الخبر أمرع الحيات بفاس وتوجهت اليه وجوه الاكابر وأحسن عمر جميل الناس الى عمه يعقوب فقلق لذلك وأعراه أتباعه بالفتك بعمه فاعتصم بالقصبة ثم سعى الناس في الاصلاح بينهم ما اقتضاه يعقوب من الامر ودفعه الى ابن أخيه على ان تكون له بلاد تازا ويطوي بقوملوية التي كان أقطعها اباهما أخوه من قبل فانفصلا على ذلك وخلص الامر لعمر واستمر بفاس أشهر الى ان غلب عليه عمه المذكور حسبا نقص عليك

﴿الخبر عن دولة السلطان المنصور بالله يعقوب بن عبدالحق رحمه الله﴾

هذا السلطان جليل القدر عظيم الشأن وهو سيد بني مرين على الاطلاق وسمي من أخباره الحسنة ما يستغرق الوصف ويستوقف السمع والطرف وهو رابع الاخوة الاربعة الذين ولوا الامر بالمغرب من بني عبدالحق وكانت أمه واسمها أم اليمين بنت علي البطوي رأت وهي بكر كأن القمر خرج من قبلها حتى صعد الى السماء وأشرق نوره على الارض فقصت رؤياها على أبيها فسار الى الشيخ الصالح أبي عثمان الوريا كلى قدمها عليه فقال ان صدقت رؤياها فستلدملكا عظيما فكان كذلك ولما انفصل الامير يعقوب بن عبدالحق عن ابن أخيه عمر بولاية تازا وما أضيف اليها اجتمع اليه كافة بني مرين وعدلوه فيما كان منه من التخلي عن الملك وجاؤه على العود في الامر وعوده من أنفسهم المطاهرة والنصر الى ان يتم امره فاجاب ويايموه وصعد الى فاس فبرز الامير عمر للاقائه ولما تراء الجمعان خذل عمر جنوده وأسلموه فرجع الى فاس مغفولا ووجهه الرغبة الى عمه أن يقطع له مكانة وينزل له عن الامر فأجابته الى ذلك ودخل السلطان يعقوب مدينة فاس فلما كانت سنة سبع وخمسين وستمائة ونفذت كلته في بلاد المغرب ما بين ملوية وأم الربيع وما بين سجالماسة وقصر كتامة واقصر عمر على اماره مكانة فتولاها أياما ثم اغتاله بعض عشيرته فقتلوه نحو سنة من امارته فكنى الامير يعقوب أمره واستقام سلطانه وذهب التنارع والشقاق عن ملكه وكان يغمراسن بن زيان لما سمع بموت قرنه الامير أبي بكر سماه أمل في الاجلاب على المغرب فجمع لذلك قومه من بني عبد الواد واستظهر بيني توجين ومغراوة ووعدهم ومناهم وأطمعهم في غيل الاسد ثم نهض بهم الى المغرب حتى اذا انتهوا الى كدامان صعد اليهم الامير يعقوب فظلمهم ورددهم على أعقابهم وغمراسن في طريقه بتافرسيت من بلاد بطوية فاحرق وانتسف واستباح وأعظم النكابة ورجع الامير يعقوب الى فاس واقام مذهب أخيه الامير أبي بكر في فتح أمصار المغرب وتدريج أقطاره وكان مما أكرمه الله به ان فتح أمره باستنقاذ مدينة سلامن أيدي نصارى الاصبيول فكان له بها أثر جميل وذاكره الله

﴿استيلاء نصارى الاصبيول على مدينة سلا وابقاع السلطان يعقوب بهم وطردهم عنها﴾

كان يعقوب بن عبد الله بن عبدالحق قد استعمله عمه الامير أبو بكر بن عبدالحق على مدينة سلا لما ملكها



كما ذكرناه ولما استرجعها الموحدون من يده أقام يتقلب في جهات مترصد الفرصة وامكانها فيها  
 ولما اودع عمه السلطان يعقوب بن عبد الحق آسفته بعض الاحوال منه فذهب مفاصباحتي تزل عين  
 غبولة والطف الحيلة في تلك رباط الفتح وسلا ليعتد ما ذر بعة لما أسرى في نفسه من التوثب على الامر  
 فتمت له الحيلة ومالك سلا وركب عامها أبو عبد الله بن يعقوب الجعفر فارتأى آرمور وخلف أمواله وحرمه  
 فملك يعقوب بن عبد الله ذلك وتمكن من البلد وجاهر بالخلع وصرف الى منازعة عمه السلطان يعقوب  
 وجوه العزم وتمكنت الوحشة بين يعقوب بن عبد الله وبين وداخل يعقوب سلا لتجار الحرب من الاصبول في  
 الامداد بالسلاح قبار وافي ذلك وكثرت سفن المتردين منهم اليها حتى كثروا أهلها وزاد عددهم  
 فعزموا على الثورة بها واهتبا وافيها غرة عيد الفطر من سنة ثمان وخمسين وسمائة عند اشتغال الناس  
 بعيدهم وثاروا بسلا في اليوم الثاني من شوال فوضعوا السيف في أهلها وقتلوا الرجال وسبوا الحرم  
 وانهبوا الاموال وكان الحادث بها عظيما وضبطوا البلد وتحصن يعقوب بن عبد الله برباط الفتح وطار  
 الصريح الى السلطان يعقوب بن عبد الحق وهو يومئذ بمدينة تازا دخلها أوائل شعبان من السنة  
 المذكورة لاستشراف احوال يعقوب بن عبد الحق فوصل اليه الخبر في اليوم الرابع من شوال المذكور  
 فحضر السلطان يعقوب بن عبد الله من فوره بعد ان صلى العصر بتازا من ذلك اليوم فأسرى ليلته تلك في نحو  
 الخمسين فارسا ومن الغد صلى العصر بظاهر سلا فكان قطعه مسافة ما بينهما في يوم وليلة وهذا امر  
 خارق للعادة بلا شك أظهره الله على يده هذا السلطان اصدق عزمه وحسن نيته والاف المسافة ما بين تازا  
 وسلاست من اهل أوأكثر ثم تلا حقت به جيوش المسلمين من القبائل والمتطوعة من جميع آفاق المغرب  
 فحاصر النصارى بها وضيق عليهم ووالى القتال عليهم بالليل والنهار حتى اقتحمها عليهم عنوة لاربع  
 عشرة ليلة من حصارها وأنحن فيهم بالقتل ونجما من نجما منهم الى سفنهم فنشروا قلوبهم وذهبوا يلتفتون  
 وراءهم ثم شرع السلطان يعقوب بن عبد الله في بناء السور الغربي من سلا الذي يقابل الوادي منها فانها  
 كانت لا سور لها من تلك الجهة من أيام عبد المؤمن بن علي فانه كان قد هدم أسوار قواعد المغرب مثل  
 فاس وسبتة وسلا حسمنا قدمنا الخبر عنه في دولته ومن هذه الثلثة كان دخول النصارى الى سلا فشرع  
 السلطان يعقوب بن عبد الله في بنائه فبناه من أول دار الصناعة قبلة الى البحر جوقا وكان وجه الله يقف  
 على بنائه بنفسه ويناول الحجر بيده ابتغاء ثواب الله وتواضعا وسعي في صلاح المسلمين حتى تم السور المذكور  
 على أحسن وجه وأكمله ودار الصناعة المذكورة في هذا الخبر هي الدار التي كانت تصنع بها الاساطيل  
 البحرية والمراكب الجهادية يجلب اليها العود من غابة المعمورة فتصنع هنالك ثم ترسل في الوادي وكان  
 ذلك من الامر المهم في دولة الموحد بن حسمنا سلف رحمته قال في الجنوة رحمته دار الصناعة بسلا بناها المعلم  
 أبو عبد الله محمد بن علي بن عبد الله بن محمد بن الحاج من أهل اشيلية وكان من العارفين بالحيل الهندسية  
 ومن أهل المهارة في نقل الاجرام ورفع الاثقال بصيرا باتخاذ الآلات الحربية الجافية اه وأما يعقوب  
 ابن عبد الله الناصر فانه خشي بادرة السلطان يعقوب بن عبد الحق فخرج من رباط الفتح وأسلمه فضبطه  
 السلطان وثقه ثم نهض الى بلاد تامسنا فاستولى عليها وملك مدينة آني وهي المسماة الآن بالدار  
 البيضاء فضبطها ولحق يعقوب بن عبد الله بحصن علودان من جبال غمارة فامتنع به وسرح السلطان  
 ابنه أبا مالك عبد الواحد وعلو بن زيان لما زلته وسار هو الى لقاء يعقوب بن عبد الله وعقد معه المهادنة واقترقا  
 على السلم ووضع أوزار الحرب ورجع السلطان الى المغرب فخرج عليه بنو أخيه ادريس على ما ذكره

يخرج ورج بن ادريس بن عبد الحق على عمهم السلطان يعقوب بن عبد الحق رحمه الله

قد تقدم لنا ان الامير عبد الحق المريني كان له تسعة من الولد أكبرهم ادريس وقتل مع والده في حرب  
 رباح وكان لادريس هذا عدة اولاد بقوا في كفالة اعمامهم ولما أفضى الامر الى السلطان يعقوب كان

أولاد ادريس قد ملكوا أمر أنفسهم واشتدت شكيتهم فنفسوا عليه ما آتاه الله من الملك ورأوا أنهم  
أحق به منه لان أباهم هو الاكبر من ولد عبدالحق كما مر فخرجوا على عمهم يعقوب ولحقوا بقصر كتابة  
وتابعوا ابن عمهم يعقوب بن عبد الله على رأيه واجتمعوا الى كبيرهم محمد بن ادريس بن عبدالحق وانضم  
اليهم من كان على رأيهم من عشيرتهم ومواليهم واعتصموا بجبال عمارة فنهض اليهم السلطان يعقوب  
وتأطف بهم حتى استزلهم واسترضاهم وعقد لعاصم بن ادريس منهم سنة ستين وسثمائة على عسكر من  
ثلاثة آلاف فارس أو يزيدون من المتطوعة من بني مرين وأغزاهم الاندلس لجهاد العدو بها وحلهم  
وفرض لهم في العطاء وشفع بهذه القعلة الحسنه عمله في واقعة سلا وهو أول جيش عبر البحر الى الاندلس  
من بني مرين فكان لهم في الجهاد والمرابطة مواقف مذكورة ومقامات محمودة تبع الخلف فيها السلف  
ودام ذلك فيهم مبرهة من الدهر وقاموا عن أهل المغرب والاندلس بهذا الواجب العظيم رجعهم الله  
وجزاهم عن المسلمين خيرا وأما يعقوب بن عبد الله صاحب سلا فإنه أقام خارجا بالنواحي متنقلا في  
الجهات الى ان قتله طلحة بن محلي من أولياء السلطان يعقوب على ساقية غبولة من ناحية رباط الفتح سنة  
ثمان وستين وسثمائة فكفى السلطان يعقوب أمره

بِحصار السلطان يعقوب حضرة مراکش وتزوع أبي دبوس منها اليه وهلاك المرتضى بعد ذلك

لما فرغ السلطان يعقوب من شأن الخارجين عليه من عشيرته أجمع رأيه لمنزلة المرتضى والموحدين في  
دارهم وحضرتهم ورأى انه أوهن لشوكتهم وأقوى لامره عليهم فبعث في قومه واحتشد أهل مملكته  
واستكمل التعبية وسار سنة ستين وسثمائة حتى انتهى الى جبل جيليز فشارك دار الخلافة ونزل بعقرها  
وأخذ بمنقها وخفقت أوليته على جنباها وعقد المرتضى على حربه لابي دبوس ادريس بن محمد بن  
أبي حفص بن عبد المؤمن فعبا كتابه ورتب مصافه وبرزلدا فعتهم ظاهر الحضرة فكانت بينهم حرب بعد  
العهد عتله أهلها الا مير عبد الله بن يعقوب بن عبدالحق ففت مهاك في عضدهم وارتحلوا عنها الى  
أعمالهم واعترضتهم عساكر الموحدين بوادي أم الربيع وعليهم م يحيى بن عبد الله بن وانودين فاقتتوا  
في بطن الوادي وانهمزمت عساكر الموحدين هزيمة شنعاء وتركوا الأموال والاثاث فاحتوى بنو مرين  
على ذلك كله وهي واقعة أم الرجلين ثم سعى بمسيرة الفتن عند الخليفة المرتضى في ابن عمه وقائد حربه  
أبي دبوس بانه يطلب الامر لنفسه وشعر هو بالسعاية في جانبه فخشي بادرة المرتضى ولحق بالسلطان  
يعقوب سنة احدى وستين وسثمائة عند دخوله الى فاس من محاصره مراکش فأقام عنده مليا ثم سأله  
الاعانة على أمره بمسكريته به وآلة يتخذها الملك ومال يصرفه في ضرورياته على ان يشركه في الفتح  
والغنمة والسلطان قامده السلطان يعقوب بخمسة آلاف من بني مرين وبالمستجاد من الآلة والكفاية  
من المال وأهاب له بالعرب والقبائل من أهل مملكته وغيرهم ان يكونوا معه يدا واحدة حتى يبلغ  
مراده من فتح مراکش وسار أبو دبوس في الكتاب حتى شارك الحضرة ودس الى أشباعه من الموحدين  
بأمره فثاروا بالمرتضى فكان من فراره الى آزمو روتزوله على صهره ابن عطوش ومقتله على يده  
ما قدمنا ذكره في دولته واستتب أمر أبي دبوس بمراکش وثبت قدمه بها فبعث اليه السلطان في الوفاء  
بالمشاركة فاستكف واستكبر ونقض العهد وأساء الرد فنهض اليه السلطان يعقوب في جموع بني مرين  
وعساكر المغرب فخام عن اللقاء واعتصم بالاسوار فزحف اليه السلطان يعقوب وحاصره أياما ثم سار في  
الجهات والنواحي يحطم الزروع وينسف الاقوات ويجزأ أبو دبوس عن مدافعتة فاستجاش عليه بيغمراسن  
ابن زيان ليفت في عضده ويشغله عما أمامه بما وراءه فكان ما نذكره

بوقعة تلاغ بين يعقوب بن عبدالحق ويغمراسن بن زيان

لماتزل السلطان يعقوب حضرة مراکش ورض على تراثه للتوثب عليها لم يجد أبو دوس ملبأ  
من دون الاستظهار عليه ينغمس من زيان لياخذ بحجزته عنها فبعث اليه بالصرح في ذلك وأكد العهد  
وأسنى الهدية فشمير يعمر من لاستنقاذه وجذب السلطان يعقوب عنه من خلفه بسن الغارات على ثغور  
المغرب وابقاد نار الفتنة بها فهاج عليه من السلطان يعقوب ليث عاديا وأرهب منه حدا ماضيا فافرح  
لوقت عن مراکش ورجع عوده على بدته يريد تلمسان وصاحبها يغمر من زيان فنزل فاسا وتلوم بها  
أيام حتى أخذ أهبة الحرب وعتة النزال ثم نهض الى تلمسان منتصف محرم سنة ست وستين وستمائة وسلك  
على آكر سيف ثم على تافرطاست وتراحف الغريقان بوادي تلاغ وعبا كل منهما كتابته ورتب مصافه  
وبرز النساء في القباب سافرات على سبيل التحريش والتحريض والتحم القتال وطلال القراع والنزال ولما  
فألفى عومال النهار وكثرت حشود بني مرين جوع بني عبد الواد ومن اليهم انكشفوا ومنحو العدو  
أكتافهم وهلك في الحومة أبو حفص عمر بن يغمر من زيان وكان كبيرا أولاده وولي عهد وهلك  
معه جماعة من عشيرته ولما انهزم بنو عبد الواد بقي يعمر من زيان في ساقتهم حاميا لهم من بني مرين أن تركهم  
من خلفهم فكان ردء لهم الى ان وصلوا الى بلادهم وكانت وقعة تلاغ يوم الاثنين الثاني عشر من جمادى  
الاخيرة من السنة المذكورة ورجع السلطان يعقوب الى مكانه من حصار مراکش والله غالب  
على أمره

### فتح حضرة مراکش ومقتل أبي دوس وانقراض دولة الموحدين بها

لماتزل السلطان يعقوب من حرب يغمر من زيان صرف عزمه الى غزو مراکش والعود الى حصارها  
كما كان أول مرة فهض اليها من فاس في شعبان سنة ست وستين وستمائة ولما عبر وادي أم الربيع  
بث السرايا وشق الغارات وأطلق الاعنة والايدي للنهب والعيث فخطموا زروعها وانتسفوا آثارها  
وتقرى نواحيها كذلك بقية عامه ثم غزا عرب الخلط من جشم بتادلا فأنخن فيهم واستباحهم ثم نزل وادي  
العبيد فأقام هنالك أياما ثم غزا بلاد صنهاجة فاستباحها ولم يزل ينقل ركابه في أحواز مراکش ويحوس  
خلالها الى آخر ذي القعدة من سنة سبع وستين وستمائة فاجتمع أشياخ القبائل من العرب والمصامدة  
عند أبي دوس وقالوا له يا مولانا كم تقعد عن حرب بني مرين وقد ترى ما نزل بنا في حريتنا وأموالنا منهم  
فأخرج بنا اليهم لعل الله يجعله سبب الفتح فانهم قليلون وجهورهم وذو الشوكة منهم قد بقوا برباط تازا  
لحراسة ذلك الثغر من بني عبد الواد ولم ير الوالقيقتلون له في الذروة والغارب حتى أجابهم الى رأيهم فاستعدت  
للعرب وبرز من حضرة مراکش في جيوش ضخمة وجوع ووافرة فاستجبره السلطان به قوب بالفرار  
أمامه ليعبد عن مدد الصريح فيستمكن منه فلم يزل أبو دوس يسعي خلفه حتى نزل ودغفوا فحينئذ كرت  
عليه السلطان يعقوب فالتحمت الحرب واختل مصاف أبي دوس وفر يسابق الى مراکش وأين منه  
مراكش فأدركته الخيول وحطمته الرماح فصريرها واحترأسه وجي به الى السلطان يعقوب  
فسجد شكر الله تعالى وذلك يوم الاحد ثاني محرم سنة ثمان وستين وستمائة ثم تقدم السلطان يعقوب نحو  
مراكش وفر من كان بها من الموحدين الى تينملل وبايعوا اسحق أخا المرتضى فسبق ذبالة هنالك الى ان  
قبض عليه سنة أربع وسبعين وستمائة ووجي به في جماعة من قومه الى السلطان يعقوب فقتلوا جميعا  
وانقرض أمر بني عبد المؤمن والله وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين ثم خرج الملاء وأهل  
الشورى من الحضرة الى لقاء السلطان يعقوب ففرح بهم وأمنهم ووصلهم ودخل مراکش في عسكر  
ضخم وموكب فخم يوم الاحد التاسع من محرم المذكور وورث ملك آل عبد المؤمن وتغلاه واستوسق  
أمره بالمغرب ونظام الناس لبأسه وسكنوا الظل سلطانه وأقام بمراكش الى رمضان من سنته  
ثم أغزاه ابنه الامير أبا مالك عبد الواحد بن يعقوب بلاد السوس فافتحها وأوغل في ديارها ودوخ أقطارها



ورجع الى أبيه واستمر السلطان يعقوب بمراسكش يصلح شؤونها الى رمضان من سنة تسع وستين وستمائة  
فخرج بنفسه الى بلاد درعة فوقع بعربها الواقعة المشهورة التي خضعت من شوكتهم ورجع لشهرين من  
غزاته ثم أجمع الرحلة الى دار ملكه بفاس فمقد على مراسكش لمحمد بن علي بن يحيى من كبار أوليائهم ومن  
أهل خولته وكان من طبقة الوزراء وأتزل به قصة مراسكش وجعل المسالخ في أعمالها النظره وعهد اليه  
بتدوير الاقطار ومحو آثار بني عبد المؤمن وفصل من مراسكش فاصدا حضرة فاس في شوال من السنة  
المذكورة والله تعالى أعلم

بسم الله الملك المنصور  
بسم الله المستنصر بالله الحفصي للسلطان  
المنصور بالله يعقوب بن عبد الحق ربهما الله

كانت دولة بني أبي حفص أصحاب تونس وافر بقبيلة فرعا من دولة بني عبد المؤمن وشعبة منها حسبنا  
عليه غير مرة ولما ضعفت دولة بني عبد المؤمن بمراسكش والمغرب كان صاحب افريقية أبو بكر يحيى  
ابن عبد الواحد الهنتاني يأمل الاستيلاء عليها والتملك لها ويتمنى ذلك لو ساعده القدر لانه كان يرى انه  
أولى بتلك الحضرة من غيره حتى من بني عبد المؤمن لانها أرض سلفه وموطن أصله وعشيرته لان عمالة  
مراسكش لم تعرف الا للصامدة من قديم الزمان وقبيلة هنتانية هي صميمها وذواتها فهدا وتحوه كان  
بنو أبي حفص يتناولون الى ملك مراسكش ولما نبغ بنو مرين بالمغرب وغلبوا على الكثير من ضواحيه  
كانوا يدعون الى أبي بكر يحيى تاليفا لاهل المغرب واستجلا بالرضاء لهم واتياناهم من ناحية  
أهوائهم اذ كانت صبغة الدعوة الموحدية قد رسخت في قلوبهم فلو دعوا الى غيرهم أول الامر لخاصوا  
عنها حصة جمل الوحش ولما لم يمكن بني مرين ان يدعوا الى بني عبد المؤمن لانهم أقتلهم واباهم ينازعون  
ولهم بحاربون ويبالدون دعوا الى طاعة الحفصيين الذين هم فرع منهم والدعوة الى الفرع كالدعوة الى  
أصله فلم تنفر نفوس أهل المغرب عنها وانما كان بنو مرين يسرون من ذلك حسوا في ارتقاء ولهذا  
لما استقل السلطان يعقوب بالامر وتمكن له السلطان بالمغرب قطع دعوة الحفصيين حالا بعد ان كان  
أولا يدعوا اليها هو واخوته من قبله وكان بنو أبي حفص ينشطون لذلك ويمدون بني مرين ويمتدحونهم  
بالمال والسلاح وغير ذلك ولما عزم السلطان يعقوب على منازلة مراسكش كتب الى أبي عبد الله محمد  
المستنصر بالله بن أبي بكر يحيى بن عبد الواحد بن أبي حفص يخبره بذلك ويستمدده حتى كأنه نائب عنه  
لاغير وأرسل بكتابه مع ابن أخيه عامر بن ادريس بن عبد الحق في جماعة من وجوه دولته فأكرم  
المستنصر وفادتهم ثم لما فتح السلطان يعقوب مراسكش واستولى عليها بعث اليه المستنصر بهدية فيها  
من أصناف الخيل الجياد والسلاح والنياب الرفيعة ما اختاره واستحسنه وبعث بذلك مع جماعة  
من وجوه دولته أيضا وفيهم الكاتب أبو عبد الله محمد الكاني فتلطف الكاتب المذكور في ذكر  
المستنصر على منبر مراسكش حتى تم له ذلك بمحض وفد الموحدين فمظم سرورهم وانقلبوا الى صاحبهم  
بانخبر واتصلت المودة والمهاداة بين المستنصر والسلطان يعقوب سائر أيامهم ولما هلك المستنصر وبيع  
ابنه أبو بكر يحيى المدعو بالواثق اقتفى سنن أبيه في ذلك فبعث الى السلطان يعقوب بهدية حافلة  
مع قاضي بجاية أبي العباس الغماري سنة سبع وسبعين وستمائة فمظم موقعها من السلطان يعقوب  
وكان لابي العباس الغماري هذا بالمغرب ذكر يتحدث الناس به دهر او قطع السلطان يعقوب لاول أمره  
الدعوة الى الحفصيين كما قلنا والله تعالى أعلم

بسم الله الملك المنصور بسم الله المستنصر بالله الحفصي للسلطان

المنصور بالله يعقوب بن عبد الحق ربهما الله  
كان السلطان يعقوب حين خرج من مراسكش بعد فتحها فاصدا حضرة فاس دار ملك بني مرين اجتاز

بمدينة سلافاراج بها أياما فطرقه مرض وعك منه وعكاشديدا فلما أبل من مرضه جمع قومه وعقد العهد  
 لا كبر أولاده أبي مالك عبد الواحد بن يعقوب لما علم من أهليته لذلك وأخذ له البيعة عليهم جميعا  
 فاعطوا لها طواعية وعز ذلك على القرابة من بني عبد الحق وهم أولاد سوط النساء بنو ادريس بن  
 عبد الحق وبنو عبد الله بن عبد الحق وبنو رحو ابن عبد الحق وانما قيل لهم أولاد سوط النساء لان هؤلاء  
 الثلاثة من بني عبد الحق كانوا أشقاء أمهم اسمها سوط النساء فلما بايع السلطان يعقوب لابنه أبي مالك  
 بولاية العهد أسفهم ذلك لانهم كانوا يرون انهم أحق بالامر حسبما سلف فارتدوا على أعقابهم وقلبو العمهم  
 ظهر المجن وعادت هيف الى أديانها وأسر وامن ليلتهم من سلا ولم يصبحوا الا بجبل علودان من بلاد غمارة  
 عش خلافهم ومدرج قنتهم وكان ذلك في عيد الفطر من سنة تسع وستين وستمائة وانضم اليهم بنو  
 أبي عياد بن عبد الحق وشابعوهم على رأيهم فخرج السلطان يعقوب في أثرهم وقدم بين يديه ابنه الأمير  
 يوسف بن يعقوب في خمسة آلاف فاحاط بهم وأخذ بمنخفقهم ولحق به أخوه أبو مالك في عسكره ومعه  
 مسعود بن كانون شيخ سفيان ثم لحق بهم السلطان يعقوب في عساكره فحاصرهم ثلاثا ولم يزلوا  
 ان قد أحبط بهم سألوا الامان فبذله لهم وأنزلهم ومسح صدورهم واسترضاهم واستل سخطهم ووصل بهم  
 الى حضرته فسألوا منه الاذن في اللحاق بتمسان حيا مما ارتكبوه من الخلاف فاذن لهم فاجازوا البحر  
 الى الاندلس وخالفهم عامر بن ادريس لما آتس من ميل عمه اليه فبقي بتمسان حتى توثق لنفسه بالعهد  
 وعاد الى قومه بعد منازلة السلطان يعقوب بتمسان حسبما نذ كره عن قريب **وقال ابن خلدون**  
 واحتل هؤلاء القرابة من بني عبد الحق بارض الاندلس على حين أفر من الحامية جوها واستأسد  
 العدو على تغورها وتحلبت شفاهاه لالتها مها قتبوؤها أسوداضارية وسيوفاماضية معودين اقاء  
 الابطال وقراع الختوف والتزال مستغلطين بخشونة البداوة وصرامة العز وبسالة التوحش فعظمت  
 نكايتهم في العدو واعترضوا في صدره سبى دون الوطن الذي كان طعمته له في ظنه وارتدوه على عقبه  
 ونشطوا من هم المسلمين المستضعفين وراء البحر وبسطوا من آمالهم لدافعة طاعتهم وزاجوا أمير  
 الاندلس في رياستها عنكب قوى فتجافى لهم عن خطة الحرب وورياسة الغزاة من أهل الصدوة من  
 أعيانهم وغيرهم من أم البربر وناقوه في مستقر عزه وساهوه في الجباية بفرض العطاء والديوان  
 فبذله لهم واستعدوا على العدو وحسن اثرهم فيه حسبما تلح بالبعض من ذلك ان شاء الله

### بوجوم النصرى على العرائش وتشمس من تغور المغرب

لما كان المحرم من سنة ثمان وستين وستمائة هجم النصرى على مدينة العرائش وتشمس من تغور  
 العدو المغربية فقتلوا رجالها وأسبوا نساءها وانتهبوا أموالها وأضرموها ناراً ورجعوا عودهم على  
 بدءهم فركبوا أجناتهم ولحقوا ببلادهم ولم تنلهم شوكة السلطان يعقوب لانه كان مشغولا بفتح مراکش  
 في التاريخ المذكور ولم يبين في القرطاس هؤلاء النصرى من هم

### بوقعة ايسلى بين السلطان يعقوب بن عبد الحق وبنو زيان

لما أنعم الله على السلطان يعقوب بامتداد ظل ملكه في أقطار المغرب وتواحيه ونفوذ كلمته في حواضره  
 وبواديه وتم له الصنع بفتح مراکش ووراثه كرسى بنى عبد المؤمن بها وعاد الى فاس كما قلنا تحرك  
 ما كان في نفسه من ضغائن بنو زيان وما أسفه به من تخذيل عزائه ومجادبته عن قصده ورأى  
 ان وقعة تلاغ لم تشف صدره ولا أطفأت نار موجدته فاجع أمره لغزوه ونشطه لذلك ما صار اليه من  
 الملك وسعة السلطان فخشى جميع أهل المغرب وعزم على استئصاله وقطع دابره فمسكر بفاس وبعث  
 ولده أبا مالك الى مراکش في جماعة من خواصه حائرين في مداتها وضواحيها فاجتمع عليه من

قبائل العرب والمصامدة وصنهاجة وبقايا عساكر الموحدين بالحضرة وحامية الامصار من جند الفرنج  
وناشبة لغزو استكبر من ذلك كله واحتفل السلطان يعقوب بن عباس كذلك ثم نهض منها غرة صفر سنة  
سبعين وستمائة فسار حتى نزل وادي ملوية فاقام عليه أياما حتى لحقه ابنه أبو مالك في جموعه وتوافقت  
لديه أمماد العرب من قبائل بجشم أهل تامسنا الذين هم سفيان والنخاط والعاصم وبنو جابر ومن معهم  
من الأثبيج وقبائل ذوى حسان والشبانات من معقل أهل السوس الأقصى وقبائل رياح أهل ازغار  
وبلاد الهبط فعرض هنالك عساكره وميزهاورتهما فيقال انها بلغت ثلاثين ألفا وارتحل يريد تلمسان  
ولما انتهى الى انكباد قدمت عليه رسل ابن الأحمر ووفد أهل الاندلس يستصرونه على العدو  
ويسألونه الاعانة والنصر ويخبرونه بأنه قد كذب عليهم وشبهه بالتهام بلادهم فتحركت همته رجسه الله  
للجهاد ونصر المسلمين وانعانة المستضعفين منهم وتطرف في صرف الشواغل عن ذلك وجنح السلم مع يغمراسن  
وعزم عليها واستشار الملا من أشيخ العرب وبنى مرين في ذلك فصوروا رأيهم ما كانوا عليه أيضا من  
ايتار الجهاد ومحبة فبعث السلطان يعقوب جماعة من أشيخ القبائل الى يغمراسن يدعوونه الى الصلح  
واجتماع الكلمة وقال لهم في جملة قوله ان الصلح خير لكم فان جنح يغمراسن اليه وأتاب فذاك والا  
فاسرعوا الى بالخبر فسارت الأشيخ الى يغمراسن فوافوه بظاهر تلمسان وقد أخذ أهبتها واستعدت  
لللقاء واحتشد قبائل زناتة المجاورين له في تلك البلاد من بني عبد الواد وبني راشد وأحلافهم ومغراوة  
من عرب بني زغبة فبلغوه الرسالة وعرضوا عليه مقالة السلطان يعقوب فأبى واستكبر وصم عن سماع  
قولهم وموعظتهم وقال أبعدهم قتل ولدي أصالحه والله لا كان ذلك أبدا حتى أنأربه وأذيق أهل المغرب  
النكال من أجله فرجعت الرسل الى السلطان يعقوب بالخبر وتراخف الفريقان فكان اللقاء على وادي  
ايسلي من بسيط وجدة وعبأ السلطان يعقوب كتابا ثبته ورتب مضافه وجعل ابنه عبد الواحد في الميمنة  
وابنه يوسف في الميسرة ووقف هو في القلب ودارت بينهم رحى الحرب وركدت مليا وهلك في الحومة  
أبو عنان فارس بن يغمراسن بن زيان في جماعة من بني عبد الواد وهلك عامة عسكر الفرنج الذين كانوا  
معهم لثباتهم بثبات يغمراسن فطمختهم رحى الحرب وتقبض على قائدهم برنيس وانهمزم بالاقون ونجى  
يغمراسن في فله حاميا لهم ومدافع عنهم من خلفهم ومر في هزيمة بنفسا طيطه فأضرمه نار اتفاديا من  
معرفة استيلاء العدو عليها وانتهت بنو مرين باقى معسكره واستبيحت حرمة وارتحل السلطان يعقوب  
من الغد في أثره حتى اذا انتهى الى وجدة وقف عليها فأمر بهدمها اقتسارعت أيدي الجند اليها وجعلوا  
عاليها ساقها وألصقوا بالرغام جدرانها وتركوها قاعا صغيفا وكانت هذه الواقعة منتهى صفر رجب من  
سنة سبعين وستمائة ثم تقدم الى تلمسان فنزل عليها وحاصرها أياما وأطلق الايدي في ساحتها بالانهب  
والعيث ثم شن الغارات على البساط فاكتمها سبيها ونسفها نسفا وهلك في طريقه الى تلمسان وزيره  
عيسى بن ماساي وكان من عليه وزرائه وجاءه ميداته وله في ذلك أخبار مذكورة وكان مهلكه في  
شوال من السنة المذكورة وقدم عليه وهو محاصر لتلمسان الامير أبو زيان محمد بن عبد القوي بن العباس  
ابن عطية كبير بني توجين من زناتة في جيش كثيف من قومه مباهايا ينوده وطبوله وآلة حربه وكان  
قدومه هذا بقصد مظاهره السلطان يعقوب على يغمراسن وتلمسان له راوة كانت بينهما فاقدم  
السلطان يعقوب وفادته واستركت الناس للقائه واتخذت رتبة السلاح لمباهااته واستمر الحصار على تلمسان  
وعظمت نكابة بني توجين فيها بتخريب الرباع وانتساف الجنات وقطع الثمار وفساد الزرع وتحريق  
القرى والضبياع لما كان يغمراسن يعاملهم في بلادهم بمثل ذلك أو أكثر ولما امتنعت تلمسان على  
السلطان يعقوب وأيس من فتحها الحصانته واشتداد شوكة حاميتها عزم على الافراج عنها وأشار على الامير  
محمد بن عبد القوي بالقول الى مأمنه قبل ان ينهض هو عن تلمسان ووصله وقومه وملا حقايبهم من



التحف وجنب لهم مائة من الخيل المقربات الجياد جبراً كبا وأراح عليهم ألف ناقة حلوب وعههم بالخلع  
 الفانحة والصلوات الوافرة واستكثر لهم من السلاح والغازات والفساطيط وجعلهم على الظهر  
 وارتحلوا إلى منجياتهم ومقرهم من جبل وانشر يس وتلقوا السلطان يعقوب عليهم أياماً يتما وصلوا  
 حذراً عليهم من يغمرا سن أن ينتهز الفرصة في اتباعهم ثم ألق السلطان عن تلسان وثني عنانه إلى المغرب  
 فوصل إلى رباط تازاني أول يوم من ذي الحجة من السنة المذكورة فميدبها عيد النصر ثم ارتحل إلى فاس  
 فدخلها فاتح سنة إحدى وسبعين وثمانمائة فأقام بها إلى اليوم الحادي عشر من صفر فتوفي ولده وولي عهده  
 الأمير أبو مالك عبد الواحد بن يعقوب فأسف لفقده ثم صبر واحتسب ثم نهض إلى مراکش فدخلها  
 أوائل ربيع الثاني من السنة المذكورة فأقام بها شهرًا حتى أصح من شأنها ثم نهض إلى طنجة وسبته  
 على ما ذكره

### فتح طنجة وسبته وما كان من أمر العزفي بها

قد تقدم لنا في دولة أبي حفص عمر المرتضى أن الفقيه أبا القاسم العزفي استبد عليه بسبته وتوارث ذلك  
 بنوه من بعده وكان هؤلاء العزفيون من بيوتان سبته وأهل الرياسة والعلم والدين فيهم ولما ضعف  
 أمر بني عبد المؤمن بالمغرب استقل الفقيه أبو القاسم بن أبي العباس العزفي برياستها وضبطها وانتظم  
 في طاعته سائر أعمالها ولما كانت سنة ثلاث وستين وثمانمائة بعث الفقيه المذكور أجنانه إلى مدينة  
 أصيلا فهدموا أسوارها ونقضوا قصبته لانه خاف عليها من خلائها أن يملكها العدو ويتنعم بها واستمرت  
 أموره في سبته ونواحيها على السداد وكانت طنجة تالية لسبته في سائر أحوالها وكانت عام من أحسن  
 بلاد المغرب فدخل صاحب طنجة وهو أبو الجحاج يوسف بن محمد الحمداني المعروف بابن الأمير في طاعة أبي  
 القاسم المذكور ثم انتقض عليه لمضي سنة من طاعته واستبذت وخطب لابن أبي حفص صاحب إفريقية  
 ثم للخليفة العباسي صاحب بغداد ثم لنفسه وسلك في طنجة مسلك العزفي في سبته ولبثوا على ذلك ما شاء  
 الله حتى إذا ملك بنو مرين المغرب واقتحموا مآقله وحصونه وهلك الأمير أبو بكر بن عبد الحق وابنه  
 أبو حفص عمر من بعده فتحيز بنوه في أتباعهم وحشمهم إلى ناحية طنجة وأصيلا فأوطنوا صاحبيتها وعانوا  
 في نواحيها وضيقوا على أهل طنجة حتى شارطهم ابن الأمير على نزع معلوم على أن يكفوا الأذية  
 ويحموا الخوزة ويصلحوا السابلة فاتصلت يده بيدهم وترددوا إلى البلاد لاقتضاء حاجاتهم ثم مكروا  
 وأضرموا الغدر فدخلوا في بعض الأيام متأبطين السلاح وقتلوا ابن الأمير غيلة فنارت بهم عامة أهل  
 طنجة واستلموهم حينئذ في مصرع واحد سنة خمس وستين وثمانمائة واجتمعوا على ولده فبايعوه  
 وبقيت في ملكه خمسة أشهر ثم استولى عليها أبو القاسم العزفي فقبض اليها بعساكره من الرجل برتا  
 وبحرا وملكها وفر ابن الأمير فلق بتونس وتزل على المستنصر الحفصي واستقرت طنجة في إيالة العزفي  
 فضبطها وقام بإمرها وولي عليها من قبله وأشرك المسلمان من أشرفها في الشورى ولما استولى  
 السلطان يعقوب على حضرة مراکش ومحي دولة آل عبد المؤمن منها وفرغ من أمر عدوه يغمرا سن  
 هم بتلك الناحية وأحب أن يضيفها إلى ما بيده ليصفوله أمر المغرب الأقصى كله فنهض إلى طنجة ونازلها  
 مفتوحا اثنين وسبعين وثمانمائة لأنها كانت في البسيط دون سبته فكان أمرها أسهل فحاصر هانتحو ثلاثة  
 أشهر فامتعت عليه ويش منها وعزم على الإفراج عنها فينميا هو يقاتل في عشي اليوم الذي عزم على  
 النهوض في غده إذا جماعة من رماها قاموا على برج ورفعوا الواء أبيض ونادوا بشعار بني مرين وذلك  
 لخلاف وقع بينهم داخل البلد فتسارع الجند إليهم فلكوهم البرج فتسوروا إليه الحيطان وقاتلوا عليه  
 سائر ليلتهم إلى الصباح ثم تكاثرت جيوش بني مرين واقتحموا البلد عنوة ونادى منادى السلطان  
 يعقوب بالامان فلم يهلك من أهلها الا نفر يسير ممن رفع يده للقتال وشهر السلاح ساعة الدخول وكان

ذلك في ربيع الاول سنة اثنتين وسبعين وستمائة ولسافرغ السلطان يعقوب من طنجة بعث ولده الامير يوسف الى سبتة فحاصرها العز في اياما ثم لاذ بالطاعة على ان يبقى عتقا بحصنه ويؤدي للسلطان خراجا معلوما كل سنة فقبل السلطان منه ذلك واقرجت عنه عساكره وعاد الى فاس والله غالب على امره

فتح سجلماسة وما كان من امرها

قد ذكرنا ما كان من استيلاء الامير ابي بكر بن عبد الحق على سجلماسة ودرعة وانه عقد على مسليته الابي يحيى القطراني الذي كان السبب في فتحها عليه ولما هلك الامير ابو بكر استبد القطراني المذكور بسجلماسة ثم غلبه عليها المرتضى وقتل القطراني بواسطة القاضي ابن حجاج حسبما تقدم ذكره ثم غلب عليها بعد حين يغمراسن بن زيان بواسطة عرب المنبات من بني معقل اهل الصحراء وعقد عليها لعبد الملك بن محمد العبد الوادي المعروف بابن حنينة نسبة الى أمه وهي أخت يغمراسن بن زيان ولما فتح السلطان يعقوب بلاد المغرب وانتظمها في ملكته وجه عزمه الى اقتتاح سجلماسة وانزاعها من ابي بني عبد الواد المتغلدين عليها فنهض اليها في رجب سنة اثنتين وسبعين وستمائة في جموع بني مرين وقبائل المغرب من العرب والبربر ونزلها ونصب عليها آلات الحصار من المجانيق والعرادات وغير ذلك وقال ابن خلدون ونصب عليها هندام النفط القاذف بحصى الحديد ينبعث من خزانه أمام النار الموقدة في البارود بطبيعة غريبة ترد الافعال الى قدرة بارئها اه كلامه قلت وفيه فائدة أن البارود كان موجودا في ذلك التاريخ وان الناس كانوا يقاتلون به ويستعملونه في محاصرتهم وحروبهم يومئذ وفيه رد لما نقله أبو زيد الفاسي في شرح منظومته الموصوعة في العمل الجاري بفاس قال كان حدوث البارود سنة ثمان وستين وسبعمائة حسبما ذكره بعضهم في تأييفه في الجهاد وانه استخراج حكيم كان يعمل الكيمياء ففرقع له فاعاده فأعجبه فاستخرج منه هذا البارود اه وصرح الشيخ أبو عبد الله بناني في حاشيته على مختصر الشيخ خليل بان حدوثه كان في وسط المائة الثامنة وهو غير صواب لما علمت من كلام ابن خلدون انه كان موجودا قبل ذلك بنحو مائة سنة ويقلب على ظني ان لفظ الستائة تصحيف بالسبعمائة فسرى اللفظ من ذلك والله أعلم وأقام السلطان يعقوب على حصار سجلماسة حولا كاملا وكان سفهاؤها بصمدون فوق الاسوار ويعلمون بالسبب والفحش الى ان هتك المنجنيق ذات يوم طائفة من سورها فدخلت من هنالك عنوة بالسيف وعاث الجندي أهلها فقتلوا المقاتلة وسبوا الذرية وأتى القتل على عاملها عبد الملك ابن حنينة ومن كان بها من أشياخ بني عبد الواد وعرب المنبات وكان فتحها آخر صفر وقيل يوم الجمعة ثالث ربيع الاول سنة ثلاث وسبعين وستمائة وكل بفتحها السلطان يعقوب فتح بلاد المغرب وتمشت طاعته في أقطاره فلم يبق فيه أهل حصن يدينون بغير دعوته ولا جماعة تحبب الى غير فتنه

أخبار السلطان المنصور بالله يعقوب بن عبد الحق المريني في الجهاد وما كان

بني بالاندلس من الذكر الجميل والفخر الجزيل رحمه الله

قد تقدم لنا ما كان للعدو الكافر على المسلمين في وقعة العقاب من الظهور والغلبة وأن تلك الوقعة كانت سبب ضعف المسلمين بالمغرب والاندلس واستيلاء العدو الكافر على جل ثغورها وحصونها ولما ضعف أمر الموحدين بالمغرب استبد السادة منهم بالاندلس وصاروا الى المنافسة فيما بينهم واستظهار بعضهم على بعض بالطاغية واصلام حصون المسلمين اليه في سبيل تلك الفتنة فقتل رجال الاندلس بعضهم الى بعض وأجمعوا على اخراج الموحدين من أرضهم فثاروا بهم لوقت واحد وأخرجوهم وتولى كبير ذلك محمد بن يوسف بن هود الجذامي ثم بعده محمد بن يوسف بن نصر المعروف بابن الاجر ونازع ابن هود

الرياسة بالاندلس ولا تسأل عما ذهب في منازعتهم من حصون المسلمين الكثيرة وبلادهم العديدة  
 الشهيرة التي منها قرطبة واشبيلية قاعدتا أرض الاندلس كان كل واحد من هذين الثائرين يتقرب الى  
 الطاغية بما غلب عليه من ذلك ليعينه على صاحبه والامر لله وحده وانقرض امر ابن هود عن أمد  
 قريب واستمرت دولة ابن الأحمر في عقبه الى آخر المائة التاسعة ولما استتب أمر ابن الأحمر بالاندلس  
 عقد السلم مع الطاغية على ان ينزل له عن جميع بساطط عرب الاندلس فتزل له عنها أجمع ولجأ بالمسلمين  
 الى سيف البحر معتصمين بأوعاره ووشيتين بمعاقله وحصونه واختار ابن الأحمر لتزوله مدينة غرناطة  
 واتخذها كرسى مملكته وابتنى بها السكاه حصن الجراء وكان ابن الأحمر هذا يدعى بالشيخ وكان قد عهد  
 الى ولده القائم من بعده محمد المعروف بالفقيه لانتحاله طلب العلم في صغره وأوصاه اذا ناباه أمر من  
 العدو وأوصل اليه مكروه ان يستنصر عليه بنى مرين ويدير أجمعهم في نحره ويجعلهم وقاية بين العدو وبين  
 المسلمين فلما تكالب الطاغية على بلاد الاندلس بادر محمد الفقيه الى العمل باشارة والده وأوفد مشيخة  
 الاندلس كافة على السلطان يعقوب رحمه الله فلقبه وقد هم منصرفا من فتح سجلماسة فتبادروا والسلام  
 عليه وألقوا اليه كنه الخبر عن كلب العدو على المسلمين وثقل وطأته فحى وقد هم واستبشر بعقدتهم وبادر  
 لاجابة داعي الله وايتار الجنة وكان السلطان يعقوب رحمه الله منذ أول أمره موثرا عمل الجهاد كفاية  
 مختار له لو أعطى الخيار على سائر أعماله حتى لقد كان اعترم على الغزو الى الاندلس أيام أخيه الأمير  
 أبي بكر وطلب اذنه في ذلك فلم يأذن له فكان في نفسه من ذلك شغل وله اليه صاغية فلما قدم عليه هذا  
 الوجدن هو اعزيمته وأيقظوا همته فاعمل في الاحتشاد وبعث في النفير ونهض من فاس في شوال سنة ثلاث  
 وسبعين وستمائة فوصل الى طنجة وأقام هناك وجهاز خمسة آلاف من قومه أزاح عنهم وأجزل  
 أعطياتهم وعقد عليهم لابنه أبي زيان وأعطاه الراية واستدعى من العز في صاحب سبعة السفن لاجازتهم  
 فوافاه بقصر المجاز منه عشرون اسطولا فاجاز العسكر المذكور ونزل بطريف في السادس عشر من ذي  
 القعدة من السنة المذكورة فازاح الأمير أبو زيان بطريف ثلاثا ثم دخل دار الحرب وتوغل فيها وأجلب  
 على ثغورها وبسائطها وامتلأت أيديهم من المغانم وأثخنوا بالقتل والاسر وتخريب العمران ونسف  
 الآثار حتى نزل بساحة شريش فخام حاميتها عن اللقاء وتحصنوا بالاسوار وقفيل الأمير أبو زيان الى  
 الجزيرة الخضراء وقد امتلأت أيدي عسكره من الاموال وحقائبهم من السبي وركائبهم من السلاح  
 والاثاث ورأى أهل الاندلس ان قد تآروا بعام العقاب بعد ان لم تنصر لهم راية من ذلك اليوم الى الآن  
 والله غالب على أمره

### في الجواز الاول للسلطان يعقوب الى الاندلس برسم الجهاد

ثم اتصل الخبر بالسلطان يعقوب رحمه الله ان العدو قد أخذ في الاستعداد وعزم على الخروج الى بلاد  
 المسلمين فاعترم على الغزو بنفسه وخشى على ثغور بلاده من عادية يغمرا سن صاحب تلمسان فبعث  
 حافده تاشفين بن عبد الواحد بن يعقوب في وفد من بنى مرين لعقد السلم مع يغمرا سن والرجوع للاتفاق  
 والموادعة ووضع أوزار الحرب بين المسلمين للقيام بوظيفة الجهاد فاكرم موصله وموصل قومه وبادر  
 الى الاجابة والالفة وأوفد مشيخة بنى عبد الواد على السلطان يعقوب لعقد السلم وبعث معهم الرسل  
 وأسنى الهدية وجمع الله كلمة الاسلام وعظم موقع هذه السلم من السلطان يعقوب لما كان في نفسه من  
 الميل الى الجهاد وايتار مبرورات الاعمال فبث الصدقات شكرا لله تعالى على ما منحه من التفرغ لذلك  
 ثم استنصر الكافة واحتشد القبائل والجوع ودعا المسلمين الى جهادهم وخطب في ذلك سائر أهل  
 المغرب من زناتة والعرب والموحدين والمصامدة ووصنهاجة وغمارة وأوربة ومكاسة وجميع قبائل البربر  
 من المرتقة والتطوعة وأهاب بهم وشرع في عبور البحر فاجازهم من فرضة قصر الجاز في صفر سنة أربع



وسبعين وستمائة واحتل بساحل طريف وكان السلطان يعقوب حين استصرخه ابن الاجر وأوقد عليه  
 مشايخ الاندلس اشتد عليه السلطان يعقوب النزول عن بعض الثغور بساحل القرضة لاحتلال  
 عساكره بها فتجافى له عن رنذة وطريف ولما أحس الرئيس أبو محمد بن اشقياولة بإجازة السلطان يعقوب  
 قدم اليه الوقدم من أهل مالقة بيعتهم وصرى بهم وكان أبو محمد بن اشقياولة وأخوه أبو اسحق من أصحاب  
 ابن الاجر وكانا مستولين على مالقة ووادي آش وقارش ووقعت بينهما وبين ابن الاجر منافسة فخرجا  
 عن طاعته ولما عبر السلطان يعقوب الى الاندلس بادر أبو محمد بن اشقياولة اليه واتصل به وأخضه  
 الود والنصح وسابق ابن الاجر في ذلك ونازعه في برور مقدمه والاذعان له ورجع بصدرت من ابن اشقياولة  
 في حق ابن الاجر جفوة بمحض السلطان يعقوب أدت الى بعض الفساد وانصرف ابن الاجر مغاضبا  
 للسلطان من أجل ذلك ولما احتل السلطان بناحية طريف ملأت كتابه ساحه الارض ما بينها  
 وبين الجزيرة الخضراء ثم نهض الى العدو قبل ان يسبق اليهم الخبر فدخل دار الحرب وانتهى الى الوادي  
 الكبير فمقد هنالك لولده الامير يوسف على خمسة آلاف من عسكره قدمها بين يديه ثم تبعه على أثره  
 وسرح كتابه في البساط وخال المعامل تنسف الزرع وتحطم القروم وتخرب العمران وتنتهب  
 الاموال وتكسح السرح وتقتل مقاتلة وتسي النساء والذرية حتى انتهى الى حصن المدور ويأسه  
 وأبده واقحم حصن بلقة عنوة وأتى على ساثر الحصون في طريقه فطمس معالمها واكتسح أموالها وقفل  
 السلطان يعقوب رجعه الله والارض تموج سبيلها الى ان عرس باسجة من تخوم دار الحرب وجاءه النذير  
 باتباع العدو آثاره لاستنقاذ أسراره واسترجاع أمواله وانزعيم الفرنج وعظيمهم نونه خرج في طلبهم  
 في أم النصرانية من المحتم الى الشيخ فقدم السلطان الغنائم بين يديه وسرح القامن الفرسان أمامها وسار  
 يقتفيها من خلفها حتى اذا طلعت ربات العدو من ورائهم كان الزحف ورتب المصاف وجرد السيف  
 وذكر اسم الله وراحت زناة بصائرهما وعزائمها وتحركت همها وأبلى في طاعة ربه والذب عن دينها  
 وجاءت بما يعرف من بأسها وبلائها في مقاماتها ومواقفها فلم يكن الا كلا ولا حتى هبت ريح النصر وظهر  
 أمر الله وانكشف جموع النصرانية وقتل الزعيم نونه وكان هذا الله بين زعيم النصرانية بالاندلس  
 قد قدمه القنص على جيوشه واستعمله على حروبه وقوض له في جميع أموره وكان النصراني  
 قد سعدوا بطائره وتمنوا ببقية لانه لم تهزم له قط راية وكان وبالاعلى بلاد الاسلام كثير الغارات عليها  
 حتى جمع الله بينه وبين السلطان يعقوب فأراحه من تعب الحرب وكذا الغارات وألحقه بآمه الهاوية ومخ  
 المسلمين وقاب الفرنج واستحرفهم القتل حتى بلغت قتلهم عددا لا يوف وجعوا من رؤسهم ما آذن  
 أذنوا عليها الصلوات الظهر والعصر واستشهد من المسلمين ما يناهز الثلاثين أكرمهم الله تعالى بالشهادة  
 وآثرهم بما عنده ونصر الله حربه وأعز أوليائه وأظهر دينه وبد العدو وما لم يكن يحسبه بحمامة هذه  
 العصابة عن الملة وقيامها بنصر الكلمة وبعث السلطان يعقوب رجعه الله برأس الزعيم نونه الى ابن الاجر  
 فيقال انه بعثه سر الى قومه بعد ان طيبه وأكرمه ولاية أخلصها لهم ومدارة وانحرفا عن السلطان  
 يعقوب ظهرت شواهد ذلك عليه بعد حين ~~وهو اعلم~~ ان هذا الزعيم يسميه كثير من المؤرخين دون نونه  
 ولقطة دون معناها في لسانهم السيد العظيم أو ما أشبه ذلك فلذا أسقطناها وقفل السلطان يعقوب  
 من غزاته هذه الى الجزيرة الخضراء منتصفا ربيع من السنة المذكورة فقسم في المجاهدين الغنائم  
 وما نقلوه من أموال عدوهم وسببا ياهم وأسراهم وكراهم بعد الاستئثار بالخمس لبيت المال على  
 موجب الكتاب والسنة ليصرفه في مصارفه ويقال كان مبلغ الغنائم في هذه الغزاة مائة ألف من البقر  
 وأربعة وعشرين ألفا من السبي ومن الاسارى سبعة آلاف وثمانمائة وثلاثون ومن الكراع أربعة  
 عشر ألفا وستمائة وأما الغنم فانتسعت عن الحصر كثيرة حتى لقد زعموا انه قد بيعت الشاة الواحدة بدورهم

وكذلك السلاح وأقام السلطان يعقوب بالجزيرة أياما ثم غزى في جلدى الأولى من السنة المذكورة غزى بالشيلية فحاص خلالها وتقرى نواحيها وأقطارها وأثنى بالقتل والنهب في جهاتها وعاث في عمرانها وأوغل في مسيره حتى وقف على بابها وزعمت طبوله في جوتها وخفقت ألويته على جنباتها وبلغت الفرخ إلى الأسوار واعتمدوا على الحصار ولم يخرج اليه منهم أحد ثم ارتحل إلى شريش فاذاقها من وبال العيث والاكتساح مثل ذلك أو أكثر ورجع إلى الجزيرة لشهرين من غزاته فبيعت الفرنجية من سيدهم بمقتال ونصف لكثرة السبي حيثئذ ودخل فصل الشتاء فنظر السلطان يعقوب في اختطاط مدينة بفرصة المجاز من العدو لتزول عسكره منتبذا عن الرعية لما يلحقهم من ضرر العسكر وجفائهم وتخربها مكانا ملاصقا للجزيرة فاوعز ببناء المدينة المشهورة بالبينة ثم أجاز البحر إلى المغرب في رجب من سنته أعنى سنة أربع وسبعين وستمائة فكان مغيبه وراء البحر ستة أشهر واحتل بقصر مسمودة وأمر ببناء السور على بادس مر فاء السفن ومحمل العبور من بلاد غمارة ثم رحل إلى فاس فدخاها في النصف من شعبان من السنة المذكورة

﴿فتح جبل تينمل ونبس قبور بني عبد المؤمن على يد الملباني عمنا الله عنه﴾

قد تقدم لنا ان جبل تينمل كان حصنا للوحديين وملجأ لهم اذا نابهم مكروه وكان مسجده منرار اعظيهم لانه مدفن امامهم وملجأ خلفائهم فكانوا يعكفون عليه ويلتمسون بركته وزيارته ويقدمون ذلك بين يدي غزواتهم فربما يتقرّبون بها إلى الله تعالى ولما استولى السلطان يعقوب على مراکش فرمى من كان بها من الموحدين إلى الجبل المذكور واعتصموا به وبأيمو اسحق أخا المرتضى وأملوا منه رجوع الكرة وادالة الدولة واستمر الحال على ذلك إلى هذه السنة فنهض عامل مراکش من قبل السلطان يعقوب وهو محمد ابن علي بن محلي أحد خولته ونازل الجبل المذكور وحاصره مدة ثم اقتحمه عنوة واقتضى عذرتة وفك ختامه وتقبض على خليفة الموحدين اسحق وابن عمه السيد أبي سعيد بن أبي الربيع ومن معهم من الأولياء وجنبا إلى مصارعهم باب الشريعة من مراکش فضربت أعناقهم وصلبت أشلاؤهم وكان فيمن قتل منهم الكتائب القبائلي وأولاده وعانت عساكر بني مرين في جبل تينمل واكتسبوا أمواله ونبسوا قبور خلفاء بني عبد المؤمن واستخرجوا أشلاءهم وكان فيها شلو يوسف بن عبد المؤمن وابنه يعقوب المنصور فقطعت رؤسهم وتولى كبر ذلك أبو علي بن أحمد الملباني كان أبو علي هذا ثار على الخفصيين بدنة مليانة فجهزوا إليه عساكرهم وأجهضوه عنها فقر إلى السلطان يعقوب فقبضه وآواه وأقطع له بلاد غمات أكراماله فحضر هذه الواقعة في جملة العسكر وار تكب هذا الفعل الشنيع ورأى انه قد شفى نفسه باستخراج هؤلاء الخلائق من أرماسهم والعبث بأشلائهم وقد أنكر الناس عامة والسلطان يعقوب خاصة هذه الفعلة منه ولم يرضوها ومع ذلك فقد تجاوز له السلطان يعقوب عنها تأنيسا لغريته ورعيها لجواره ولما توفي السلطان يعقوب وولي بعده ابنه يوسف سعى إليه في الملباني هذا فتكبه على ما ذكره ان شاء الله ولما وصل السلطان يعقوب من غزوته إلى فاس انتفض عليه طلحة بن محلي أحد أخواله وتمنع بجبل آصر وامن بلاد فازاز فسار إليه السلطان يعقوب وحاصره به فأناب إلى الطاعة ونزل على الامان وذلك في منتصف رمضان سنة أربع وسبعين وستمائة وفي ثاني يوم من شوال من هذه السنة تارت العاقبة باليهود بفاس بسبب حدث أحدثوه فقتلوا منهم أربعة عشر رجلا ولولا ان السلطان ركب بنفسه ورد العامة عنهم لكانت اياها

﴿بناء المدينة البيضاء المسماة اليوم بفاس الجديد﴾

لما فتح جبل تينمل ومحييت منه بقية آل عبد المؤمن وتمهد ملك المغرب للسلطان يعقوب واستفحل أمره

وكرت غاشيته رأى أن يختط بادي نسب اليه ويميز بسكاه ويتزل فيه بحاشيته وأولياؤه الحاملين لسرير  
 ما كنه قام ببناء المدينة البيضاء لاصحة لمدينة فاس على ضفة وادي المخترق لها من جهة أعلاه وشرع  
 في تأسيسها ثالث شوال من سنة أربع وسبعين وستمائة وركب السلطان بنفسه فوق عليها حتى خطت  
 مساحتها وأسست جدرانها وجمع الأيدي عليها وحشر الصناع والعملة لبنائها وأحضر لها أهل النجامة  
 والمعتلين لحركات الكواكب فاختاروا لها من الطوالع ما يرضون أثره ويحمدون سيره وأسست فيه وكان  
 في أولئك المعتلين إمامان شهيران أبو الحسن بن القطان وأبو عبد الله بن الحباك المقدمان في الصناعة  
 فكمل تشييد هذه المدينة على ما رسمه الله وكارضى ونزلها بحاشيته وذويه سنة أربع وسبعين المذكورة  
 واختط الناس بها الدور والمنازل وأجريت فيها المياه إلى القصور وكانت من أعظم آثار هذه الدولة  
 وأبقاها على الأيام **يقول ابن أبي زرع** ومن سعادة طالعها أنه لا يموت فيها خليفة ولم يخرج منها الواء قط  
 إلا كان منصورا ولا جيش إلا كان ظافرا ثم أمر رجه الله ببناء قسبة مكانة فشرع في بنائها وبناء جامعها  
 في السنة المذكورة ثم استوزر صنيعته أبا سالم فتح الله السدراتي وأجرى له رزق الوزارة على عادتهم  
 ثم كفا بغيره مراسين بن زيان على هديته التي كان بعث بها إليه قبل إجازته إلى الأندلس فبعث إليه قسطا طما  
 رائقا كان صنع له بمرأ كش وثلاثين من البغال الفارسة ذكرانا واناثا وغير ذلك مما يباهى به ملوك  
 المغرب وفي سنة خمس وسبعين وستمائة أهدى إليه الأمير محمد بن عبد القوي التوجيني صاحب جبل  
 وانثريس أربعة من الجياد انتقاها من خيل المغرب كافة ورأى أنها على قلة عددها أحصل هدية  
 وفي نفسه أثناء هذا كله من أمر الجهاد شغل شاغل يتخطى إليه سائر أعماله حسب ما نذره ان شاء الله

#### بجواز الثاني للسلطان يعقوب إلى الأندلس برسم الجهاد

لما فصل السلطان يعقوب من غزوته الأولى واستمزل الخوارج ونقف الثغور وهادى الملوك واختط  
 المدينة البيضاء لنزوله كما ذكرنا خرج فاتح سنة خمس وسبعين وستمائة إلى جهة مرا كش لسد ثغورها  
 وتنقيف أطرافها وتوغل في أرض السوس وبعث وزيره فتح الله السدراتي في العساكر فحاص خلالها  
 ثم انكفأ راجعا وهناك خاطب السلطان يعقوب رجه الله قبائل المغرب كافة بالنهير إلى الجهاد فتأقلا  
 عليه فلم يزل يحرضهم وهم يستوفون إلى أن دخلت سنة ست وسبعين بعدها ولما رأى تتأول الناس عليه  
 نهض إلى رباط الفتح وتلوم به أياما في انتظار الغزاة فابطوا عليه فخف في خاصته وتقدم في حاشيته حتى  
 انتهى إلى قصر المجاز وقد تلاحق به الناس من كل جهة لما رأوا من عزمه وتصميمه فجازمهم البحر  
 واحتل بطريف آخر محرم من السنة المذكورة ثم ارتحل إلى الجزيرة الخضراء ثم إلى رندة فوافاه بها  
 الرئيسان أبو محمد عبد الله بن أبي الحسن علي بن اشقيولة صاحب مائقة وأخوه أبو اسحق إبراهيم بن أبي  
 الحسن برسم الجهاد معه ثم ارتحل السلطان من رندة فاتح ربيع الأول من السنة المذكورة حتى انتهى  
 إلى اشيلية فعرس عليها يوم المولد النبوي وكان بها يومئذ ملك الجلالقة ابن اذفونش فلم يجدها من  
 الخروج إليه بعد أن خام عن اللقاء أولا فبرز في جموعه وصفها على ضفة الوادي الكبير من ناحية  
 السلطان وأظهر من أبهة الحرب ما قدر عليه فكانت جيوشه كلها في الدروع السوابغ والبيض اللوامع  
 والسيوف البواتر وغير ذلك من آلات الحرب التي يكاد شمعها يدهش البصر وزحف إليه السلطان  
 يعقوب رجه الله بعد أن صلى ركعتين ودعا الله تعالى ووعظ الناس وذكرهم فرتب مصافه وجعل ولده  
 الأمير يوسف في المقدمة وزحف على التعبية فاقتلوا مليا ثم انهزمت الفرغ فتساقط بعضهم في الوادي  
 وانحدر آخرون مع ضفته وتصاعد آخرون كذلك واقحم المسلمون عليهم وسط الماء وقتلواهم في لجته  
 حتى صار الماء أحمر وطففت جيوفهم من القد عليه فكان فيهم عبرة لمن اعتبر وبات السلطان والمسلمون  
 تلك الليلة على صهوات خيولهم يقتلون ويأسرون وأضرموا النيران بساحة اشيلية حتى صار الليل



نهارا وباتت الفرغ على الاسوار ينفخون في القرون ويحجرتسون طول ليلتهم ثم ارتحل السلطان من  
 الغد الى جبل الشرف وبث السرايا في نواحيه فلم يزل يتقرب تلك الجهات حتى اباد عمرانها وطمس معالمها  
 ودخل حصن قطنية وحصن جليانة وحصن القليعة عنوة واثخن في القتل والسبي ثم ارتحل بالغنائم  
 والاثقال الى الجزيرة الخضراء فدخلها في الثامن والعشرين من ربيع الاول المذكور فراح بها وقسم  
 الغنائم في المجاهدين ثم خرج غازيا مدينة شريش منتصف ربيع الاخر فنازلها واذقها نكال الحرب  
 ووبال الحصار وقطع الزياتين والاعناب وسائر الاشجار وباد خضراءها وحرقت ديارها واثخن فيها  
 بالقتل والاسر وكان السلطان يعقوب يباشر قطع الشجر والتمر بيده وسرح واده الامير يوسف من  
 معسكره في سرية للغارة على اشيلية وحصون الوادي الكبير بالغ في النكابة واكتسح حصن روطبة  
 وشاوفة وغليانة والقناطر ثم صبح اشيلية فاكتسحها وانكفرا جعابا بالغائم والسبي الى السلطان يعقوب  
 فسر بمقدمه ووقفوا جميعا الى الجزيرة الخضراء فراح السلطان بها اياما وقسم في المجاهدين غنائمهم  
 ثم جمع اشياخ القبائل وندبهم الى غزو قرطبة وقال يا معشر المجاهدين ان اشيلية وشريش واحوازها  
 قد ضعفت وبادت ولم يبق لكم بها كبير نفع ولانكابة وان قرطبة واعمالها بلاد حصينة عامرة وعليها  
 اعتماد الفرنج ومنه ما شئتم وما دتمم فان غزوها واستأصلتم خضراءها مثل ما فعلتم باشيلية  
 وشريش كان ذلك سبب ضعف النصرانية بهذا القطر فاجابوا بالسمع والطاعة فدعا لهم وفرق فيهم  
 الاموال والخلع وخطب ابن الاحرر يستنفره للجهاد معه وقال له ان خروجك معي الى قرطبة يكون لك  
 مهابة في قلوب انفرنج ما عشت سوى ماتت ووجهه من الله تعالى من الثواب في ذلك ونمض السلطان  
 الى قرطبة فاتح جمادى الاولى من سنة ست وسبعين المذكورة فوافاه ابن الاحرر بناحية شذونة فاكرم  
 موصله وشكر خفوفه الى الجهاد وبادره اليه ونازلوا حصن بني بشير فدخلوه عنوة وقتلت المقاتلة  
 وسبيت النساء ونقلت الاموال وهدم الحصن حتى لم يبق له اثر ثم بث السلطان رحمه الله السرايا والغارات  
 في البساتن فاكتسحها واملأ الآبار باليدى واثرى العسكر وقاض عليهم من الغنم والبقر والمعز والحيل  
 والبيغال والحير والقمح والشعير والزيت والعسل ما لا يوصف ثم ساروا يتقرون المنازل والعميران  
 في طريقهم حتى احتلوا بساحة قرطبة فنازلوها وخفقت ألوية السلطان في نواحيها وزعقت طبوله  
 في فضاءها وتقدم في ابطاله وجمانه حتى وقف على بابها ثم دار بأسوارها ينظر كيف الحيلة في قتالها ووقف  
 ابن الاحرر بعساكر الاندلس امام محلبة المسلمين بحرسونها خوفا من كربة العدو وخنس الفرنج وراء  
 الاسوار وانبثت بعوث المسلمين وسراياهم في نواحي قرطبة وقرها فقتلوا آتارها وخرى واعمراها  
 وترددوا على جهاتها ودخلوا حصن الزهراء بالسيف واقام السلطان على قرطبة ثلاثا ثم ارتحل عنها  
 الى حصن بركونة فدخله عنوة ثم ارجونه كذلك ثم قدم بعثا الى مدينة جيان فقامها حظه من الخسف  
 والدمار وخام الطاغية عن اللقاء وأيقن بخراب عمرانه واتلاف بلادهم ففخ الى السلم وخطبه من السلطان  
 يعقوب ورغب فيه اليه وبعث الاقسة والرهبان للوساطة في ذلك فرفعهم السلطان يعقوب الى ابن  
 الاحرر وجعل الامر في ذلك اليه تكريما لشهده ووفاء بحقه وقال لو قد الفرنج انما باضيف والضيف  
 لا يصلح على رب المنزل فساروا الى ابن الاحرر وقالوا له ان السلطان يعقوب قد رد الامر اليك ونحن  
 قد جئناك لنعقد معك على ما يريد الا يعقبه غدر ولا حرب واقسموا له بصلبانهم ان لم يرضه الفئس  
 ليخلفه لانه لم ينصر الصليب ولا حتى الحوزة فاجابهم ابن الاحرر اليه بعد عرضه على امير المسلمين والتماس  
 اذنه فيه لما فيه من المصلحة وجنوح اهل الاندلس اليه منذ المدد الطويلة فانه قد السلم في آخر شهر  
 رمضان من السنة المذكورة وفضل السلطان يعقوب من غزاته هذه وجعل طريقه على غرناطة احتفاء  
 بالسلطان ابن الاحرر وخرج له عن الغنائم كلها فاحتوى عليها ابن الاحرر وساقها الى غرناطة وقال له

السلطان يعقوب يكون حظ بنى مرين من هذه الغزاة الاجر والثواب مثل ما فعل يوسف بن تاشفين  
 رحمه الله مع أهل الأندلس يوم الزلاقة ولما قفل السلطان يعقوب من هذه الغزوة اعتل الرئيس أبو محمد  
 ابن اشقيولة ثم هلك غرة جمادى من السنة المذكورة فليحق ابنه محمد بالسلطان يعقوب آخر شهر رمضان  
 وهو متلوم بالجزيرة الخضراء منصرفه من الغزو وكذا كرهناه فتزل له عن مالقة ودعاها الى حوزها منه  
 وقال له ان لم تحزها أعطيتها للفرنج ولا يملكها ابن الاجر فخازها السلطان يعقوب منه وعقد عليها لابنه  
 أبي زيان منسديل بن يعقوب فسار اليها وتملكها وعز ذلك على ابن الاجر غاية لانه لما بلغه وفاة أبي محمد  
 ابن اشقيولة سما أمه اليها وان ابن أخته وهو محمد الوافد على السلطان يعقوب شيعه له لا يبغي به بدلا  
 فأخطأ ظنه وخرج الامر بخلاف ما كان يرتقب ولما قضى السلطان يعقوب بالجزيرة الخضراء صومه  
 ونسكه خرج الى مالقة فدخلها سادس شوال من السنة وبرز اليه أهلها في يوم مشهود واحتفلوا له  
 احتفال أيام الزينة سرورا بمقدم السلطان واعتباطا بدخولهم في دعوته وانخرطهم في سلك رعيته  
 وأقام فيهم الى خاتم سنته ثم عقد عليها العمر بن يحيى بن محلي من صنائع دولتهم وأزل معه المسالخ وترك  
 عنده زيان بن أبي عياد بن عبد الحق في طائفة انظره من أبطال بنى مرين واستوصاه بمحمد بن اشقيولة  
 وارتحل الى الجزيرة الخضراء ثم أجاز منها الى المغرب فاتح سنة سبع وسبعين وستمائة وقد اهتزت الدنيا  
 لمقدمه وامتلات القلوب سرورا بما هياه الله من نصر المسلمين بالأندلس وعلو راية الاسلام على كل راية  
 وعظمت بذلك كله موجدة ابن الاجر ونشأت الفتنة كما نذكره ان شاء الله

بمحدث الفتنة بين السلطان يعقوب وابن الاجر وما نشأ عن ذلك

بممن حصار الجزيرة الخضراء وغير ذلك

قد تقدم لنا ان بنى اشقيولة كانوا اصهارا لابن الاجر وانهم لما قدموا على السلطان يعقوب بالجزيرة  
 الخضراء في جوازه الاول صدوت من ابن اشقيولة كلمات أحفظت ابن الاجر وغاظته فذهب لاجلها  
 مغاضبا وانحرف عن السلطان يعقوب ولم يشهد معه الغزو ولا عرج على الجهاد ولما نصر الله السلطان  
 يعقوب على عدوه وقتل العليج وبعث برأسه الى ابن الاجر طيبه وبعثه الى قومه انحرافا عن السلطان  
 وموالاة للعدو ولما أجاز السلطان يعقوب الجواز الثاني انقبض عنه ابن الاجر ولم يلقه حتى خاطبه  
 السلطان واستنفره الى الجهاد فلحقه بشدونه كما مر ولما صنع الله للسلطان ما صنع من الظهور والعز  
 الذي لا كفاء له واستولى على مالقة من يد ابن اشقيولة ارتاب ابن الاجر بمكانه وظن به الظنون وتخوف  
 منه ما كان من يوسف بن تاشفين للمعمدين عباد وغيره من ملوك الطوائف ففصم مكانه وأظلم الجور  
 بينهما ودارت بينهما مخاطبات شعرية على السنة الكباب في معنى العتاب ولم تزل القوارص بين  
 السلطانين تجري وعقارب السعاية تدب وتسرى وخوف ابن الاجر على ملكه يشتد وي زيد وأوامر  
 الاخوة الاسلامية تتلاشى وتبيد الى ان استحكمت البغضاء وضاق بينهما رحب القضاء ففرغ  
 ابن الاجر الى مداخلة الطاغية في شأنه واتصال يده بيده وحبله بحبله وأن يعود الى منزلة أبيه معه  
 من ولايته ايدافع به السلطان يعقوب وقومه عن أرضه ويأمن معه من زوال سلطانه فاعتمت الطاغية  
 هذه الفرصة ونكت عهد السلطان يعقوب ونقض السلم وأعلن بالحرب وأغزأ ساطيله الجزيرة الخضراء  
 حيث كانت مسالخ السلطان يعقوب وجنوده وأرست بالزقاق حيث فراض المجاز وانقطعت عساكر  
 السلطان وراء البحر وحال العدو بينهم وبين اغائته اياهم واتصلت يد ابن الاجر بيد الطاغية واتفقا  
 على منع السلطان يعقوب من عبور البحر وداخل ابن الاجر عمر بن يحيى بن محلي صاحب مالقة في  
 النزول له عنها بعوض ففعل واستولى ابن الاجر عليها ثم راسل هو والطاغية بغير اسن بن زيان من وراء  
 البحر ورأسهم هو في مشاققة السلطان واقساد ثغوره وانزال العوائق المانعة له من حركته والاخذ

بأذنيه عن النهوض إلى الغزو وأسوأ فيما بينهما الهدايا والتحف وجنب بغير اسن إلى ابن الأجر ثلاثين  
من عناق الخيل مع ثياب من عمل الصوف وبعث إليه ابن الأجر مكافأة على ذلك عشرة آلاف دينار  
فليرض بالمال ورده وأصفت آراؤهم جميعا على السلطان يعقوب ورأوا أن قد أبلغوا في أحكام أمرهم  
وسد مذاهبه اليهم واتصل خبر هذا كله بالسلطان وهو عمرا كش كان خرج إليها مرجعه من الغزو  
في المحرم سنة سبع وسبعين وستمائة لما كان من عيت عرب جشم بتامسنا وفسادهم السابلة فتقف  
أطرافها وحسم مادة فسادها ثم اتصل به خبر ابن محلي وتزوله عن مالقة لابن الأجر ومنازلة الطاغية  
بأساطيلها للجزيرة الخضراء وتضيقه على المسلمين بها فبلغ ذلك منه كل مبلغ ونهض من مرا كش ثالث  
شوال من السنة يريد طنجة فوصل إلى قرية مكول من بلاد تامسنا فتوالى عليهم الأمطار والسيول  
وعاقته عن النهوض وبينما هو في ذلك ورد عليه الخبر أيضا بتزول الطاغية على الجزيرة الخضراء برا  
واحاطة عسكرهم بعد ان كانت أساطيلها منازلة لها في البحر منذ ستة أشهر أو سبعة وأنه مشرف على  
التها مها وبعثوا إليه يستصرخونه ويخبرونه بالحال فاعتزم على الرحيل ثم اتصل به الخبر بالناج خروج  
مسعود بن كاتون السفيناني به لادنقيس من أرض المصامدة خامس ذي القعدة من السنة وان الناس  
اجتمعوا إليه من قومه وغيرهم فانخرقت على السلطان الفتوق وتوالى عليه الخطوب ولم يدر ما يصنع  
الا انه رأى ان يقدّم أمر ابن كاتون والعرب فكرر راجعا إليه وقدّم بين يديه حافده ناشفين بن أبي مالك  
وزيره يحيى بن حازم العلوي وجاء هو على ساقهم وفر مسعود بن كاتون وجوعه أمام السلطان فانتهب  
معسكرهم وحلهم واستباح حرب الحارث من سفينان ولحق مسعود بجبل سكسيوة فاعتصم به وشادح  
عبد الواحد السكسيوي القائم به على خلافه ونازله السلطان يعقوب بعساكره أياما وسرح ابنه الأمير  
أبازيان مندبل إلى بلاد السوس لتمهيدها وتدويح أقطارها فأوغل في ديارها وفضل إلى أبيه في آخر يوم  
من السنة المذكورة واتصل بالسلطان ما تضعف على أهل الجزيرة من ضيق الحصار وشدة القتال  
واعواز الاقوات وانهم خنتوا الا صاعر من اولادهم خشية عليهم من معرفة الكفر فاعمه ذلك وكان  
اقسم أن لا يرتحل عن ابن كاتون حتى ينزل على حكمه أو يهلك دون ذلك فاعمل النظر فيما يكون به خلاص  
أهل الجزيرة فعقد لولي عهده ابنه الأمير يوسف وكان عمرا كش على الغز واليها وكان أهل الجزيرة  
كما قلنا قد أحاط بهم العدو برا وبحرا وانقطعت عنهم المواد وعميت عليهم الانباء الا ما يأتيهم به الحمام من  
جبل طارق وفي أكثرهم بالقتل والجوع وسهر الليل على الاسوار وشدة الحصار حتى أشرف بقيتهم  
على الهلاك وأيسوا من الحياة فحينئذ جمعوا صبيانهم وختنهم كاهن وبنماهم على ذلك قدم الأمير  
يوسف بجيوشه إلى طنجة وكان قدومه إليها في أوائل صفر من سنة ثمان وسبعين وستمائة وكان  
السلطان يعقوب لما بعث ابنه الأمير يوسف إلى طنجة قد كتب إلى الثغور بأعداد الاساطيل وعمارتها  
وتوجيهها إليه وقسم الاعطآت وحن الناس على النهوض فتوفرت هم المسلمين على الجهاد وأجابوا من  
كل ناحية وأبلى الفقيه أبو حاتم الغزفي صاحب سبته لما بلغه الخطاب من السلطان في شأن الاساطيل  
البلاء الحسن وقام فيه المقام المحمود فيها خمسة وأربعين أسطولا واستغفر كافة أهل بلده من المحتلم إلى  
الشيخ فركبوا البحر أجمعون ولم يبق بسبته الا النساء والشيوخ والصبيان ورأى ابن الأجر ما نزل بأهل  
الجزيرة وأشرف الطاغية على أخذها فندم على عمالاته اياه وأعد أساطيل سوا حله من المنكب والمربة  
ومالقة فكانت اثني عشر أسطولا فبعثها مدد المسلمين وقدم من بادس وسلاوا نفي خمسة عشر أسطولا  
فقض في الوقت اثنان وسبعون أسطولا واجتمعت كلها بجزيرة فاستبته قد أخذت بطرف في الزقاق في أحفل زى  
وأكل استعداد ثم تقدمت إلى طنجة ليراهها الأمير يوسف فشاهدوا وسر بها وعقد لهم رايته مع جماعة  
من أبطال بني مرين وغبوا في الجهاد ثم أقبلت الاساطيل عن طنجة نامن ربيع الاول سنة ثمان وسبعين



وستائة وانتشرت قلوبهم في البحر فأجازوه وباتوا ليلة المولد الكرم بمرقاة جبل الفتح وصبوا العدو  
 وأساطيله يومئذ تناهز أربعمائة فتظاهر المسلمون في دورهم وأسبغوا من شكتهم وأخلصوا الله عزائمهم  
 وتنادوا بالجنة وشعارها ووعظ خطباؤهم وذكر صلحاؤهم والتحم القتال ونزل الصبر فلم يكن الا كالأ  
 ولا حتى نضخوا العدو بالنبل ففسدت افروطنهم واختل مصافهم وانكشفوا وتساقطوا في عباب البحر  
 فاستلمهم السيف وغشيمهم اليم واستولى المسلمون على أساطيلهم فلكوها وأسر وقائدها الملتد في  
 جماعة من ماشيته واستمر متقافاس حتى فر بعد ذلك وسر المسلمون الذين بداخل الجزيرة بفساد  
 افروطة العدو وهلاكها ولما رأى عسكر الطاغية الذي في البر ما أصاب أهل البحر منهم من القتل  
 والاسر داخلهم الرعب وخافوا من هجوم الامير يوسف عليهم اذ كان مقيما بساحل طنجة مستعدا للعبور  
 فقوضوا أبنيتهم وأفرجوا عن البلد حينئذ وانتشر المسلمون والنساء والصيدان بساحة البلد كما تخافوا  
 من قبر وغلبت مقابلتهم كثير من عسكر العدو على متاعهم فغنموا من الخنطة والادام والفواكه ما ملأ  
 أسواق البلد أياما حتى وصلت الميرة من النواحي وأجاز الامير يوسف البحر من حينه فاحتل بساحل  
 الجزيرة وأرهب العدو في كل ناحية لكنه صدته عن الغزو شأن الفتنة مع ابن الاحر ف رأى ان يعقد مع  
 الطاغية سلا ويصل يديه بيده لئلا تفر ناطة دار ابن الاحر فاجابه الطاغية الى ذلك رهبة من بأسه  
 وموجدة على ابن الاحر في مدد أهل الجزيرة وبعث أساقفته ليعقد ذلك واحكامه فأجازهم الامير  
 يوسف الى أبيه وهو بناحية مرا كس فغضب لها وأنكر على ابنه وزوى عنه وجهه رضاه وأقسم ان  
 لا يرى اسقفا منهم الا ان يراه بارضه ورجعهم الى طانغيتهم مخفي السعي كسفي البال ووصلت في هذه  
 السنة هدية السلطان أبي زكريا يحيى الواثق الحفصي مع أبي العباس الغماري حسيما صرت الاشارة  
 اليه قبل هذا ثم ان السلطان يعقوب رجه الله رجع الى فاس وبعث خطابه الى الا فاق مستغفرا  
 للجهاد وفصل عنها غرة رجب من سنة ثمان وسبعين وستائة حتى انتهى الى طنجة وعان ما اختل من  
 أحوال المسلمين في تلك الفترة وما جرت اليه فتنة ابن الاحر من اعزاز الطاغية وما حدثته نفسه من  
 التهام الجزيرة الابدلسية ومن فيها وكان قد أمر أمره في هذه المدة وظاهره أعداء ابن الاحر من بني  
 اشقيولة وغيرهم عليه حتى حاصروا غرناطة وخرج أمر الاندلس وتغلت أطرافها وأشفق السلطان  
 يعقوب رجه الله على المسلمين الذين بها وعلى ابن الاحر مما ناله من خسف الطاغية فراسله في المواعدة  
 واتفاق الكلمة على أن ينزل له عن مالقة التي خادع عنها ابن محلي كما تقدم فامتنع ابن الاحر وأساء الرد في  
 ذلك فرجع السلطان يعقوب الى ازالة العوائق عن شأنه في الجهاد وكان من أعظمها فتنة يعمراسن  
 واستيقن ما كان بينه وبين ابن الاحر والطاغية ان اذ فونش من الاتصال والاصفاق على تعويقه عن  
 الغزو فبعث الى يعمراسن يسأله عن الذي بلغه عنه ويطلب منه تجديد الصلح وجمع الكلمة فلج في  
 الخلاف وكشف وجه العناد وأعلن بما وقع بينه وبين أهل العدو الابدلسية مسلمهم وكافرهم من  
 الوصلة وانه معتزم على وطء بلاد المغرب فصرف السلطان يعقوب عزمه الى غزو يعمراسن وقفل الى فاس  
 لثلاثة أشهر من حلوله بطنجة فدخلها آخر شوال من السنة المذكورة وأعاد الرسل الى يعمراسن لاقامة  
 الحجية عليه وقال له فيما خاطبه به الى متى يا يعمراسن هذا النفور والتمادي في الغرور أما أن تنشرح  
 الصدور وتنقضي هذه الشرور في كلام غير هذا فصرم يعمراسن عن ذلك كله ولم يرفع به رأسا ولما أيس  
 السلطان يعقوب من اقلاعه ورجوعه نهض اليه من فاس آخر سنة تسع وسبعين وستائة وقدم ابنه الامير  
 يوسف في العساكر وتبعه فأدركه بتازا ولما انتهى الى ملوية تلوم أياما في انتظار العساكر ثم ارتحل  
 حتى نزل وادي تافنا وصعد اليه يعمراسن بجموع عزناته والعرب بحلهم ونجعهم وشائهم ونعمهم والتقت  
 طوال القوم أولا فكانت بينهم حرب ثم ركب على آثارهما العسكران والتحم القتال حائر النهار وكان

الزحف بالموضع المعروف بالمعب من أحواز تلسان ثم انكشفت بنوع عبد الواد عند ما أراح القوم وانتبه معسكرهم بما فيه من الكراع والسلاح والفساطيط والمتاع وبات عسكر السلطان يعقوب تلك الليلة على متون جيادهم واتبعوا من الغد آثار عدوهم واكتسحت أموال العرب الناجعة الذين كانوا مع يغمراسن وامتلأت أيدي بني مرين من شائهم ونعمهم وتوغلوا في أرض يغمراسن ووافقاه هنالك محمد بن عبد القوي أمير بني توجين لقيه بناحية القصبات وعانوا جميعا في بلاده تخريبا ونهبيا ثم أذن السلطان يعقوب لبني توجين في اللحاق ببلادهم وأخذ هو بمخفق تلسان محاصر الهاختي يصل محمد بن عبد القوي إلى مأمنه من جبل وانشر يس خوف عليه من غائلة يغمراسن واتباعه اياه ثم أفرج عنها وقفل إلى المغرب فدخل حضرة قاسم في رمضان سنة ثمانين وستمائة ثم نهض إلى مراکش فدخلها فاتح سنة احدى وثمانين بعدها قسمني بابا امرأة مسعود بن كاتون السقياني لانه كان قد هلك قبل هذه السنة وسرح ابنه الامير يوسف إلى السوس لتدويج أقطاره ثم وفاقاه وهو عمرا كش صريح الطاغية على ما نذكره الآن

### الجواز الثالث للسلطان يعقوب إلى الأندلس مغيثا للطاغية ومغتما فرصة الجهاد

لما كان السلطان يعقوب رحمه الله عمرا كش سنة احدى وثمانين وستمائة قدم عليه كتاب طاغية الاصبنيول واسمه هراندة مع وفد من بطارفته وزعماء دولته مستصر خاله علي ابنه سانحة الخارج عليه في طائفة من النصارى وانهم غلبوه على أمرهم زاعمين بأنه شاخ وضعف عن تدبيرهم ولم يقدر على القيام بنصرتهم فاستنصره عليهم ودعاه لخرجهم وأتم له لاسترجاع مملكته من يدهم فاعتم السلطان يعقوب هذه الفرصة في الحال وجعل جوابه بنفس النهوض والارتحال فسار معهم لم يعرج على شيء حتى أتى قصر الجراز وهو قصر مصمودة فعبر منه واحتل لوقته بالجزيرة الخضراء في ربيع الثاني من سنة احدى وثمانين المذكورة وأوعز إلى الناس بالنفيس إلى الجهاد واجتمعت عليه مسالح الثغور بالأندلس وسار حتى نزل صخرة عمادوهنالك قدم عليه الطاغية هراندة دليلا لفرقة الاسلام مؤتملا صريح السلطان فآكرم موصله وأكرم وفادته بجوز كراين خلدون وابن الخطيب وغيرهما من الاثبات ان هذا الطاغية لما اجتمع بالسلطان يعقوب قبل يده اعظما القدره وخضوع العزله فدعا السلطان رحمه الله بعباء فغسل يده من تلك القبلة بمحضر من كان هناك من جموع المسلمين والفرنج ثم التمس الطاغية من السلطان أن يعده بشيء من المال ليستعين به على حربه ونفقائه فأسلفه السلطان مائة ألف دينار من بيت مال المسلمين رهنة الطاغية فيها تاجه الموروث عن سلفه بجوز كراين خلدون وبقي هذا التاج بيدار بن يعقوب بن عبد الحق نخر الالاعقاب لهذا العهد بوقت ما وما بعد حال هذا الطاغية المهين من حال عطاردين حاجب التميمي الذي لم يسلم قوس أبيه على تطاول السنين والقصة مشهورة فانظر ما بين المهم العريضة والجميعة من البون وحال الفريقين في الابتدال والصون ثم ان السلطان يعقوب رحمه الله تقدم مع الطاغية ودخل دار الحرب غازيا حتى نازل قرطبة وبها يومئذ سانحة ابن الطاغية الخارج عليه مع طائفته فقاتلها أياما ثم أفرج عنها وتنقل في جهاتها وبعث سراياه إلى جيان فأفسدوا زروعها ثم رحل إلى طليطلة فعات في جهاتها وخرّب عمرانها حتى انتهى إلى حصن مجريط من أقصى الثغر فامتلات أيدي المسلمين وضاق معسكرهم بالغنائم التي استاقوها ففعل السلطان من أجل ذلك إلى الجزيرة فاحتل بها في شعبان وأقام إلى آخر السنة المذكورة وكانت غزوة لم يسمح الدهر بعثها في هذه السنة توفي يغمراسن بن زيان علي مافي القرطاس بجوز كراين خلدون أنه لما حضرته الوفاة أوصى ابنه عثمان وقال له يا بني ان بني مرين بعد استئصال ملكهم واستيلائهم على حضرة الخلافة عمرا كش لا طاقة لنا بقاتلهم فإياك أن تحاربهم فان مددهم موفور ومددك محصور ولا يفترنك اني كنت أحرصهم ولا أنكص عن لقاتلهم لاني كنت أخشى معرفة الجبن عنهم بعد التمس بهم والاجترأ عليهم وأنت لا يضرك ذلك لانك لم تحاربهم

قف واعتبر

ولم تفرس بهم فعليك بالتحصن ببلدك متى زحفوا اليك وحاول ما استطعت الاستيلاء على ما جاؤوك من  
عمالات الموحدين أصحاب تونس يستفحل بهاملكك وتكافئ حشد العدو بحشدك قال فعمل ابنه  
عثمان على وصيته وأوفد أخاه محمد بن يعمر اسن على السلطان يعقوب وهو بالاندلس في جواره الرابع  
فقد قدمه السلم على ما حب وانكفأ راجعا الى أخيه فطابت نفسه وتفرغ لافتتاح البلاد الشرقية

### في انعقاد الصلح بين السلطان يعقوب وابن الاجر والسبب في ذلك

لما اتصلت يد السلطان يعقوب برحمه الله بيد الطاغية وقام معه في ارتجاع ملكه خشي ابن الاجر  
عاديته فخرج الى موالاته ابنه سانحة الخارج عليه ووصل يده بيده وأكده العقد واضطربت الاندلس  
نارا وقتة بسبب هذا الخلاف ولما قفل السلطان يعقوب من غزوته مع الطاغية وقد ظهر على ابنه أجمع  
على منازلة مالقة التي استحوذ عليها ابن الاجر وخذع عنها ابن محلي فنهض السلطان اليها من الجزيرة  
الخضراء ففتح سنة اثنتين وثمانين وثمانمائة فقلب أولاء على الحصون الغربية كلها ثم أسف الى مالقة فأناخ  
عليها بعساكره وضاق على ابن الاجر النطاق ولم تغن عنه موالاته سانحة شيئا وبداله سوء المغبة في شأن  
مالقة وندم على تناوله ما فاعمل نظره في الخلاص من ورطتها ولم يراها الا الامير يوسف ابن السلطان  
يعقوب فخاطبه بمكانه من المغرب مستصر خاله لرفع هذا الخرق ورتق هذا الفتق وجمع كلمة المسلمين  
على عدوهم فأجابوا واعتم الموثبة في مسعاه وعبر البحر الى الاندلس في صفر سنة اثنتين وثمانين المذكورة  
فوافق أباه بعسكره على مالقة ورغب منه السلم لابن الاجر في شأنها والتجاني له عنها فاسفر غيبة ابنه لما  
يؤمل في ذلك من رضا الله عز وجل في جهاد عدوه واعلاء كلمته وانعقاد السلم وانبسط أمل ابن الاجر  
وتجددت عزائم المسلمين للجهاد وقفل السلطان يعقوب الى الجزيرة الخضراء فبث سرايا في دار الحرب  
فأوغلوا وأتخنوا ثم استأنف الغزو بنفسه الى طليطلة فخرج من الجزيرة غازيا غرة ربيع الثاني من  
سنة اثنتين وثمانين المذكورة حتى انتهى الى قرطبة فأنخن وغتم وخرّب العمران وفتح الحصون ثم  
ارتحل نحو البرت وترك محلته على بياسة بالمغانم والاثقال وترك معها خمسة آلاف فارس يحمونها من  
كرة العدو ثم أغذ السبر في أرض قفرة ليلتين حتى انتهى الى البرت من نواحي طليطلة فسرح الخيل  
في البسائط وجالت في أكنافها ولم تنته الى طليطلة لتماثل الناس بكثرة الغنائم وأنخن في القتل وقفل على  
غير طريقه فأنخن وخرّب وانتهى الى أبدة فوق بساحتها وقتلها ساعة من نهار فرماه عالج من خلف السور  
بسهم أصاب فرسه فارتحل عنها الى معسكره بياسة فأراح بها نلانا ينسف آثارها ويقتلع أشجارها وقفل  
الى الجزيرة وبين يديه من السبي والغنائم ما يجزعه الوصف فدخلها في شهر رجب من السنة المذكورة  
فقسم الغنائم ونقل من الخمس وولى على الجزيرة حافده عيسى بن عبد الواحد بن يعقوب فهلك شهيدا على  
شريش بسهم مسموم اشهرين من ولايته ثم عبر السلطان الى المغرب فاتح شعبان ودمه ابنه أبو زيان  
مندبل فأراح بطنجة ثلاثا ثم نهض الى فاس فدخلها آخر شعبان ولما قضى صيامه ونسك عيده ارتحل  
الى مراکش لتمهيدها وتفقد أحوالها وقسم من نظره لنواحي سلا حظا فأقام برباط الفتح شهرين  
اثنين وتوفيت في هذه المدة الحرة أم العزبت محمد بن حازم العلوي وهي أم الامير يوسف وكانت وفاتها  
برباط الفتح فدفنت بشالة ثم نهض السلطان يعقوب الى مراکش فدخلها فاتح ثلاث وثمانين وثمانمائة  
وبلغته مهلك الطاغية هراندة بن اذفونش واجتماع النصرانية على ابنه سانحة الخارج عليه فتمركت  
هتته الى الجهاد ثم سرح ابنه الامير يوسف وولى عهده بالعسكر الى بلاد السوس لغزو العرب الذين بها  
وكف عاديتهم ومحو آثار الخوارج المنتزعين على الدولة فأجفوا أمامه واتبع آثارهم الى الساقية الحمراء  
آخر العمران من بلاد السوس فهلك أكثر العرب في تلك القفار جوعا وعطشا وقفل راجعا ما بلغه من  
اعتلال والده السلطان يعقوب فوصل الى مراکش وقد أبل من مرضه وعزم على الجهاد شكرا لله تعالى



على نعمة العافية **﴿وفي هذه السنة﴾** وصل ماء عين غبولة الى قصبة رباط الفتح بامر السلطان يعقوب وكان ذلك على يد المعلم المهندس أبي الحسن علي بن الحاج والله تعالى أعلم

**﴿الجواز الرابع للسلطان يعقوب الى الاندلس برسم الجهاد﴾**

لما اعترم السلطان يعقوب على العبور الى الاندلس عرض جنوده وحاشيته وأزاح عليهم وبعث في قبائل المغرب بالنفير ونهض من مراكش في جمادى الآخرة لثلاث وثمانين وستمائة واحتل رباط الفتح منتصف شعبان فقتل به صومه ونسكه ثم ارتحل الى قصر المجاز وشرع في اجازة العساكر والحشود من المرتزقة والمتطوعة خاتم سنته ثم أجاز البحر بنفسه غرة صفر من سنة أربع وثمانين بعدها واحتل بظاهر طريف ثم سار الى الجزيرة الخضراء فأراح بها أياما ثم خرج غازيا حتى انتهى الى وادي الكوسر ح الخيول في بلاد العدو وبساتنه يحرق وينسف فلما خرب بلاد النصرانية ودمر أرضهم قصد مدينة شريش فقتل بساحتها وأناخ عليها في العشرين من صفر سنة أربع وثمانين المذكورة وبث سرايا والغارات في جميع نواحيها وبعث عن المسالخ التي كانت بالثغور فتوافقت اديبه ولحقه حافده عمر بن عبد الواحد بجمع واقر من المجاهدين من أهل المغرب فرسانا ورجالا ووافقه حصه العز في صاحب سبعة غزاة ناشبة تناهز خمسمائة وأوعز الى ولي عهده الأمير يوسف باستتفان من بقي من أهل العدو وكان السلطان رحمه الله لما أناخ على شريش بعث وزيره محمد بن عطاو ومحمد بن عمران عيونا فوافقوا حصن القناطر وروطة واستكشفوا ضعف الحامية واختلال الثغور وعادوا الى السلطان فأخبروه ثم عقد السلطان لحافده منصور بن عبد الواحد على ألف فارس من بني مرين والقر وعرب العاصمة والخلط والأبج وأعطاه الراية وبعثه لغزوات شيلية وذلك في يوم الاحد التاسع والعشرين من صفر من السنة المذكورة ففتحوا مروا بقرمونة في منصرفهم فاستباحوها وأتخنوا بالقتل والأسر ورجعوا وقد امتلأت أيديهم من الغنائم ثم عقد ثانية لحافده عمر بن عبد الواحد على مثلها من الفرسان في يوم الخميس الثالث من شهر ربيع الاول من السنة وأعطاه الراية وسرحه الى بساط وادي الكوسر فجمعوا من الغنائم بما ملأ العساكر بعد ان أتخنوا فيها بالقتل والتخريب وتحريق الزروع واقتلاع الثمار وأبادوا عمرانها ثم سرح ثامن ربيع المذكور عسكر من خمسمائة فارس للاغارة على حصن ركش فوافقوه على غرة فاكتسبوا أموالهم وسبوا ثم عقد تاسع ربيع أيضا لابنه أبي معرف على ألف من الفرسان وسرحه لغزوات شيلية فساروا حتى هجموا عليها يوم المولد الكريم وتحصنت منه حاميتها بالاسوار فخرب عمرانها وقطع أشجارها واهتمت أيدي عسكره سبوا وأموالها ورجع الى محلة السلطان وهي نازلة على شريش كما قدمنا مما لو الحقايب ثم عقد ثالثة لحافده عمر منتصف ربيع المذكور لغزو حصن كان بالقرب من معسكره كان أهله يقطعون الطريق على من خرج من المحلة مفردا أو في قلة وسرح معه الرجل من الناشبة والفعلة باللات من المساحي والفوس وأمدته بالرجل من المصامدة وغزاة سبتة فاقحموه عنوة على أهله وقتلوا المقاتلة وسبوا النساء والذرية وألمقوا أخذته بالتراب ونسفوا آثاره نسفا ولسبعة عشر من الشهر ركب السلطان الى حصن مرتقوط قريبا من معسكره فخربه وحرقه بالنار واستباحه وقتل المقاتلة وسبي الأهل ولعشرين من شهره المذكور وصل ولي عهده الأمير يوسف من العدو المغربية بنفير أهل المغرب وكافة القبائل في جيوش ضخمة وعساكر موفورة وركب السلطان للقائهم وبرز مقدمهم وعرض العساكر القادمة معه يومئذ فكانت ثلاثة عشر ألفا من المصامدة وثمانية آلاف من برابرة المغرب كلهم متطوع بالجهاد فعد السلطان لولي العهد على خمسة آلاف من المرتزقة وألفين من المتطوعة وثلاثة عشر ألفا من الرجل وألفين من الناشبة وذلك في يوم الجمعة الخامس والعشرين من ربيع الاول المذكور وسرحه لغزوات شيلية والأثخان في نواحيها فعبأ كتابه ونهض لوجهه هو وبث

الغارات بين يديه فالتفتوا وشبوا وقتلوا واقتحموا الحصون واكتسبوا الاموال وعاج ولي العهد على  
 الشرف والفاية من بساط اشيلية فنسف قراها واقتحم بعض حصونها وقتل الى معسكر السلطان وهو  
 بمكانه من حصار شريش وفي يوم الاثنين السادس من ربيع الثاني قدم أبو زيان مندبل ابن السلطان  
 يعقوب من المغرب في جيش كثيف فيهم خمسمائة فارس من عرب بني جابر أهل تادلا مع كبيرهم يوسف  
 ابن قيطون وفيهم من المتطوعة والناشبة عدد كثير فعقد له السلطان غداة وصوله وأمهذ به معسكر آخر  
 وأغزاه قرمونة والوادي الكبير فآغار على قرمونة وطاعت حاميتها في المدافعة فبرزوا له وصدقهم القتال  
 فانكشفوا حتى أدخلواهم البلاد ثم أحاطوا ببرج كان قريبا من البلاد فقاتلوه ساعة من نهار واقتحموه  
 عنوة ولم يزل يتقرى المنازل والعمران حتى وقف بساحة اشيلية فآغار واقتحم برجا كان هنالك عيناء على  
 المسلمين وأضره ناروا امتلات أيدي عساكره وقتل الى معسكر السلطان على شريش ولثلاث عشرة  
 ليلة من ربيع الثاني عقد السلطان لولي العهد الامير يوسف لئلا تزلزلة جزيرة كبتور فصعد اليها وقتلها  
 واقتحمها عنوة وفي ثاني جمادى الاولى عقد السلطان للحاج أبي الزبير طلحة بن يحيى بن محلي وكان بعد  
 مداخلته أخاه عمر في شأن مائة سنة خمس وسبعين خرج الى الحج فقتل في مرضه ورجع ومضى في طريقه  
 بتونس فاتهمه الدعي ابن أبي عمارة كان بها يومئذ فاعتقله سنة اثنتين وثمانين ثم سرحه ولحق بقومه  
 بالمغرب ثم عبر الى الاندلس غازيا مع السلطان يعقوب فعقد له في هذا اليوم على مائتين من الفرسان  
 وسرحه الى اشيلية ليكون ريشة للعسكر وبعث معه لذلك عيونا من اليهود والمعاهدين من النصاري  
 يتعرفون له أخبار الطاغية سانجة والسلطان يعقوب رجه الله أثناء هذا كله يغادي شريش ويراوحها  
 بالقتال والتخريب ونسف الاثار وبيت السرايا كل يوم وليلة في بلاد العدو وفلا يخلو يوم من تجهيز عسكر  
 أو اغزاه جيش أو عقدراية أو بعث سرية حتى انتسف العمران في جميع بلاد النصرانية ونزح بسائط  
 اشيلية وليلة وقرمونة واستحج وجبال الشرف وجميع بسائط الفرتيرة وأبلى في هذه الغزوات عياد بن  
 أبي عياد العاصمي من شيوخ جشم والخضر الفزري من أمراء الاكراد بلاء عظيمًا وكان لهم فيها ذكر  
 وصيت وكذلك غزاة سبتة وكذا سائر المجاهدين من عرب جشم وغيرهم مثل مهلهل بن يحيى الخلطي صهر  
 السلطان يوسف بن قيطون الجابري وغير هؤلاء ممن يطول ذكرهم فلما قمرها تدميرا وأوسعها تخريبا  
 ونسفها نسفا واكتسبها غارة ونهبها وهجم فصل الشتاء وانقطعت الميرة عن العسكر اعترم السلطان على  
 القبول وأفرج عن شريش لآخر جمادى الاولى من السنة المذكورة بعد ان حاصرها نحو من ثلاثة  
 أشهر وعشرة أيام واتصل به ان العدو وأغزى الى أساطيله باحتلال الزقاق والاعتراض دون الفراض  
 فأوغز السلطان الى جميع سواحل من سبتة وطنجة وببلاد الريف ورباط الفتح والمنكب والجزيرة  
 وطريف بتوجيه أساطيلهم فتوافقت منها ستة وثلاثون اسطولا متكاملة في عدتها فاجتهدت أساطيل  
 العدو عنها وارتدت على أعقابها واحتل السلطان يعقوب بالجزيرة الخضراء وهي المسماة اليوم بخوزيرت  
 غرة رمضان من سنة أربع وثمانين وستمائة وتزل بقصره من المدينة الجديدة التي بناها بازايم فبرزت  
 أساطيل المسلمين أمامه بالمرسى وهو جالس بمشور قصره فلعبوا بما رأوا منه في البحر وتجاوزوا وتناطحوا  
 وتطاردوا كفعالهم ساعة الحرب فسرت بذلك وأحسن اليهم وصر فهم الى حال سبيلهم

بقيادة الطاغية على السلطان يعقوب باحوال الجزيرة الخضراء وعقد الصلح بينهما والسبب في ذلك

قال ابن خلدون رجه الله لما نزل ببلاد النصرانية من السلطان يعقوب ما نزل من تدمير قراهم  
 واهككت ساح أموالهم ومبي نسايتهم وابداه مقاتلتهم وتخريب معاقلهم وانتساف عمرانهم زانغت منهم  
 الابصار وبلغت القلوب الحناجر واستيقنوا أن لا عاصم لهم من أمير المسلمين فاجتمعوا الى طاغيتهم سانجة  
 خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة متوجعين مما أذاقهم جنود الله من سوء العذاب وأليم التكال وجاوه

على الضراعة لأمير المسلمين في السلم وإيقاد الملا من كبار النصرانية عليه في ذلك والأفلا تزال تصيبهم  
منه قارعة أو تحمل قريبا من دارهم فأجاب إلى مادعوه إليه من الخسف والهزيمة لدينه وأوفد على أمير  
المسلمين وهو بالجزيرة الخضراء وقد امن بطارقتهم وشمامستهم يخطبون السلم ويضرعون في المهادنة  
والإبقاء ووضع أوزار الحرب فردهم أمير المسلمين اعترازا عليهم ثم أعادهم الطاغية بترديد الرغبة على أن  
يشترط ما شاء من عزديته وقومه فاستغفهم أمير المسلمين وجنح إلى السلم لما يتقن من صاغيتهم إليه وذلك  
لعز الإسلام وأجابهم إلى ما سألوه واشترط عليهم ما تقبلوه من مسالة المسلمين كافة من قومه وغير قومه  
والوقوف عند مرضاته في ولاية جيرانه من الملوكة أو عداوتهم ورفع الضريبة عن تجار المسلمين بدار  
الحرب من بلاده وترك التضريب بين ملوك المسلمين والدخول بينهم في قتلة واستدعى السلطان الشيخ  
أبا محمد عبد الحق الترجمان وبعثه لاشترط ذلك وأحكام عقده فسار عبد الحق إلى الطاغية سانحة وهو  
باشيالية فعقد معه الصلح واستبلغ وأكث في الوفاء بهذه الشروط ووفدت رسول ابن الأجر على الطاغية  
وهو عنده لعقد السلم معه على قومه وبلاده دون أمير المسلمين وأن يكون معه يد واحدة عليه فأحضرهم  
الطاغية بعشر عبد الحق وأسمعهم ما تقدم مع أمير المسلمين على قومه وأهل ملته كافة وقال لهم انما أنتم  
عبيد آباءي فاستتم معي في مقام السلم والحرب وهذا أمير المسلمين على الحقيقة ولست أطيق مقاومته  
ولادفاعه عن نفسي فكيف عنكم فانصرفوا ولم يراى عبد الحق ميسله إلى رضا السلطان وسوس إليه  
بالوفادة عليه لتمكين الألفه وتسيحك العقدة وأراه مغبة ذلك في سبل السخيمة وتساكن الحفيظة فقال  
إلى موافقته وسأله لقي الأمير يوسف ولي عهد السلطان أولا ليطمئن قلبه فوصل إليه واقبه على فراخ  
من شريش وبانبعسك المسلمين هنالك ثم ارتحل من الغد للقاء السلطان يعقبوب وكان قد أمر الناس  
بالاحتفال للقاء الطاغية وقومه وأظهار شعائر الإسلام وأبته وان لا يلبسوا الا البياض فاحتفوا  
وتأهبوا وأظهروا عز الملة وشدة الشوكة ووفود الحامية وقدم الطاغية في جماعته سود اللباس خاضعين  
ذليلين فاجتمعوا بالامير بمصن الصخرات على مقربة من وادى لك وذلك يوم الاحد العشرين من شعبان  
سنة أربع وثمانين وستمائة وتقدم الطاغية فلقبه أمير المسلمين باحسن مبرة واتم كرامة يلقى بها مثله من  
عظماء الملل وقدم الطاغية بين يديه هدية من طرف بلاده أتخف بها السلطان وولى عهدة كان فيها زوج  
من الخيول الوحشي المسمى بالقبيل وجارة من حجر الوحش إلى غير ذلك من الطرف فقبلها السلطان  
وابنه وأضعفوا له المكافأة وكل عقد السلم وقبل الطاغية سائر الشروط ورضى بعز الإسلام عليه وانقلب  
إلى قومه على صدره من الرضا والمسرة وسأل منه السلطان أن يبعث إليه بكتب العلم التي بأيدي  
النصارى منذ استيلائهم على مدن الإسلام فبعث إليه منها ثلاثة عشر جلا فيها جملة من مصاحف  
القرآن الكريم وتفسيره كابن عطية والشعبي ومن كتب الحديث وشروحها كالتهذيب والاستذكار  
ومن كتب الأصول والفروع واللغة والعربية والأدب وغير ذلك فأمر السلطان رحمه الله بحملها إلى فاس  
وتحبيسها على المدرسة التي أسسها بالطلبة العلم وقفل السلطان فاحتل بقصره من الجزيرة اليتيم بقينا  
من شعبان ففضى صومه ونسك عيده وجعل من قيام ليلة جزأ المحاضرة أهل العلم وأعد الشعراء كلمات  
أنشدوها يوم عيد الفطر بمشهد الملا في مجلس السلطان وكان من أسبغهم في ذلك الميدان شاعر الدولة  
أبو فارس عبد العزيز المزوزي الأصل المكاسي الدار ويعرف بعزوزاتي بقصيدة طويلة من بحر الوافر  
على روى الباء المفتوحة المردوفة بالالف ذكر فيها سيرة السلطان وعزواته وعزوات بنيته وحفدته  
وامتدح قبائل هربين ورتبهم على منازلهم وذكر فضاهم وقيامهم بالجهاد وذكر قبائل العرب على  
اختلافها وأنشدت بحضرة السلطان والحاشية فأمر السلطان أن ينشأ بالقد دينار وخلاعة ولنشدها  
بمائتين دينار ثم عمل السلطان نظره في الثغور فرتب بها المسالخ وبعث ولده الأمير أبازيان منديلا



ليقف على الحديين أرضه وأرض ابن الأجر وعقد له على تلك الناحية وأترله بمحصن ذكوان قرب مالقة وأوصاه أن لا يحدث في بلاد ابن الأجر حدثا وعقد لعبيد بن أبي عباد الماصمي على مسلحة أخرى وأترله بأسطونة وأجاز ابنه الأمير يوسف إلى المغرب لتفقد أحواله ومباشرة أموره وأمره أن يبني على قبر والده أبي الملوك عبد الحق بتافرطاست زاوية فاخط هناك رباطا حفيدا لابني علي قبر الأمير عبد الحق وابنه إدريس أسنمة من الرخام وتقفها بالكاتب وترتب عليها قراءة لتلاوة القرآن ووقف على ذلك ضياعا وأرضاتسح حوث أربعين زوجا رحم الله الجميع بمنه

﴿وفاته السلطان يعقوب بن عبد الحق رحمه الله﴾

وفي آخر ذي القعدة من سنة أربع وثمانين وثمانمائة مرض السلطان يعقوب بن عبد الحق مرضه الذي توفي منه فلم يزل ألمه يشد وتحواله يضعف إلى أن توفي بقصره من الجزيرة الخضراء من أرض الأندلس في ضحى يوم الثلاثاء الثاني والعشرين من المحرم فاتح سنة خمس وثمانين وثمانمائة وحمل إلى رباط الفتح من بلاد العدو فدفن بمسجد شالة وقبره اليوم طامس الأعلام رحمه الله

﴿بقية أخبار السلطان يعقوب بن عبد الحق وسيرته﴾

كان السلطان يعقوب رحمه الله أبيض اللون تام القدم معتدل الجسم حسن الوجه واسع المنكبين كامل الحجة معتد لها أشيب نقي البياض حلما متواضعا جوادا مظفرا منصور الراية ميمون النقية لم يقصد جيشا الأهزمه ولا عدوا الاقهره ولا بلدا الا فتحه صواما قواما دائم الذكر كثير البر لا تزال سمعته في يده مقربا للعلماء مكرما للصالحاء صادرا في أكثر أموره عن رأيهم ولما استقام له الأمر بنى المستشفيات للمرضى والمجانين ورتب لهم الأطباء لتفقد أحوالهم وأجرى على السكك المرتبات والنفقات من بيت المال وكذا فعل بالجذمي والعمى والفقراء رتب لهم ما لا معلوما يقبضونه في كل شهر من جزية اليهود وبنى المدارس لطلبة العلم ووقف عليها الأوقاف وأجرى عليهم بها المرتبات كل ذلك ابتغاء ثواب الله تعالى نفعه الله بقصده

﴿الخبر عن دولة السلطان الناصر لدين الله يوسف بن يعقوب بن عبد الحق رحمه الله تعالى﴾

لما مرض السلطان يعقوب بقصره من الجزيرة الخضراء مرضه نساؤه وطيرن بالخير إلى ولي عهدده الأمير يوسف وكان يومئذ بالمغرب فاتصل به الخبر وهو باحوار فاس فأسرع السير إلى طنجة وقدمات أبوه قبل وصوله فاخذ البيعة له الوزراء والأشياخ ولما عبر إليهم البحر واحتن بالجزيرة جددوا له البيعة غرة صفر سنة خمس وثمانين وثمانمائة وأخذوه هاله على الكافة فاستتب ملكه واستقام أمره ففرغ في الأموال وأجزل الصلات وسرح السجون ورفع عن الناس الأخذ بزكاة الفطرو وكلهم فيها إلى أمانتهم وكف أيدي الطلبة والعمال عن الناس وأزال المكوس ورفع الأتزال عن دور الرعية وصرف اعتناءه إلى إصلاح السابلة فأزال أكثر الرتب والقبالات التي كانت بالمغرب إلا ما كان منها في الأقطار الخالية والمفازل المخوفة فخفضت من تحت قهره وصلاح أمر الناس في أيامه وكان أول شيء أحدث من أمره أن بعث إلى ابن الأجر وضرب له موعد الاجتماع به فبادر إليه ولقيه بظاهر مر بالة في العشر الأول من ربيع الأول من السنة المذكورة فلقاه السلطان مبرة وتكريما وتجا في له عن جميع الثغور الأندلسية التي كانت في ملكه أيه ونزل له عنهما عدى الجزيرة وورندة وطريف وتغرقا من مكانهما على أكل مالات المصافاة والوصلة ورجع السلطان يوسف إلى الجزيرة فقدم عليه بها وقد الطاغية سانية مجتدين عقد السلم الذي عقده لهم السلطان يعقوب رحمه الله ولما تمهد للسلطان يوسف أمر الأندلس عقد لآخيه أبي عطية العباس بن يعقوب على الثغور الغربية وأوصاه بضبطها وعهد للشيخ المجاهد أبي الحسن علي بن يوسف

ابن يزكان على مسلمتها وجعل اليه أمر الحرب وأعنة الخيل وأمدته بثلاثة آلاف من بني مرين والعرب  
ثم عبر البحر إلى المغرب يوم الاثنين سابع ربيع الآخر من السنة المذكورة فنزل بقصر الجواز ثم سار إلى  
حضرة فاس فدخلها ثاني عشر جمادى الأولى منها ولحين استقراره بمخرج عليه محمد بن ادريس  
ابن عبد الحق في بنيه وأخوته ومن انضم اليه ولحق بجبال ورغة ودعا لنفسه فسرح اليه السلطان يوسف  
أخاه أبا معرف محمد بن يعقوب فبداه في النزوع اليهم فلق بهم وشايعهم على رأيهم من الخلاف فأغزاهم  
السلطان يوسف عساكره وردد اليهم البعوت والكاتب ثم تطف في استئصال أخيه حتى نزل على  
الامان بفر بنو ادريس إلى تلسان فقبض عليهم ثم أثنى طريقهم ووجههم في الحديد إلى تازا فبعث  
السلطان يوسف أخاه أبا زيان فقتلهم خارج باب الشريعة منها في رجب من السنة ورهب الاعيان  
من بني عبد الحق يومئذ وخافوا بادرة السلطان يوسف فلقوا بغرناطة متلفين على بني ادريس منهم  
ثم ارتحل السلطان في رمضان من السنة المذكورة إلى مراکش لتمهيد نواحيها وتثقيف أطرافها  
فدخلها في شوال وأقام بها إلى رمضان القابل من سنة ست وثمانين وستمائة فنهض من مراکش لغزو  
عرب معقل بصحرى ادرعة لانهم كانوا قد أضروا بالرعايا وأفسدوا السابلة فسار اليهم في اثني عشر ألفا من  
الخييل وصر على بلاد هسكورة معترضاً جبل درن وأدركهم نواجع بالقفرة فأنخن فيهم بالقتل والسبي  
واستكثر من رؤسهم فعلقت بشرفات مراکش وسجلماسة وفاس وقفل من غزوه آخر شوال من السنة  
المذكورة إلى مراکش فكتب محمد بن علي بن محلي عاملها القديم الولاية بها من لندن انقراض الدولة  
الموحدية لما وقع من الارتباب بأولاد محلي بكثرة خروجهم على الدولة وكانت نكبتة غرة محرم سنة سبع  
وثمانين وستمائة وهلك في السجن في صفر الموالي له وعقد السلطان يوسف على مراکش وأعمالها محمد  
ابن عطاء الجبائقي من موالي دولتهم ولا علف وترك معه ابنه أبا عامر عبد الله بن يوسف ثم ارتحل  
السلطان يوسف إلى فاس فدخلها منته صفر ربيع من السنة المذكورة

وقدوم بني اشقبالة على السلطان يوسف بسلا واقطاعه اياهم قصر كتامة والسبب في ذلك

قد تقدم لنا ان بني اشقبالة كانوا من وجوه الاندلس وأهل الرياسة بها حتى صاهرهم ابن الاحرار بابتته  
وأخته وقاموا معه في اثبات قواعدهما ثم انخرقوا عنه إلى موالاته بني مرين ونزل محمد بن عبد الله بن  
أبي الحسن منهم إلى السلطان يعقوب عن مالقة وكان عمه أبو اسحق بن أبي الحسن صاحب وادي آش  
وأعمالها واتصل ذلك في بنيه إلى ان بويع السلطان يوسف فقاموا بدعوتهم فيها ثم حصلت المصافاة وتأكدت  
المودة بين السلطان يوسف وابن الاحرار على ما أسلفناه آنفا فطلب ابن الاحرار من السلطان يوسف ان ينزل  
له عن وادي آش التي هي لبني اشقبالة المتسكين بدعوتهم كما نزل له عن غيرهما من الثغور فأجاب السلطان  
إلى ذلك وكتب إلى أبي الحسن بن أبي اسحق بن اشقبالة يأمره بالتخلي له عنها فتركها له وعبر هو وحاشيته  
البحر إلى السلطان يوسف سنة سبع وثمانين المذكورة فلق به بدعوتهم سلا فاعطاه السلطان يوسف القصر  
الكبير وأعماله طعمه سوغه اياها فلم تزل ولا يتسه متوارثة في بنيه حتى انقرضوا آخر دولة بني مرين  
واستمكن ابن الاحرار من وادي آش وحصونها ولم يبق له بالاندلس منازع من قرابته والله أعلم

وحدوث العتنة بين السلطان يوسف وعثمان بن يعمر اسن بن زيان صاحب تلسان

قد تقدم لنا ان يعمر اسن لما حضرته الوفاة أوصى ابنه عثمان ان لا يحدث مع بني مرين حرباً ولا يوافقهم  
في زحف ما استطاع لاستغلاظ أمرهم عليه بل كهم المغرب الاقصى وأعماله وان عثمان قد عمل على ذلك  
فاوفد أخاه محمد بن يعمر اسن على السلطان يعقوب بالاندلس وعقد معه السلم ورجع إلى أخيه كما تقدم  
ولما ولي السلطان يوسف وقفل من مراکش إلى فاس في هذه المرة بعد ان ترك ابنه أبا عامر عبد الله

مع محمد بن عطاء عامل مراکش ثار أبو عامر المذكور بها وخلق طاعة أيبيه ودعا إلى نفسه وشايعه  
 ابن عطاء على ذلك واتصل الخبر بالسلطان يوسف وهو بفاس فاسرع السير إلى مراکش وبرز إليه ابنه  
 أبو عامر فاقتسلاوا ثم انهزم أبو عامر فعاد إلى مراکش واكتسح بيت المال بها وفر إلى تلمسان ومعه  
 ابن عطاء المذكور فقد ماها سنة ثمان وثمانين وستمائة فآواهم عثمان بن يعمر اسن ومهد لهم المكان  
 فلبثوا عنده مليا ثم عطفت السلطان على ابنه الرحم قرضي عنه وأعادته إلى مكانه وطالب عثمان  
 ابن يعمر اسن ان يسلم إليه ابن عطاء الناجم في النفاق مع ابنه فأبى من اضاءة جوارحه وانخفاء ذمته  
 وأغلظ له الرسول في القول فسطابه عثمان واعتقله فثارت من السلطان يوسف الحفائظ الكامنة  
 وتحركت منه الاحن القديعة والترغبات المتوارثة فاعتزم على غزو تلمسان ونهض اليها من مراکش  
 في صفر من سنة تسع وثمانين وستمائة بعد ان عقد عليها لابنه الامير أبي عبد الرحمن يعقوب بن يوسف  
 ثم نهض من فاس إليها آخر ربيع الآخر من سنة في عساكره وجنوده وحشد القبائل وكافة أهمل  
 المغرب وسار حتى نازل تلمسان فتح من منه عثمان وقومه بأسوارها فحاصره السلطان يوسف وضيق عليه  
 ونصب عليه المجانيق وكان حصاره اياها في رمضان من السنة المذكورة ثم سار في نواحيها ينسف  
 الاثار ويخرب القرى ويحطم الزروع ثم نزل بذراع الصابون من ناحيتها ثم انتقل منه إلى تاقمت  
 وحاصرها أربعين يوما وقطع أشجارها وأباد خضراءها ولما امتنع عليه أفرج عنها وانكفأ راجعا إلى  
 المغرب وقضى نسك الفطر بعين الصفا من بلاد بني يزناسن ونسك الأضحى وقربانه بتازا وتلبث بها أياما  
 ثم نهض منها إلى الأندلس بقصد الجهاد على ما ذكره

### ﴿ انتفاض الطاغية سانجة واجازة السلطان يوسف إليه ﴾

لم يرجع السلطان يوسف من غزو تلمسان وافاه الخبر وهو بتازا ان الطاغية سانجة قد انتقض ونبذ  
 العهد وتجاوز التخوم وأغار على الثغور فآو عز السلطان إلى قائد المسالخ بالاندلس علي بن يوسف بن يركان  
 بالدخول إلى دار الحرب ومنازلة شريش وشن الغارات على بلاد الطاغية فهض لذلك في ربيع الآخر  
 من سنة تسعين وستمائة وجاس خلالها وتوغل في أقطارها وأبلغ في النكابة ثم فصل السلطان يوسف  
 من تازا غازيا على أثره في جمادى الأولى من السنة المذكورة واحتل قصر مصمودة وهو قصر الجباز  
 واستنفر أهل المغرب وقبائله فنفروا وشرع في اجازتهم البحر فبعث الطاغية أساطيلها إلى الزقاق فجزأهم  
 دون الاجازة فآو عز السلطان يوسف إلى قواد أساطيلها بالسواحل بعمارته المقابلة أساطيل العدو وفعوا  
 وقدمت فالتقت مع أساطيل العدو ببحر الزقاق في شعبان من السنة فاقتتلوا وانكشف المسلمون  
 ومحصرهم الله وقتل قواد الأساطيل فآو عز السلطان يوسف باستئناف العمارة ثم أغزاهم ثانية فخامت  
 أساطيل العدو عن اللقاء وصاعدوا عن الزقاق فلكته أساطيل السلطان فجاز آخريات رمضان من السنة  
 واحتل بطريف ثم دخل دار الحرب غازيا فنزل حصن بجير ثلاثة أشهر وضيق عليهم وبث سرايا  
 في أرض العدو وردد الغارات على شريش واشيلية ونواحيها إلى ان بلغ في النكابة والأثخان غرضه  
 وقضى من الجهاد وطره وهجم عليه فصل الشتاء وانقطعت الميرة عن العسكر فافرج عن الحصن ورجع  
 إلى الجزيرة الخضراء ثم عبر إلى المغرب فاتح سنة احدى وتسعين وستمائة فتظاهر ابن الأحمر والطاغية على  
 منعه من الجواز مرة أخرى كما ذكره الآن

### ﴿ حدوث الفتنة بين السلطان يوسف وابن الأحمر واستيلاء الطاغية على ﴾

#### ﴿ طريف بظاهرة ابن الأحمر عليها ﴾

لما قفل السلطان يوسف من الأندلس وقد أباح في نكابة العدو كما قلنا عظم على الطاغية أمره وثقلت



عليه وطأته فشرع في أعمال الخيلة في الافساد بينه وبين ابن الاجر وكان ابن الاجر يتخوف من السلطان يوسف أن يغلبه على بلاده فخاص مع الطاغية نجيا وتفاوضا في أمر السلطان يوسف وان تمكنه من الاجازة اليهم انما هو لقرب مسافة بحر الزقاق وانتظام تغور المسلمين حفاقيه وتصرف شوانيهم وسقنهم فيه متى أرادوا فاضلا عن الاساطيل الجهادية وان أم تلك التغور هي طريف وانهم اذا استمكنوا منها منعوا السلطان من العبور وكانت عيناهم على الزقاق وكان أسطولهم يجر فائها رصدا الاساطيل صاحب المغرب الخائضة بلجة ذلك البحر فاعترم الطاغية على منازلة طريف وبها يومئذ مسلحة بني مرين وتكفل له ابن الاجر بمظاهرة على ذلك والترم له بالمدد والميرة للعسكر أيام منازلتها على ان تكون له ان خلصت للطاغية وتعاهدوا على ذلك وأنخ الطاغية بعساكر النصرانية على طريف وألح عليها بالقتال ونصب لآلات من المجانيق والعرادات وأحاط بها برا وبحرا وانقطع المدد والميرة عن أهلها وحالت أساطيل العدو بينهم وبين صريح السلطان واضطرب ابن الاجر معسكره بمالقة قريبا من عسكر الطاغية وسرب اليه المدد من الرجال والسلاح والميرة وأصناف الاقوات وبعث عسكر المنازلة حصن اسطبونة فتغلب عليه بعد مدة من الحصار واتصلت هذه الحال أربعة أشهر حتى أصاب أهل طريف الجهد ونال منهم الحصار فراسوا الطاغية في الصلح والتزول عن البلاد فصالحهم واستنزهم وتلكها آخر يوم من شوال سنة احدى وتسعين وستمائة ووفى لهم بما عاهدهم عليه واستشرف ابن الاجر الى تجافي الطاغية له عنها حسب ما تعاهد اعليه فأعرض عن ذلك واستأثر بها بعد ان كان نزل له عن ستة من الحصون عوضا عنها فخرج من يده الجميع ولم يحصل له على طائل فكانت حاله في ذلك كحال صاحبة النعامة المضروب بها المثل عند العرب وبالله تعالى التوفيق

### ثورة عمر بن يحيى بن الوزير الوطاسي بحصن تاز ووطاس

(اعلم) ان بني وطاس نخدم من بني مرين لكنهم ليسوا من بني عبد الحق وكانت الرياسة فيهم لبني الوزير منهم وبنو الوزير يزعمون ان نسبهم دخيل في مرين وانهم من أعقاب يوسف بن تاشفين اللتوني لحقوا بالبادية وتزلوا على بني وطاس فالتحموا بهم ولبسوا جلدتهم وحازوا رياستهم وادخل بنو مرين المغرب واقتسموا أعماله كما قدمنا بقيت بلاد الريف خالصة لبني وطاس هؤلاء فكانت ضواحيها لتزولهم وأمصارها ورعاياها لجلبايتهم وكان حصن تاز ووطاس من أمنع معاقل المغرب ولما غلب الامير أبو بكر بن عبد الحق على مكاسة وأقام فيها دعوة الحفصيين ونهض السعيد بن المأمون الموحدى من مراکش لقتله فرأى امامه الى حصن تاز ووطاس هذا ونزل به على بني الوزير هؤلاء لاجيا اليهم ومستجيرابهم فارادوا القتال به غيرة منه وحسد له فشرعهم وتحول عنهم الى عين الصفا من بلاد بني يزناسن حسبما تقدم ذلك كله ولما انقضى أمر بني عبد المؤمن واستقام ملك المغرب لبني مرين صرفوا عنايتهم الى هذا الحصن فكانوا ينزلون به من الحامية من يتقون بغنائه واضطلاعه ليكون آخذا بناصية هؤلاء الرهط من بني وطاس لما يعلمون من سموهم الى الرياسة وتطاعهم اليها وكان السلطان يوسف رحمه الله قد عقد على هذا الحصن لابن أخيه منصور بن عبد الواحد بن يعقوب وكان عمر وعامر ابنا يحيى بن الوزير رئيس بن علي بن وطاس لذلك العهد فاستهزوا أمر السلطان يوسف بعد موت والده وحدثوا أنفسهم بالثورة في ذلك الحصن والاستبداد بتلك الناحية فوثب عمر بن يحيى منهم بمنصور بن عبد الواحد في شعبان من سنة احدى وتسعين وستمائة وقتك بحاشيته ورجاله وأزججه عن الحصن وغلبه على ما كان بقصره من مال وسلاح ومتاع وأعشار للروم كانت مخزنة هناك وضبط الحصن ونهضت برجاله ووجه قومه ولحق منصور ابن عبد الواحد بعمر السلطان يوسف فهلك الليال أسفا على ما أصابه وسرح السلطان يوسف وزيره الناصح أبا علي عمر بن السعود بن خرياش الحشمي بالحاء المهمل في العساكر لمنازلة حصن تاز ووطاس فاناخ

عليه بكلكاه ثم تبعه السلطان يوسف على أثره وفي صحبته عامر بن يحيى بن الوزير أخو عمر الثائر فإنه كان قد نزع إليه فاحاط السلطان بالحصن وضيق عليه حتى أشفق عمر لشدة الحصار ويثس من الخلاص وظن انه قد أحيط به قدس الى أخيه عامر في كشف ما نزل به فضمن عامر للسلطان يوسف نزول أخيه ان هو تركه يصعد اليه حتى يجتمع به فاذن له السلطان يوسف في ذلك فصعد اليه وتفاوضا في أمرهما وآخر الأمر ان عمر احتل الذخيرة وفر ليل الى تلمسان وبدا العامر في النزول عند ما صار في الحصن فامتنع به قيل لانه بلغه ان السلطان يوسف عزم على قتله أخذ ابشار ابن أخيه منصور ولاقلاته أخاه من يده واستمر على ذلك الى ان قدم على السلطان يوسف وقد الاندلس وفيهم الرئيس أبو سعيد فرج بن اسمعيل بن الاجر صاحب مالقة وراغباني الصلح مع ابن عمه ومعتذرا عنه فارسي أساطيله بمرسي غسامة ونزل الى السلطان وقدم بين يديه هدية تناسب الحال فسمع بهم عامر الوطاسي وهو في الحصن فبعث اليهم يسألهم الشفاعة له عند السلطان يوسف لو جاهتهم لديه فشفع له الرئيس أبو سعيد فقبل السلطان يوسف شفاعته بشرط ان ينتقل بجاشيته الى الاندلس وكره عامر ذلك فاطهر الرضا وقدم بين يديه جماعة من حاشيته الى المرسي وركب أكثرهم الاسطول وتأخر عامر الى جوف الليل فنزل من الحصن وخاض القلعة الى تلمسان فبعث الخليل أثره فقاتهم وأدركوا اولاده أبا الخليل فجي به الى السلطان يوسف فبعث به الى فاس فضربت عنقه وصاب هنالك وأنزل السلطان يوسف بقية الحاشية من الاسطول فأمر بهم فاستلموا مع من كان بالحصن من أتباعهم وقرابتهم وذرياتهم وتلك السلطان يوسف حصن تازوطا وأنزل به عماله ومسلكه وقفل الى حضرته بفاس آخر جمادى الاولى من سنة اثنتين وتسعين وستمائة ولما كان السلطان نازلا على تازوطا قدم عليه رجل من فرنج جنوة بهدية جلية فيها شجرة موهبة بالذهب عليها طيار تصوت بحركات هندسية مثل ما صنع للتوكل العباسي وفي هذه المدة سعى عند السلطان يوسف باولاد الامير أبي بكر بن عبد الحق وانهم أرادوا الخروج عليه فخذ عليهم لذلك وأحسوا بالشرف ففروا الى تلمسان وأقاموا هنالك الى ان بعث السلطان يوسف اليهم بالامان فاقبلوا حتى اذا كانوا بصيرة من ناحية ملوية اعترضهم الامير أبو عامر عبد الله ابن السلطان يوسف فاستلمهم أجمعين وهو يرى انه قد أرضى أباه بذلك الفعل واتصل الخبر بالسلطان يوسف فسخطه وأقصاه وتبرأ منه فلم يزل طريقا يلاذ الى ريف وجبال غمارة الى ان هلك بيني سعيد منهم آخر سنة ثمان وتسعين وستمائة وحمل الى فاس فدفن بالزاوية التي داخل باب الفتوح وخلف ثلاثة اولاد عامر او سليمان وداود فكفلهم جدتهم السلطان يوسف الى ان هلك فولى الامر بعده حافده عامر وبعد عامر سليمان وسبأ في ذكرهما ان شاء الله

#### في انعقاد الصلح بين السلطان يوسف وابن الاجر ووفادته عليه بطنجة

لما استولى الطاغية على طريق بظاهرة ابن الاجر له عليها ونقض الطاغية عهد ابن الاجر في النزول له عنها سقط في يد ابن الاجر وندم على فعله ورجع الى التمسك بالسلطان يوسف فاوعد عليه ابن عمه الرئيس أبو سعيد فرج بن اسمعيل وزيره أبا سلطان عزيز الداني في وفد من أهل حضرته لتجديد العهد وتأكيده المودة وتقرير المذرة عن شأن طريق فوافقوه بمكانه من حصار تازوطا كما قدمنا قارمو العقد وأحكموا الصلح وانصرفوا الى ابن الاجر سنة اثنتين وتسعين وستمائة باسفاق غرضه من المواخاة واتصال اليد فوق ذلك منه أجلس موقع وطار سرورا من اعواده وأجمع الرحلة الى السلطان لاكمال العقد والاستبلاغ في العذر عن واقعة طريق والرغبة اليه في نصرته بلاد الاندلس وإفائة المسلمين الذين بها فتهيا لذلك وعبر البحر في ذي القعدة من سنة اثنتين وتسعين وستمائة واحتل بجبل بنيونش من ناحية سبتة ثم ارتحل الى طنجة فلقبه بها الامير ان أبو عامر عبد الله وأبو عبد الرحمن يعقوب ابنا السلطان يوسف وكان أبو عامر لا زال يومئذ من أيه بعين الرضا ولما علم السلطان يوسف بقدمه خرج من فاس للقائه وبرور

مقدمه فوافاه بطبحة فقدم ابن الاجر بين يدي نجواه هدية اتخف بها السلطان يوسف كان من أحسنها  
موقعا ليه المصحف الكبير الذي يقال انه مصحف أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه كان بنو أمية  
يتوارثونه بقرطبة ثم نخلص الى ابن الاجر فاتخف به السلطان يوسف في هذه المرة فقبل السلطان ذلك  
وكافاه بأضعا فقه وبالغ في تكريمته وأسعفه بجميع مطالبه وأراد ابن الاجر ان يبسط العذر عن شأن  
طريف فتجافى السلطان يوسف عن سماع ذلك وأضرب عن ذكره صفا وبر وأحقي ووصل وأجزل ونزل  
لابن الاجر عن الجزيرة ووردة والغربية وعشرين حصان من ثغور الاندلس كانت قبل في ملكته وملكة  
أبيه وعاد ابن الاجر الى أندلسه آخر سنة اثنتين وتسعين وستمائة محبوا ومحبورا وعبرت معه عساكر  
السلطان يوسف لحصار طريف ومنازلته وعقد على حربها الوزير الشهير المذكور عمر بن السعود بن خرياش  
الحشمي فتازلها مدة فامتعت عليه وأفرج عنها وفي سنة ثلاث وتسعين بعدها فرغ السلطان يوسف  
من بناء جامع تازا وعلقت به الثريا الكبرى من النحاس الخالص وزنها اثنان وثلاثون قنطارا وعدد كوسها  
خمسمائة كاس وأربعة عشر كاسا وأنفق السلطان في بناء الجامع وعمل الثريا المذكورة ثمانية آلاف  
دينار ذهباً وفي سنة أربع وتسعين بعدها خرج السلطان يوسف لغزو تلمسان فوصل الى تاوريرت وكانت  
تخالفه مل بن مريم وبنو عبد الواد فنصفها السلطان يوسف ونصفها العثمان بن يعمر اسن ولسكل واحد  
منها بمعامل من ناحية فطرد السلطان يوسف عامل ابن يعمر اسن وشرع في بناء الحصن الذي هنالك  
فادار سورته وشيده وركب أبوابه مصفحة بالحديد وكان يقف على بيانه بنفسه من صلاة الغداة الى المساء  
لا يغيب عن العسيلة الا في أوقات الضرورة وفرغ من بيانه وتحصينه في رمضان من السنة المذكورة  
ولما تم تحصينه بالعسكر والسلاح وعقد عليه لآخيه أبي بكر بن يعقوب ويكنى أبا يحيى وانكفأ راجعا الى  
الحضرة ثم خرج من فاس سنة خمس وتسعين بعدها بقصد تلمسان فسار حتى نزل على ندرومة فحاصرها  
وشدد في قتالها ورمها بالنجنيق أربعين يوما فامتعت عليه فافرج عنها ثاني عيد الفطر من السنة  
المذكورة ثم دخلت سنة ست وتسعين وستمائة فسار الى تلمسان وبرز عثمان بن يعمر اسن لمدافعتهم فانهم  
وتحصن بالاسوار وتقدم السلطان يوسف حتى نزل على تلمسان وقتل من أهلها خلقا ثم أقطع عنها ورجع الى  
المغرب فقتل نسك الاضحى من السنة المذكورة برباط تازا وأمر ببناء القصر بها وسار الى فاس فدخلها  
فاتح سنة سبع وتسعين وستمائة ثم ارتحل الى مكاسة فقتل بها بعض الوطير ثم عاد الى فاس ثم خرج منها  
في جادى الاولى من السنة المذكورة غازيا تلمسان ومرفى طريقه بمدينة وجدة فامر ببينائها وكان أبوه  
السلطان يعقوب قد هدمها كما مر قبناها السلطان يوسف في هذه المرة وحصن أسوارها وبنى بها قسبة  
ودار السكاه وحماما ومسجدا ثم سار الى تلمسان فقتل بسا حنطار وأحاطت عساكرها بالحطة الهائلة بالتممر  
ونصب عليها القوس البعيدة الترع العظيمة الهيكل المسماة بقوس الزيار اخترعها المهندسون والصناع  
وتقربوا الى السلطان بعملها فاجتبه وكانت تحمل على احد عشر بغلا ولما امتعت تلمسان عليه أفرج  
عنها فاتح سنة ثمان وتسعين وستمائة ومرفى عوده الى المغرب بوجدة فأنزل بها الحمامية من بني عسكر بن محمد  
لنظر أخيه الامير أبي بكر بن يعقوب كما كانوا تاوريرت وأمرهم بشن الغارات على أعمال تلمسان مع  
الساعات والاحيان ففعلوا واستولى الامير أبو بكر بذلك على أكثر تلك الجهات والله تعالى أعلم

وقتكه ابن الملياني بشيوخ المصامدة وتزويره الكتاب بهم والسبب في ذلك

قد تقدم لنا عند الكلام على فتح جبل تينغل ان أبا علي الملياني كان قد سعى في نبش قبور بني عبد المؤمن  
والعبث بآثارهم وان الناس قد غاظهم ذلك لاسيما المصامدة منهم ولما هلك السلطان يعقوب وولي بعده  
ابنه يوسف استعمل أبا علي الملياني على جباية المصامدة فباشرها مدة ثم سعى به شيوخ المصامدة عند  
السلطان بأنه احتمن المال لنفسه فأمر السلطان بحماسته فحوسب وظهرت مخايل صدقهم عليه فنسبته



السلطان يوسف أولاً ثم قتله نانيا واصطنع ابن أخيه أبا العباس أجد بن علي للملياني واستعمله في كتابته وأقامه بيابه في جملة كتابه وكان السلطان يوسف قد سخط على بعض شيوخ المصامدة منهم علي بن محمد كبير هنتاتة وعبد الكريم بن عيسى كبير قديمية وأوعز إلى ابنه الأمير علي بن يوسف بمرأ كش باعتقالهما فاعتقلهما فيمن لهما من الولد والحاشية وأحسن بذلك أجد بن الملياني فاستجمل الثار الذي كان يعتده عليهم في عهد أبي علي وكانت العلامة السلطانية يومئذ موكولة إلى كتاب الدولة لم تخصص بواحد منهم لما كانوا كلهم ثقات أمتاء وكانوا عند السلطان كاستنان المشط فكتب أجد بن الملياني إلى الأمير أبي علي كتابا على لسان والده يأمره فيه أمر اجزما بقتل مشيخة المصامدة ولا يجهلهم طرفة عين ووضع عليه العلامة التي تنفذها الأوامر السلطانية ونخم الكتاب وبعث به مع البريد **يقال ابن الخطيب** ولما أكد علي حامله في الجهل وضايقه في تقدير الاجل تأتي حتى اذا علم انه قد وصل وان غرضه قد حصل فرأى تلسان وهي بحال حصارها فاتصل بانصارها حالاً بين أنوفها وأبصارها وتجهب الناس من قراره وسوء اغتراره ورجت الطنون في آثاره ثم وصلت الاخبار بتمام الحيلة واستيلاء القتل على اعلام تلك القبيلة فتركها شنعاء على الايام وعار في الاقاليم على جملة الاقلام اه ولما وصل الكتاب إلى ولد السلطان أخرج أولئك الرهط المعتقلين إلى مصارعهم وحكم السيف في رقاب جميعهم فقتل علي بن محمد المنتاقى وولده وعبد الكريم بن عيسى القديمي وبنوه الثلاثة عيسى وعلي ومنصور وابن أخيه عبد العزيز بن محمد وطير الأمير علي بالاعلام إلى والده مع بعض وزرائه وهو يرى انه قد امتثل الأمر واستوجب الشكر فلما وصل الرسول بالخبر إلى السلطان يوسف بطش به فقتله غيظاً عليه وأنفذ البريد في الحال باعتقال ولده وقام وقد لذلك ومن ذلك الوقت قصر السلطان علامته علي من يختاره من ثقات الكتاب وعدولهم وجعلها يومئذ لفقهاء الكتاب أبي محمد عبد الله بن أبي مدين وكان من الكهامة المضطلمين بأمور الدولة المتحملين للكثير من أعبائها وأما ابن الملياني فإنه فر إلى تلسان والسلطان يوسف محاصر لها ولما وقع الافراج عنها بعد حين انتقل إلى الاندلس فبقي هناك إلى ان توفي بغرناطة سنة خمس عشرة وسبعمائة ومن شعره يفخر بهذه الفعلة وغيرها قوله

العزم اضربت عليه قباني \* والفضل ما اشتمت عليه ثيابي  
والزهر ما أهدها غصن يراعتي \* والمسك ما أبداه نفس كتابي  
فالمجد يمنع أن يراحم موردي \* والعزم يأبى ان يضام جنابي  
فاذا بلوت صنيعه جازيتها \* بجميل شكري أو جزيل ثوابي  
واذا عقدت مودة أجريتها \* مجرى طعامي من دمي وشرابي  
واذا طلبت من الفراق والسهي \* ثارا فاشك أن أنال طلابي

**الحصار الطويل وما تخلل ذلك من الاحداث على تلسان**

تقدم لنا ان السلطان يوسف لما رجع من محاصرة تلسان فاتح سنة ثمان وتسعين وستمائة مر في طريقه بوجوده فانزل بها الحامية من بني عسكر إلى نظر أخيه الأمير أبي بكر وأمره بشن الغارات على أعمال بني زيان فامتثل الأمير أبو بكر أمره وألح على النواحي بالغارات وافساد السابلة فضاقت أهل ندرومة بذلك ذرعا وأوفدوا وفد منهم إلى الأمير أبي بكر يسألونه الامان لهم ولبن ورائهم من قومهم على ان يمكنوه من قياد بلادهم ودينوا بطاعة السلطان يوسف فبذل لهم من ذلك ما أرضاهم ونهض إلى البلد فدخله بعسكره وتبعهم على ذلك أهل تاونت فأوفد الأمير أبو بكر جماعة من أهل البلدين إلى أخيه السلطان يوسف فقدموا عليه منتصفي رجب من سنة ثمان وتسعين المذكورة فأدوا طاعتهم وقبلها ورغبوا اليه في الحركة إلى بلادهم ليريمهم من ملائكة عدوه وعدوهم عثمان بن يغمراسن ووصفوا له من

عسفه وجوره وضعفه عن الحماية ما كدعزمه على النهوض قهض لحينه من قاس في رجب المذكور بعد ان استكمل حشده ونادى في قومه وعرض عسكره وأجزل أعطياتهم وأزاح عنهم وسار في التعبئة حتى نزل بساحة تلمسان ثاني شعبان سنة ثمان وتسعين وستمائة فأناخ عليها بكل كاه وربض قبالتها على تراثه وأنزل محنته بنائهم وأحاط بجميع جهاتهم وتحصن بغير اسن وقومه بالجدران وعولوا على الحصار ولما رأى السلطان يوسف ذلك أدار سوراً عظيماً جعله سبياً على تلمسان وما اتصل بها من العمران وصيرها في وسطه ثم أرفق ذلك السور من وراثه بحفير بهيد المهوى وفتح فيه مداخل الحرب ورتب على أبواب تلك المداخل مسالماً تحرسه وأعد باله قباب من يختلف الى تلمسان برفق أو يتللى اليها بقوت وأخذ يخنفها من بين يديها من خلفها حتى لم يخلص اليها الطير لابل الطيف واستمر مقيماً عليها كذلك مائة شهر ولما دخلت سنة اثنتين وسبعمائة اختط الى جانب ذلك السور بركان فسطاطه وقبابه قصرًا لسكناه واتخذ به مسجد الصلاة وأدار عليها سوراً يحرسها ثم أمر الناس بالبناء حول ذلك فبنوا الدور الواسعة والمنازل الرحبية والقصور الانيقة واتخذوا البساتين وأجر والمياه وأمر السلطان باتخاذ الحمامات والفنادق والمارستان وابتنى مسجداً جامعاً قامه على الصهرج الكبير وشيد له مناراً رفيعاً وجعل على رأسه تقاقج من ذهب صير عليها سبعمائة دينار ثم أدار السور على ذلك كله فصارت مدينة عظيمة استبحر عمرانها ونفقت أسواقها ورحل اليها التجار بالبضائع من جميع الآفاق وسماها المنصورة فكانت من أعظم أمصار المغرب وأحفلها الى ان خرّجها آل بغير اسن عند مهلك السلطان يوسف وارتحال جيوشه عنها ولما تمكن السلطان يوسف من حصار تلمسان سرح كتابه وسراياه في أعمالها وحصونها فاستولى في مدة قريبة على ندرومة وهنين ووهران وتالموت وتامر دكت ومستغانم وتنس وشرشال وبرشك والبطحاء ومازونة وواتشريس ومليانة والقصبات ولدية وتافر جينت وجميع بلاد بني عبد الواد وبلاد بني توجين وبلاد مغراوة وبادية ابن علان صاحب الجزائر وأخذ رعبه بملوك النواحي وكانت دولة بني أبي حفص يومئذ قد انقسمت بقسمين فصار كرسى منها بتونس وآخر بجاية فتنافس صاحب تونس وصاحب بجاية في مصانعة السلطان يوسف والتقرب اليه بالهدايا والتحف وصار السلطان يوسف في ذلك الوقت ملك المغرب على الحقيقة والاطلاق والله غالب على أمره

### بنو نكبة بن وقاصه من يهود قاس

كان بنو وقاصه هؤلاء من يهود ملاح قاس وكانوا مداخلين للسلطان يوسف من صغره الى كبره وكانوا يتولون قهرمة داره ويقضون أموره الخاصة به ويخلصون الى الكثير من باطن أمره قدا التخموا به الثماما وامترجوا به امترجا يجالسونه في خلواته وينادونه في ساعة أنسه فعظم جاههم عند الحاشية لاقبال السلطان عليهم واستبغوا الوزراء في دنونهم من رجال الدولة وتعددت فيهم الرؤساء والقهارمة فكان منهم خليفة بن وقاصه وأخوه ابراهيم وصهره موسى بن السبتي وابن عمه خليفة الاصغر وغيرهم واستمروا على ذلك برهة من الدهر ثم ان السلطان يوسف استفاق استفاقة والتفت اليهم التفاتة وراجع بصيرته في شأنهم فاهم أمرهم وشعر كاتبه بذلك القائم بما ورد دولته أبو محمد عبد الله بن أبي مدين فسبحى عنده فيهم وأوجد السبيل عليهم فسطابهم سطوة منكروا واعتقلوا في شعبان من سنة احدى وسبعمائة بمسكرة من حصار تلمسان وقتل خليفة الكبير وأخوه ابراهيم وموسى بن السبتي وأخوته بعد ان امتحنوا ومثل بهم وأنت النكبة على حاشيتهم وأقاربهم فلم يبق منهم باقية الا أن السلطان استبق منهم خليفة الاصغر فاحتقار شأنه حتى كان من قتله بعد ما نذكره وعبث بسائرهم وطهرت الدولة من رجسهم وأزبل منها معرفة رياستهم والامور بيد الله سبحانه ثم لما كانت سنة ثلاث وسبعمائة توفي عثمان ابن بغير اسن في الحصار عقب شربه لبن يقال انه جعل فيها سما وشربه فعل ذلك بنفسه تغاديا من معرفة

غلبة عدوه عليه فاجتمع بنو عبد الواد لحينهم وبايعوا ابنه محمد بن عثمان واجتمعوا عليه ثم برزوا الى قتال  
عدوهم على العادة حتى كان عثمان لم يمت وبلغ الخبر الى السلطان يوسف فتفجع على عثمان وعجب من  
صرامة قومه من بعده

### انتقاض ابن الاحمر واستيلاء الرئيس أبي سعيد على سبته

كان محمد بن الاحمر المعروف بالفقيه قد هلك سنة احدى وسبعمائة وولى الامر بعده ابنه محمد المعروف  
بالخلويع واستبد عليه كاتبه أبو عبد الله محمد بن الحكيم الرندي وكان من أول ما فعله محمد الخلويع بعد استقلاله  
بالامر المبادرة الى احكام عقد الموالاتة بينه وبين السلطان يوسف فاودع عليه وزيره أبيه أبا سلطان  
عبد العزيز بن سلطان الداني ووزيره الكاتب أبا عبد الله بن الحكيم فوصلوا الى السلطان يوسف بعسكره  
من حصار تلمسان فتلقاهم بالقبول والمبرة ووجدت لهما أحكام الود والولاية وانقلبا الى مرساهم اخير  
منقلب وطلب السلطان منهما أن يمدوه بالرجل من عسكر الاندلس وناشبتهم المعودين منازلة الحصون  
والمناغرة بالباط فأسعفوه ثم فسدا ما بينهما المناقسات جرت الى ذلك فانقض ابن الاحمر وعاد لسنة سلفه  
من موالاتة الطاغية وعملاته على المسلمين أهل المغرب وأحكام العهد مع هراندة بن سنانجة من  
بنى اذفونش ملوك قشتالة خذلهم الله ثم أو عز ابن الاحمر الى ابن عمه الرئيس أبي سعيد فرج بن اسمعيل  
صاحب مالقة في أعمال الجبلية في الغدر بأهل سبته ففعل ودخل في ذلك بعض عمال بني العزفي بها  
فأمكنه من البلد فاقحمها باسطيله وجنده على حين غفلة من أهلها وتقبض على بني العزفي وعلى  
حاشيتهم وأركبهم الاسطول وبعث بهم الى مالقة ثم منها الى غرناطة فتلقاهم ابن الاحمر واحتفل لهم  
وأزلهم بقصوره وأجرى عليهم النفقة واستقر وابلاندلس برهة من الدهر ثم عادوا الى المغرب كما نذ كر  
واستبد الرئيس أبو سعيد بامر سبته وتقف أطرافها وستتغور رها وبلغ الخبر بذلك الى السلطان يوسف  
فحفي أنه وعظم عليه الامر فبعث ولده الامير أبا سالم ابراهيم في جيش كثيف الى حصارها وحشد  
اليها قبائل الريف وقبائل تلمسان في شياور جمع مهزوم ما فسخطه السلطان لذلك وأهله وبقي على ذلك  
الى وفاة السلطان رحمه الله وكان انتقاض ابن الاحمر سنة ثلاث وسبعمائة

### ثورة عثمان بن أبي العلاء بجبال غمارة

كان عثمان بن أبي العلاء ادريس بن عبد الله بن عبد الحق من اعيان الملك الربني وكان قد قدم من  
الاندلس في صحبة الرئيس أبي سعيد عند استيلائه على سبته ثم ثار بعد ذلك ببلاد غمارة ودعا لنفسه وبقى  
منتقلا هنالك مدة فتغلب على تكساس وأصمبلا والعرايش وانتهى الى قصر كتامة وخب في الفتنة  
 ووضع الى ان لحق بالاندلس لاول دولة السلطان أبي الربيع فولى بها مشيخة الغزاة وكانت له في جهاد  
العدو اليد البيضاء كما سيأتي ان شاء الله وفي سنة ثلاث وسبعمائة بعث السلطان يوسف وهو محاصر  
لتلمسان ركب الحاج المغربي الى الحرمين الشريفين واعتنى بشأن هذا الركب فبعث معهم حامية من  
زناتة تناهز جسمائة فارس من الابطال وخطب صاحب الديار المصرية لعهدده وهو الملك الناصر محمد  
ابن قلاوون الصالحى من عماليك بني أيوب المعروفين بالبحرية وأستوصاه بحاج أهل المغرب وأتخذه  
بهديفة استكثرت فيها من الخيل العرب والمطايا الفارسة يقال كان عدد الخيل أو المطايا بأربعمائة الى غير  
ذلك مما يناسب من طرف المغرب وما عونه وبعث معهم الى حرم مكة مع حفاز ضمما اعتنى به واستكتبه وجعل  
له غشاء مكللا بنفيس الدر وشريف الياقوت ورفيع الاحجار ونهج السلطان يوسف رحمه الله بهذا الركب  
والهدية السبيل لحاج المغرب فاجعوا الحج سنة أربع بعدها فاجتمع منهم عدد وانفروا ركب ضخم فعقد  
السلطان يوسف على دلائهم لابي زيد الغفارى وفضلا ومن تلمسان في شهر ربيع الاول من السنة



المذكورة وفي شهر ربيع الآخر بعده قدم حاج الركب الاول الذين جاؤا بالمصحف والهدية ووقدمهم على السلطان يوسف شريف مكة السيد ليبة بن أبي غني نازعا عن سلطان الترك صاحب مصر لما كان قد قبض على أخويه جيزة ورمية بعد مهالك أيهم أبي غني صاحب مكة فاستبلغ السلطان يوسف في اكرامه والتتويه بقدره وسرّحه الى المغرب ليحول في أقطاره ويطوف على معالم الملك وقصوره وأوعز الى العمال بالبرور به واتحافه على ما يناسب قدره ورجع هذا الشريف الى حضرة السلطان من تلسان سنة خمس وسبع مائة ثم فصل منها الى مشرفه وفي شعبان من هذه السنة قدم أبو زيد الغفاري دليل ركب الحاج الثاني ومعه بيعة الشرفاء أهل مكة للسلطان يوسف لما كان صاحب مصر قد آسفهم بالتقبض على اخوانهم وكان ذلك شأنهم متى غاظهم السلطان وأهدوا الى السلطان يوسف ثوبان من كسوة الكعبة أعجب به فاتخذ منه ثوبا لبوسه في الجمع والاعياد كان يستبطنه بين ثيابه تبركاه ~~بجوار~~ وأما الملك الناصر صاحب مصر فإنه كافأ السلطان يوسف على هديته بان جمع من طرف بلاد المشرق ما يستقرب جنسه وشكله من الثياب والحيوانات ونحو ذلك مثل الفيل والزرافة ونحوهما وأوقده مع عظماء دولته وفضلوا من القاهرة آخر سنة خمس وسبع مائة فوصلوا الى السلطان يوسف وهو بالمنصورة في جادى الآخر سنة ست بعدها واهتز لقدمهم وأركب الناس للقيهم وأكرم وفادتهم وبعثهم الى المغرب للتطوف به على العادة في مبرة أمثالهم وهلك السلطان يوسف أثناء ذلك وأفضى الامر الى طاقده أبي ثابت فاحسن منقلبهم وملا حقايبهم وفضلوا من المغرب الى بلادهم في ذى الحجة من سنة سبع وسبع مائة ولما انتهوا الى بلاد بني حسن في ربيع من سنة ثمان بعدها اعترضتهم الاعراب بالقفر فانتهبوهم وخلصوا الى مصر بجزيرة الذقن فلم يعاودوا بعدها الى المغرب سفرا ولا لفتوا اليه وجهها وطلما أوقد عليهم ملوك المغرب بعدها من رجال دولتهم من يوبه له ويمادونهم ويكافون ولا يزيدون في ذلك كله على الخطاب شيئا

### وفاة السلطان يوسف رحمه الله

كان السلطان يوسف بن يعقوب بن عبد الحق رحمه الله قد اتخذ في جملة حاشيته وعماليكه خصيا اسمه سعادة وكان هذا الخصي قد نصير اليه من جهة أبي علي الملباني أيام كان عاملا له على مرا كش وكان السلطان يوسف في ابتداء أمره يختلط بالخصيان بأهله ولا يجيبهم عن حرمه وعياله ثم حدثت للسلطان ريبة في بعض الخصيان فاعتقل جملة منهم كان فيهم عنبر الكبير عرفهم وحبب سائرهم فارتاعوا لذلك وفسدت نياتهم فسوت لهذا الخصي الخبيث نفسه الشيطانية الفتك بالسلطان فعمد اليه وهو في بعض حجر قصره فاستأذن عليه فأذن له فألقاه مستلقيا على فراشه مختضبا بجناء فوثب عليه وطقنه طعنات قطع بها معاءه وخرج هاربا وانطلق بعض الاولياء في أثره فأدركه من العشي بناحية ناسلة فقبض عليه وجى به الى القصر فقتلته العبيد والحاشية وصار السلطان يوسف منيته الى آخر النهار ثم قضى رحمه الله يوم الاربعاء سابع ذى القعدة من سنة ست وسبع مائة وقبر هنالك ثم نقل بعدما سكنت الهبة الى مقبرتهم بشالة فدفن بهم مع سلفه وأطلال ضريحه لازالت ماثلة الى الآن وبموت السلطان يوسف انقضت مدة الحصار عن آل يعمر اسن وقومهم من بني عبد الواد وسائر أهل تلسان وكانت المدة في ذلك مائة شهر كما قلنا ناله من الجهد والشدة ما لم ينل أمة من الامم واضطر والى أكل الجيف والقطوط والغيران حتى انهم أكلوا فيها أشلاء الموتى من الناس ونحو السقوف للوقوف ودغلت أسعار الاقوات والحبوب وسائر المرافق بما تجاوز حد العادة وعجز وجددهم عنها فكانت مكال القمح ومقداره اثنا عشر رطلا ونصف مثقالين ونصف من الذهب العين وثمان الشخص الواحد من البقرتين مثقالا ومن الضأن سبعة مثاقيل ونصفا وثمان اللحم من الجيف الرطل من لحم البغال والخيبر ثمن المثقال ومن الخليل بعشر

المنقال والرطل من الجلد البقرى، يته أو مذكي بثلاثين درهما والهر الداجي بمنقال ونصف والكلب  
بمثله والفار بعشرة دراهم والحبة بمنقال ذلك والدجاجة بثلاثين درهما والبيض واحدة بسبعة دراهم  
والعصافير كذلك والاقية من الزيت باثني عشر درهما ومن السمن بمثلها ومن الشمع بعشرين درهما  
ومن الملح بعشرة دراهم ومن الحطب كذلك والاصيل الواحد من الكرنب بثلاثة أثمان المنقال ومن  
الخمس بعشرين درهما ومن اللفت بخمسة عشر درهما والواحدة من القناء والفقوس بأربعين درهما  
والخيار بثلاثة أثمان الدينار والبطيخ بثلاثين درهما والحبة من التين والاجاص بدرهمين واستهلك  
الناس أموالهم وموجودهم وضائق أحوالهم وهلكت حاميتهم فاعتزموا على الالتقاء باليد والخروج  
للاستماتة فهدى الله لهم الصنع الغريب ونفس عن مخنقهم بهلك السلطان يوسف على يدانصى المريب  
وأذهب الله العناء عن آل زيان وقومهم وخرجوا كأنما نشر وامن القبور وكتبوا بعد هذه الحادثة في  
سكتهم ما أقرب فرج الله استغرابها **وقال ابن خلدون** حدثني شيخنا أبو عبد الله محمد بن ابراهيم  
الابلي قال جلس السلطان أبو زيان بن عثمان بن يوسف من صبيحة يوم الفرج وهو يوم الأربعاء سابع  
ذي القعدة في زاوية من زوايا قصره يفكر واستدعى ابن بحاف خازن الزرع فسأه كم بقي من الأهراء  
والمطامير المختومة فقال له انما بقي عولة اليوم وغدا فاستوصاه بكتمان ذلك وينماهم يتذاكرون في ذلك  
دخل عليهم أخوه أبو جوافا خبروه بذلك فوجم وجلسوا سكونا لا ينطقون واذا بدعدهم مائة القصر  
وكانت وصيفة من وصائف بنت السلطان أبي اسحق حظية أيهم قد خرجت من القصر اليهم وحيثهم  
وقالت لهم تقول لكم حظا يا قصركم وبنات زيان حرمكم ما لنا والبقاء وقد أحبط بكم وأسف عدوكم لالتهاكم  
ولم يبق الا فواق ناقة لمصارعكم فأرى يحونا من معرفة السبي وقرتونا الى مصارعنا وأرى يحونا أنفسكم فينا  
فالحياة في الذل عذاب والوجود بعدكم عدم فالتفت أبو جوافا الى أخيه أبي زيان وكان من الشفقة بمكان  
فقال قد صدقتك الخبر فانتظريه **فقال ياموسى** أرجئني ثلاثا لعل الله يجعل بعد عسر يسرا ولا تشاورني  
بعد هاهن بل سرح اليهود والنصارى الى قتلهم وتعال الى نخرج مع قومنا الى عدونا فنستमित  
ويقتضى الله ما شاء فغضب أبو جوافا وذكر عليه التأخير في ذلك وقال انما نحن والله نتر بص المعرفة بهن  
وبأنفسنا وقام عنه مفضبا وجهش السلطان أبو زيان بالبكاء قال ابن بحاف وأنا بمكان بين يديه لا أم لك  
متأخر اولا متقدما الى ان غلب عليه النوم فراعنى الاحرسى بالباب يشير الى ان أعلم السلطان بمكان  
رسول جاء من محلة بني مرين وها هو بسدة القصر قال ابن بحاف فلم أطق رد جوابه الا بالاشارة واتبعه  
السلطان من همستاقرا فأعلمته فاستدعاه للحين فلما وقف بين يديه قال ان السلطان يوسف بن يعقوب  
هلك الساعة وأنا رسول حافده أبي ثابت اليكم فاستبشر السلطان أبو زيان واستدعى أخاه وقومه حتى  
بلغ الرسول المذكور رسالته بسمع منهم فكانت احدى المغربات في الايام وكان من خبر هذه الرسالة ان  
السلطان يوسف لما هلك تطاول للامر بعده القرابة من اخوته وولده وحفدته وتخير حافده أبو ثابت الى  
بني ورتاجن لخولة كانت له فيهم فاستجابش بهم واعصوا بواعايبه وبعث الى بني زيان ان يعطوه آلة  
الحرب ويكونوا مفرغاه ان أخفق مسعاه على انه ان تم أمره فوض عنهم معسكر بني مرين وأخرج عنهم  
فما قدوه على ذلك فوفى لهم لما تم أمره وتزل لهم عن جميع الاعمال التي كان السلطان يوسف غلب عليها  
من بلادهم ورحلوا الى مغربهم والله غاب على أمره

**بقية أخبار السلطان يوسف وسيرته**

كان السلطان يوسف وجهه الله أبيض حسن القدر ملبج الوجه أفتى الأنف مهيبا لا يكاد أحد  
يبدؤه بالكلام جوادا مشفق على الرعية متفقد الاحوالها شجاعا شهما ذا عزيمة  
اذا هم ألقى بين عينيه سهمه \* ونكب عن ذكر العواقب جانباه

وهو أول من هذب ملك بني مرين وأكسبه رونق الحضارة وبهاء الملك وكان غليظ الحجاب لا يكاد يوصل إليه إلا بعد الجهد ومن أعيان كتابه الكاتب أبو محمد عبد الله بن أبي مدين العثماني ومن أعيان شعرائه أبو الحكم مالك بن المرحل السبتي وأبو فارس عبد العزيز المزوزي المكاسي وغيرهما والله تعالى أعلم  
 ولقد كرم ما كان في هذه المدة من الأحداث (في سنة ست وخمسين وثمانمائة) وهي السنة التي يبيع فيها السلطان يعقوب بن عبد الحق كان الرخاء المفرط بالمغرب بحيث كان الدقيق يباع بفاس وغيره أربع منه بدرهم والقمح ستة دراهم للصفحة والشعير ثلاثة دراهم للصفحة وأما القطناني فلم يكن له ثمن والعسل ثلاثة أرطال بدرهم والزيت أربعون أوقية بدرهم والزيب درهم ونصف للربيع والتمر ثمانية أرطال بدرهم واللوز صاع بدرهم والشابل الطري فردة بقيراط والملح جمل بدرهم ولحم البقر مائة أوقية بدرهم ولحم الضأن سبعون أوقية بدرهم والكبش بخمسة دراهم وهكذا في سنة إحدى وستين وثمانمائة ظهر النجم أبو الذؤاب وكان ابتداء ظهوره ليلة الثلاثاء الثاني عشر من شعبان من السنة المذكورة وبقي يطلع كل ليلة وقت الصبح نحو من عشرين يوماً في سنة أربع وستين وثمانمائة كان دخول الشريف المولى حسن بن قاسم الحسني من أرض ينبع الحجاز إلى سجلماسة وهذا الشريف هو جد الأشرف العلويين السجلماسيين ملوك المغرب الأقصى في عصرنا هذا أعلى الله تعالى قدرهم وخلد مجدهم ونفخهم وعند الكلام على دولتهم السعيدة نذكر كيفية دخول هذا الشريف إلى المغرب والسبب فيه إن شاء الله في سنة ست وستين وثمانمائة في سرق من بيت المال بقصبة فاس اثنا عشر ألف دينار وثلاث قلائد يساوين أكثر من ذلك في حدود السبعين وثمانمائة كان ظهور البارود على ما مر من أن السلطان يعقوب بن عبد الحق فتح به سجلماسة في هذه المدة والله تعالى أعلم في سنة سبع وسبعين وثمانمائة بنى المسجد الجامع بفاس الجديد في سنة تسع وسبعين وثمانمائة في علقته ثرياً وذلك يوم السبت السابع والعشرين من ربيع الأول منها ووزن هذه الثريا سبعة قناطير وخمسة عشر رطلاً وعدد كؤوسها مائتا كأس بالثنية وسبع وعشرون كأساً وفيها كان الجراد العام بالمغرب أكل الشجر والزرع ولم يترك خضراً على وجه الأرض وبلغ القمح عشرة دراهم للصاع في سنة ثمانين وثمانمائة في بنيت قنطرة وادي النجاة وقنطرة ماريح في سنة ثلاث وثمانين وثمانمائة كان بالمغرب قحط شديد لم ير الناس قنطرة ماء حتى كان اليوم السابع والعشرون من رمضان وهو اليوم الذي توفيت فيه الحرة أم العزيفت محمد بن حازم العلوية من بني علي بن عسكروهي أم السلطان يوسف ففات الله العباد وأحبي برحمته البلاد في سنة خمس وثمانين وثمانمائة بنيت قصبة تطاوين وفيها ركبت الناعورة الكبرى على وادي فاس شرع في عملها في رجب من السنة المذكورة ودارت في صفر من السنة بعدها في سنة ست وثمانين وثمانمائة بنى سور قصر الحجاز وركبت أبوابه وفيها غرس بستان المصاراة بفاس الجديد وبنيت الدار البيضاء أيضاً في سنة تسع وثمانين وثمانمائة كانت الريح الشرقية المتواليه الهبوب ونشأ عنها القحط الشديد واستمر ذلك إلى آخر سنة تسعين بعد هجرهم الله بلاده وعباده وفيها توفي الشيخ الصالح أبو يعقوب الأشقر الكندي من بلاد بني بهلول من أحواز فاس ولعل أبا يعقوب هذا هو الذي تنسب إليه الحجة التي قدمنا الكلام عليها في أخبار المنصور الموحدي والله أعلم وفيها بنى المسجد الجامع بمدينة تازاو بنيت قبة مكاسة الزيتون وربعها في سنة إحدى وسبعين وثمانمائة أمر السلطان يوسف بن يعقوب بن عبد الحق بعمل المولد النبوي وتعظيمه والاحتفال له وصيره عيداً من الأعياد في جميع بلاده وذلك في شهر ربيع الأول من السنة المذكورة وكان الأمر به قد صدر عنه وهو بصيرة من بلاد الريف في آخر صفر من السنة فوصل برسم إقامته بحضرة فاس الفقيه أبو يحيى بن أبي الصبره وأعلم أنه قد كان سبق السلطان يوسف إلى هذه المنقبة المولدية بنو العزيفي أصحاب سبعة فاهم أول من أحدث عمل المولد الكرم بالمغرب



والله تعالى أعلم **يؤوفى** سنة ثلاث وتسعين وثمانية **ي** كان كسوف الشمس وذلك قريب زوال يوم الاحد التاسع والعشرين من رجب من السنة المذكورة كسف منها نحو الثلثين وصلى بالناس صلاة الكسوف بجامع القرويين من قاص الخطيب أبو عبد الله بن أبي الصبر حتى انجلت فخرج من المحراب ووقف بازائه فوعظ الناس وذكرهم وفي هذه السنة رفعت أيدي الموثقين من الشهادة بغاس ولم يبق بها منهم سوى خمسة عشر رجلا من أهل العدالة والمعرفة وكانوا قبل ذلك أربعة وتسعين وكان ذلك يوم الاثنين الحادي عشر من شوال من السنة المذكورة وفيها كانت المجاعة الشديدة والوباء العظيم عم ذلك بلاد المغرب واقريقية ومصر فكانت الموتى تحمل اثنان وثلاثة وأربعة على المغتسل وبلغ القمح عشرة دراهم للدقيق ست وأواق بدرهم وأمر السلطان يوسف بتبديل الصبيان وجعلها على مد النبي صلى الله عليه وسلم وكان ذلك بالحضرة علي يد الفقيه أبي قار من عبد العزيز المازوزي الشاعر المشهور **يؤتم** دخلت سنة أربع وتسعين وثمانية **ي** فيها صلح أمر الناس وانجسرت أحوالهم ورخصت الاسعار في جميع الامصار فبيع القمح بعشرين درهما للصفة وفي هذه السنة كسفت الشمس أيضا الكسوف الكلي بحيث غاب قرص الشمس كله وصار النهار ليلا كالحالة التي تكون ما بين العشاءين وظهرت النجوم وماج الناس وضائق نفوسهم ولولا ان الله سبحانه تداركهم بسرعة انجلائها لهلكوا جزعا وكان ذلك بعد صلاة ظهر الثلاثاء الثامن والعشرين من ذي الحجة من سنة أربع وتسعين المذكورة **يؤوفى** سنة سبع مائة **ي** أسس السلطان يوسف بن يعقوب مدينته المنصورة بأزاء تلمسان وهو محاصر لها الحصار الطويل حسبما مر الخبر على ذلك مستوفى وبالله تعالى التوفيق

**يؤوفى** عن دولة السلطان أبي ثابت عامر بن عبد الله بن يوسف بن يعقوب بن عبد الحق رحمه الله **ي**

قد تقدم لنا ان أبا عامر عبد الله بن السلطان يوسف كان قد انتبذ عن أبيه وبقي متقلا في جهات الريف وبلاد غمارة الى ان هلك في بلاد بني سعيد منهم وانه خلف ثلاثة أولاد أحدهم أبو ثابت عامر بن عبد الله هذا الذي ولي الامر بعد جدته وذلك انه لما هلك السلطان يوسف رحمه الله بالمنصورة كما تقدم كان حافده أبو ثابت هذا في جلته وكان له في بني ورتاجن من أهل تلك البلاد خولة فلحق بهم ودعا لنفسه فبايعوه وقاموا معه في أمره وبايعه معهم أشياخ بني مرين والعرب بظاهر المنصورة يوم الخميس ثاني يوم وفاة جده يوسف وبادر الحاشية والوزراء ومن شايعهم بداخل المنصورة الى بيعته الأمير أبي سالم ابن السلطان يوسف وكاد أمر بني مرين يفسدو كلمتهم فتفرق فبعث السلطان أبو ثابت لحينه وكان شهما مقداما الى صاحب تلمسان أبي زيان وأبي جوا بن عثمان بن يعمر اسن فعقد لهما عهدا على ان يرحل عنهم بجسه وعه وان يموتوه بالآلة ويرفعوا له كسر بيتهم ويضموه اليهم ان خاب أمره ولم يتم له أمر فاجابوه الى ذلك وحضر العقد أوجوا فأحكمه وشرط عليه السلطان أبو ثابت أن لا يتعرضوا للمدينة جده المنصورة بسوء وان يتعاهدوا مساجدها وقصورها بالاصلاح وان من أراد الإقامة بها من أهلها فإلا احد عليه من سبيل لان الناس كانوا قد اسست وطنوها وألفوها وطاب مقامهم بها وتأنوا بها الاثاث والمتاع والخير واليسائر الماعون مما يثبت المرتحل ويثقل جناح الناهض فقبل أوجوا ذلك كله وتفرغ السلطان أبو ثابت لشأنه وجمع كلمة قومه واختل أمر أبي سالم فلم يتم وكتب السلطان أبو ثابت الى حامية بني مرين وحصنها التي كانت متفرقة في الثغور الشرقية التي استولى عليها السلطان يوسف أيام حياته فاقبلوا اليه ينسلون من كل حدب وأسلموا البلاد الى أهلها من بني عبد الواد وقتل السلطان أبو ثابت عمه أبا سالم بن يوسف ثم اتبعه بعن أبيه أبي بكر بن يعقوب في آخرين من القرابة وغيرهم ممن يتوقع منه الشر وفر ببقية القرابة خشية على أنفسهم من سطوة أبي ثابت فلحقوا بعثمان ابن أبي العلاء النائر بجبال غمارة من عهد السلطان يوسف فشايعوه على أمره وتقوى بهم على ما ذكره

ثم ارتحل السلطان أبو ثابت قاصدا حضرة فاس في جموع لا تحصى وأتم لاتستقصي فيعيد عيد الاصحى من ستة وست وسبع مائة في طريقه بين تلمسان ووجدة ثم نهض الى فاس فدخلها فاتح سنة سبع وسبع مائة ثم نهض بعد ذلك الى مرا كش على ما ذكره ولم يعلم بنو يغمرا من ان ابا ثابت قد ابعدهم وانه توغل في البلاد المرأكشية واشتغل بحروب الثاثرين بها عمدوا الى المنصورة فجعلوا ما اليها ساقطها وطمسوا معالمها ومحو آثارها فاصبحت كأن لم تكن بالامس

### ثورة يوسف بن محمد بن أبي عياد بن عبد الحق وما كان من أمره

كان السلطان أبو ثابت لما فصل من تلمسان قدم بين يديه ابن عمه الحسن بن عامر بن عبد الله بن يعقوب وأمره بالنظر في أحوال فاس والمغرب وأمره بضبطها وتسريح مجبونها ورد مظالمها وتفريق الأموال على الخاصة والعامة ففعل ولما قدم حضرة فاس عقد لابن عمه يوسف بن محمد بن أبي عياد بن عبد الحق على مرا كش ونواحيها وعهد اليه بالنظر في أحوالها وضبطها ففهم اليها واحتل بها وتمكن منها ثم حدثته نفسه بالانتزاع فاستلمق واستركب واتخذ الآلة وجاهر بالخلعان وتقبض على الوالي عمرا كش الحاج المسعود فقتله من تحت السياط في جادى الآخرة سنة سبع وسبع مائة ودعا لنفسه واتصل الخبر بالسلطان أبو ثابت وهو بفاس فسرح اليه وزيره يوسف بن عيسى بن السعود بن خرياش الحشمي بالحاء المهملة ويعقوب بن أصناك في خمسة آلاف فارس فساروا الى مرا كش وبرز يوسف بن محمد بن أبي عياد الى حريمهم وعبر اليهم وادى أم الربيع فالتقوا معه على ضفته الشرقية فهزموه وعاد الى مرا كش واتبعه الوزير ودخل ابن أبي عياد مرا كش فقتل جماعة من جنود الفرع الذين بها وسبي ذرارهم وخرج منها الى انمات فلم يستقر بها ثم فر الى جبال هسكورة فقتل على كبيرها مخلوف بن هنو المسكوري ولحق به موسى بن سعيد الصبيحي من انمات تدلى من سورها فلحق به ودخل السلطان أبو ثابت مرا كش منتصف رجب من سنة سبع وسبع مائة وأمر بقتل أوربة المداخلين لابن أبي عياد في انتزاعه فاستلموا جميعا ولحق ابن أبي عياد بمخلوف بن هنو المسكوري واستجار به لم يجره على السلطان أبي ثابت بل قبض عليه مع ثمانية من كبار أصحابه وبعثهم في الحديد اليه وهو عمرا كش فقتلوا في مصرع واحد بعد ان مثل بهم بالسياط وبعث برأس ابن أبي عياد الى فاس فطيف به فيها ونصب على سورها ثم اتخن أبو ثابت في كل من كان على رأى ابن أبي عياد وخاض معه في القتنة فاستلم منهم عمرا كش ما ينيف على السماتة وصلبهم على سورها من باب الرب أحد أبواب مرا كش الى برج دار الحرة عزونة وقتل في انمات منهم مثل ذلك وخرج منتصف شعبان الى منازل السكسيوى وتدويع جهات مرا كش فقتل بتامز وارت وتلقاه السكسيوى بالبيعة والهدية والضيافة فقبل السلطان أبو ثابت ذلك منه ثم بعث قائده يعقوب بن أصناك في جيش من ثلاثة آلاف فارس الى بلاد حاحة برسم غزو قبائل زكنة ففروا بين يديه حتى دخلوا بلاد القبيلة وانقطع أثرهم ورجع الى معسكر السلطان بتامز وارت وأخبره بسكون البلاد وأمنها فانكفأ السلطان أبو ثابت راجعا الى مرا كش فدخلها غرة رمضان من سنة سبع وسبع مائة ثم خرج منها في منتصفه قاصدا رباط الفتح فاجتاز على بلاد صنهاجة وعبر وادى أم الربيع من مشرع كتامة في القوارب لزيادة الماء يومئذ ثم ارتحل فاجتاز ببلاد تامسنا فالتقاه بها عرب جشم من قبائل الخلط وسفيان وبنو جابر والعاصم فاستصحبهم معه الى مدينة آنى بعد ان استأذنه في الرجوع فلم يأذن لهم ولما احتل بآنى دعا بأشياخهم فحضروا عنده فقبض على ستين منهم أودعهم سجن آنى وضرب أعناق عشرين من فسادهم القاطعين للسبل وصلبهم على سور آنى ثم نهض الى رباط الفتح فدخله في السابع والعشرين من رمضان فعيد هنالك عيد الفطر وقتل به ثلاثين من قتال العرب المتهمين بالحريابة وقطع الطريق وصلبهم على أسوار العدوتين ثم ارتحل منتصف شوال لغزو عرب رياح

الموطنين بابي طويل ونقص أزغار وبلاد الهبط فغزاهم وأخذهم بالاحن القديمة فقتل منهم خلقا وسي  
ذراهم وانتهب أموالهم ونهض الى فاس فاحتل بها منتصف ذي القعدة وعيدها عيد الاضحى ثم نهض  
الى سبتة على ما ذكره

غزو السلطان أبي ثابت بلاد غمارة وسبتة ومحاصرته لعثمان بن أبي العلاء

قد تقدم لنا ان عثمان بن أبي العلاء كان قد ورد من الاندلس صحبة الرئيس أبي سعيد بن الاحمر المتغلب على  
سبتة أيام السلطان يوسف وانه تار بجبال غمارة ودعا لنفسه واستحوذ عليها وكان السلطان يوسف بلغه  
خبره وأهمه شأنه الا انه كان يرجو ان يفتح تلمسان عن قريب ثم ينهض اليه فعاجبه الجماد دون ذلك  
ولما أفضى الامر الى السلطان أبي ثابت وقدم حضرة فاس شغله عن عثمان بن أبي العلاء ما كان من ثورة  
يوسف بن محمد بن أبي عباد براكش كما قدمناه فعقد على حرب عثمان بن أبي العلاء لابن عمه عبد الحق  
ابن عثمان بن محمد بن عبد الحق فزحف اليه ونهض عثمان بن أبي العلاء الى لقائه منتصف ذي الحجة سنة سبع  
وسبعمائة فهزمه عثمان بن أبي العلاء واستلم من كان معه من جنود الفرج وهلك في تلك الواقعة  
عبد الواحد الفودودي من رجالات الدولة المرشحين للوزارة وسار عثمان بن أبي العلاء الى قصر كتامة  
فدخله واستولى على جهاته وكان بطيلا من الابطال وعلى اثر ذلك كان رجوع السلطان أبي ثابت  
من غزاة مراکش وقد حسم الداء وحى اثر النفاق فاعتزم على النهوض الى بلاد غمارة ليصومنها اثر  
دعوة ابن أبي العلاء التي كادت تلج عليه دار ملكه ويستخلص سبتة من يد ابن الاحمر المتغلب عليها لانها  
صارت ركابا لمن يروم الخروج على السلطان من القرابة المستقرين وراء البحر غزاة في سبيل الله فهض  
السلطان أبو ثابت من فاس عقب عيد الاضحى من سنة سبع وسبعمائة حتى انتهى الى قصر كتامة  
فتلوم به ثلاثا حتى تلاحق به قبائل مرين والعرب والرماة من سائر البلاد فعرض جيشه وارتمل قاصدا  
جبال غمارة وكان عثمان بن أبي العلاء قد فرأمامه الى ناحية سبتة فسار السلطان أبو ثابت في اتباعه حتى  
نازل حصن علودان واقصمه عنوة واستلم به زهاء أربع مائة ثم نازل ببلد الدمنة على شاطئ البحر فقتل  
الرجال وسي النساء والذرية وانتهب الاموال وكانوا قد تمسكوا بطاعة ابن أبي العلاء وأجازوه الى القصر  
في وسط بلادهم وبالغوا في تضييفه واكرامه ودخلوا معه القصر وأصيلا ونهبوا كثيرا من مال أهلها  
ثم ارتحل السلطان أبو ثابت الى طنجة فدخلها فاتح سنة ثمان وسبعمائة وتحصن ابن أبي العلاء بسبتة  
مع أوليائه من بني الاحمر وسرح السلطان أبو ثابت عساكره ففرقت في نواحي سبتة بالغارات  
واكتساح الاموال (بناء مدينة تطاوين) ثم أمر السلطان باختطاط مدينة تطاوين لتزول عسكره  
وللاخذ بمخفق سبتة كذا عند ابن أبي زرع وابن خلدون (وواعلم) ان تطاوين هذه هي تطاوين القديمة  
وقد تقدم لنا ان قصبتها بنيت في سنة خمس وثمانين وستمائة وذلك لاول دولة السلطان يوسف بن يعقوب  
ابن عبد الحق ثم بنى السلطان أبو ثابت هذه المدينة عليها في هذا التاريخ الذي هو فاتح سنة ثمان  
وسبعمائة وكان بناؤها خفيفا شبيه القرية عدا قصبتها فان بناها كان محكا وثيقا واستمرت هذه المدينة  
عامرة الى صدر المائة التاسعة فخرت ثم جدد بناؤها بعد نحو تسعين سنة حسبما يأتي الخبر عن ذلك  
مستوفي ان شاء الله تعالى (قالوا) ولفظ تطاوين مركب من كلمتين تيط ومعناها في لسان البربر العين ووين  
وهي كناية عن المخاطب نحو يا فلان وما أشبه ذلك (قالوا) والسبب في تسميتها بذلك انهم في وقت اختطاطهم  
لها كانوا يضعون الحرس على أسوارها مخافة فجأة العدو فكان الحرس ينادون بالليل أو بالنهار تطاوين  
تطاوين أي يا فلان افتح عينك لان عادة الحارس ان يقول ذلك فصار هذا اللفظ علما عليها او يظهر ان هذا  
من كلام العامة ولا أصل له وكذا قول بعضهم تيط معناها العين ووين معناها المقلدة ومعنى مجموع  
الكلمتين مقلدة العين والاضافة مقلوبة كما هي في لسان بعض الامم الجهمية فانه لا مستدله والله تعالى



أعلم ولما أسرع السلطان أبو ثابت في بناء مدينة تطاوين أوفد كبير الفقهاء بمجلسه أبي يحيى بن أبي الصبر  
إلى ابن الأحمر صاحب سبتة في شأن التزول له عن البلد وأقام هو بقصبة طنجة ينتظر الجواب بماذا يكون  
وفي أثناء ذلك مرض مرض موته وتوفي يوم الأحد الثامن من شهر صفر سنة ثمان وسبعمائة ودفن  
بظاهر طنجة ثم حمل شلوه بعد أيام إلى مدفن آبائه بشالة فووري هنالك رجعة الله عليه وعليهم

✽ الخبر عن دولة السلطان أبي الربيع سليمان بن أبي عامر عبد الله بن يوسف ✽  
✽ ابن يعقوب بن عبد الحق رحمه الله ✽

لما هلك السلطان أبو ثابت تصدق للقيام بالامر محمد بن يوسف المعروف بابن زريقة وهو من أمه وعلى  
هذا هو الذي قتل شيوخ المصامدة بكتاب ابن الملياني كاتبة قدم وخلص الملا من بني مرين أهل الحسل  
والعقد إلى أبي الربيع المذكور أخى أبي ثابت فبايعوه واستتب أمره فتقبض على عمه علي بن زريقة  
وسجنه بطنجة فبقي مسجوناً بها إلى أن هلك سنة عشر وسبعمائة وبث السلطان أبو الربيع العطاء في  
الناس وأجزل الصلات فأرضى الخاصة والعامة وصفاله الأمر ثم ارتحل نحو فاس واستدعى من كان بعمله  
تطاوين من الجنود فأقبلوا إليه وأرضاهم بالمال كذلك ولما فصل من طنجة تبعه عثمان بن أبي العلاء  
من سبتة في جيش كثيف ليضرب في محنته ليلاً فنذر به عسكر السلطان أبي الربيع فأسهر وأبلى لهم  
وباتوا على سهوات خيولهم فوافقهم عثمان بساحة علودان وهم على ذلك فناجزهم الحرب فهزموه  
وتقبض على ولده وكثير من عسكره وقتل آخرون وكان للسلطان أبي الربيع الظهور الذي لا كفاء له  
ووصل أبو يحيى بن أبي الصبر من الأندلس وقد أحكم عقدة الصلح مع ابن الأحمر صاحب غرناطة ولما  
رأى عثمان بن أبي العلاء ذلك سقط في يده وأيس من المغرب فحبر الصرغين معه من القرابة إلى  
الأندلس وولى مشيخة الغزاة بها فكانت له في جهاد العدو واليد البيضاء وعلا أمره بالأندلس وزاحم بني  
الأحرار كما في رياستهم وجبايتهم حتى كاد يستولى على الأمر من أيديهم وشرقوا يدايته ومارسهم  
ومارسوه مدة طويلة وعدلوا في أمره إلى المصانعة والمجاملة في أخبار ليس جلبها من غرضنا إلى أن توفي  
لكنا نذكر من ذلك أنموذجاً يستدل به الواقف عليه على ما وراءه فنقول لما توفي عثمان بن أبي العلاء رحمه  
الله كتب على قبره ما صورته بهذا قبر شيخ الحماة وصدر الأبطال والكافة وأحد الجلالة ليل الأقدام  
والبسالة علم الأعلام حامي دمار الإسلام صاحب الكتاب المنصورة والأفعال المشهورة  
والمغازي المسطورة وإمام المصروف القائم بباب الجنة تحت ظلال السيوف سيف الجهاد وقاصم  
الاعاد وأسداً لآساد العالی المهم الثابت القدم المهام الماجد الأرضي البطل الباسل الأمضى  
المقدس المرحوم أبي سعيد عثمان بن الشيخ الجليل المهام الكبير الأصيل الشهير المقدس المرحوم أبي  
العلاء إدريس بن عبد الله بن عبد الحق ✽ كان عمره ثمانياً وثمانين سنة أنفق ما بين روجه في سبيل الله  
وغدوة حتى استوفى في المشهور سبعمائة واثنين وثلاثين غزوة وقطع عمره مجاهداً مجتهداً في طاعة الرب  
محتسباً في إدارة الحرب ماضى الغزائم في جهاد الكفار مصادماً بين جوعهم تدفق التيسار وصنع الله  
تعالى له فيهم من الصنائع الكبار ما سار ذكره في الأقطار أشهر من المثل السيار حتى توفي رحمه الله  
وغبار الجهاد طى أثوابه وهو مراقب لطاغية الكفار وأحزابه فبات على ما عاش عليه وفي ملحمة  
الجهاد قبضه الله إليه واستأثر به سعيداً مرتضى وسيفه على رأس ملك الروم منتضى مقدمة قبول  
واسعاد وتليجة جهاد وجلاد ودليلاً على نيته الصالحة وتجارته الراجحة فارتجت الأندلس لبعده  
أتحفه الله برحمة من عنده توفي يوم الأحد الثاني لذي الحجة من سنة ثلاثين وسبعمائة رحمه الله ✽ وأما  
السلطان أبو الربيع ✽ فانه لما سار عن طنجة دخل حضرة فاس حادى عشر ربيع الأول من سنة ثمان  
وسبعمائة فأقام بها سنة المولد الكريم وفرق الأموال واستقامت الأمور وتمهد الملك وعقد السلم مع

صاحب تلمسان أبي جواموسى بن عثمان بن يعمراسن وأقام وادعابحضرتة مجتنباً ثمرة ملكه وكان في أيامه غلاء إلا أن الناس انفتحت لهم فيها أبواب المعاش والترف حتى تغالوا في أثمان العقار فبلغت قيمتها فوق المعتاد حتى لقد بيع كثير من الدور بفاس بألف دينار من الذهب العين وتنافس الناس في البناء فاتخذوا القصور المشيدة وتأنقوا فيها بالزليخ والرخام وأنواع النقوش وتناغوا في لبس الحرير وركوب الفاره وأكل الطيب واقتناء الخلى من الذهب والفضة واستبحر العمران وظهرت الزينة والامور كلها بيد الله تعالى

﴿نكبة الفقيه الكاتب أبي محمد عبد الله بن أبي مدين واستهصال بنى وقاصة اليهوديين بعد ذلك﴾

كان الفقيه الثابت أبو محمد عبد الله بن أبي مدين شعيب بن مخلوف من بنى أبي عثمان إحدى قبائل كتامة المجاورين للقصر الكبير وكان بيته بيت العلم والدين واتصلوا بخدمة بنى مرين أيام دخولهم المغرب واستيلائهم عليه وكان أبو محمد هذا من خاصة السلطان يوسف بن يعقوب وجعل بيده وضع العلامة على الرسائل وقوض إليه في حسابان الخراج والضرب على أيدي العمال وتنفيذ الأوامر بالقبض والبسط فيهم واستخلصه لما جات به والافضاء إليه بسره ولما هلك السلطان يوسف وولى بعده السلطان أبو ثابت ضاعف رتبة هذا الرجل وشفع لديه حظه ومنصبه ورفع على الأقدار قدره ثم ولى بعده أخوه أبو الربيع فسلك فيه مذهب سلفه واضطلع أبو محمد بن أبي مدين بأمر دولته وكان بنو وقاصة اليهود حين ذكروا أيام السلطان يوسف يرون أن نكبتهم كانت بسعاية أبي محمد فيهم وكان خليفة الأصغر منهم قد أفلت من تلك النكبة كما ذكرناه فلما أفضى الأمر إلى السلطان أبي الربيع استعمل خليفة هذا بداره في بعض المهن فبأسر الأمور وترقى فيها حتى اتصل بالسلطان فجعل غاية قصده السعاية بأبي محمد بن أبي مدين وكان يؤثر عن السلطان أبي الربيع أنه يختلي مع حرم حاشيته وتعرف خليفة ذلك من مقالات الناس قدس إلى السلطان بأن ابن أبي مدين يعرض باتم أمك في ابنته وإن صدره قد وغر لذلك وأنه مترصد بالدولة ومتر بصر بها الدوائر فتمكنت سعايته من السلطان ووطن أنه صادق وكان يخشى غائلة ابن أبي مدين بما كان له من الوجاهة في الدولة ومدانحة القبيل فاستجمل السلطان أبو الربيع دفع غائلته ودس إلى قائد جنود الفرنج بقتله فسار إليه ولقيه بمقبرة الشيخ أبي بكر بن العربي فرصده وأتاه من خلفه فطعنه طعنة كتبه على ذقنه واحترز رأسه وألقاه بين يدي السلطان أبي الربيع ودخل الوزير سليمان بن يرزيكن فوجد الرأس بين يديه فذهبت نفسه عليه وعلى مكانه من الدولة حسرة وأسفاً وأيقظ السلطان لكر اليهودى وأطلعته على خبثه وأخرج له براءة كان بعث بها ابن أبي مدين معه إلى السلطان يتصل فيها ويحلف على كذب ما رى به عنده فتنبه السلطان لكر اليهودى وعلم أنه قد خدعه وندم حيث لم ينفعه الندم وفتك لحينه بخليفة بن وقاصة وحاشيته من اليهود المتصدين للخدمة وسطاهم سطوة الهدكة فأصبحوا مثلاً لا تحزن

﴿انتقاض أهل سبتة على بنى الأجر ومر اجعتهم طاعة بنى مرين﴾

كان أهل سبتة قد ستموا ملكة أهل الأندلس وثقلت عليهم ولا ينهم لاسيما حين رحل عنهم عثمان بن أبي العلاء وعبر البحر بقصد الجهاد كما مر واتصل خبر ذلك بالسلطان أبي الربيع فانتهاز الفرصة فيهم وعقد لثقته تاشفين بن يعقوب الوطامى أخى وزيره عبد الرحمن بن يعقوب على عسكر ضخم من بنى مرين وسائر طبقات الجنود وبعثه إلى سبتة فأغذ السير إليها ونزل بساحتها ولما أحس به أهل البلد تمشت رجالاتهم فيما بينهم وتنادوا بشعار بنى مرين وثاروا على من كان بسبتة من حامية ابن الأجر فأخرجوهم منها واقتحم تاشفين بن يعقوب البلد عامر صفر من سنة تسع وسبع مائة وتقبض على قائد القصة أبي

زكرياء يحيى بن مليحة وعلى قائد البحر أبي الحسين بن كاشة وعلى قائد الحرب بهامن القرابة عمر بن رحو  
ابن عبد الله بن عبد الحق وطير تاشفين بالبحر الى السلطان أبي الربيع فعم السرور وعظم الفرح واتصل  
ذلك بابن الاخر فضاق ذرعه وخشى عادية بنى مرين وجيوش المغرب حين انتهوا الى القرصنة وما كوها  
فقلب رأيه ورأى ان ينجح الى السلم مع السلطان أبي الربيع لشدة شوكته ولكاب الطاغية عليه  
في أرضه لولا ان غزاة بنى مرين يكفون من غربه فبادر السلطان ابن الاخر وهو أبو الجيوش نصر  
ابن محمد أخو الخلع الذي كان قبله وأوفد رسلا على السلطان أبي الربيع راغبين في السلم خاطبين للولاية  
وتبرع بالتزول عن الجزيرة ووردة وحصونها ترغيبا للسلطان أبي الربيع في الجهاد فقبل منه ذلك وعقد له  
الصلح على ما أراد وخطب منه أخته فأنكحه ابن الاخر اياها وبعث السلطان أبو الربيع اليه بالمدد  
للجهاد أموالا وخيولا جنائب مع ثقتهم عثمان بن عيسى اليرباني أخى وزيره ابراهيم بن عيسى واتصلت  
بينهما الولاية الى ان توفي السلطان أبو الربيع رحمه الله

﴿انتقاض الوزير عبد الرحمن بن يعقوب الوطاسي على السلطان أبي الربيع﴾  
﴿ومبايعته لعبد الحق بن عثمان والسبب في ذلك﴾

لما انعقد الصلح بين السلطان أبي الربيع وابن الاخر وحصلت المصاهرة بينهما والمودة كانت رسل  
ابن الاخر لا تزال تتردد الى حضرة السلطان بفاس فقدم منهم ذات يوم بعض المهكمين في اللهو المدمنين  
للشرب والقصف فكشف صفحة وجهه في معاقره الخمر وتجاهر بذلك بين الناس وكان السلطان أبو  
الربيع قد عزل قاضي فاس أبا غالب المغربي وولى القضاء مكانه الشيخ الفقيه أبا الحسن الزرويلي المعروف  
بالصغير صاحب التقييد على المدونة وكان رحمه الله قد شد على أهل الفسوق والمناكر فسبق اليه ذات يوم  
عبد الاندلسي وهو سكران فامر العدول فاستروحوه واشتموا منه رائحة الخمر وأدوا شهادتهم على ذلك  
فامضى القاضي حاكم الله فيه وجلده الحد فاضطرم الاندلسي غيظا وتعرض للوزير عبد الرحمن  
ابن يعقوب الوطاسي ويقال له رحو باللسان الزناتي فكشف له عن ظهره يريه أثر السياط وينعى عليه  
سوء هذا الفعل مع رسل الدول فضجر الوزير من ذلك وأخذته الغرة بالاثم ولعله كان في قلبه شيء على  
القاضي فامر وزعته باحضاره على أسوء الحالات وعزم على البطش به فتبادروا اليه واعتصم القاضي  
بالمسجد الجامع ونادى في المسلمين فتارت العامة بهم ومرج أمر الناس وقامت الفتنة على ساق واتصل  
الخبر بالسلطان فتلافى الامر وأحضر أصحاب الوزير فضرب أعناقهم وشرد بهم من خلفهم جزاء الله  
خير فأفسر لها الوزير في نفسه ودخل الحسن بن علي بن أبي الطلاق من بنى عسكر بن محمد وكان  
من شيوخ بنى مرين وأهل الشورى فيهم ودخل قائد الفرنج غنصا والمنفرد برياسة العسكر وشوكة  
الجند وكان هؤلاء الفرنج بالوزير اختصاص بحيث آثروه على السلطان فدعاهم نطلع طاعة السلطان  
أبي الربيع وبيعة عبد الحق بن عثمان بن محمد بن عبد الحق كبير القرابة وأسدا الاعيان فاجابوه وبايعوا له  
وتم أمرهم ولما كان يوم السبت الثالث والعشرون من ربيع الآخر من سنة عشر وسبعمائة  
فر الوزير المذكور وقائده الفرنجي ومن شابعهم على رأيهم فخرجوا الى ظاهر البلد الجديدة وجاهاروا  
باللعان وأقاموا الآلة والرسم وبايعوا سلطانهم عبد الحق على عيون الملا وعسكر وبالعدوة القصوى  
من سبواتهم ساروا الى ناحية تازاولما استقر وارباطها أخذوا في جمع الجيوش ومكاتبة الخاصة من بنى  
مرين والعرب يدعونهم الى بيعة سلطانهم والمشايع لهم على رأيهم وأوفدوا على أبي حواموسى بن عثمان  
ابن يغمرا من صاحب تلمسان يدعونه الى المطاهرة على أمرهم واتصال السيد والمدد بالعسكر والمال  
فتوقف أبو حواموسى ولم يقدم ولم يحجم وبقى ينتظر عماذا ينجلي أمرهم واتصل خبر ذلك كله بالسلطان أبي  
الربيع فنهض اليهم وقدم بين يديه يوسف بن عيسى الحشمي وعمر بن موسى الفودودي في جيش كثيف



من بني مرين وسار هو في ساقتهم واتصل خبره ووجه بعبد الحق بن عثمان ووزيره فانكشفوا عن تازا  
ولحقوا بتلمسان وكانوا يظنون ان السلطان لا يخرج اليهم ووجدوا جواعا قبلة توقفه عن نصرهم  
ويشواهم من صريحه اياهم ولما ضاقت عليهم الارض بما رحبت أجاز عبد الحق بن عثمان ووزيره  
الى الاندلس ورجع الحسن بن علي ومن معه الى السلطان أبي الربيع بعد ان أخذ منه الامان وهلك  
رحو ابن يعقوب بالاندلس لمدة قريبة ولما احتل السلطان أبو الربيع بتازا حسم الداء ومحى أثر الشقاق  
وأفخن في حاشية الخوارج وشيعتهم بالقتل والسبي ثم اعتل أياما أثناء ذلك فتوفي بتازا بين العشاءين ليلة  
الاربعاء من سلخ جمادى الاخيرة من سنة عشر وسبعمائة ودفن من ليلته تلك بصحن الجامع الاعظم  
من تازا رحمه الله

الخبر عن دولة السلطان أبي سعيد عثمان بن يعقوب بن عبد الحق رحمه الله

كان هذا السلطان من أهل العلم والحلم والعباد وادامت مواضع متوقفا في سفك الدماء لقبه السعيد  
بفضل الله وأمه حرة اسمها عائشة بنت الامير أبي عطية مهلهل بن يحيى الخطي ولما هلك السلطان أبو  
الربيع بتازا في التاريخ المتقدم تطاول للامير عمه أبو سعيد الاضمر وهو عثمان ابن السلطان يوسف  
وخب في ذلك ووضع وأسدى وألحم فلم يحصل على شيء واجتمع الوزراء والمشايخ بالقصر بعد هداة من  
الليل وتفاوضوا في أمرهم حتى وقع اختيارهم على أبي سعيد الاكبر وهو عثمان ابن السلطان يعقوب  
ابن عبد الحق فاستدعوه فحضر فبايعوه ليلتذ وتم أمره وأنفذ كتبه الى النواحي والجهات باقتضاء  
البيعة وبمرح ابنه الاكبر الامير بالحسن بن علي بن عثمان الى فاس فدخلها غرة رجب من سنة عشر  
وسبعمائة وهلك نصر الخلافة بالحضرة واحتوى على أمواله ونخبته وفي غد ليلته أخذت البيعة  
للسلطان أبي سعيد بظاهر تازا على بني مرين وسائر زناتة والعرب والعسكر والحاشية والموالي والصنائع  
والعلماء والصلحاء ونقباء الناس وعرفائهم والخاصة والدماء فقام بالامر واستوسق له الملك وفرق  
الاعطيات وأسنى الجوائز وتفقده الدواوين ورفع الظلمات وخط المغارم والمكوس وسرح السجون  
ورفع عن أهل فاس ما كان يلزم رباعهم من الوظائف المخزنية في كل سنة فصالح حال الناس في أيامه  
ثم ارتحل لعشرين من رجب من السنة فدخل حضرة فاس فاستقر بها وقدم عليه وفود التهنئة  
من جميع بلاد المغرب ثم خرج في ذي القعدة الى رباط الفتح لتفقد الاحوال والنظر في أمور الرعية  
وانشاء الاساطيل الجهادية فبعد هنالك عيّد الاضحى وبأمر أمور الناس وأمر بانشاء الاساطيل بدار  
لصناعة من سلاب رسم جهاد الفرغ ثم رجع الى فاس فعمد سنة احدى عشرة وسبعمائة لاخيه الامير  
أبي البقاء يعيش على ثغور الاندلس الجزيرة وورنذة وما اليها من الحصون ثم مضى سنة ثلاث عشرة  
وسبعمائة الى ناحية مراکش لما كان بها من اختلال الاحوال وخروج عدى بن هنو الهكوري  
وتنفضه للطاعة فنارله السلطان أبو سعيد وحاصره مدة ثم اقتحم عليه حصنه عنوة وقبض عليه وبعثه  
موثقا في الحديد الى فاس فاودعه المطبق وقفل راجعا الى حضرته فاحتل بها مؤيدا منصورا  
والله تعالى أعلم

الخبر والسلطان أبي سعيد ناحية تلمسان

كان بنو مرين قد حقدوا على أبي جوا صاحب تلمسان من أجل توقفه في أمر عبد الحق بن عثمان ووزيره  
رحو ابن يعقوب الوطاسي وتسهيله الطريق لهم الى الاندلس ومداهنته في ذلك وكان مقتضى الصلح  
المتعدية وبين السلطان أبي الربيع ان يقبض عليهم ويبعثهم اليه حالا فخذ بنو مرين على أبي جوا  
ووجدوا في أنفسهم عليه ولما أفضى الامر الى السلطان أبي سعيد واستوسق ملكه ودوخ الجهات

المراكشية وفرغ من شأن المغرب اعترم على غز وتلسان قهض اليها سنة أربع عشرة ولما انتهى الى وادي ملوية قدم ابنه الامير بن ابا الحسن و ابا علي في عسكرين عظيمين في الجناحين وسار هو في ساقتهما فدخل بلاد بني عبيد الواد على هذه التعيية فاكتسح نواحيها واصطلم نعمتها ثم نازل وجدة فقاتلها قتالا شديدا فامتعت عليه ثم نهض الى تلسان فنزل بالمعب من ساحتها وتحصن أبو جواربالا سوار وغلب السلطان أبو سعيد على معاقلهما وسائر ضواحيها فخطمها حطما ونسفها نسفا ودوخ جبال بني يزناسن وأثنى فيهم وانتهى في قفوله الى وجدة ففر أخوه أبو البقاء يعيش وكان في معسكره من أجل استرابة لحقته من السلطان وسار الى تلسان فنزل على أبي جواررجع السلطان أبو سعيد على التعيية فانتهى الى تازا فاقام بها وبعث ابنه الامير ابا علي الى فاس فكان من خروجه عليه ما نذكره

### خروج الامير أبي علي على أبيه السلطان أبي سعيد والسبب في ذلك

كان للسلطان أبي سعيد ولدان أحدهما وهو الاكبر من أمته الحبشية وهو أبو الحسن بن علي بن عثمان وثانيهما وهو الاصغر من علجة من سبي الفرج وهو أبو علي عمر بن عثمان وكان هذا الاصغر أعلق بقلب السلطان وأحبهما اليه ولما استولى على ملك المغرب رشحه لولاية العهد وهو شاب لم يطر شاربه ووضع له ألقاب الامارة وصير معه المجلساء والخاصة والكباب وأمره باتخاذ العلامة في كتبه ولم يذخر عنه شيئا من مراسم الرياسة والملك وعقد على وزارته لبراهيم بن عيسى اليربناقي من كبار الدولة ووجوهها وكان أخوه الاكبر أبو الحسن شديدا البرور بآبائه فلما رأى اقبال أبيه على أخيه أبي علي انحاش هو أيضا اليه وصار في جنته وخلط نفسه بحاشيته طاعة لآبائه ومساورة في هواه واستمرت حال الامير أبي علي هذا وخطبه ملوك النواحي وخطبهم وهداهم وهداهم وعقد الرايات وأثبت في الديوان ومحى وزاد في العطاء ونقص وكاد يستبدي بالامر كله ولما فضل السلطان أبو سعيد من تلسان أو اخر سنة أربع عشرة وسبع مائة أقام بتازا وبعث ولديه الى فاس فلما استقر الامير أبو علي بها حدثته نفسه بالقيام على أبيه ونخل طاعته فراوده المداخلون له على التردص حتى يكربا بيه ويقبض عليه باليد فأبى واستعمل الامر وركب الخلاف وجاهر بالخلعان ودعا لنفسه فاطاعه الناس ولم يتوقفوا عنه لما كان أبوه جعل اليه من أمرهم وعسكر بساحة البلد الجديد بريد غز وأبيه قبر السلطان أبو سعيد من تازا في عسكره يقدم رجلا ويؤخر أخرى ثم بد الامير أبي علي في وزيره ابراهيم بن عيسى وعزم على القبض عليه لانه بلغه انه يكاتب آباء فبعث للقبض عليه عمر بن يخلف الفودودي وتفطن الوزير لما أراد من المكربه فقبض هو على الفودودي وترجع الى السلطان أبي سعيد فتقبله ورضى عنه وكان الامير أبو الحسن قد لحق بآبائه قبل ذلك نازعا عن جملة أخيه فقوى جناح السلطان بهما وارتحل الى لقاء ابنه أبي علي ولما تراء الجمعان بالمقر مدة ما بين فاس وتازا اختل مصاف السلطان وانهم جريحا الى تازا فتبعه ابنه أبو علي وحاصره بها ويقال ان أبا الحسن انما لحق بآبائه بعد المحنة ثم سعى الخواص بين السلطان وابنه أبي علي بالصلح على ان يخرج له السلطان عن الامر ويقتصر على تازا وجهاتها فقط فرضى السلطان بذلك وشهد الملا من مشيخة العرب وزناته وأهل الامصار واستحكم العقدين ما وانكفا الامير أبو علي واجعا الى حضرة فاس عمدا على المغرب وتوافقت اليه ييمعات الامصار ووفودهم واستوسق أمره ثم تدارك الله السلطان أبا سعيد باطفه ورد عليه حقه من حيث لا يحتسب وذلك ان الامير ابا علي اعتل عقب وصوله الى فاس واشتد وجعه حتى أشرف على الهلاك وخشى الناس على أنفسهم اختلال الامر بوجوهه فتسايلاوا الى والده السلطان أبي سعيد بتازا ولحق به سائر خواص الدولة وجماله على تلافى الامر وانتهز الفرصة فنهض من تازا واجتمع اليه كافة بني مرين والجنود وعسكر على البلد الجديد وأقام محاصره وابنتي دار السكاه وجعل لابنه الامير أبي الحسن ما كان لاخيه أبي علي من ولاية العهد وتفويض الامر ولما تبين للامير أبي علي اختلال أمره

بعث الى ابيه في الصلح على ان يعقوض سبعمائة وما والاها فاجيب الى ذلك ووفى له السلطان بما اشترط  
وارتحل الى سبعمائة سنة خمس عشرة وسبعمائة فاقام بهم اذولة فخيمة واستولى على بلاد القبلة ودون  
الدواوين واستلحق واستركب واستخدم ظوا عن العرب من بني معقل واقتح معاقل الصحراء وقصور  
توات وتيكرارين وتامنطيت وغير ذلك وأما السلطان أبو سعيد فانه دخل الى فاس الجديد ونزل بقصره  
وأصلح شؤون ملكه وأنزل ابنه الامير أبا الحسن بالدار البيضاء من قصور وقوض اليه في سلطانه تفويض  
الاستقلال وأذن له في اتخاذ الوزراء والكتاب ووضع العلامة على كتبه وسائر ما كان لأخيه ووفدت  
عليه بيعات الامصار بالمغرب ورجعوا الى طاعته وفي سنة خمس عشرة وسبعمائة أمر السلطان أبو سعيد  
ببناء الباب أمام القنطرة من الجزيرة الخضراء ثم بعد ذلك أدار الستارة بالمدينة المذكورة وفيها سار  
الى مراكش فاقام بها أياما حتى أصح شؤونها وعاد الى الحضرة وفي سنة ثمان عشرة وسبعمائة نكب  
السلطان أبو سعيد كاتبه منديل بن محمد الكفاني وكان السبب في ذلك انه لما ثار الامير أبو علي على ابيه  
ونخلعه انتحاش اليه منديل هذا ثم لما اختل أمر أبي علي عاد منديل الى السلطان أبي سعيد وترتب  
في منزلته التي كان عليها قبل وكان الامير أبو الحسن يحقد عليه لاجل انتحاشه الى أخيه لما كان بينهما  
من المنافسة وكان هو كثيرا ما يوغر صدر أبي الحسن بايجاب حق أخيه عليه وامتهانه في خدمته فطوى له  
أبو الحسن على البث حتى اذا فصل أبو علي الى سبعمائة وانفرد أبو الحسن بمجلس ابيه وخلاله وجهه  
أحكم السعاية في منديل عند ابيه وكان منديل كثيرا ما يغضب السلطان في المحاورة والخطاب دالة عليه  
وكبرا فاعتد السلطان عليه بشئ من ذلك مع ما كان ابنه أبو الحسن يغيره به فسخطه سنة ثمان عشرة  
وسبعمائة وأذن لابنه أبي الحسن في نكته فاعتقله واستصفي أمواله وطوى ديوانه وامتنحه أياما  
ثم قتله بحبس من خنقا وقيل جوعا وذهب في الذهبين وأبوه أبو عبد الله محمد الكفاني هو الذي بعثه  
السلطان يعقوب بن عبد الحق الى المستنصر الحفصي عند فتح مراكش وعاد اليه منه بالهدية صحبة وقد  
أهل تونس وتلف أبو عبد الله الكفاني حتى ذكر المستنصر في الخطبة على منبر مراكش وفرح الوفد  
بنلك حسبا تقدم الخبر عنه مستوفي ونشأ ابنه منديل هذا في ظل الدولة المرينية فكان من أمره  
ما قصناه عليك

بقيادة أهل الاندلس على السلطان أبي سعيد واستصر اخهم اياه على الطاغية ومانشاعن ذلك

كان الملوك من بني مرين قد انقطع غزوهم عن الاندلس برهة من الدهر منذ دولة السلطان يوسف بن  
يعقوب لاشتغاله في آخر أمره بحصار تلمسان واشتغال حشدته من بعده بأمر المغرب مع قصر مدتهم  
قطا اول العدو ووراء البحر على المسلمين بسبب هذه الفترة واشتد كلبه على ثغورها مع ان القرابة من  
بني مرين كانوا يحبى في صدره وقضى في عينيه في تلك البلاد حسبا المعنا اليه غير مرة ولما أفضى الامر  
الى السلطان أبي سعيد اشتغل في صدر دولته بأمر ابنه أبي علي ونزوجه عليه فاهتبل الطاغية الغرة في  
الاندلس وزحف في جوعه الى غرناطة سنة ثمان عشرة وسبعمائة وكان من خبر هذه الواقعة أن  
الطاغية بطرة بن سانحة ويقال دون بطرة وقد نهبنا على لفظه دون فيما سبق ذهب الى طليطلة ودخل  
على من جمعهم الذي يقال له البابا وسجد له وتضرع بين يديه وطلب منه استئصال ما بقى من المسلمين  
بأرض الاندلس وأكدهزمه وتأهب لذلك غاية الاهبة فوصلت أنقاله ومجانقه وآلات الحصار  
والاقوات في المراكب وتقدم في جوعه حتى نزل باحوار غرناطة وكان رديفه في ذلك الجنيد علما آخر  
يقال له جوان وانضم اليهم ملوك آخرون من ملوك الاطراف قبل سبعة وقيل أكثر وامتلات الارض  
بهم وعزموا على استئصال بقية المسلمين بالاندلس وكان جيشهم فيما قيل يشتمل على خمسة وثلاثين ألفا  
من الفرسان وعلى نحو مائة ألف من الرجال المقاتلة ولما رأى أهل الاندلس ذلك بعثوا صريخهم الى



السلطان أبي سعيد فقدم عليه وقد هم يحضرونه من فاس وفيهم من وجوه الاندلس وصلحاتها الشيخ  
 أبو عبد الله الطنجالي والشيخ ابن الزيات البلشي والشيخ أبو اسحق بن أبي العاص وغيرهم فاعتذرو اليهم  
 السلطان أبو سعيد بمكان عثمان بن أبي العلاء من دولتهم ومحلهم من دار ملكهم وكان عثمان بن أبي العلاء  
 يتولى يومئذ مشيخة الغزاة بالاندلس لان وفاته تأخرت الى سنة ثلاثين وسبعمائة حسبما امر بشرط  
 عليهم السلطان أبو سعيد أن يمكنوه منه ليتأتى له العبور الى تلك البلاد وجهاد العدو بها من غير تشويش  
 وقال ادفعوه الينا برقتة حتى يتم أمر الجهاد ثم زده عليكم حياطة على المسلمين وخشية من تفريق كلمتهم  
 فاستصعب أهل الاندلس هذا الشرط لما يعلمونه من صرامة عثمان بن أبي العلاء وادلاله بياسه وبأس  
 عشرته فأخفق معهم ورجعوا منكسرين وأطالت الفرغ المقام على غرناطة وطسمعوا في التهامها  
 ثم ان الله تعالى نفس عن مخنقهم ودافع بقدرته عنهم وهب العثمان بن أبي العلاء في الفرغ واقعة كانت  
 من أغرب الوقائع وذلك انه لما كان يوم المهرجان وهو الخامس من جمادى الاولى من سنة تسع عشرة  
 وسبعمائة عمده عثمان بن أبي العلاء الى جماعة جنده واختار من أنجاد بني مرين منهم نحو المائتين وقيل  
 أكثر وتقدم بهم نحو جيش الفرغ قطن النصارى انهم انما خرجوا الامر غير القتال من مفاوضة  
 أو ابلاغ رسالة أو نحو ذلك حتى اذا سامتوا موقف الطاغية ورد يده جوان صمموا نحوها حتى خالطوها  
 في مراكرها فصرعوها في جملة من الحاشية وانهم ذلك الجمع من حينه وولو الادبار واعترضهم من  
 ورائهم مسارب الماء الشرب على نهر شليل قطار حوافقها وهلك أكثرهم واكتسحت أموالهم وتبعهم  
 المسلمون يقتلون ويأسرون ثلاثة أيام وخرج أهل غرناطة لجمع الاموال وأخذ الامري فاستولوا على  
 أموال عظيمة منها من الذهب فيما قيل ثلاثة وأربعون قنطارا ومن الفضة مائة وأربعون قنطارا ومن  
 السبي سبعة آلاف نفس حسبما كتب بذلك بعض الغرناطيين الى الديار المصرية وكان من جملة الاسارى  
 امرأة الطاغية وأولاده فبذلت في نفسها مدينة طريف وجبل الفتح وثمانية عشر حصنا فيما حكى  
 بعض المؤرخين فلم يقبل المسلمون ذلك بوقت ثم هذا خطأ في الرأي وضعف في السياسة قالوا وزادت عدة  
 القتلى في هذه الغزوة على خمسين ألفا ويقال انه هلك منهم بالوادي مثل هذا العدد لعدم معرفتهم  
 بالطريق وأما الذين هلكوا بالجبال والشعاب فلا يحصون وقتل الملوكة السبعة جميعهم وقيل خمسة  
 وعشرون واستمر البيع في الامري والسبي والدواب ستة أشهر ووردت البشارة بهذا النصر العظيم الى  
 سائر البلاد ومن العجب انه لم يقتل من المسلمين سوى ثلاثة عشر نفسا وقيل عشرة أنفس وسلخ الطاغية  
 بطرة وحتى جلده فطناوعلق على باب غرناطة وبقي معلقا سنين وطلبت النصارى الهدنة فعقدت لهم  
 والله تعالى أعلم

### انتقاض الامير أبي علي على أبيه السلطان أبي سعيد وما نشأ عن ذلك

لما كانت سنة عشرين وسبعمائة انتقض الامير أبو علي صاحب مجلماسة والعمر اعلى أبيه السلطان  
 أبي سعيد وتطلب على درعة وسما الى طلب مراكش فقعد السلطان أبو سعيد على حربه لاختيه الامير  
 أبي الحسن وأغزاه اياه ثم نهض على أثره فاحتل بمراكش وثقف أطرافها وحسم علاها وعقد عليها  
 لكنندوز بن عثمان من صنائع دولتهم وقفل الى الحضرة ثم لما كانت سنة اثنتين وعشرين وسبعمائة  
 نهض الامير أبو علي في جموعه من مجلماسة وأغذ السير الى مراكش فاقصمها بعساكره قبل ان يجمع  
 لكنندوز أمره وتقبض عليه وضرب عنقه ورفع على القناة وملك مراكش وسائر ضواحيها وبلغ الخبر  
 الى السلطان أبي سعيد فخرج من حضرته في عساكره بهدان احتشد وأزاح العليل واستوفى الاعطيات  
 وقدم بين يديه ابنه الامير أبو الحسن ولى عهده وجاءه هو على ساقته وسار واعلى هذه التعبية ولما انتهوا الى  
 وادي ملوية اتصل بهم الخبر ان أبا علي يريد أن يبنيهم فأسهر واليتهم وياتوا على ظهور خيلهم وبعد

مضى جزء من الليل طرفهم أبو علي في جوعه فكانت الدبرة عليه وقل عسكره وارتحلوا من الغد في أثره وكان قد سلك جبل درن فاقرقت جنوده في أوعاره ولحقهم من المشاق ما يفوت الوصف حتى ترجل الامير أبو علي عن فرسه وسعى على قدميه وخلص من ورطة ذلك الجبل بعد عصب الريق ولحق بسجلماسة ومهد السلطان أبو سعيد نواحي مرا كش وعقد عليها موسى بن علي الهنتاتي فعظم غناؤه في ذلك واضطلاعه وامتدت أيام ولايته وارتحل السلطان الى سجلماسة فدافعه الامير أبو علي بالخضوع ووعب اليه في الصلح والرضا والعود الى السلم فأجاب السلطان الى ذلك لما كان قد شغفه من حبه فقد كان يثر عنه من ذلك غرائب ورجع الى الحضرة وأقام الامير أبو علي بمكانه من مملكة القبيلة الى ان هلك السلطان أبو سعيد وتغلب عليه أخوه السلطان أبو الحسن كما نذر الله ان شاء الله

### بنيان مدارس العلم بحضرة فاس حرسها الله

قد تقدم لنا ان السلطان يعقوب بن عبد الحق رحمه الله كان قد بنى مدرسته التي بفاس مع غيرها مما سبق التنبيه عليه ووقف عليها كتب العلم التي بعث بها اليه الطاغية سانحة عند عقد الصلح معه ووقف عليها غير ذلك واقضى أثره في هذه المنقبة الشريفة بنوه من بعده فاستكثر وامن ببناء المدارس العلمية والزوايا والربط ووقفوا عليها الاوقاف المغلة وأجر واعلى الطلبة بالجرانيات الكافية فامسكوا بسبب ذلك من رمق العلم وأحيوا امر اسمه وأخذوا بضعه جزاهم الله عن نيتهم الصالحة خيرا \* ولما كانت سنة عشرين وسبعمائة أمر السلطان أبو سعيد رحمه الله ببناء المدرسة التي بفاس الجديد فبنيت أتقن بناؤها وأحسنه ورتب فيها الطلبة لقراءة القرآن والفقهاء لتدريس العلم وأجرى عليهم المرتبات والمئون في كل شهر وحبس عليها الرباع والضياع ابتغاء ثواب الله ورغبة فيما عنده \* وفي سنة إحدى وعشرين بعد هابني ولي عهد هذه الامير أبو الحسن المدرسة التي بغربي جامع الاندلس من حضرة فاس فجاءت على أكل الهيات وأعجبها وبنى حولها سقاية ودار وضوء ووقفها لاسكني طلبة العلم وجلب الماء الى ذلك كله من عين خارج باب الجديد أحد ابواب فاس وأنفق على ذلك أموالا جلييلة تزيد على مائة ألف دينار وشحنها بطلبة العلم وقراء القرآن وحبس عليها رباعا كثيرة ورتب فيها الفقهاء للتدريس وأجرى عليهم الاتفاق والكسوة نفعه الله بقصده \* وفي سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة في فاتح شعبان منها أمر السلطان أبو سعيد أيضا ببناء المدرسة العظمى بآراء جامع القرويين بفاس وهي المعروفة اليوم بمدرسة العطارين فبنيت على يد الشيخ أبي محمد عبد الله بن قاسم المزوار وحضر السلطان أبو سعيد بنفسه في جماعة من الفقهاء وأهل الخبر حتى أسست وشرع في بنائها بحضرة فجاءت هذه المدرسة من أعجب مصانع الدول بحيث لم يكن ملك قبله مثلها وأجرى بها ماء معينان من بعض العيون هنالك وشحنها بالطلبة ورتب فيها ماما ومؤذنين وقومة يقومون بأمرها ورتب فيها الفقهاء لتدريس العلم وأجرى على الكل المرتبات والمئون فوق الكفاية واشترى عدة أملاك ووقفها عليها احتسابا لله تعالى وسيأتي التنبيه على ما بناه ابنه من ذلك أبو الحسن أيام ولايته وحافده أبو عنان وغيرها ان شاء الله \* وبالجمله فقد كان لبني مرين جنوح الى الخبر ومحبة في العلم وأهله تشهد بذلك آثارهم الباقية الى الآن في مدارسهم العلمية وغيرها وفي مثل ذلك يحسن ان ينشد

هم الملوك اذا أرادوا ذكرها \* من بعدهم قبائل سن البنيان  
ان البناء اذا تعظم شأنه \* أضحى يدل على عظيم الشأن

### بأخبار بني المرز في أصحاب سبته

قد تقدم لنا ان الرئيس أباسعيد فرج بن اسمعيل بن الاحرصاحب مالقة كان قد غدر بأهل سبته وقبض على رؤسائهم من بني العزفي وغربهم الى غرناطة سنة خمس وسبعمائة فاستقر واهنالك في ايلة السلطان

ابن الاحمر المعروف بالمنجوع مدة ولما استولى السلطان أبو الربيع المريني على سبتة ونفي بني الاحمر عنها  
 استأذنه بنو العزفي في الرجوع الى المغرب والقدوم عليه فأذن لهم واستقروا بفاس وكان أبو زكريا يحيى  
 وأبو زيد عبد الرحمن ابنا أبي طالب عبد الله بن أبي القاسم محمد بن أبي العباس أحد العزفي من سرواتهم  
 وأهل المروءة والدين فيهم وكانوا يغشون مجالس العلم بمسجد القرويين من فاس لما كانوا عليه من  
 انتحاله وكان السلطان أبو سعيد أيام ولاية بني أبيه من قبله يحضر مجلس الشيخ الفقيه أبي الحسن المذير  
 وكان أبو زكريا يحيى بن أبي طالب يلازمه ويتودد اليه فاتصل به وصارت له بذلك وسيلة عنده فلما أفضى  
 الامر الى السلطان أبي سعيد رعى لبني العزفي تلك الوسيلة فأتم عليهم وعقد لابن زكريا منهم على سبتة  
 وردهم الى موطن سلفهم ومقرر ياستم تقدموها سنة عشر وسبع مائة وأقاموا فيها دعوة السلطان  
 أبي سعيد والترمو اطاعته ولما قوض السلطان أبو سعيد الى ابنه أبي علي الامر وجعل له الأبرام والنقض  
 عقد أبو علي على سبتة لابن زكريا حيون بن أبي العلاء القرشي وعزل أبان زكريا يحيى بن أبي طالب منها  
 واستقدمه الى فاس فقدمها هو وأبوه أبو طالب وعمه أبو حاتم واستقروا في جلة السلطان وهلك أبو طالب  
 بفاس أثناء تلك المدة ثم كان من خروج الأمير أبي علي على أبيه وانتفاضه عليه ما قدمناه فلحق أبو زكريا  
 ابن أبي طالب وأخوه أبو زيد بالسلطان أبي سعيد نازعين اليه ومفارقين لابنه الشارح عليه واستمر وافي  
 حيلته الى ان مرض الأمير أبو علي وزحف أبوه اليه وحاصره بفاس حسبما مر فحينئذ عقد السلطان  
 أبو سعيد لابن زكريا على سبتة ثانيا وبعثه اليها ليقم دعوته في تلك الجهات وترك ابنه محمد بن أبي زكريا  
 تحت يده رهنا على الطاعة فاستقل أبو زكريا بما رتها وأقام دعوة السلطان أبي سعيد بها واتصل ذلك  
 منه نحو سنتين ثم هلك عمه أبو حاتم بسبتة سنة ست عشرة وسبع مائة وانتقض أبو زكريا بن أبي طالب  
 على السلطان أبي سعيد ورجع الى حال سلفه من الاستبداد واقامة الشورى بالبلد واستقدم من الاندلس  
 عبد الحق بن عثمان الذي كان خرج على السلطان أبي الربيع مع الوزير عبد الرحمن الوطاسي فقدم عليه  
 وعقد له على الحرب ليفرق به كلمة بني مرين بالمغرب ويوهن بأسهم فتخف عليه وطأتهم واتصل ذلك كله  
 بالسلطان أبي سعيد فقام وقعد وجهه الى سبتة العساكر من بني مرين وعقد على حربها الوزير ابراهيم  
 ابن عيسى اليرباني فزحف اليها وحاصرها فاعتذر اليه أبو زكريا بحبس ابنه عنه ومضارفته له وانه  
 اذا رجع اليه ابنه بذل الطاعة وراجع الدعوة فأعلم الوزير السلطان بذلك فبعث اليه بالولد ليسلمه الى  
 أبيه بعد ان يقتضى منه موجبات الطاعة وأسبابها وجاء الخبر الى أبي زكريا بان ابنه قد قدم وانه كائن  
 بنفسه طاط الوزير بساحل البحر بحيث تتأني الفرصة في أخذه فبعث أبو زكريا الى عبد الحق بن  
 عثمان قائد الحرب وأعلمه بكان ابنه فواطأه عبد الحق على انتزاعه منهم ثم هجم ليلا في جماعة من  
 حاشيته على فس طاط الوزير فاحتمل الولد وأصبح به عند أبيه وسمع أهل عسكر الوزير بالبيعة فركبوا  
 وتبعوا الاثر فلم يقفوا على خبر وتفقد الوزير الولد الذي كان عنده فلم يجده واتهم الجيش الوزير بأنه  
 مالا شبيعة أبيه على أخذه والا فلا يقدم أحدهم الاقدام بدون مداخلة من بعض الجيش فتقبصوا  
 على الوزير وحملوه الى السلطان ابلاء في الطاعة وابلاغ في العذر فشكر لهم ذلك وأطلق الوزير لعلمه  
 ببراءته ونصحته ثم رغب أبو زكريا بعد هاق رضا السلطان وطاعته وولايته فنهض السلطان أبو  
 سعيد رجه الله سنة ست عشرة الى طنجة لاختبار طاعة أبي زكريا فبان له صدقه وعقد له على سبتة  
 واشترط هو على نفسه جل الجباية الى السلطان واسماء الهدية في كل سنة واستمرت الحال على ذلك  
 الى ان هلك أبو زكريا سنة ثمان وعشرين وسبع مائة وقام بالامر بعده ابنه محمد بن أبي زكريا الى نظر ابن  
 عمه محمد بن علي ابن الفقيه أبي القاسم شيخ قرابتهم وكان قائدا لاساطيل بسبتة ولي النظر فيها بعد ان  
 نزع القائد يحيى الرنداحي الى الاندلس وتغلب محمد بن علي هذا بسبتة واختلفت كلمة الخوغاء واضطرب



الامر على بنى العزفي بها فانتزح السلطان أبو سعيد الفرصة فيها وأجمع النهوض اليها فمض سنة ثمان وعشرين وسبعمائة ونزل عليها فبادر أهل سبتة بإتباعهم وبعجز محمد بن أبي زكريا عن المناهضة وظنها محمد بن علي من نفسه فتعرض للامر في أوغاد من ليفيها اجتمعوا اليه فداقهم الملامن أهل سبتة عن ذلك وجاؤهم على الطاعة واقتادوا بنى العزفي الى السلطان أبي سعيد فاقادوا اليه واحتل السلطان بمسبة سبتة وثقف جهاتها ورم مثلها وأصلح خلها واستعمل كبار رجاله ونحوها من مجلسه في أعمالها فعد لحاجبه عامر بن فتح الله السدراقي على حاميتهما وعقد لابي القاسم بن أبي مدين العثماني على جبايتها والنظر في مبانيتها وانخراج الاموال للنفقات فيها وأسنى جوائز الملامن مشيختها ووفر اقطاعاتهم وجراياتهم وأوعز ببناء البلد المسمى افرال على سبتة فشرعوا في بنائها سنة تسع وعشرين وسبعمائة وانكفأ راجعا الى حضرته وقد ذكر في ابن الخطيب في كتاب الاكليل محمد بن أبي زكريا هذا فقال فيه ما صورته فرع تاؤد من الرياسة في دوحه وتردد بين غدوة في المجدور ووحه نشأ والرياسة العزفية تعمله وتنهله والدهر يسر أمه الاقصى ويسهله حتى اتسقت أسباب سعده وانتهت اليه رياسته سلفه من بعده فألقت اليه رحالها وحطت ومتعته بقربها بعد ما شطت ثم كلفه الدهر بعد ما تبسم وعاد زعزعا نسيجه الذي كان تنسم وعاقها لاله عن تمه ما كان من تغلب ابن عمه واستقر بهذه البلاد نازح الدار بحكم الاقدار وان كان نبيه المكنة والمقدار وجرت عليه جناية واسعة ورعاية متتابعة الى آخر كلامه ويعني بقوله هذه البلاد بلاد الاندلس والله أعلم

في المصاهرة بين السلطان أبي سعيد في ابنه أبي الحسن وبين أبي بكر بن أبي زكريا  
في الحفصي والسبب في ذلك

كان أبو تاشفين عبد الرحمن بن أبي جوام موسى بن عثمان بن يعمر اسن صاحب تلمسان قد ضايق بنى أبي حفص أصحاب تونس وافريقية في بلادهم واستولى على كثير من ثغورهم وردد البعث والسرايا الى أطراف عمالكهم وفي سنة تسع وعشرين وسبعمائة جهز أبو تاشفين اليهم جيشا كثيفا وعقد عليه ليحيى بن موسى من صنائع دولته ونصب مع ذلك الملك تونس وافريقية بعض أعقاب الحفصيين وهو محمد بن أبي هران كان بلجأ اليه في بعض الفتن التي كانت له مع بني عمه وتقدم هذا الجيش الى أبي بكر بن أبي زكريا الحفصي فهزمه واقحموا مدينة تونس فاستولوا عليها ونصبوا الملاكها والولاية عليها محمد بن أبي هران المذكور ليس له من الملك الا الاسم والامر كله بيد يحيى بن موسى قائد الجيش وخلص السلطان أبو بكر بن أبي زكريا الحفصي الى بونته بجحامط ودا عن كرسى ملكه ودار عزه فعزم حينئذ على الوفاة على السلطان أبي سعيد المريني لياخذ له حقه من آل يعمر اسن المتغلبين عليه وأراد مع ذلك تجديد الوصلة التي كانت لسلفه مع بني مرين فأشار عليه حاجبه محمد بن سيد الناس بانفاذ ابنه الأمير أبي زكريا صاحب الثغراست كفالته عن مثلها فقبل اشارته وأركب ابنه المذكور البحر وبعث معه وزيره أبا محمد عبد الله بن تافراجين ناقضا أمامه طرق المقاصد والمجاورات ونزلوا بمصرى غساسة من ساحل المغرب وقدموا على السلطان أبي سعيد بحضرته فابغوه رسالة أبي بكر الحفصي فاهتز لذلك هو وابنه الأمير أبو الحسن وقال لو فد الحفصيين والله لا بذلن في مظاهرتكم مالي وقومي ونفسي ولا سيرتكم بعضا كرى الى تلمسان فأنزلها وكان فيما شرط عليهم السلطان أبو سعيد مسير أبي بكر الحفصي بعضا كره الى منازلة تلمسان معه فقبولوا وانصرفوا الى منازلتهم مسرورين ونهض السلطان أبو سعيد الى تلمسان سنة ثلاثين وسبعمائة ولما انتهى الى وادي ملوية وعسكر بصيرة جاءه الخبر اليقين بعود أبي بكر الحفصي الى تونس وجلسه على كرسيه بها فاستدعى السلطان أبو سعيد ابنه أبا زكريا ووزيره أبا محمد بن تافراجين وأعلمهما الخبر وأسنى جوائزهم وأمرهم بالانصراف الى صاحبهم فركبوا أساطيلهم

من غساسة وبعث معهم ابراهيم بن ابي حاتم العزفي والقاضي بمحضرة ابا عبد الله بن عبد الرزاق يخطبون بنت السلطان ابي بكر الحفصي لابنه الامير ابي الحسن فوصلوا الى الحفصي وادوا الرسالة وانعقد الصهر بينهم في ابنته فاطمة شقيقة الامير ابي زكريا وزفها اليهم في اساطيله مع مشيخة الموحدين وكبيرهم ابي القاسم بن عتو فوصلوا الى مرسى غساسة سنة احدى وثلاثين وسبعمائة فقام بنو مرسى لها على اقدم البر والكرامة وبعثوا بالظهور الى غساسة لركوبها وجل ائقها وصيغت حبات الذهب والفضة ومدت ولايات الطير بالمشاة بالذهب واحتفل السلطان ابا سعيد رحمه الله لوفدها واعراسها بما لم يسمع بمثله في دولتهم وتحدثت الناس به دهر او هلك السلطان ابا سعيد بين يدي موصلها كما نذكر

### وفاته السلطان ابي سعيد بن يعقوب رحمه الله

كان السلطان ابا سعيد رحمه الله لما بلغته الخبر بوصول العروس فاطمة بنت السلطان ابي بكر بن ابي زكريا الحفصي سنة احدى وثلاثين وسبعمائة ارتحل بنفسه الى تازا ليشرف احوالها كرامة لها ولا ييه او سرور ابر من ابنه فاعتل هنالك وازداد مرضه حتى اذا اشفا على الهلكة ارتحل به ولي العهد الامير ابا الحسن الى الحضرة ووجه في فراشه على اكتاد الحاشية والجندي حتى نزل بوادي سبوا ثم ادخله كذلك ليلا الى قصره فادركته المنية في طريقه فتوفي ليلة الجمعة الخامسة والعشرين من ذي القعدة سنة احدى وثلاثين وسبعمائة وكان مرضه بعلة النقرس فوضعه بكائه من بيته واستدعى ابنه ابا الحسن الصالحين لوارثته فدفن هنالك ببعض قبابه رحمه الله وكانت ايامه اعيادا ومواسم ومن اكار كتابه الرئيس ابو محمد عبد المهين الحضرمي السبتي

### الخبر عن دولة السلطان المنصور بالله ابي الحسن علي بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق رحمه الله

هذا السلطان هو انجم ملوك بني مرسى دولة واضخمهم ملكا وابدهم صبنا واعظمهم ابهة واكثرهم آثارا بالانديين والاندلس ويعرف عند العامة بالسلطان الاكل لان امه كانت حبشية فكان اسمر اللون والعامية تسمى الاسمر والاسود اكل وانما الاكل في لسان العرب اكل العينين فقط وكان اخوه ابو علي لملوكة من سبي النصارى فكان ابيض وانضاف لذلك ان كان ابا الحسن ملكا على الحضرة و ابو علي ملكا على بلاد القبلة فكانا اخوين ملكين في عصر واحد اهما اسمر والاخر ابيض فعرف هذا بالاكل والاخر بالابيض للقبالة ولما هلك السلطان ابا سعيد رحمه الله اجتمع الخاصة من المشيخة ورجال الدولة على ولي عهده ابي الحسن المذكور وعقدوا له على انفسهم وآتوه طاعتهم فامر للعين بنقل معسكره من ناحية سبوا الى الزيتون من ناحية فاس ولما فرغ من دفن ابيه خرج الى معسكره بالمحل المذكور واجتمع الناس اليه على طبقاتهم لاداء البيعة بفسطاطه وتولى اخذ البيعة له يومئذ على الناس الشيخ ابو محمد عبد الله بن قاسم المزوار والمزوار في لسان زناثة معناه الرئيس وكان هذا الرجل رئيس الوزعة والمتصرفين وحاجب الباب السلطاني قديم الولاية في ذلك منذ عهد السلطان يوسف بن يعقوب ثم زفت على السلطان ابي الحسن زوجته الحفصية فبنى بها مكانه من المعسكر المذكور واجمع رايه على الانتقام لايها من عدوه ابي تاشفين الزياتي على ما نذكره

### حدث الفتنة بين الاخوين ابي الحسن و ابي علي ثم مقتل ابي علي والسبب في ذلك

كان السلطان ابا سعيد رحمه الله لما عهد بالامر لابنه ابي الحسن وتحقق مصيره اليه كثيرا ما يستوصيه باخيه ابي علي لكفاه به وشفقته عليه فلما اخلص الامر الى ابي الحسن وكان موثرا رضا ابيه جهده اعترم على الحركة الى مجملها لشارفة احوال اخيه واختبار امره وما هو عليه من سلم او حرب ليعمل على مقتضى ذلك فارتحل من معسكره بالزيتون قاصدا مجملها لشارفة وقود اخيه ابي علي اثناء الطريق

مؤديا حقه وموجباً مبرته ومهتلاً بما آتاه الله من الملك ويعلمه مع ذلك بأنه متجاني عن المنازعة له  
فانع من تراث أبيه بما في يده طالب منه أن يعقد له بذلك فأجابه السلطان أبو الحسن إلى ما سأله وعقد له  
على سجلماسة وما والاها من بلاد القبلة كما كان لعهد أبيه وأشهد على ذلك الملامن بنى مرين وسائر زناتة  
والعرب وانكفأ السلطان أبو الحسن راجعاً إلى تلمسان عازماً على الانتقام من أبي تاشفين الزياتي فسار  
حتى انتهى إلى تلمسان ثم تجاوزها إلى جهة الشرق حتى نزل بتاسالت منتظر القدم صهره السلطان  
أبي بكر الحفصي عليه وفاء بالهد الذي كان انعقد له مع السلطان أبي سعيد أيام وفادة ابنه أبي زكرياء  
عليه من أنهما يكونان يداً واحدة على حصار تلمسان حتى يحكم الله بينهما وبين صاحبها فسكر أبو الحسن  
بتاسالت ثم بعث بحصنة من جنده في البحر إلى صهره الحفصي مدد له وهو يومئذ بجاية يقاتل جيش  
بنى زيان عليها ولما اتصل الخبر بابي تاشفين صاحب تلمسان فكر في أمر أبي الحسن وأعمل الحيلة  
بأن دس إلى أخيه الأمير أبي علي صاحب سجلماسة في اتصال اليديبه والاتفاق معه على أخيه أبي  
الحسن وإن يأخذ كل واحد منهما ما يجزته عن صاحبه ويشغله عنه حتى يتمكن منه ووعد أبو تاشفين  
ومناه ولم يزل به حتى انتقض على أخيه ونهض من سجلماسة إلى درعة فقتل عاملها وولى عليها عاملاً  
من قبيلة ثم سرح العساكر إلى جهة مراكش وأجلب عليها بجياله ورجله واتصل الخبر بالسلطان  
أبي الحسن وهو بمسكرة من تاسالت ينتظر قدوم الحفصي عليه فأنكفأ راجعاً إلى الحضرة فجمع  
الانتقام من أخيه ولما انتهى طريقه إلى حصن تاوريرت شخصه بالسكر وعقد عليه لابنه تاشفين  
ابن أبي الحسن ووقف أمره على نظر مندبل بن حمامة شيخ بنى تيرعين ثم أغذاه إلى سجلماسة فقتل  
عليها وأخذ بمنقحها وحشر الفعلة والصناع لصنع الآلات والبناء بساحتها وأقام عليها يغادها بالقتال  
ويروحها حولاً كاملاً ونهض أبو تاشفين في عساكره من تلمسان يريد الغارة على أطراف المغرب كي  
يشغل أبا الحسن عن أخيه بذلك فأنهى إلى تاوريرت فبرز إليه تاشفين بن أبي الحسن في عساكر مرين  
فهزموه وردوه على عقبه إلى تلمسان ثم بعث بحصنة من جنده مدد إليه أمير أبي علي فدمر بوالي سجلماسة  
جماعات وأفذاذ حتى تكاملوا إليه فلم يغنوا شيئاً وطاولهم السلطان أبو الحسن الحصار وأتزل بهم  
أنواع النكال حتى اقتحم البلد عنوة تاسع عشر محرم سنة أربع وثلاثين وسبعمائة وثلاثة قبض على الأمير  
أبي علي عند باب قصره ووجى به إلى أخيه أبي الحسن وقد خامر الجزع فلما مثل بين يديه تضرع إليه  
وقبل حافر فرسه فأمر أبو الحسن بتثقيفه وجمه على بغل إلى فاس وانكفأ هو راجعاً إلى الحضرة فلما  
دخلها اعتقل أخاه ببعض حجر القصر أشهراً ثم قتله فصدوا خنقا وكانت سن أبي علي يومئذ سبعاً وثلاثين  
سنة وكانت دولته بسجلماسة تسع عشرة سنة وأشهرها وكان رقيق الحاشية ينتمى إلى الأدب وهو الذي  
استقدمه أبو محمد عبد المهين الحضرمي من سبتة واستكتبه أيام أبيه ومن شعر الأمير أبي علي يخاطب  
أخاه أبا الحسن أيام حصاره له بسجلماسة وقد أيقن بزوال أمره

فلا يغرنك الدهر الخون فكم \* أباد من كان قبلي يا أبا الحسن  
الدهر مذ كان لا يبقى على صفة \* لا بد من فرح فيه ومن حزن  
أين المسلك التي كانت تمهم \* أسد العرين ثووا في اللحد والكفن  
بعد الاسرة والتيجان قد محبت \* رسوماها وعفت عن كل ذي حسن  
فاعمل لا تحرى وكن بالله مؤتمرا \* واستغن بالله في سر وفي علن  
واختر لنفسك أمر أنت أمره \* كأنني لم أكن يوماً ولم تكن

وفادة السلطان ابن الأحمر على السلطان أبي الحسن بحضرة فاس وفتح جبل طارق

ما هلك السلطان أبو الوليد اسمعيل ابن الرئيس أبي سعيد فرج ابن الأحمر المتغلب على ملك الأندلس من



يد ابن عمه أبي الجيوش قام بالامر بعده ابنه محمد طفلا صغيرا واستبد عليه وزيره محمد بن المحروق فقتله بعد  
 ما شب وعقل وكان الطاغية قد استولى على جبل الفتح وهو جبل طارق سنة تسع وسبع مائة وزاحم  
 الفرج به ثغور المسلمين وصار يحيى في صدر الدولتين المرينية والاحمرية واستمر الحال على ذلك الى ان  
 بويع الامير السلطان أبو الحسن وكان له رغبة في الجهاد اقتداء بجدته يعقوب بن عبد الحق  
 فبادر السلطان محمد بن اسمعيل ابن الاحمر الى الوفاة عليه لاحكام عقد المودة معه وللفاوضة في امر  
 الجهاد وغير ذلك مما فيه صلاح لدولته فقدم عليه بدار ملكه بفاس سنة اثنتين وثلاثين وسبع مائة فأكرم  
 السلطان أبو الحسن موصله وأركب الناس للقائه وأنزله بروض المصاراة لصق داره واستبغ في اكرامه  
 وفارضه ابن الاحمر في شأن المسلمين ورواء البحر وما همهم من عدوهم وشكى اليه حال الجبل واعتراضه  
 يحيى في صدور الثغور قبل وشكى اليه امر بني عثمان بن أبي العلاء لانهم كانوا قد استطوا عليه في أرضه  
 فاشكاه أبو الحسن وعامل الله تعالى في أسباب الجهاد وكان يومئذ مشغولا بقتله أخيه أبي علي ومع ذلك  
 فقد أمده بالجند وعقد لابنه أبي مالك على خمسة آلاف من أتجادي مريين وأنفذهم مع ابن الاحمر لئلا  
 جبل الفتح فاحتل أبو مالك بالجزيرة الخضراء وتابعت اليه الاساطيل بالمدد وأرسل ابن الاحمر في  
 الاندلس حشرين فقتل الناس اليه من كل جهة وزحفوا جميعا الى الجبل وأحاطوا به وأبوا في منازلته  
 البلاء الحسن الى ان فتحوه سنة ثلاث وثلاثين وسبع مائة واقتحم المسلمون عنوة ونظامهم الله من كان به  
 من النصاري بما همهم وشرع المسلمون في شحنه بالاقوات ينقلونها من الجزيرة الخضراء على خيولهم  
 خوفا من ككرة العدو وبأسر نقلها الاميران أبو مالك وابن الاحمر بأنفسهما ونقلها الناس عامة وتخير  
 الامير أبو مالك الى الجزيرة الخضراء وترك بالجبل يحيى بن طلحة بن محلي من وزراء أبيه ووصل الطاغية  
 بعد ثلاث من فتحه فأنحى عليه وحاصره وبرز أبو مالك بعساكره من الجزيرة فقتل بازائه وزحف ابن  
 الاحمر فقتل بازائه أيضا ثم خاف ابن الاحمر عادية العدو وتقرب العهد بارتجاع الجبل ونخسة من به من  
 الحامية والسلاح فبادر الى لقاء الطاغية وسبق الناس الى فسطاطه بجلا بانه انفسه من الله في رضا  
 المسلمين وسد خلعتهم فلقاه الطاغية راجلا حاسرا اعظاما له وأجابته الى ما سأل من الافراج عن هذا المعقل  
 وأتحفه بذخائر ماله وارتحل من فوره وشرع الامير أبو مالك في تحصين ذلك الثغر وسد فوهجه وهو قال  
 أبو العباس المقرئ في الفتح يارتجع السلطان أبو الحسن جبل طارق بعد ان أنفق عليه الاموال وصرف  
 اليه الجنود والحشود ونزلته جيوشه مع ولده وخراصه وضيقتوا به الى ان استرجعوه ليد المسلمين واهتم  
 ببنائه وتحصينه وأنفق عليه اجمال المال في بنائه وحصنه وسوره وبني أبراجه وجاءه وودوره ومحاربه  
 ولما كاد يتم ذلك نازله العدو برا وبحرا فصر المسلمون ونحيب الله سعي الكافرين فاراد السلطان المذكور  
 ان يحصن سفح الجبل بسور محيط به من جميع جهاته حتى لا يطمع عدو في منازلته ولا يجدي سبيل للتضييق  
 عليه بمحاصرته ورأى الناس ذلك من المحال فانفق الاموال وأنصف العمال فاحاط بمجموعه احاطة  
 الهائلة بالهلال وكان بقاء هذا الجبل بيد العدو ثيفا وعشرين سنة وحاصره السلطان أبو الحسن ستة أشهر  
 وزاد في تحصينه ابنه السلطان أبو عثمان وجهه ما الله تعالى به وأما ابن الاحمر يحيى فان اولاد عثمان بن أبي  
 العلاء شيوخ الغزو بالاندلس لما حصل بينه وبين السلطان أبي الحسن من الوفاق واتصال اليد  
 خافوا ان تعود مواقفهم بالضرر عليهم اذ كانوا أعداء للدولتين معا أما دولة المغرب فضر وجههم عليهم  
 ومما ابنتهم اياهم غير مرة وأما دولة الاندلس فباستحوادهم على أهلها ومن اجتمعت اياهم في رياستها  
 فتشاوروا فيما بينهم وقتكوا بين الاحمر يوم رحيله عن الجبل الى غرناطة فتقاصفوه بالرمح وقدموا أخاه  
 أبا الجراح يوسف بن اسمعيل مكانه فقام بالامر بعده وشمر للاخذ بشار أخيه فاحتال على بني أبي العلاء حتى  
 قبض عليهم وأودعهم المطبق ثم غرتهم الى تونس الى ان كان من أمرهم ما نذكره

بفتح تلمسان ومقتل صاحبها أبي تاشفين وانقراض الدولة الاولى لبني زيان بملكهم

لما استقام ملك المغرب للسلطان أبي الحسن بمقتل أخيه أبي علي صاحب سجلماسة ونصر الله جنده على الطاغية بالاندلس تفرغ لشأن تلمسان والانتقام من صاحبها أبي تاشفين الذي ضايق أصحابه من بني أبي حفص في أرضهم ونازعهم في ملكهم وكان السلطان أبو الحسن قد بعث لأول بيعته شفعا إلى أبي تاشفين في أن يتخلى عن عمل الموحدين ويرجع إلى تخوم أعماله التي ورثها عن سلفه وقال له في جملة ذلك كف عنهم ولو سنة واحدة لسمع الناس أني ناخعت عن صهرى ويقدر واقدرى فاستنكف أبو تاشفين من ذلك وأغلظ الرسل في القول وأخش بعض السفهاء من عبيده في الرد عليهم بمجلسه ونالوا من السلطان أبي الحسن بمحضرة فمادت الرسل إليه وأعلموه بالقضية على وجهها فحوى لذلك وغضب وتأكد عزه على النهوض إلى تلمسان فكان من نهوضه أولا وانتفاض أخيه عليه وعوده إليه من تاسالت ما قصصناه قبل مستوفى ثم عاود السلطان النهوض إلى تلمسان في هذه المرة فعمد بظاهر فاس الجديد وبعث وزراءه ووجوه دولته إلى قاصية البلاد المراكشية لحشد القبائل والجوع ثم تجهل وعرض جنوده وأزاح عليهم وعبي مواكبه وفصل في التعمية من فاس أواسط خمس وثلاثين وسبعمائة فصار يجر الشوك والمد من أم المغرب وجنوده ومر بوجدة فجمر عليها الكتاب للحصار ثم مر بندرومة فقاتلها بعض يوم ثم اقتحمها عنوة فاستولى عليها وقتل حاميتها ثم سار على التعمية حتى أناخ على تلمسان ثم بلغه الخبر بتغلب عسكره على وجدة سنة ست وثلاثين وسبعمائة فأوعز إليهم بتخريب أسوارها فأضر عوها بالارض وتوافت لديه امداد النواحي وحشودها ووفدت عليه قبائل مغوارة وبني توجين فأتوه طاعتهم وسرح كتابته إلى القاصية فتغلب على وهران وهنسين ثم على مليانة وتنس والجزائر وغيرها واستولى على الضواحي ونزع إليه يحيى بن موسى كبير قواد أبي تاشفين وصاحب الثغور الشرقية من أعماله فلقاته مبرة وكرامة ورفع بساطه ونظمه في طبقات وزرائه وجلسائه وعقد على فتح البلاد الشرقية ليحيى بن سليمان العسكري شيخ بني عسكر بن محمد وصهر السلطان على ابنته فسار في الالوية والجنود فطوع ضاحية التمرق وافتتح أمصاره حتى انتهى إلى المدينة ونظم البلاد في طاعة السلطان أبي الحسن واحتشد جوعها فلحقوا بعسكره واستعمل السلطان أبو الحسن عماله على الجهات واختط بغربي تلمسان البلاد الجديدة لسكناه ونزول عساكره وأحيا معالم المنصورة التي كان اختطها عمه يوسف ابن يعقوب وخرجهما بنوزيان من بعده فأدار عليها سياجا من السور ونطاقا من الخندق ونصب المجانيق والآلات من وراء خندقه وجعلت رمانه تتضح رماة العدو بالنبل ويشغلونهم بأنفسهم حتى شيد برجا آخر يقرب منهم وترفع شرفاته فوق خندقهم وتماصع المقاتلة بالسيف من أعاليه ورتب المجانيق لرجعها وأحكم عملها لكها قتالت من نلك فوق الغاية وعظم أثرها في القصور العظيمة والقباب الرفيعة التي تأنق أبو تاشفين في تشييدها وكان السلطان أبو الحسن يصح المقاتلة كل يوم ويطوف على البلد من جميع جهاته لتفقد رؤساء العسكر في مرأ كثرهم ورجما انفرد في طوافه فطاف في بعض الايام منتبذا عن الحاشية فاهتبل بنو عبد الواد غرته حتى اذا سلك ما بين الجبل والبلد فتحوا أبوابهم وأرسلوا عليه عقبان جنودهم يحسبون افرصة كالتى كانت ليغمر من بن زيان في السعيد الموحدى واضطروه إلى سفح الجبل حتى لحق بأوعاره وكاد ينزل عن فرسه هو ووليه عريف بن يحيى أمير عرب سويدوا حس أهل المعسكر بنلك فركبوا زرافات ووجد اناور كب ابناه الاميران أبو عبد الرحمن وأبو مالك وهما جناح عسكره وعقبا محافله وتهاوت اليهم صفور بنى مرين من كل جوفانه كشفت عساكر بنى عبد الواد وولوا الادبار منهزمين لا يلوى أحد منهم على أحد واعترضهم مهوى الخندق قطار حوافيه وتم ائتوا على ردمه فكان الهالك يومئذ فيه أكثر من الهالك بالسلاح وهلك من بنى توجين يومئذ هم بن عثمان كبير الحشم وعامل جبل

وانشريس ومحمد بن سلامة بن علي كبير بني يديلتن وصاحب قلعة تاوغزوت وهما ما هما في زناته الى اشباه  
لها استلموا في هذه الواقعة فخص هذا اليوم من جناح دولة بني زيان وحطم منها واتصل الحصار مدة  
من ثلاث سنين حتى اذا كان السابع والعشرون من ربه ضان من سنة سبع وثلاثين وسبع مائة اقمم  
السلطان أبو الحسن مدينة تلمسان عنوة ووقف أبو تاشفين رحمه الله عند باب قصره في جماعة من أصحابه  
منهم ولداه عثمان ومسهود ووزيره موسى بن علي ووليه عبد الحق بن عثمان وهو الذي كان خرج على  
السلطان أبي الربيع وبايعه عبد الرحمن بن يعقوب الوطاسي حسبا من فانه طلق بعد تلك الواقعة بتلمسان  
ثم منها الى الاندلس ثم حضر انتفاض العز في سنة سنة ست عشرة كما مر ثم لحق بأبي بكر الحفصي ثم نزع  
عنه الى أبي تاشفين واستمر عنده الى هذا اليوم فشهد في جماعة من بنيه وبني أخيه وكانوا احلام  
حرب وقتيان كريمة فاستمرادون القصر واسما تواعاياه الى ان استلموا وورفت رؤسهم على عصا الرماح  
فطيف بها وغصت سكاك البلدة من داخلها وخارجها بالعساكر وكطت أبوابها بازحام حتى لقد كب الناس  
على أذقانهم وتواقفوا في مساربهم فوطئوا بالحواقر وتراكت أشلاؤهم ما بين البابين حتى ضاق المسالك  
ما بين السقف ورجبة الباب وانطلقت الايدي على المنازل نهبوا وكتساحا وهو أما أبو تاشفين فانه قاتل  
حتى قتل ابناه عثمان ومسهود أمامه وخلصت اليه جراحات فأثنته وتقبض عليه بعض الفرسان  
فساقه الى السلطان فلقبه ابنه الامير أبو عبد الرحمن فأمر به فقتل في الجين واحتر رأسه ومخط السلطان  
ذلك من فعله لانه كان حريصا على توبيخه وتقريبه وهو قال ابن الخطيب وهو وقف أبو تاشفين وبنوه بازاء  
القصر مدافعين عن أنفسهم وقاموا مقام الصبر والاستجماع وصدقوا عن أنفسهم الدفاع الى ان  
كوثر واواجملتهم ميتة العز عن شد الوثاق وامكان الشمت فكان في شأنهم عبرة رجهم الله وخلص  
السلطان أبو الحسن الى المسجد الجامع بمحاشيته واستدعى شيوخ الفتيان بتلمسان وهما الامان الشهيران  
أبو زيد عبد الرحمن وأبو موسى عيسى ابنا الامام فخلصوا اليه بعد الجهد وعظوه وذكره بما نال  
الناس من النهب والعيث فركب لذلك بنفسه وسكن الناس وقبض أيدي الجنود عن الفساد وعاد الى  
معسكره بالبلد الجديد وقد كمل الفتح وعز النصر واستولى السلطان أبو الحسن على تلك الامارة المؤتلة  
بما اشتملت عليه من نفيس الحلي وثمن الذخيرة وغانر المتاع وخطير العدة وبديع الآلة وصامت المال  
وضروب الرقيق وصنوف الاثاث والماعون ورفع القتل عن بني عبد الواد أعدائه وشفان نفسه بقتل  
سلطانهم وعفانهم وأثبتهم في الديوان وفرض لهم العطاء واستبعمهم على رايانهم ومرا كزهم وجمع كلمة  
بني واسين من بني مرين وبني عبد الواد وبني توجين وسائر زناته وصاروا عصبيا تحت لوائه وسد بكل  
طائفة منهم ثغرا من أعماله فأزل منهم بقاصية السوس وبلاد غمارة وأجاز منهم الى ثغور عمله بالاندلس  
حامية ومرابطين واندرجوا في جلته واتسع نطاق مملكته وأصبح أبو الحسن ملائكة زناته بعد ان كان ملك  
بني مرين وسلطان العدوتين بعد ان كان سلطان المغرب فقط وانما الارض لله يورثها من يشاء من عباده  
والعاقبة للمتقين

وهو رسالة السلطان أبي الحسن لسلطان مصر وبعثه المصاحف من خطه

وهو الى المساجد الثلاثة شرعها الله

كان السلطان أبي الحسن مذهب ورأي في ولاية مالوك المشرق والكلف بالمعاهد الشريفة اقتداء في  
ذلك بعمه يوسف بن يعقوب وغيره من سلفه وضاعف ذلك لاديه متين ديانتته ورفيع همته ولما قضى من  
أمر تلمسان ما قضى واستولى على المغرب بين خايط الحينيه صاحب مصر والشام والجزاز الملك الناصر  
محمد بن قلاوون وعرفه بالفتح وارتفع العوائق عن ركب الحاج في سابلتهم وكان سفيره في ذلك فارس  
ابن ميمون بن وردار وعاد بجواب الكتاب وتقرير المودة بين الخلف كما كانت بين السلف فأجمع السلطان



أبو الحسن حينئذ على كتب نسخة عتيقة من المصحف الكريم بخط يده ليوقفها بالحرم الشريف حرم مكة  
 قربة إلى الله تعالى وابتغاء للثوبة فانتخبها بيده وجمع الوراقين لتتميقها وتذهيبها والقراء لضبطها  
 وتهذيبها وصنع لها وعاء مؤلفا من الآبنوس والعاج والصندل فائق الصنعة وغشي بصفايح الذهب  
 وورصع بالجوهر والياقوت واتخذ له أصونة الجلد المحكمة الصنعة المرقوم أديمها بخطوط الذهب ومن  
 فوقها غلائف الحرير والديباج وأغشية الكتان وأخرج من خزائنه أموالا عينا لشراء الضياع بالمشرق  
 لتكون وقفاء على القراء فيها وأوفد على الملك الناصر خواص مجلسه وكبار أهل دولته مثل عريف بن  
 يحيى أمير بني زغبة من عرب بني هلال ومثل السابق المقدم في بساطه على كل خالصة عطية بن مهلهل  
 ابن يحيى كبير أخواله من عرب الحظ وبعث كاتبه أبا الفضل بن محمد بن أبي مدين وعريف الوزعة بيا به  
 الشيخ أبا محمد عبد الله بن قاسم الزوار واحتفل في الهدية للسلطان صاحب مصر احتفالا تحدث الناس به  
 دهرًا **يقال** ابن خلدون **يقف** وقفت على برنامج الهدية بخط أبي الفضل بن أبي مدين الرسول المذكور  
 ووعيته ثم أنسبته وذكروا بعض قهارمة الدارانه كان فيها خمسمائة من عملاق الخيل المقربات بسروج  
 الذهب والفضة ولبها خالماومغشي ومقوها وخمسمائة جل من متاع المغرب وماعونه وأسلحته ومن نسج  
 الصوف المحكم ثيابا وكسية وبرانس وعمائم وأزرا معلقة وغير معلقة ومن نسج الحرير الغائق المعلم  
 بالذهب ملون وغير ملون وساندجا ومنمقا ومن الدرق المجاوية من بلاد الصحراء المحكمة الدبغ المنسوبة إلى  
 اللط ومن خرق المغرب وماعونه ما تستطرق صناعته بالمشرق حتى لقد كان فيها مكيل من حصي الجواهر  
 والياقوت واعتزمت حظية من خطايا أبيه على الحج في ذلك الركب فاذن لها واستبلغ في تكريمها  
 واستوصى بها وفده وسلطان مصر في كتابه وفصلوا من تلمسان سنة ثمان وثلاثين وسبع مائة ووصلوا  
 إلى مصر في الثاني والعشرين من رمضان من السنة المذكورة وأدوا رسالتهم إلى الملك الناصر وقدموا  
 هديتهم إليه فقبلها وحسن موقعها لديه وكان يوم وفادتهم عليه بمصر يوما مشهودا تحدث الناس به دهرًا  
 ولقاهم سلطان مصر في طريقهم أنواع البر والكرامة حتى قضوا فرضهم ووضعوا المصحف الكريم  
 حيث أمرهم صاحبه وأسنى الملك الناصر هدية السلطان من الفساطيط المنرفية الغربية الشكل  
 والصنعة بالمغرب ومن ثياب الاسكندرية البديعة النسج المرقومة بالذهب ورجعهم بها إلى مرسلهم  
 وقد استبلغ في تكريمهم وصلتهم وبقى حديث هذه الهدية مذكورا بين الناس لهذا العهد اه كلام ابن  
 خلدون ببعض إيضاح **يقول** قد ذكر في الامام الخطيب أبو عبد الله بن مرزوق في كتابه المسند الصحيح الحسن  
 من أخبار السلطان أبي الحسن هذه الهدية وفصل منها بعض ما أجله ابن خلدون فقال أرسل السلطان  
 أبو الحسن للناصر بن قلاوون صاحب الديار المصرية من أبحار الياقوت العظيم القدر والثر ثمانمائة  
 وخمسة وعشرين ومن الزهر ثمانمائة وثمانية وعشرين ومن الزبرجد ثمانمائة وثمانية وعشرين ومن  
 الجواهر النفيس الملوكة ثمانمائة وأربعة وستين وأرسل حلالا كثيرة منها مذهب ثمانية عشر ومن  
 الانان عشرين مذهبية ومن الخلالدى ستة وأربعين ومن القنوع ستة وعشرين مذهبية ومن  
 المحررات المحتمة ثمانمائة ومن الرصان عشرين شقة ومن الاكسية المحررة أربعة وعشرين ومن  
 البرانس المحررة ثمانية عشر ومن المشققات مائة وخمسين ومن أحارم الصوف المحررة عشرين  
 ومن شقق الملف الرفيع ستة عشر ومن الفضالي المتنوعة والقرش والحقاد المتبوق والحلل ثمانمائة  
 ومن أوجه اللحف المذهبية عشرين وحائطين حلة وحنابل مائة واثني عشر كلها حرير وفرش جلد مخروز  
 بالذهب والفضة ومن السبوق المحلاة بالذهب المنظم بالجواهر عشرة والسروج عشرة بركب الذهب  
 كذلك ومهامير الذهب وثلاثة ركب فضة وستة مزججة ومذهبية ومضمتان من ذهب مما يليق بالملوك  
 وشاشية حديد بذهب مكال بالجواهر ومن لزمات الفضة عشرة وسروج مخروزة بالفضة عشرة

وعشر علامات مغشاة مذهبة وعشر رايات مذهبة وعشر براقع مذهبة وعشر أمثلة مرقومة  
وثلاثون جلد اشرك وأربعة آلاف درقة لطمها مائتان بنهود الذهب وثمانمائة بنهود الفضة وخمسة  
قبعة كبيرة من مائة بنيقة لها أربعة أبواب وقبة أخرى مضرية من ست وثلاثين بنيقة مبطنه بحلقة  
مذهبة وهي من حرير أبيض وعرا بطها حرير ملون وعمودها عاج وآبنوس واكبارها من فضة مذهبة  
ومن البزات الاحرار المنتقات أربعة وثلاثين ومن عتاق الخيل العرب ثلاثمائة وخمسة وثلاثين ومن  
البغال الذكور والانات مائة وعشرين ومن الجمال سبعمائة وتوجهت مع هذه الهدية أم بريم  
مع الربعة المكفرة يعني ربعة المصحف الكريم وأعطى السلطان الحرة أم أخته أم ولد أبيه  
مريم ثلاثة آلاف وخمسمائة ذهباً ولقاضي الركب ثلاثمائة وكسوة ولقائد الركب أربع مائة  
وكساوى من عدة وبغلات وللرسول المعين للهدية ألفاً ولشيخ الركب أحمد بن يوسف بن أبي محمد صالح  
خمسمائة ولجماعة الضمهاء من الحاج ستمائة وبرسم العطاء للعرب ثلاثة آلاف وثمانمائة ولشراء  
الرابع مائة عشر ألفاً وخمسمائة ذهباً اهـ **وهو ذكر في الكتاب المذكور** ان السلطان أبو الحسن  
أهدى هدايا غير هذه لكثير من الملوك منها صاحب الاندلس صلة وصدقة وهدية في مرات ومنها  
لملوك النصارى بعد هداياهم ومنها السلطان السودان كصاحب مالي ومنها صاحب افريقية ومنها  
لصاحب تلمسان اهـ **وهو قال** الهدية المقرية **وهو** مؤرخ مصر في كتاب السلوك ما نصه وفي ثمان  
وعشرين من رمضان سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة قدمت الحرة من عند السلطان أبي الحسن  
علي بن عثمان بن يعقوب المريني صاحب فاس تريد الحج ومعها هدية جلييلة الى الغاية تزل لهما من  
الاسطول السلطاني ثلاثون قطارا من بغال النقل سوى الجمال وكان من جلتها أربع مائة فرس منها مائة  
حجرة ومائة فحل ومائتا بغل وجميعها بسروج ولحم مسقطة بالذهب والفضة وبعضها سر وجها وركبها  
ذهب وكذلك لجهاد عتقها اثنان وأربعون رأسا منها سرجان من ذهب مرصع بجوهر وفيها اثنان  
وثلاثون بازا وفيها سيف قرابه ذهب مرصع وحياسة ذهب مرصع وفيها مائة كساء وغير ذلك من  
التماش العالى وكان قد خرج المهندار الى لقاءهم وأتزلهم بالقرافة قريب مسجد الصخ وهم جمع كثير جدا  
وكان يوم طلوع الهدية من الايام المذكورة ففرق السلطان الهدية على الامراء بأسرهم على قدر مراتبهم  
حتى نفذت كلها سوى الجوهر والذو لوفاته اختص به فقدرت قيمة هذه الهدية بما يزيد على مائة  
ألف دينار ثم نقلت الحرة الى الميدان بمن معها ورتب لها من الغنم والذجاج والسكر والحلواء والفاكهة  
في كل يوم بكرة وعشية ماعمهم وفضل عنهم فكان من مرتبهم كل يوم عدة ثلاثين رأسا من الغنم ونصف  
أردب أرزا وفتار حبرمان وربيع فتار سكر وثمان فانتوسيات شهما وتوابل الطعام وحمل  
اليها برسم النفقة مبلغ خمسة وسبعين ألف درهم وأجرة حمل أبقالهم مبلغ ستين ألف درهم ثم خلع على  
جميع من قدم مع الحرة فكانت عدة الخلع مائتين وعشرين خالعة على قدر طبقاتهم حتى خلع على الرجال  
الذين قادوا الخيول وحملوا الى الحرة من الكسوة ما يجبل قدره وقيل لها ان تولى ما تحتاج اليه ولا يعوزها  
شيء وانما تريد عنابة السلطان اكرامها واكرام من معها حيث كانوا فقدم السلطان الى النشور والى  
الامير أحمد أن يغايب تجهيزها اللائق بها اقام بذلك واستخدم لها السقائين والضوئية وهما كل ما تحتاج  
اليه في سفرها من أصناف الحلوات والسكر والدقيق والجماط وطلبها الجمالة لحمل جهازها وأزودتها  
ونذب السلطان للسفر معها جمال الدين متولى الجسيرة وأمره أن يرسل بها من مركب لها بفردها فقام  
المحمل ويمثل كلمات أمر به وكتب لاميرى مكة والمدينة بخدمة أم خدمته اهـ وفيه بعض مخالفة  
لما وصفه ابن مرزوق في الهدية والخطب سهل **ثم** انتسخ السلطان أبو الحسن وجه الله نسخة أخرى من  
المصحف الكريم على القانون الاول ووقفها على القراء بالدينسة وبعث بهم من تخير لذلك العهد من أهل

دولته سنة أربعين وسبعمائة وفعل مثل ذلك بحرم بيت المقدس **يقال** العلامة أبو العباس المقرئ في فتح  
الطيب كان السلطان أبو الحسن المريني قد كتب ثلاثة مصاحف شريفة بخطه وأرسلها إلى المساجد  
الثلاثة التي تشد إليها الرحال ووقف عليها أوقافا جليلة كتب سلطان مصر والشام توقيعه بمساحتها  
من انشاء الأديب الشهير جمال الدين بن نباتة المصري ونص ما يتعلق به الغرض منه هنا قوله وهو الذي  
متعينه بالسيف والقلم فكتب في أحزابها وسطر الختمات الشريفة فأيد الله عزبه بما سطر من أحزابها  
واتصلت ملائكة النصر بلاوائه تغدو وتروح وكثرت فتوحه لأملاء الغرب فقالت أوقاف الشرق  
لا بد للفقر من فتوح ثم وصلت ختمات شريفة كتبها بقله الجيد المجدي وخط سطورها بالعربي  
وطال الخط في صفوف الأعداء بالهندى ورتب عليها أوقافا تجري أقلام الحساب في إطلاقها وطلعتها  
وحبس أملاكها صيانة تحمى بنعم الأملاك التي سرت من مغرب الأرض إلى مشرقها والله تعالى يجمع  
من وقف هذه الختمات بما سطره في أكرم الصحائف وينفع الجالس من ولاية الأمور في تقريرها  
ويتقبل من الواقف اه **يقال** المقرئ وقد رأيت أحدا للمصاحف المذكورة وهو الذي بيت المقدس  
وربعته في غاية الصنعة اه والله تعالى أعلم واتصلت الولاية بين السلطان أبي الحسن وبين الملك الناصر  
إلى أن هلك سنة إحدى وأربعين وسبعمائة وولي أمر مصر من بعده ابنه أبو الفداء اسمعيل بن محمد  
ابن قلاوون فخاطبه السلطان أبو الحسن أيضا على ما نذكره بعد ان شاء الله

**في** نكبة الأمير أبي عبد الرحمن يعقوب ابن السلطان أبي الحسن وقرار وزيره **في**

**في** بيان بن عمر الوطاسي والسبب في ذلك **في**

كان السلطان أبو الحسن وجه الله عندما نهض إلى تلمسان أولا وتابا ينتظر قدوم صهره السلطان أبي بكر  
ابن أبي زكرياء الحفصي عليه لما كان انعقد بينه وبين أبيه أبي سعيد وجه الله من الاجتماع على تلمسان  
والتعاون على حصارها ولما فتح أبو الحسن تلمسان في التاريخ المتقدم كان وزير الحفصيين الشيخ أبو محمد  
ابن تافرا حين شاهد ذلك الفتح قدم رسولا من عند محمدومه السلطان أبي بكر المذكور فأسر إلى  
السلطان أبي الحسن بان محمدومه قادم عليه للقائه وتمنشته بالظفر بعد وقته فتشوق السلطان أبو الحسن  
إليها لما كان يحب الفخر ويعني به وارتحل عن تلمسان سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة وعسكر بمعية منتظرا  
لوفادة صهره عليه فتكامل الحفصي عن القدوم بسبب تخطيط محمد بن الحكيم من رجال دولته إياه  
عن ذلك وقال له ان لقاء سلطانين لا يتفق الا في يوم على أحدهما فكره الحفصي ذلك وتعاذ عنه وطال  
مقام السلطان أبي الحسن في انتظاره ثم طرقه بفسطاطه مرض الزمه الفراش حتى تحنث أهل العسكر  
بمهلكه وكان ابنه الأمير أبو عبد الرحمن وأبو مالك متناغين في ولاية عهده منذ أيام جدتهما أبي سعيد  
وكان أبوهما قد جعل لهما أول دولته ألقاب الأمانة وأحوالهما من اتخاذ الوزراء والكتاب ووضع العلامة  
وتدوين الدواوين وإثبات العطاء واستحقاق الفرسان وانفراد كل به سكره على حدة وجعل لهما مع ذلك  
الجلوس بقعة مفصلة مناوئة لتنفيذ الأوامر السلطانية فكانا لذلك رديفين له في سلطانه ولما اشتد وجع  
السلطان في هذه المرة تمشت ممارسة الفتن بينهما وتحزب أهل العسكر لهما حريين وشوشوا بواطنهما  
فبث كل واحد منهما المال وحمل على المقربات وصار الجيش شيعا وهم الأمير أبو عبد الرحمن بالتوثب  
على الأمر قبل ان يتبين حال السلطان بأغراء وزرائه وبطائنه بذلك وتفتن خاصة السلطان لما وقع  
فأخبروه الخبر وحضوه على الخروج إلى الناس قبل ان يتفاهم الأمر ويتسع الخرق فيرز السلطان إلى  
فسطاط جلوسه وتسامع أهل العسكر به فازدجوا إلى بساطه وتقبيل يده وتقبض على أهل الظننة من  
الجيش فأودعهم السجن ومخط على الأميرين وأمر برحيل من كان معهم من الجنود فذهبهم إلى معسكره  
ثم رجع إلى فسطاطه وطفئت نار الفتنة وسكن سعي المفسدين واتبذ الناس عن الأميرين المذكورين



فبقيا أوحش من وتذبذبا فاشتد جزع الامير أبي عبدالرحمن وركب من فسطاطه وخاض الليل فاصبح  
بجملته أولاد علي أمراء بني زغبة من هلال المواطنين بارض جزرة فتقبض عليه أميرهم موسى بن أبي  
الفضل وورده الى أبيه فاعتقله بوجده ورتب العيون لحراسته وطلق وزيره زيان بن عمر الوطاسي  
بالوحدين أصحاب تونس فأجاروه ورضي السلطان صبيحة فرار أبي عبدالرحمن عن أخيه أبي مالك وعقد  
له على ثغور عمله بالاندلس وصرفه اليها وانكفأ راجعا الى تلمسان والله أعلم

### صورة ابن هيدور الجزار وما كان من أمره

لما تقبض السلطان أبو الحسن على ابنه أبي عبدالرحمن وأودعه السجن تفرق خدمه وحشمه في الجهات  
وكان منهم رجل جزار من تب في مطبخه يعرف بابن هيدور وكان له شبه في الصورة بابي عبدالرحمن فلقق  
بني عامر بن زغبة وكانوا ذلك العهد منصرفين عن طاعة السلطان أبي الحسن لاختصاصه عريف بن يحيى  
أمير بني سويد أعدائهم فلما لحق بهم ابن هيدور هذا انتسب لهم الى السلطان أبي الحسن وانه ابنه  
أبو عبدالرحمن فتشبه لهم وياهم وأجلبوا به على نواحي لمدينة فبرز اليهم قائد هانوزمويه ثم جمع لهم  
وتزمر بن عريف بن يحيى فهزمهم واقترق جمعهم وبنذوا الجزار عهده فلقق بيني يرتان من زواوة قنزل على  
شيختهم شمسي من بني عبد الصمد منهم وكانت هذه المرأة قد ملكتهم وغلبت عليهم بقومها ورجالها وكان  
لها بنون عشرة فاستعمل أمرها لهم ولما نزل عليها الجزار المذكور وانتسب لها الى السلطان أبي الحسن  
قامت بأمره وشمرت عزائمها لاجارته وحملت قومها على طاعته وشاع في الناس خبره فن صدق ومن  
مكذب وسرب السلطان أبو الحسن الاموال في قومها وبنها على اسلامه اليه فأبت ثم غي اليها الخبر  
بكذبه وتغوي به فبذت اليه عهده وخرج عنها الى بلاد العرب فلقق بالداودة أمراء رباح من بني هلال  
ونزل على سيدهم يعقوب بن علي وانتسب له في مثل ذلك فأجاره ان صدق نسبه وأعز السلطان أبو  
الحسن الى صهره أبي بكر الحفصي في شأن الجزار فبعث الحفصي الى يعقوب بن علي في ذلك فانتخضه الى  
السلطان أبي الحسن مع بعض حاشيته فلقق به بمكانه بسبته يريد الجهاد فامتنه وقطعه من خلاف  
وانحسم داؤه وبقى بالمغرب تحت جراية من الدولة الى ان هلك في بعض السنين وأما الامير أبو عبدالرحمن  
فانه لما سجن بوجده بقي هنالك الى سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة فوثب ذات يوم بالسجان فقتله واتصل  
الخبر بالسلطان أبي الحسن فأنفذ حاجبه علان بن محمد فقتل عليه رحمه الله الجميع

### أخبار السلطان أبي الحسن في الجهاد وما كان من وقعة طريف التي محص الله فيها المسلمين وغير ذلك

لما فرغ السلطان أبو الحسن من شأن عدوه وعلت على الايدي يده وانفسح نطاق ملكه دعتهم الى  
الجهاد وكان كلفاه فاعز الى ابنه الامير أبي مالك أمير الثغور الاندلسية سنة أربعين وسبعمائة بالدخول  
الى دار الحرب ووجه اليه العساكر من حضرته وأنفذ اليه الوزراء فتخص أبو مالك غاز ياوتوغل  
في بلاد النصرانية واكتسبها وخرج بالسيب والغنائم الى ادنا صدم من أرضهم وأناخ بها فاتصل به الخبر  
ان النصراني قد جمعوا له وانهم أغذوا السير في اتباعه فاشر عليه الملا بالخر وج من أرضهم وعبور الوادي  
الذي كان تخمابين أرض المسلمين ودار الحرب ويحيز الى مدن المسلمين فيمتنع بها فلقق في ابايته وصمم على  
التعريس وكان قرما تبتا الا انه غير بصير بالحرب لصغر سنه فصحبتهم عساكر النصرانية في مضاجعهم  
قبل ان يركبوا وخالطوهم في بياتهم وأدركوا الامير أبا مالك بالارض قبل ان يستوي على فرسه فخذلوه  
واستلمه والاكثير من قومه واحتوا على المعسكر بما فيه من أموال المسلمين وأموالهم ورجعوا على  
أعقابهم واتصل الخبر بالسلطان أبي الحسن فتجمع له لاله واسترحم له واحتسب عند الله أجره ثم  
أنفذ وزراءه الى سواحل المغرب لتجهيز الاساطيل وفتح ديوان العطاء وعرض الجنود وأزاح عنهم

واستنفر أهل المغرب كافة ثم ارتحل إلى سبتة ليباشر أحوال الجهاد وتسامعت به أم النصرانية فاستعدتوا  
 للدفاع وأخرج الطاغية أسطولها إلى الزقاق لمنع السلطان من الإجازة واستحث السلطان أساطيل  
 المسلمين من مرابى المغرب وبعث إلى أصحابه الحفصيين بتهيئة أسطولهم اليه فعدوا عليه لزيد بن  
 فرحون قائد أسطول بجاية ووافى سبتة في ستة عشر أسطولاً من أساطيل إفريقية كان فيها من طرابلس  
 وقابس وجربة وتونس وبونة وبجاية وتوافقت أساطيل المغربين بمرسى سبتة تناهز المائة وعقد السلطان  
 عليها محمد بن علي العزفي الذي كان صاحب سبتة يوم فتحها أيام السلطان أبي سعيد وأمره بجائزة  
 أسطول النصراني بالزقاق وقد تكامل عديدهم وعدتهم فاستلموا وتظاهروا في السلاح وزحفوا إلى  
 أسطول النصراني وتوافقوا ملياً ثم قربوا الأساطيل بعضهم من بعض وقرنوها المصاف فلم يعض الاكلا  
 ولا حتى هبت ريح النصر وأظفر الله المسلمين بعدوهم وخالطوهم في أساطيلهم واستلموهم ههنا  
 بالسيف وطعن بالرمح وألقوا أشلاءهم في اليم وقتلوا قائدهم المندو واستاقوا أساطيلهم مجنوبة إلى  
 مرسى سبتة فبرز الناس لمشاهدتها وطيف بكثير من رؤسهم في جوانب البلاد وتظمت أصفاد الأسرى  
 بدار النساء وعظم الفتح وجلس السلطان للتهنئة وأنشد الشعراء بين يديه وكان ذلك يوم السبت سادس  
 شوال سنة أربعين وسبع مائة فكان من أعز أيام الإسلام ثم شرع السلطان أبو الحسن في إجازة العساكر  
 من المتطوعة والمرتقة وانتظمت الأساطيل سلسلة واحدة من العدو إلى العدو ولما تكاملت  
 العساكر بالعبور وكانت نحو ستين ألفاً أجاز هو في أسطولها مع حاصته وحشمه آخر سنة أربعين  
 وسبع مائة ونزل بساحة طريف وأناخ عليها ثالث محرم من السنة بعدها وشرع في منزلتها ووافاه  
 سلطان الأندلس أبو الجحاج يوسف بن اسمعيل ابن الأحمر في عسكر الأندلس من غزاة بني مرين وحامية  
 الثغور ورجال البدو وعسكر واحد مع عسكره وأحاطوا بطريف نطقاً واحداً وأترلوها أنواع القنال  
 ونصبوا عليها الآلات وجهاز الطاغية أسطولاً آخر اعترض به الزقاق لقطع المرافق عن المعسكر وطال  
 مقام المسلمين بكانهم حول طريف فعزيت أزوادهم وقلت العاقبات فوهن الظهر واختلت أحوالهم  
 ثم احتشد الطاغية أم النصرانية وظاهره البرتقال صاحب اشبونة وغرب الأندلس وزحفوا إلى المسلمين  
 لسته أشهر من تزولهم على طريف ولما قرب الطاغية من معسكر المسلمين سرب إلى طريف جيشاً من  
 النصراني أكنهها إلى وقت الحاجة إليه فدخلوها ليلاً على حين غفلة من العسس الذين أرسدوا لهم  
 وأحسوا بهم آخر الليل فثاروا بهم من مرادهم وأدركوا أعقابهم قبل دخول البلاد فقتلوا منهم عدداً  
 وقد نبأ أكثرهم قلبسوا على السلطان بأنه لم يدخل البلاد سواهم حذراً من سطوته ثم زحف الطاغية  
 من التمد في جوعه إلى المسلمين وعي السلطان مواكبهم صفوفاً وتراخفوا ولما نشبت الحرب برز الجيش  
 الكمين من البلد وهو الذي دخل ليلاً وخالفوا المسلمين إلى معسكرهم وعمدوا إلى فسطاط السلطان  
 فدافعهم عنه الناشبة الذين كانوا على حراسته فاستلموهم لقتلهم ثم دافعهم النساء عن أنفسهم فقتلوهن  
 كذلك وخلصوا إلى حظايا السلطان منهن عائشة بنت عمه أبي بكر بن يعقوب بن عبد الحق وفاطمة بنت  
 السلطان أبي بكر بن أبي ذكرياء الحفصي وغيرهما من حظاياهم فقتلوهن واستلبوهن ومثلوا بهن وانتهبوا  
 سائر الفسطاط وأضرموا المعسكر ناراً ثم أحس المسلمون بما وراءهم في معسكرهم فاقتتل مضافهم  
 وارتدوا على أعقابهم بعد أن كان تاشفين ابن السلطان أبي الحسن صم في طائفة من قومه وحاشيته حتى  
 خالطهم في صفوفهم فأحاطوا به وتقبضوا عليه وعظم المصائب بأسره وكان الخطب على الإسلام قلماً فجح  
 بتمله وذلك ضحوة يوم الاثنين سابع جمادى الآخرة من سنة إحدى وأربعين وسبع مائة وولى السلطان  
 أبو الحسن متميزاً إلى فئة المسلمين واستشهد كثير من الغزاة وتقدم الطاغية حتى انتهى إلى فسطاط  
 السلطان من المحلة فانكركتسل النساء والولدان وكان ذلك منتهى أثره ثم انكفأ راجعاً إلى بلاده ولحق

ابن الاجر بغرناطة وخص السلطان أبو الحسن الى الجزيرة الخضراء ثم منها الى جبل الفتح ثم ركب  
الاسطول الى سبتة في ليلة عده ومحض الله المسلمين وأجزل ثوابهم

### استيلاء العدو على الجزيرة الخضراء

لما رجع الطاغية من طريق استأسد على المسلمين بالاندلس وطمع في التمامهم وجمع عساكر النصرانية  
ونازل أول قلعة بني سعيد ثغر غرناطة وعلى مرحلة منها وجمع الآلات والأيدي على حصارها وأخذ  
بمخترها فاصابهم الجهد من العطش فزلوا على حكمه سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة وأدال الله الطيب  
منها بالخيث وانصرف الطاغية الى بلاده وكان السلطان أبو الحسن لما أجاز الى سبتة أخذ نفسه بالمواد  
الى الجهاد لرجع الكرة فإرسل في المدائن حاشرين وأخرج قواده الى سواحل المغرب لتجهيز الاساطيل  
فتكامل له منها عدد معتبر ثم ارتحل الى سبتة لمشاركة ثغور الاندلس وقدم عساكره اليها مع وزيره  
عسكر بن تاحضريت وعقد على الجزيرة الخضراء محمد بن العباس بن تاحضريت من قرابة الوزير وبعث  
اليها مددا من العسكر مع موسى بن ابراهيم اليرباني من الموشحين للوزارة نيابة وبلغ الطاغية خبره  
فجهز أسطوله وأجراه الى بحر الزقاق لمدافته وتلاقت الاساطيل ومحض الله المسلمين واستشهد منهم  
أعداد وتغلب أسطول الطاغية على بحر الزقاق فلكه دون المسلمين وأقبل الطاغية من اشيلية في عساكر  
النصرانية حتى أناخ بها على الجزيرة الخضراء مر فاء أساطيل المسلمين وفرضة المجاز ورجى ان ينظمها  
في ملكته مع جارتها طريق وحشر الفعلة والصناع والآلات وجمع الأيدي عليها واطا لها الحصار واتخذ  
أهل العسكر بيوتا من الخشب للطاولة وجاء السلطان أبو الجحاج ابن الاجر بعساكر الاندلس فزل قبالة  
الطاغية بظاهر جبل الفتح في سيدل الممانعة وأقام السلطان أبو الحسن بمكانه من سبتة يسرّب الى أهل  
الجزيرة المدد من الغرسان والمال والقوت في أوقات العفلة من أساطيل العدو وتحت جناح الليل  
وأصيب كثير من المسلمين في ذلك ولم يفتن عن أهل الجزيرة ذلك المدد شيئا واشتد عليهم الحصار وأصابهم  
الجهد وأجاز السلطان أبو الجحاج الى السلطان أبي الحسن بفاوضه في شأن السلم مع الطاغية بعد ان أذن  
الطاغية له في الاجازة مكرابه وأرصد له بعض الاساطيل في طريقه فصدقهم المسلمون القتال وخلصوا  
الى الساحل بعد غص الريق وضائق أحوال أهل الجزيرة ومن كان بها من عسكر السلطان فسألوا  
الطاغية الامان على ان ينزلوا له عن البلد فبذله لهم ونرجوا فوفى لهم وأجاز والى المغرب سنة ثلاث  
وأربعين وسبعمائة فآثر لهم السلطان بيلاده على خير نزل ولقاهم من المبرة والكرامات ما عوذهم بها فاتهم  
ونخلع عليهم وجلهم ووصلهم بما تحدثت الناس به وتقبض على وزيره عسكر بن تاحضريت عقوبة له على  
تقصيره في المدافة مع تمكنه منها وانكفأ السلطان أبو الحسن راجعا الى حضرته موقنا بظهور أمر الله  
وانجاز وعده والله متم نوره ولو كره الكافرون

### توبة أخبار بني أبي العلاء

قد تقدم لنا ان عثمان بن أبي العلاء كان يلي مشيخة الغزاة بالاندلس وانه استشهد سنة ثلاثين وسبعمائة  
وقام بامر ابنه أو ثابت فاستحوذ بعصيته وقومه على بني الاجر فقتلوا محمد بن اسمعيل منهم من جعه  
من فتح جبل الفتح ونصبوا الامراء يوسف بن اسمعيل حيا بما تقدم الاماع بذلك ثم ان السلطان  
أبا الجحاج هذا بقي بين جنبيه داء دخيل من بني أبي العلاء الذين قتلوا باخيه فلم يزل يسعى في أمرهم حتى  
قبض عليهم وأودعهم المطبق ثم غرّبهم الى تونس فزلوا على السلطان أبي بكر بن أبي زكرياء الحفصي  
واتصل الخبر بالسلطان أبي الحسن فكتب اليه باعتقالهم ففعل ثم بدله فبعث اليه مع عريف الوزعة  
بياه ميمون بن بكر وفي أشخاصهم الى حضرته فتوقف الحفصي عن ذلك وأبي من اخفائهم فاشار



عليه وزيره أبو محمد بن تافراجين بعثهم اليه وانه لا يريد لهم الا الخير فبعثهم وبعث كتابه بالشفاعة فيهم  
 قد قدموا على السلطان أبي الحسن مرجعه من الجهاد سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة قتلقاتهم بالبر  
 والكرامة اكرام الشفيعةم وأنزلهم بمسكروه وحملهم على الخيول المسومة بالمرأكب الثقيلة وضرب لهم  
 القساطيط وأسنى لهم الخلع والجوائز وفرض لهم في أعلى رتب العطاء وصاروا في جلته ولما احتل بسبته  
 اشارفة أحوال الجزيرة الخضراء سعى عنده فيهم بان كثير من المفسدين يدخلونهم في الخروج  
 والتوثب على الامر فتقبض عليهم وأودعهم السجن بمكاسة الزيتون واستمر واهناك الى ان قام  
 أبو عنان فأطلقهم واستعان بهم على أمره حسبانذ كره ان شاء الله

رسالة السلطان أبي الحسن لصاحب مصر أبي الفداء اسمعيل بن محمد بن قلاوون

قد تقدم لنا ان السلطان أبا الحسن واصل الملك الناصر صاحب مصر وهاداه بما عظم وقعه عند الخاصة  
 والعامه واتصلت الولاية بينه وبين الملك الناصر الى ان توفي سنة احدى وأربعين وسبعمائة وولى  
 الامر من بعده ابنه أبو الفداء اسمعيل فخاطبه السلطان أبو الحسن أيضا وأتحفه وعزاه عن أبيه وأوفد  
 عليه كاتبه وصاحب ديوان الخراج أبا الفضل ابن أبي عبد الله بن أبي مدين وفي صحبتته الطيرة أخت  
 السلطان أبي الحسن فتضى من وفادته ما حمل وأصبحه السلطان أبو الحسن كتابا الى الملك الصالح أبي  
 الفداء وكان وصوله الى مصر منتصف شعبان سنة خمس وأربعين وسبعمائة ووصل الكتاب بعد  
 البسملة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم من عند أمير المسلمين المجاهد في سبيل الله رب العالمين  
 المنصور بفضل الله المتوكل عليه المعتمد في جميع أمور رلديه سلطان البرين حامي العدوتين موثر  
 المرابطة والمناغرة مواز ر حزب الاسلام حق الموازرة ناصر الاسلام مظاهر دين الملك العلام ابن  
 أمير المسلمين المجاهد في سبيل رب العالمين نخر السلاطين حامي حوزة الدين ملك البرين امام  
 العدوتين مهاد البلاد مبتدئ عمل الاعاد مجند الجنود المنصور الرايات والبنود محط الرجال مبلغ  
 الآمال أبي سعيد ابن أمير المسلمين المجاهد في سبيل رب العالمين حسنة الايام حسام الاسلام أبي  
 الاملاك مشجى أهل العناد والاشراك مانع البلاد رافع علم الجهاد مدوخ أقطار الكفار مصرخ  
 من ناداه للاتصل القائم لله باعلام دين الحق أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق أخلص الله لوجهه  
 جهاده ويسر في قهر عداه الدين مراده الى نخل ولدنا الذي طلع في أفق العلابد راتما وصدع بانواع  
 الفخار في لي ظلاما وظلما وجمع شمل المملكة الناصرية فاعلى منها علما وأحى رسما حائط الحرمين  
 القائم بحفظ القبليين باسط الامان قابض كف العدو ان الجزيل النوال الكفيل تامينه بحياطة  
 النفوس والاموال قطب المجد وسماكه حسب الحمد وملاكه السلطان الجليل الرفيع الاصيل  
 الحافل العادل الفاضل الكامل الشهير الخطير الاضخم الانخم المعان المؤزر المؤيد المنظر  
 الملك الصالح أبي الوليد اسمعيل ابن محل أخينا الشهير علاؤه المستطير في الآفاق ثناؤه زين الايام  
 والليال كمال عين انسان المجد وانسان عين الكمال وارث الدول الناقت بصحج رأيه في عقود أهل  
 الملل والنحل حامي القبليين بعدله وحسامه النامي في حفظ الحرمين أجزاض طلاءه بذلك وقيامه  
 هازم أحزاب المعاندين وجيوشها هادم الكائنس والبيع فهي خاوية على عروشها السلطان الاجل  
 الهمام الاحفل الانخم الاضخم الفاضل العادل الشهير الكبير الرفيع الخطير المجاهد المرابط  
 المقسط عدله في الجائر والقاسط المؤيد المنظر المنعم المقدم من المطهر زين السلاطين ناصر الدنيا  
 والدين أبي المعالي محمد ابن الملك الارضى الهمام الامضى والد السلاطين الانخيار عاقد لواء النصر  
 في قهر الارمن والفرنج والتار محي رسوم الجهاد معلى كلمة الاسلام في البلاد جمال الايام شمال  
 الاعلام فاقح الاقالم صالح ملوك عصره المتقادم الامام المؤيد المنصور المستد قسيم أمير المؤمنين

فيما تقلد الملك المنصور سيف الدنيا والدين فلا وون مكن الله تمكين أوليائه ونفى دولته التي أطلعها  
 له السعد شمساني سمائه وأحسن ايزاعه للشكر أن جعله وارث آبائه سلام كريم يفاوح زهر الربى  
 مسراه وينافح نسيم الصبا مجراه يصعبه رضوان يدوم مادامت تقبل الفلك حركته ويتولاه روح  
 وريحان تحببه بهرجة الله وبركاته أما بعد حمد الله مالك الملك جاعل العاقبة للتقوى صدعا باليقين ودفعا  
 للشك وخاذل من أسر النفاق في التجوى فاصر على الدخن والافك والصلاة والسلام على سيدنا محمد  
 رسوله الذي محى بانوار الهدى ظلم الشرك ونبه الذي ختم به الانبياء وهو واسطة ذلك السلك ودعاه  
 حجة الحق فادت بالكفرة محمولة الافلاك وما جت بهم حاملة الفلك والرضاعن آله وصحبه الذين  
 سلكوا سبيل هداة فسلك في قلوبهم أجل السلك وملكو أعنة هواهم فلزموا من محجة الصواب  
 أنجح السلك وصابروا في جهاد الأعداء فزاد خلوصهم مع الابتلاء والذهب يزيد خلوصا على السبك  
 والدعاء لأولياء الاسلام وجماته الاعلام بنصر رضائه في العدى أعظم الفتك ويسر بقضائه درك  
 آمال الظهور وأحفل بفلك الدرك فكتبنا اليكم كتب الله لكم رسوخ القدم وسبوغ النعم من  
 حضرتنا مدينة فاس المحروسة وصنع الله سبحانه يعرف مذاهب اللطاف ويكيف مواهب تلهج  
 اللسنة في القصور عن شكرها بالاعتراف ويصرف من أمره العظيم وقضائه الملتقى بالتسليم  
 ما يتكون بين النون والكاف ومكانكم العتيد سلطانه وسلاطنتكم المجدد مكانه وولاؤكم الصريح  
 برهانه وعلاؤكم الفسح في مجال الجلال مسدانه والى هذا زاد الله سلطانكم تمكيننا وأفاد مقامكم  
 تحصينا وتحسينا وسلك بكم من سنن من خلفتموه سيلا مينا فلا خفاء بما كانت عقدة أيدي التقوى  
 ومهدته الرسائل التي على الصفاء تطوى بيننا وبين والدكم نعم الله وروحه وقتسه وبقره مع الارباب  
 في عليين أنسه من مؤاناه أحكمت منها العهد نالية الكتب والفاخرة وحفظ عليها حكم الاخلاص  
 معوذتها المحبة والنية الصالحة فانهقدت على التقوى والرضوان واعتضدت بتعارف الأرواح عند  
 تنازع الابدان حتى استحكمت ووصله الولاء والتأمت كحمة النسب لجمه الاخوان فما كان الا وشيكا  
 من الزمان ولا عجب قصر زمن الوصلة أن يشكوه الخلان وردوا ردأ وورد رفق المشارب وحق قول  
 ومن يسأل الركبان عن كل غائب أنيابا يستثار الله تعالى بنفسه الزكية واكان درته السنية  
 وانقلابه الى ما أعد له من المنازل الرضوانية بجليل ما وقر لفسقه في الصدور وعظيم ما تأثرت له  
 النفوس لوقوع ذلك المقدور حنا للاسلام بتلك الاقطار واشفاقا من ان يمتورقا صدى بيت الله  
 الحرام من جراء الفتن عارض الاضرار ومساهمة في مصاب الملك الكريم والوصى الحميم ثم هيمت  
 الاخبار وطويت طي السجبل الا نار فلم نخبجرا صدقا ولا معلما عن استقراره ذلك الملك حقا وفي  
 أثناء ذلك حفزنا للحركة عن حضرتنا استصرخ أهل الاندلس وسلطانها وتواتر الاخبار بان النصراري  
 أجمعوا على خراب أوطانها ونحن أثناء ذلك الشأن نستخبجرا لوراد من تلسم البلدان مما أجلى عنه ليل  
 الفتن بتلك الاوطان فبعد لاى وقعنا منها على الخبير وجاءنا بوقاية حرم الله بكم البشير وتعرفنا ان الملك  
 استقر منكم في نصابه وتداركه الله تعالى منكم بفاخ الخبير من أبوابه فاطفا بكم نار الفتنة وأخمدتها  
 وأبرأ من أدواء النفاق ما أعل البلاد وأفسدها فقام سبيل الحج سادلا وعبر طريقه لمن جاء فاصدا واطفلا  
 ولما احتفت بهذا الخبر القرائن وتواترت على الحاضر المعان آثار حفظ الاعتقاد البواعث والود  
 الصريح تجره حقا الموارث فأصدرنا لكم هذه المخاطبة المتقنة الاطوار الجامعة بين الخبر والاستخبار  
 الملبسة من الغزاء والهناء ثوبى الشعار والذئار ومثل ذلك الملك رضوان الله عليه من تجمل للمصائب  
 لفقدانه وتحمل عرى الاصطبار بموته ولات حين أواته لكن الصبر أجل ما ارتداه ذو عقل حصين  
 والاجر أولى ما اقتناه ذو دين متين ومثلكم من لا يخف وقاره ولا يشف عن ظهور الجزع الحوادث

اصطباره ومن خلفتموه فأما تذكره ومن قتم بامرهم فإزال بل زاد فقره وقد طالت والحمد لله العيشة  
الراضية بالحقب وطاب بين مبداه ومختصره هنيئاً بما من الاجرا كتسب وصار جيداً الى خير منقلب  
ووفد من كرم الله على أفضل ما منح موقنا ووهب فقد ارتضاكم الله بعدده لحياطة أرضه المقدسة  
وحمايته زوار بيته مقيله أو معرسة ونحن بعد بسط هذه التعزية نهنئكم بما خولكم الله أجل التهنية وفي  
ذات الله الايراد والاصدار وفي مرضاته سبحانه الاضمار والاظهار فاستقبلا دولة ألقى العز عليه اواقه  
وعقد الظهور عليها نطاقه وأعطاهما أمان الزمان عقده وميثاقه ونحن على ما عاهدنا عليه الملك  
الناصر رضوان الله عليه من عهد موثقه وموالاته محققه وثناء كائن عن أذكي من الزهرغب  
القطر مفتقه ولم يغيب عنكم ما كان من بعثنا المصنفين الا كرمين اللذين خطتهما من اليمين وآوت بهما  
الرجبة من الحرمين الشريفين الى قرار مكين وانه كان لو اذكم الملك الناصر تولاه الله برضوانه وأورده  
موارد احسانه في ذلك من الفعل الجميل والصنع الجليل ما ناسب مكانه الرفيع وشاكل فضله من  
البر الذي لا يضيع حتى طبق فعله الا فاق ذكرنا وطوق أعناق الورد والقصاد برا وكان من أجل  
ما به تحنى وأتحف وأعظم ما بعرفه الملك العلام في ذلك تعرف اذنه للتوجهين اذ ذلك في شراء ربيع  
توقف على المصنفين ورسم المراسم المباركة بتحرير ذلك الوقف مع اختلاف الجديدين فحرت أحوال  
القراء فيها بذلك الخراج المستفاد ريثما يصلهم من خراج ما وقفه عليهم بهذه البلاد على ما رسمه  
رحمة الله عليه من عناية بهم متصلة واحترام في تلك الاوقاف فوائدها به متوفرة متحصلة وقد أمرنا  
مؤدى هذا الكمالكم وموفده على جلالكم كاتبنا الاسنى الفقيه الاجل الاحظى الاكمل أبا المجد  
ابن كاتبنا الشيخ الفقيه الاجل الحاج الاتقى الارضى الافضل الاحظى الاكمل المرحوم أبي عبد الله  
ابن أبي مدين حفظ الله عليه رتبته ويسرف في قصد البيت الحرام بغيته بان يتفقد أحوال تلك الاوقاف  
ويتعرف تصرف الناظر عليها وما فعله من سداد واسراف وان يتخير لها من يرتضى لذلك ويحمد  
تصرفه فيما هنالك وخطبنا سلطانتكم في هذا الشأن جرياً على الود الثابت الاركان واعلاما بما لو اذكم  
رحمة الله تعالى في ذلك من الافعال الحسان وكما لكم يقتضى تخليد ذلكم البر الجليل وتجديد عمل ذلكم  
الملك الجليل وتشديد ما شتمل عليه من الثراء الاصيل والاجرا الجزيل والتقدم بالاذن السلطاني في  
اعانة هذا الواقد بهذا الكتاب على ما يتوخاه في ذلك الشأن من طرق الصواب وثناء ونا عليكم الثناء الذي  
يفاوح زهر اليا ويطارح نغم حمام الايك مطربا وبحسب المصافاة ومقتضى الموالاته نشرح لكم  
المترايدات بهذه الجهات وتنبئكم بموجب ابطاء انفاذ هذا الخطاب على ذلكم الجنب وذلك انه لما  
وصلنا من الاندلس الصريح ونادى من الجهاد عزما مثل ندائه يصيح أنبأنا ان الكفار قد جمعوا  
أحزابهم من كل صوب وفرض عليهم باياهم العين التناصر من كل أوب وان تقصد طوائفهم البلاد  
الاندلسية بايجافها وتنقص بالنازلة أرضها من أطرافها ليحوى كلمة الاسلام منها ويقلصوا ظل  
الايمن عنها فقد منما من يشتغل بالاساطيل من القواد وسرنا على أثرهم الى سبتة منتهى الغرب  
الاقصى وباب الجهاد فواصلناها الا وقد أخذ أخذ العدو الكفور وسدت أجفان الطوائف على  
التعاون مجاز العبور وأتوا من أجزانهم بما لا يحصى عددا وأرصدوها بجمع البحرين حيث المجاز الى  
دفع العدا وتقلصوا عن الانبساط في البلاد واجتمعوا الى الجزيرة الخضراء أعادها الله بكل من  
جمعوه من الاعاد لكنا مع انسداد تلك السبيل وعدم أمور نستعين بها في ذلكم العمل الجليل  
حاولنا امداد تلكم البلاد بحسب الجهد وأصرخناهم بما أمكن من الجند وجهزنا أجزاننا مختلسين  
فرصة الاجازة تتردد على خطر من جهز للجهد جهازه وأمرنا بالصاحب الاندلس من المال بما  
يجهز به حركته لمدانة محلة حزب الضلال وأجرينا له ولبنيته العطاء الجزل مشاهرة وأرضناهم من



النوال ما ترجو به ثواب الآخرة وجعلت أجناسنا تتردد في مينا السواحل وتبج أبواب الخوف العاجل  
لا حراز الأمن من الآجل مشحونتها بالعدد الموفورة والابطال المشهورة والخليل المسومة والاقوات  
المقومة فمن ناج طرب دونه الآجل وشهيد مضي لما عند الله عز وجل وما زالت الأجناس تتردد على  
ذلك الخطر حتى تلف منها سبع وستون قطعة غزوية أجروها عند الله يدخر ثم لم تقع بهذا العمل في  
الامداد فبعثنا أحد اولادنا أسعدهم الله مساهمة به لاهل تلك البلاد فلقى من هول البحر وارتجاجه  
والخارج العدو والجحاه ما به الامثال تضرب وبمثله يتحدث ويستغرب ولما خلاص لتلك العدو بمن  
أبقته السداد نزل باراء الكافر الجاحد حتى كان منه بفرسعين أو أدنى وقد ضرب بعطن يصاح  
العدو ويماسيه بحرب بهامني وقد كان من مددنا بالجزيرة جيش شريت شرارته وقويت في الحرب  
ادارته يبانون البلاء الاصدق ولا يبانون بالعدو وهم منه كالشامة البيضاء في البعير الاورق الا ان  
المطاوله بحصارها في البحر مدة ثلاثة أعوام ونصف ومنازلتها في البر نحو عامين معقودا عليها الصف  
بالصف أدى الى قناه الاقوات في البلد حتى لم يبق لاهليه قوت شهر مع انقطاع المدد وبه من الخلق  
ما يرى على عشرة آلاف دون الحرم والولد فكتب اليه السلطان الاندلس يرغب في الاذن له في عقد  
الصلح ووقع الاتفاق على انه لاستخلاص المسلمين من وجوه النجج فأذنا له فيه الاذن العام انقى  
اصراخه واصراخ من بقطره من المسلمين توخينا ذلك المرام هنالك دعي النصر الى السلم فاستجابوا  
وقد كانوا علماء القوت وما استراوا فتم الصلح الى عشر سنين وخرج من بهامن فرسان ورجال وأهل  
وبنين ولارزئو اما لولا عتة ولا لقوا في خروجهم غير التزوج عن أول أرض مس الجلد تراها شدة  
ووصلوا اليها فجزلناهم العطاء وأسليناهم عمابري بالحياه فن خيل تزيد على الالف عتاقها وخاع  
تربى على عشرة آلاف أطواقها وأموال عمت الغنى والفقير ورعاية شملت الجميع بالعيش النصير  
وكف الله ضر الطوائف عماعداها وما انقلبوا بغير مدرة عقار سمها وصم صداها وقد كان من لطف  
الله حين قضى باخذ هذا الثغر ان قدر لنا فتح جبل طارق من أيدي الكفر وهو المثل على هذه المدرة  
والفرصة منه ان شاء الله تعالى متيسرة حتى يفرق عقد الكفار ويفرج به هذه الجهة منهم مجاوروا  
هذه الاقطار فلو لا اجلابهم من كل جانب وكونهم سدا وامتلك العبور بما لجمعهم من الاجفان  
والمراكب لما بالينا باصفاقهم ولحلنا بعبون الله عقد اتفاقهم ولكن للوانع أحكام ولارا دما جرت  
به الاقلام وقد أمرنا ذلك الثغر بمزيد المدد وتخزينه ولسا تترك البلاد العدد والعدد وعندنا الحضرتنا  
فاس لتستر مع الجيوش من وعناء السفر وتربط الجياد وننتخب العدد لوقت الظهور المنتظر وتكون  
على أهبة الجهاد وعلى مرقة الفرصة عند تمكينا في الاعاد وعند عودنا من تلك المحاولة نيسر الركب  
الحجازي موجه الى هنا كم رواجه فأصدرنا اليكم هذا الخطاب اصدا والود الخالص والحب اللباب  
وعندنا لكم ما عند اخي الالباء واعتقادنا فيكم في ذات الله لا يخشى جديده من البلاء وما لكم من غرض  
بهذه الانحاء فوفي قصده على أكمل الاهواء موالى تميمه على آجل الآراء والبلاد باتحاد الود  
متحدة والقلوب والايدي على ما فيه مرضات الله عز وجل منعقدة جعل الله ذاككم خالصا بعباد  
مدخور اليوم التناد مسطورا في الاعمال الصالحة يوم المعاد بمنه وفضله هو سبحانه يصل اليكم سعدا  
تتفاضر به سعود الكواكب وتتضافر على الانتقاده صدور المواكب وتتقاصر عن نيل مجده  
متطاولات المناكب والسلام الاتم بخصم كثيرا أثيرا ورحمة الله وبركاته وكتب في يوم الخميس  
السادس والعشرين لشهر صفر المبارك من عام خمسة وأربعين وسبع مائة وصورة العلامة وكتب في  
التاريخ المؤرخ قال ابن خلدون في فقه أبو الفضل ابن أبي عبد الله بن أبي مدين من وقادته ماجل  
وكان شأنه عجا في اظهار أبهة سلطانه والاتفاق على المستضعفين من الحاج في طريقه واتحاف رجال

الدولة التركية بذات يده والتعفف عما في أيديهم رحمه الله **﴿وقال العلامة المقرئ في﴾** وفي منتصف شعبان من سنة خمس وأربعين وسبعمائة قدمت الحرة أخت صاحب المغرب في جماعة كثيرة وعلي يدها كتاب السلطان أبي الحسن يتضمن السلام وأن يدعو له الخطباء في يوم الجمعة ومشايخ الإصلاح وأهل الخبر بالنصر على عدوهم ويكتب إلى أهل الحرم بذلك اهـ ولعل هذا كتاب آخر غير الذي سردناه يتضمن ما ذكره والله أعلم ونسخة الجواب عن الكتاب الذي سردناه من انشاء خليل الصفدي شارح لامية الجهم بعد البسمة في قطع النصف بقلم الثالث عبد الله وولييه صورة العلامة ولده اسمعيل بن محمد السلطان الملك الصالح السيد العالم العادل المؤيد المجاهد المرابط المتظفر المنصور محمد الدين سلطان الاسلام والمسلمين محي العدل في العالمين منصف المظلومين من الظالمين وارث الملك ملك العرب والجهم والترك فاتح الأقطار واهب الممالك والامصار أسكنه الزمان ملك أصحاب المنابر والاسرة والتخوت والتيجان ظل الله في أرضه القائم بسنته وفرضه مالك البحرين خادم الحرمين الشريفين سيد الملوك والسلاطين جامع كلمة الموحدين ولي أمير المؤمنين أبو الفداء اسمعيل بن السلطان الشهيد السعيد الملك الناصر ناصر الدنيا والدين أبي الفتح محمد بن السلطان الشهيد السعيد الملك المنصور سيف الدنيا والدين قلاوون خلد الله تعالى سلطانه وجعل الملائكة أنصاره وأعوانه يخص المقام العالي الملك الاجل الكبير المجاهد المؤيد المرابط المتأخر العظيم المكرم المتظفر المنصور الاسعد الاصعد الاوحد الامجد السني السري المنصور أبا الحسن علي ابن أمير المسلمين أبي سعيد عثمان ابن أمير المسلمين أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق أمده الله بالظفر وقرن عزمه بالتأييد في الآصال والبكر سلام وشت البروق وشانعه وادخرت الكواكب ودائعه واستوعب الزمان ماضيه ومستقبله ومضارعه وتناء اتخذ النجمات المسكية طلائعه ونبه للتغريد في الروض سواجعه وجل في كاسه من الشفق المحرم دماحه ومن النجوم فواقعه **﴿وأما بعد﴾** جد الله على نعم أدت لنا الامانة في عود سلطنة والدنا الموروثه وأجلستنا على سرير ملكة زوايهابين النجوم مبثوثة وأحسنت بنا الخلف عن سلف عهدوه في الاعناق غير منكورة ولا منكوتة وصلاته على سيدنا محمد عبده ورسوله وعلى آله وصحبه الذين بلغ بجهادهم في الكفرة غاية أملهم وسؤلهم صلاة تحط بالرضوان شيولها وتجرب الغفران ذبولها ما ترسل أصحاب وتواصل أحباب فيوضع العلم الكريم ورود كتابكم العظيم وخطابكم الفائق على الدر المنظم تفانرا المائل مسطوره ويصبح خسد الورد بانجل منثوره ويحكي الرياض اليانعة فالالقات غصونه والمهزات عليها طيبوره ويخلع على الآفاق حل الايام والليالي فالطرس صباحه والنفس ديجوره لفظه يطرب ومعناه يعرب فيغرب وبلاغته تدل على انه آية لان شمس بيانها طلعت من المغرب فاتخذنا سطوره ريحانا ورجعنا الفاظه ألحانا ورجعنا الى الجذف شهبنا ألغاته بظلال الرماح وورقه بصقال الصفاح وحروفه المفرقة بافواه الجراح وسطوره المنتظمة بالفرسان المزدجة يوم الكفاح وانتهينا الى ما أودعتموه من اللفظ المصجوع والمعنى الذي يطرب طائر المسموع والبلاغة التي فضح التطبيع بيانها المطبوع فاما العزرا باخيمك الوالد قدس الله روحه وسقى عهده وأحسن لسلفه خلفا بعده فلنا رسول الله اسوة حسنة ولولا الوثوق بأنه في عدة الشهداء مارام القاب قراره ولا الطرف وسنه عاش سعيدا ملك الارض ومات شهيدا يفوز بالجنة يوم العرض قد خلد الله ذكره يسير مسير الشمس في الآفاق ويوقف عند نصارة حدائقه تطرات الاحداق وورثنا منه حسن الاخاء لكم والوقايه هود مودة تشبه في اللطف شمائلكم **﴿وأما﴾** الهناء بوراثة ملكه والانخراط مع الملوك في سلطه فقد شكرنا لكم مني هذه المنحة وقابلنا هابتنا يعطر النسيم في كل نفحة ووقفنا عليها جد اجعل الود علينا ابراده وعلى انفاس سرحة الروض شرحه وتحققنا به حسن ودمكم الجليل

وكريم اخاتكم الذي لا يعيد طود رسوخه ولا يميل **﴿وَأَمَّا﴾** ما ذكرتموه من أمر المحضين الكريمين  
الشريفيين الذين وقفتموهما على الحرمين المتيفين وانكم جهزتم كاتبكم الفقيه الاجل الاسنى الاسمى  
أبا المجدان كاتبكم أبي عبد الله بن أبي مدين أعزّه الله لتفقد أحوالهما والتظرف في أمر أوقافهما فقد  
وصل المذكورين معه في حرز السلامة وأكرمنا ترهيم وسهلتنا بالترحيب سبلهم وجمعنا على بذل  
الاحسان اليهم شملهم وحضر المذكورين أيدينا وقرّبناهم وسمعنا كلامهم وخطبناهم وأمرنا في  
أمر المحضين الشريفين بما أشرتم ورسمنا لنوابنا في توخي أوقافهم بما ذكرتم وهذا الوقف المبرور جار  
على أحسن عادة ألفها وأثبت قاعدة عرفها مرعى الجوانب محيى المنازل والمضارب آمن من إزالة  
رسمه أو إزالة حكمه بدره أبدا في مطالع تمه وزهره دائما يرقص في كه لا يزداد الا تخليدا ولا  
اطلاق ثبوته الاتقيدا ولا عنق اجتهاده الاتقيدا جريا على قاعدة أوقاف مالكا وعادة تصرفاتنا  
في مسالكنا وله مزيد الرعاية واقادة الحماية ووقادة العناية **﴿وَأَمَّا﴾** ما وصفتموه من أمر  
الجزيرة الخضراء وما لاقاه أهلها ومنى به من الكفار خزنها وسهلها فانه شق علينا سماعه الذي أنسى  
أهل الايمان وعدده نوب الزمان كل قلب بانامل الخفقان وطالمنا فرتم بالظفر ورزقتم النصر على  
عدوكم فجر ذيل الهزيمة وفر ولكن الحرب مجال وكل زمان لدوائره دولة ولرجائه رجال ولو أمكنت  
المساعدة لطارت بنا اليكم عقبان الجياد المسومة وسالت على عدوكم أباطهم بقسيدا المعوجة  
وسهامنا المقومة وكحلنا عين النجوم بمراد الرماح وجعلنا ليل الجحاح ممزقا بروق الصفايح واتخذنا  
رؤسهم لصوالح القوائم كرات وفرجنا مضايق الحرب بتوالي الكرات وعطفنا عليهم الاعنة  
وخضنا جداول السيوف ودسنا شوكة الاسنة وقلقنا الصخرات بالصرخات وأسلفنا العبرات بالرعيات  
ولكن أين الغاية من هذا المدى المتطاول وأين الثريامن يد المتناول وما لنا غير ما مدادكم بجنود الدعاء  
الذي نرفعه نحن ورعايانا والتوجه الصادق الذي تعرفه ملائكة القبول من سبحايانا **﴿وَأَمَّا﴾**  
ما فقدتموه من الاجفان التي طرفها طيف الاتلاف وأتم حرم فنائم الفداء وطاق به بعد اللطاف فقد  
رؤع هذا الخبر قلب الاسلام وتروع له الحزن على اختلاف الاصباح والاطلام وهذه الدار ما يتخلو  
صفوها من كدر القدر وطالمنا أنامت بالا من أول الليل وخطبت بالخطب في السمر ولكن في بقاتكم  
ما يسلى عن خطب العطب ومع سلامة نفسكم الكريمة فالامر حين لان الدريغدى بالذهب **﴿وَأَمَّا﴾**  
ما رأيتموه من الصلح فرأى عقده مبارك وأمر ما فيه فارط عزم وان كان في تدارك والامر ينجى كما يجب  
لا كما يحب والحروب يزورها نصرها تارة وينهب مع اليوم غدا وقد يرد الله الردا ويعيد الظفر بالعدا  
**﴿وَأَمَّا﴾** عودكم الى فاس المحروسة طلبا لراحة من عندكم من الجنود وتجهيزا لمن يصل من عندكم الى  
الجزائر الشريف من الوفود فهذا امر ضرورى التدبير سرورى التتمير لان النفوس تغل وثير المهاد  
فكيف ملازمة سهوات الجياد وتسأم من مجالسة الشرب فكيف بممارسة الحرب وتعرض عن  
دوام اللذة فكيف بمباشرة المنايا الفذة وهذا جبل طارق الذي فتح الله به عليكم وساق هدى هديته  
اليكم لعله يكون سيدا الى ارتجاع ما شرد وحسم لهذا الطاغية الذي مرد ورد لهذا النازل الذي كثر  
ورد الصبر لما ورد فعادة اللطاف بكم معروفه وعزما تكم الى جهات الجهاد مصروفه وقد تغافلنا  
لكم من هذا الجبل بأنه طارق خير من الرحمن يطرق وجبل يعصم من سهم يجر من قسى الكفار ويمرق  
**﴿وَأَمَّا﴾** ما منجتموه من الخيل العتاق والملابس التي تطلع بدور الوجوه من مشارق الاطواق  
والاموال التي زكت عند الله تعالى وعت على الاتفاق فعلى الله عز وجل خلفها ولكم في منازل الدنيا  
والآخرة سرفها وشرقها واليكم تساق هدايا أتيتها وتحضكم تحضها واذا وصل وفدكم الحاج وأنار له  
بوجه اقبالنا عليهم ليملهم الداج كانوا مقيمين تحت ظيل اكرامنا وشمول اسعافنا لهم وانعامنا



يتخولون تحفاً أنتم سببها ويتناولون طرفاً في كؤوس الاعتناء بهم ينضد حبيبها وإذا كان أو ان الرحيل الى الحج فسبحنا لهم الطريق وسهانا لهم الرفيق وبلغناهم بحول الله تعالى منا هم من منى وسؤلهم عن اذا زاروا حجراته الشريفة حازوا الراحة من العناء وفازوا بالغنى واذا عادوا عاملناهم بكل جميل ينسبهم مشقة ذلك الدرب ويخيل اليهم أن لا مسافة لمسافرين الشرق والغرب وغمرناهم بالاحسان في العود اليكم وأمرناهم بما ينهونه شفاهاً اليكم وعناية الله تعالى تحوط ذاتكم وتوفر لاخذ الثارجاتكم وتحصمكم بتأييد تنزلون روضه الانضر وتجنون به ثمر النصر اليساع من ورق الحديد الاخضر وتحصمكم بسعد لا يبلى قشيبه وعز لا يحوش بابه مشيبه وتحبته المباركة تغادىكم وتراوكم وتفاوكم أنفاسها المعبرة وتتافكم عنه وكرمه في سادس شهر رمضان سنة خمس وأربعين وسبعمائة هـ وقال ابن خلدون هـ ثم شرع السلطان أبو الحسن بعد استيلائه على افریقیة كما ذكره في كتاب نسخة أخرى من المصحف الكريم ليوقفها ببيت المقدس فلم يقدر ان تمامها وهلك قبل فراغه من نسخها اه وهو يقتضى ان السلطان المذكور ما كتب سوى مصحفين اثنين ويؤيده ظاهر الكتابين المسرودين آنفا مع انه تقدم النقل عن الشيخ أبي العباس المقرئ أنه وقف على النسخة الموقوفة ببيت المقدس والله تعالى أعلم بحقيقة الامر

### هدية السلطان أبي الحسن الى ملك مالي من السودان المجاورين للغرب هـ

اعلم ان أرض السودان المجاورة للغرب تشمل على ممالك منها ملكة غانة ومنها ملكة مالي ومنها ملكة كانغا ومنها ملكة برنوا وغير ذلك وكان ملك مالي وهو السلطان منسا موسى بن أبي بكر من أعظم ملوك السودان في عصره ولما استولى السلطان أبو الحسن على المغرب الاوسط وغلب بنى زيان على ملكهم عظم قدره وطال ذكره وشاعت أخباره في الآفاق فسمي هذا السلطان وهو منسى موسى الى مخاطبة السلطان أبي الحسن وكان مجاور الملكة المغرب على نحو مائة فرسخة في القفر فاوقف عليه جماعة من أهل مملكته مع ترجان من الملمين المجاورين لبلادهم من ضهاجة فوقفوا على السلطان أبي الحسن في سبيل التهنية بالظفر فأكرم وفادتهم وأحسن مثواهم ومنقلبهم وترع الى مذهبه في الفخر فانتخب طرفاً من متاع المغرب وما عونه وشياً من ذخيرة داره وأسنى الهدية وعين رجالاً من أهل دولته كان فيهم كاتب الديوان أبو طالب بن محمد بن أبي مدين ومولاه عنبر الخصى فاوقفهم بهاء على ملك مالي منسا سليمان لهلك أخيه موسى قبل مرجع وفده وأوعز الى اعراب القفلة من بنى معقل بالسيرة معهم ذاهبين وجاء بن فشمير لذلك على بن غانم أمير أولاد جرار من معقل وصحبهم في طريقهم امتثالاً لامر السلطان وتوغل ذلك الركب في القفر الى بلاد مالي بعد الجهد وطول الشقة فأحسن منسا سليمان مبرتهم وأعظم موصلهم وأكرم وفادتهم ومنقلبهم وعادوا الى مرسلهم في وفد من كبار مالي يعظمون السلطان أبا الحسن ويوجبون حقه ويؤدون طاعته ويذكرون من خضوع مرسلهم وقيامه بحق السلطان أبي الحسن واعتماله في مرضاته ما استوصاهم به هـ واعلم هـ ان منسا موسى الذي ذكرناه كان من كبار الملوك كما قلنا وهو الذي صحبه أبو اسحق الساحلي المعروف بالطوبجى من شعراء الاندلس كان قد لقيه في الموسم بعرفة فحلى بعينه وحظيت منزلته عنده فصحبه الى بلاده وأقام عنده معجوباً بالبر والكرامة وبنى للسلطان المذكور قبلة رائعة فازدادت حظوته عنده هـ وقال ابن خلدون هـ أطرف أبو اسحق الطوبجى السلطان منسا موسى ببناء قبة من أربعة الشكل استفرغ فيها اجادته وكان مناع اليدين وأضفى عليها من الكلس ووالى عليها بالاصباغ المشبعة فجاءت من أتقن المباني ووقعت من السلطان منسا موسى موقع الاستغراب لفقدان صنعة البناء بأرضهم ووصله باني عشر الفامن مثاقيل التبر ماثوبة عليها اه وكانت وفاة أبي اسحق بتبكتوا يوم الاثنين السابع والعشرين من جمادى الآخرة سنة



بمصاهرة السلطان أبي الحسن ثانيامع السلطان أبي بكر الحفصي رحمه الله

قد تقدم لنا ما كان من وقعة طريف وانه هلك فيها حرم السلطان أبي الحسن من جلتهن فاطمة بنت السلطان أبي بكر الحفصي فلما فقدوها أبو الحسن بقي في نفسه منها حين الى ما شغفته به من خلالها ولذا ذه العيش في عشرتها فسمي أمه الى الاعتياض عنها ببعض أخواتها فأوفد في خطبتها وليه عريفة بن يحيى أمير عرب سويد من بني زغبة المهالين وكانت الجباية والعسكر بدولته أبا الفضل بن محمد بن أبي مدين وقيقه الفتوى بمجلسه أبا عبد الله محمد بن سليمان السطى ومولاه عنبر الحفصي فوفدوا على السلطان أبي بكر سنة ست وأربعين وسبعمائة فاترهم منزل البر والكرامة ثم دس اليه حاجبه أبو محمد عبد الله بن تافرا حين عرض وفادتهم وانهم قدموا خاطبين بعض كرائمه لسلطانهم فأتى من ذلك صوتا محرمة عن جولة الاقطار وتحكيم الرجال مثل ما وقع في ابتسه الاولى فلم يزل حاجبه المذكور يخفض عليه الشان ويعظم عليه حق السلطان أبي الحسن في رد خطبته مع ما بينهما من الصهر السابق والمخالصة القديمة والعهود المتأكدة الى ان أجاب وأسف وجعل ذلك للحاجب المذكور فانه عقد الصهر بين السلطانين على ابنته عز ونة شقيقة ابنه أبي العباس الفضل بن أبي بكر صاحب بونة وأخذ الحاجب في شوار العروس وتأنق فيه واحتفل واستكبر وطال مقام الرسل بتونس الى ان استكمل الجهاز فارتحلوا منها في ربيع سنة سبع وأربعين وسبعمائة وأوعز السلطان أبو بكر الى ابنه الفضل شقيق العروس المذكور أن يزورها على السلطان أبي الحسن قياما بحقه وبعث من يابها جماعة من مشيخة الموحدين فوفدوا جميعا على السلطان أبي الحسن واتصل بهم الخبر في طريقهم بوفاة السلطان أبي بكر فجأة ليلة الاربعاء ثاني رجب من السنة المذكورة فمراههم السلطان أبو الحسن عنه عندما وصلوا اليه واستبلغ في اكرامهم وأجل موعد أخيها الفضل بسطانه ومظاهرتة على تراث أبيه فاطمأنت به الدار عند السلطان أبي الحسن الى ان سار في جلته وتحت لوائه الى افريقية كما نذ كره ان شاء الله

بمغز والسلطان أبي الحسن افريقية واستيلاؤه على تونس وأعمالها

كان السلطان أبو بكر الحفصي رحمه الله قد عهد بالامر بعده لابنه أبي العباس أحمد وكان أوفد على السلطان أبي الحسن حاجبه أبا القاسم بن عتو في غرض له وأحجبه كتاب العهد الى السلطان المذكور ليوافق عليه فوقف عليه السلطان أبو الحسن وكتب على حاشيته بخطه ووافق عليه رحمه الله وأحكم العقد في ذلك ولما مات السلطان أبو بكر كان ولي العهد غائباً عن الحضرة فبايع أبو محمد بن تافرا حين لابنه عمر بؤذ كرا الشيخ أبو العباس الوائشريسي في أفضية المعيار عن الشيخ ابن عرفة ان سلطان افريقية أبا بكر الحفصي كتب العهد لولده أحمد فلما توفي السلطان المذكور حضر أبو محمد بن تافرا حين قاضي تونس قاضي الجماعة أبا عبد الله محمد بن عبد السلام وقاضي الانكحة أبا عبد الله الاجي وأمرهم أن يبايعوا ولد الخليفة هم فقالوا كيف يبايعه ونحن شاهدنا بيعة أخيه أحمد والتمناها وكان الحاجب ابن تافرا حين نيلا فلما رأى امتناعهما قال ادخل دار السلطان واشتغل بعمله وتكفينه فلما دخل أحضر الحاجب المذكور أهل العقد والحل وأمرهم ان يبايعوا عمر فبايعوه فلما خرج القاضيان وجد البيعة قد حصلت وكان في انتظار أحمد المشهود له بالعهد وهو غائب بقفصة خوف القتته فبايع القاضيان وكان ابن عرفة يستصوب فعل الحاجب وامتناع القاضيين أولا ويعتزمانا ثانيا ثم قدم ولي العهد ووقع بينه وبين أخيه قتال وجرت خطوب كان في آخرها قتل ولي العهد وقتل وليه أبي الهول بن حمزة أمير الكعوب من عرب سليم في آخرين منهم وقطع عمر أيضا أخويه عبد العزيز وخالد امن خلاف فهلكا وكان الحاجب أبو محمد

ابن تافراجين قد أحس بالشر من جهة عمر المتغلب وتوقع النكبة من جانبه فقتل الى قصره وأخذ  
 ما خف من ذخيرته ولحق بالسلطان أبي الحسن وقص عليه الخبر وأغراه بتملك افرريقية وأوجب عليه  
 النظر للمسلمين فيها وكان السلطان أبو الحسن يتمنى ذلك لولا مكان صهره أبي بكر فاقام يتحين لها الاوقات  
 ويتربص لها الفرص حتى كانت هذه وانما تنجح المقالة في المرء اذا صادفت هوى في الفؤاد فأظهر أبو  
 الحسن الامتعاض لما فعله عمر باخيه ولي العهد من منعه من حقه أولا ثم اراقه دمه ثانيا لا سيما وقد كان  
 أعطى خط يده بالموافقة على العهد المذكور فاجع الحركة الى افرريقية ولحق به خالد بن جزرة بن عمر أخو  
 أبي الهول المقتول مع ولي العهد فاستعداه على عدوه ففتح السلطان أبو الحسن ديوان العطاء ونادى في  
 الناس بالمسير الى افرريقية وأراح عليهم وعسكر بظاهر تلسان ثم نهض في صفر من سنة ثمان وأربعين  
 وسبع مائة يجر الدنيا بما حلت به ان عقدا لابنه الامير أبي عنان على المغرب الاوسط وعهد اليه بالنظر  
 في أموره كافة وجعل اليه جبايته وقدمت عليه في طريقه اعراب افرريقية وولاية قابس وبلاد الجريد  
 وأطاعته طرابلس والزاب وبجاية وصاحبها أبو عبد الله محمد بن أبي زكرياء بن أبي بكر ولما وصل الى  
 قسنطينة خرج اليه أبناء الامير أبي عبد الله بن أبي بكر فبايعوه فاقبل عليهم وصرفهم الى المغرب وأترهم  
 بوجدة وأقطعهم جبايتها وأزل بقسنطينة خائفاه وعماله وقد كان صرف أبا عبد الله صاحب بجاية  
 الى ندروة فأنزله بها وأقطع الكفاية من جبايتها ثم وفد عليه بنو جزرة بن عمر أمراء الكعوب من سليم  
 فآخبروه باجفال عمر المتغلب بتونس مع طاعنة أولاد مهمل واستحثوه في اعتراضهم قبل لحاقهم بالقصر  
 فسرح معهم العساكر في طلبه لتطرحوا بن يحيى العسكري وتقوم السلطان أبو الحسن بقسنطينة  
 وعرض جيوشه بسطح الجباب منها ثم ارتحل على أثرهم وأخذ جوار بن يحيى السير مع ناجعة أولاد أبي  
 اليل فلمقوا بمر صاحب تونس بارض الحامة من ناحية قابس فدافعوا عن أنفسهم بعض الشيء  
 ثم انهزموا وركبوا بمر جواده في ناقعاء بعض اليرابيع وانجلى الغبار عنه وعن مولاة طاغر راجلين فتقبض  
 عليهما وأوثقهما فأند العسكر بيده حتى اذا جئ اليل ذبحهما خوفا من ان تقتكهما العرب من يده  
 وبعث برؤسهما الى السلطان أبي الحسن فوصل اليه بباجية وخلص الغل من تلك الواقعة الى قابس  
 فتقبض عبد الملك بن مكي صاحبها على رجالات من أهل الدولة كان فيهم أبو القاسم بن عتوان مشيخة  
 الموحدين وصخر بن موسى من رجالات سدويكش وغيرهما من أعيان الدولة فبعث بهم ابن مكي الى  
 السلطان أبي الحسن مقرنين في الاصفاد فأما ابن عتوان وصخر بن موسى وعلي بن منصور فقطعهم  
 من خلاف لفتيا الفقهاء بمرابتهم واعتقل الباقي وسرح السلطان عساكره الى تونس وعقد عليهم  
 لصهره على ابنته يحيى بن سليمان من بني عسكر فاحتوا بتونس ثم جاء السلطان على أثرهم فقتل بظاهرها  
 يوم الاربعاء الثامن من جادى الآخرة من سنة ثمان وأربعين وسبع مائة وتلقاه وفد تونس وشيوخها  
 من أهل الفتيا وأرباب الشورى فآتوه طاعتهم وانقلبوا مسرورين بولايته معتبين على كنهه وكانت  
 تونس يومئذ مشحونة بالاعلام الاكابر منهم ابن عبد السلام وابن عرفة وابن عبد الرزاق وابن راشد  
 القفصي وابن هرون وأعلام آخرون ثم عبا السلطان أبو الحسن يوم السبت مواكب لدخول الحضرة  
 فصف جنوده سباطين من معه بسكره بسيجوم الى باب البلد نحو أربع أميال وركبت بنو مدين في  
 مراكزهم من جوعهم وتحت راياتهم وركب السلطان من فسطاطه وعن يمينه وليه عريف بن يحيى  
 كبير سويد ويلييه أبو محمد عبد الله بن تافراجين وعن يساره الامير أبو عبد الله محمد بن أبي زكرياء وهو  
 أخو السلطان أبي بكر ويلييه الامير أبو عبد الله ابن أخيه خالد كانا معتقيا بقسنطينة فاطلقهما السلطان  
 أبو الحسن وصحبوه الى تونس فكانوا طرازا ذلك الموكب فيمن لا يحصى من أعيان بني مدين وكبرائهم  
 وهدرت طبوله وخفت راياته وكانت يومئذ نحو المائة وجاء السلطان والمواكب تجتمع عليه صفا صفا

الى ان وصل الى البلد وقد ماجت الارض بالجيش **وقال** ابن خلدون **يقول** كان يوم الميراث له فيما علقناه  
**وقلت** كان سن ابن خلدون يومئذ ثلث عشرة سنة لانه ولد غرة رمضان سنة اثنتين وثلاثين وسبع مائة  
 وكان قدم في جملة السلطان ابي الحسن جماعة كبيرة من اعلام المغرب كان يلزمهم شهود مجلسه ويتجمل  
 بمكانهم فيه ثم دخل القصر الخلفي وخلع على ابي محمد بن تافراجين وقرب اليه فرسا يسرجه ولجامه وطعم  
 الناس بين يديه وانتشر والى منازلهم ثم دخل السلطان ابي الحسن مع ابن تافراجين الى حجر القصر  
 ومساكن الخلفاء فطاق عليها ودخل منها الى الرياض المتصلة بها المدعوة برأس الطاية فطاق على تلك  
 البساتين وسرح تطره فيها واعتبر بحالها ثم أفضى منها الى معسكره وأتزل يحيى بن سليمان بقصبة تونس  
 في عسكر لجبايتها ثم ارتحل من القصر الى القيروان فجال في نواحيها ووقف على آثار الأولين ومصانع  
 الاقدمين والطول المائلة لصنهاجة والعميديين والتمس البركة في زيارة القبور التي تذكر للصحابه  
 والسلف من التابعين والاولياء في ساحتها ثم سار الى سوسة ثم الى المهديه ووقف على ساحل البحر منها  
 وتطوف في معالمها وتطرف في عاقبة الذين كانوا من قبله أشد قوة وآثارا في الارض واعتبر باحوالهم  
 وعرف في طريقه بقصر الاجم وورباط المنستير وانكفأ راجعا الى تونس فاحتل بها غرة رمضان من السنة  
 وأتزل المسالخ على ثغور افريقية وأقطع بني مرين البلاد والضواحي وأمضى اقطاعات العرب التي كانت  
 لهم من قبل الحفصيين واستعمل على الجهات ونهضت الاصوات وسكنت الدهماء وانقبضت أيدي أهل  
 الفساد وانقرض أمر الحفصيين في هذه المدة الا انه عقد على بونه لصهره الفضل بن السلطان ابي بكر  
 اكرام الصهره ووفادته عليه واتصلت عمالك السلطان ابي الحسن ما بين مسراته الى السوس الاقصى  
 من هذه العدو والى رنده من عدوة الاندلس ودخل المغرب بأسره في طاعته وحذر ملوك مصر والشام  
 ماشاع من بسطته وانفساح دولته ونفوذ كلمته والمكث لله يثوبه من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين  
 وقد كان الشعراء رفعوا اليه قصائد في سبيل التهنئة بالفتح وكان سابق الحلبه يومئذ ابا القاسم الرحوي  
 في قصيدة يقول في مطلعها

أجابك شرق اذ دعوت ومغرب \* فمكة هشت اللقاء ويثرب

وهي طويلة تخطيناها اختصارا والله تعالى ولى التوفيق بعنه

**انتقاص** عرب سليم بافريقية على السلطان ابي الحسن وما نشأ عن ذلك

قد تقدم لنا عند الكلام على العرب الداخلين الى المغرب ان جمهورهم كان من بني جشم بن معاوية  
 ابن بكر وبنى هلال بن عامر بن صعصعة وبنى سليم بن منصور وان الذين بقوا منهم بافريقية هم بنو سليم  
 وبعض هلال وكان لهم استطالة على الدول واعتزاز عليها فكان ملوك الحفصيين يتألفونهم بالولايات  
 والاقطاعات ونحو ذلك وكان السلطان ابي الحسن المريني حاله مع عرب المغرب الاقصى غير حال  
 الحفصيين مع عرب افريقية وملكته لاهل باديته غير ملكتهم لاهل باديتهم فلما ورد افريقية واستولى  
 عليها رأى من اعتزاز العرب بها على الدولة وكثرة اقطاعاتهم من الضواحي والامصار ما تجاوز الحد المعتاد  
 عنده فانكر ذلك وضرب على أيديهم وعوضهم عنه باعطيات فرضها لهم في الديوان من جملة الجند  
 ولستكرجبايتهم فتقصم الكثير منها ثم شكالىه الرعيه من أولئك العرب وما بناونهم به من  
 الظلمات وضرب الاتاوه التي يسمونها الخفارة فقبض أيديهم عن ذلك كله وتقدم الى الرايا بعتهم منها  
 فانابت العرب لذلك وفسدت ضمائرهم وثقلت وطأة الدولة المرينية عليهم فتربصوا بها وتخرى بها  
 وتعاونت ذئابهم في بواديهم فاجتمعوا وأغاروا على قباطين بنى مرين ومسالحهم في ثغور افريقية حتى أنهم  
 أغاروا على ضواحي تونس فاستاقوا الظهر الذي كان في مرعاها والسلطان يومئذها اعظم عليه ذلك  
 وحقد على كبرائهم وأظلم الجوينيه وبينهم ثم وفد عليه أيام الفطر من رجالهم خالد بن حمزة أمير بنى كعب



وأخوه أحمد وخليفة بن عبد الله من بنى مسكين وابن عمه خليفة بن أبي زيد من أولاد القوس فأزلهم  
السلطان أبو الحسن وأجل لقاءهم مغضبا عما صدر من غوغائهم ثم رفع اليه عبد الواحد بن الليثاني  
من أولاد الملوك الحفصيين انهم بعثوا اليه مع بعض حاشيته يطلبون منه الخروج معهم لينصبوه  
للإمير بافريقية وانه خشي على نفسه بادرة السلطان قبرا اليه من ذلك فقامت قيامة السلطان أبي  
الحسن عند سماعه ذلك فأحضرهم وأحضر الحفصي معهم وقرره بما دار بينه وبينهم فبهتوا وانكروا  
فوبخهم وأمرهم فصبوا الى السجن ثم فتح ديوان العطاء وعرض الجند لغزوههم وعسكر بسجوج  
من ظاهر تونس وذلك بعد قضاء نسك القطر من سنة ثمان وأربعين وسبعمائة واتصل الخبر بأولاد أبي  
الليل وأولاد القوس باعتقال وفدهم وجمع السلطان لغزوههم فضاقت عليهم الأرض بما رحبت  
وانطلقوا في حياتهم يحزبون الأحزاب ويستثيرون الثوار وعطفوا على أعدائهم من أولاد مهمل  
فوصلوهم بعد القطيعة وكانوا بعد مقتل سلطاهم عمر بن أبي بكر قد لحقوا بالقفر خوفا من أبي الحسن  
لانهم كانوا شبيعة لعمر المذكور فلما وقع بين أبي الحسن وبين أولاد أبي الليل ما وقع ركب قتيبة بن حمزة  
اليهم ومعه أمه ونساء أولادها فطارحوا عليهم ورغبوا اليهم في الاجتماع معهم على الخروج على  
السلطان ومناذته فكان أولاد مهمل اليهم سرعين فارتحلوا معهم وتوافقت أحياء سليم من بني كعب  
وبني حكيم بتوزر من بلاد الجريد قنذا مر وارتصافوا وأهدروا الدماء بينهم وتبايعوا على الموت وصاروا  
نفسا واحدة على تباين أغراضهم وفساد ذات بينهم والتمسوا من أعياص الملك من ينصبونه للإمير فذهب  
بعض سماسة الفتن على رجل من بني عبد المؤمن وهو أحمد بن عثمان بن أبي دوس آخر ملوك بني  
عبد المؤمن وكان يحترف بالخطاطة في توزر بعد ما طوحت به الطواغق فانطلقوا اليه و جاؤا به ونصبوه  
للإمير وجمعوا له شيئا من الفساطيط والخيل والآلات والكسوة وأقاموا له رسم السلطان وعسكروا  
عليه بقباطينهم وحلهم وتحالفوا على نصره ولما قضى السلطان أبو الحسن نسك عيد الاضحى من السنة  
المذكورة ارتحل من ساحة تونس يريد العرب فوافاهم بالموضع المعروف بالثنية بين بسبب تونس  
وبسبب القيروان فاجفوا أمامه فاتبعهم وألح عليهم الى ان وصلوا الى القيروان فلما رأوا ان لا ملجأ لهم  
منه عزموا على الثبات له وتحالفوا على الاستماتة وكان عسكر السلطان أبي الحسن يومئذ مشغورا بأعدائه  
من بني عبد الواد المتساو بين على ملكهم ومغراوة وبني توجين وغيرهم فدسوا الى العرب أثناء هذه  
الماوشة بان يبايخوا السلطان غدا حتى يتحيزوا اليهم ويحربوا عليه الهزيمة فاجابوهم الى ذلك وصبحوا  
معسكر السلطان من الغد فركب اليهم في التعبية ولما تقابلوا تحيز اليهم الكثير من كان معه واختل  
مصافه فانهم هزيمة شنعاء وبادروا الى القيروان فدخلها فيمن معه من الفيل مستجير اباودافع عنه أهلها  
وتسابت العرب الى معسكره فانتبهوه بما فيه من المضارب والعدو والآلات ودخلوا فسطاط  
السلطان فاستولوا على ذخيره والكثير من حرمه وأحاطوا بالقيروان وزحفت اليها حلالهم فدارت  
بها سياجا واحدا وتعوت ذئابهم باطراف البقاع وأجلب ناعق الفتنة منهم بكل قاع واضطربت  
افريقية نارا وكانت الهزيمة يوم الاثنين سابع محرم من سنة تسع وأربعين وسبعمائة وبلغ الخبر الى  
تونس وكان السلطان قد خلف بها عفد رحيله الكثير من أبنائه وحرمه ووجوه قومه وأمناء بيت ماله  
وبعض الحاشية من جنده فتحصنوا بالقصبية وأحاط بهم الغوغاء كي يستزلوهم عنها فامتنعوا عليهم  
وكانوا بها أملاك منهم وكان الامير أبو سالم ابراهيم ابن السلطان أبي الحسن قد جاء من المغرب في هذا  
التاريخ فوافاه الخبر قرب القيروان فانفض معسكره ورجع الى تونس فكان معهم في القصبية ثم نزع  
أبو محمد بن تافرا حين عن السلطان أبي الحسن وكان محصورا معه بالقيروان وكان قد ستم حبيته وممل  
خدمته لانه كان أيام حجابته للسلطان الحفصي مستبدا عليه مفوضا اليه في جميع أموره فلما استوزره

السلطان أبو الحسن لم يجره على تلك العادة لانه كان قائما على أموره بنفسه وليس التفويض للوزراء من شأنه وكان ابن تافرا حين يظن انه سيكل اليه أمر افريقية وينصب معه ملاكها الفضل ابن السلطان أبي بكر شقيق زوجته ورجماز عموا انه عاهده على ذلك فكان في قلبه من الدولة المرينية مرض وكان العرب أيام عزهم على الخروج يفاوضونه بذات صدورهم فلما حصلوا على البغية من الظهور على السلطان وحصاره بالقيروان احتالوا في أمر ابن تافرا حين فبعثوا الى السلطان يطلبون منه بعثه اليهم ليفاوضوه في الرجوع الى الطاعة والانخراط في سلك الجماعة فاذن له فخرج اليهم ووصل يده بيدهم ولم يرجع الى السلطان أبي الحسن فقلده حجابة سلطانهم ابن أبي دبوس ثم سرت حوه الى حصار من بالقصبة من بني مرين وطمعوا في الاستيلاء عليها وفض ختامها فساوا ابن تافرا حين اليها وانضم اليه أشياخ الموحدين في زعانف من الغوغاء وأحاطوا بالقصبة ثم لحق به ابن أبي دبوس فعاودوها القتال ونصبوا عليها المجانيق فامتنعت عليهم ولم يغنوا شيئا وابن تافرا حين في أثناء ذلك يحاول الفرار بنفسه لاضطراب الامور واختلال الرسوم الى ان بلغه خلوص السلطان أبي الحسن من القيروان الى سوسة وكان من خبره ان العرب بعد حصارهم ايام بالقيروان اختلفت كلمتهم اذ به وكان قد داخل أولاد مهلهل في الافراج عنه واشترط لهم على ذلك أموالا ونذر بنو أبي الليل بذلك فاضطربت كلمتهم ودخل عليه قتيبة بن حجرة منهم بمكانه من القيروان زعيما بالطاعة فتقبله وأطلق أخويه خالد وأحمد ومع ذلك فلم يطمئن اليهم ثم جاء اليه محمد بن طالب من أولاد مهلهل وخليفة بن أبي زيد وأبو الهول بن يعقوب من أولاد القوس وعاهدهوه على الافراج عنه والقيام معه حتى يصل الى مأمنه فخرج معهم ليلا على التعيبة وذو بيان العرب تطأ أذياله وضباعها تنوشه الى ان استقر بسوسة وأمن على نفسه وقد أتى النهب على جل ما كان معه ولم يسمع ابن تافرا حين وهو محاصر للقصبة بوصول السلطان الى سوسة تسلل من أصحابه وركب البحر الى الاسكندرية فاصبحوا وقد فقدوه فاضطرب أمرهم وارتاب سلطانهم ابن أبي دبوس لم يعلم بخبره فانفض جمعهم عن القصبة وأفرجوا عنها وخرج بنو مرين فاجروا بالبلد ونزحوا منازل الحاشية بها ثم ركب السلطان أبو الحسن من سوسة البحر فاحتل بتونس في ربيع الاخر سنة تسع وأربعين وسبعمائة فاجتمع شمله واستتب أمره وكتب الى صاحب مصر في التقبض على ابن تافرا حين فأجازه بعض الامراء وانصرف لقضاء فريضة الحج واعتمل السلطان أبو الحسن في اصلاح أسوار تونس وادارة الخندق عليها وأقام لها من الصيانة والحصانة رسما دفع به في نحر عدوه وبقي له ذكره من بعده ثم أجلب العرب وسلطانهم ابن أبي دبوس على تونس ونزلوا أبا الحسن بها واستبلغوا في حصاره وخلصت ولاية أولاد مهلهل للسلطان فعول عليهم ثم راجع بنو حجرة بصائرهم وصراروا الى مهادنته فعد لهم السلم ودخل عليه عمر بن حجرة واقف الخبسة حتى قبض اخواته على أميرهم ابن أبي دبوس وقادوه اليه استبلاغا في الطاعة والمحاضا للولاية فتقبل قشتم وأودع ابن أبي دبوس السجن وعقد الصهر بينه وبين عمر بن حجرة فزوج ابنة عمر بانه أبي الفضل واختلفت أحوال هؤلاء العرب على السلطان أبي الحسن في الطاعة تارة والانحراف أخرى مدة اقامته بتونس الى ان كان ما نذكره والله غالب على أمره

بواتقاض الاطراف وثورة أبي عنان ابن السلطان أبي الحسن واستيلاؤه على المغرب

قد تقدم لنا ان السلطان أبا بكر الحفصي رحمه الله لما زوج ابنته من السلطان أبي الحسن بعث معها في زفافها شقيقها أبا العباس الفضل بن أبي بكر وان خبر وفاة والده أدركه وهو بالطريق ولما وصل الى السلطان أبي الحسن عزاه عن مصاب أبيه ووعده بالمظاهرة على ملكه فبقي عنده بتلمسان الى ان تمض في صحبته الى افريقية فلما غلب السلطان أبو الحسن على بجاية وقسنطينة وارتحل الى تونس عقده على بونه التي كان يلبس عليها أيام أبيه فانقطع أمره وفسد ضميره وطوى على البث حتى اذا كانت نكبة القيروان

سما الى التوثب على ملك سلفه وكان أهل قسنطينة وبجاية قد سمو املكة بنى مرين و برمو ابولا يتهم  
لخالفتهم بعض العوائد التي كانت لهم مع الملوك الحفصيين ولان الصبغة الحفصية كانت قد رمت في  
نفوسهم جيلا بعد جيل فصعب عليهم نزعها

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى \* ما الحب الا للحبيب الاول

كم منزل في الارض بألفه الفتى \* وحينئذ أبدأ الاول منزل

فأشرأبوا الى الثورة على المرينيين لما سمعوا بانكبة القيروان واتفق أن قدم قسنطينة ركب من أهل  
المغرب قاصدين الى السلطان أبي الحسن وكان فيهم عمال الجبابة قدموا بجباياتهم عند رأس الحول  
كاجرت به عادتهم في ذلك ومعهم ابن صغير للسلطان اسمه عبد الله وفيهم وفد من رؤساء الفرنج بعثهم  
طاعتهم بقصد التهنة بفتح افريقية ومعهم تاشفين ابن السلطان الذي أسرى يوم طريف أطلقه الطاغية  
بعد ان أصابه خبال في عقله وأرسل معه هدية نفيسة وفيهم أيضا وفد من أهل مالي بعثهم السلطان منسا  
سليمان بقصد التهنة أيضا قروا فت هولاء الوفود بقسنطينة وقد طم عباب الفتنة على افريقية فأراد  
غوغاؤها انتهاب مامعهم ثم تخاصوا منهم في خبر طويل وفي أثناء ذلك نار الفضل ابن السلطان أبي بكر  
صاحب بونة فراسله أهل قسنطينة في القدوم عليهم والقيام بأمرهم فقدمها وجرت خطوب واتصل  
بأهل بجاية ما فعله أهل قسنطينة فبعوهم على رأيهم من الاتقاض ووثبوا على من كان عندهم من  
حامية بنى مرين فاستلبوهم وأخرجوهم عراه واستدعوا الفضل بن أبي بكر من قسنطينة فبادر اليهم  
واستولى على بجاية واستتب أمرها وأعاد ألقاب الخلافة وبينما هو يتحدث نفسه بغزو تونس نار عليه  
أبناء أخيه أبي عبد الله بن أبي بكر فانتزعوا منه بجاية وردوه الى عمه الاول وانتقض على السلطان  
أبي الحسن أيضا ساثر زناتة من بنى عبد الواد ومغراوة وبنى توجين وبايع بنو عبد الواد لعثمان بن عبد الرحمن  
ابن يحيى بن يعمر اسن بن زيان وساروا الى تلمسان فاستجبتوا بها ملك سلفهم في أخبار طويلة وجرت هذه  
الخطوب والسلطان أبو الحسن مقيم بتونس تغاديه العرب بالقتال وتراوجه وتفرج عليه تارة وتستقيم  
أخرى وطال مقامه بها وعميت أنباؤه على أهل المغرب وحدث في الخلق الوباء العظيم الذي عم المشرق  
والمغرب فأرجف بعونه واضطربت الاحوال بالمغرب الثلاثة الادنى والوسط والاقصى واتصل ذلك  
بالامير أبي عنان وهو يومئذ بتلمسان كان أبوه قد ولاه عليها عند ذهابه الى افريقية حسبا امر فلما أرجف  
بملك أبيه وتساقط اليه الفيل من عسكره عراقرافات ووجد اناتطاول الى الاستئثار بملك أبيه دون  
ساثر اخوته وكان مر شحا عنده لذلك لمزيد فضله عليهم في غير وصف واتفق ان كان عنده رجل من بنى  
عبد الواد اسمه عثمان بن يحيى بن محمد بن جرار وكان ينسب الى علم الحدنان ولما سافر السلطان الى  
افريقية كان هذا الرجل أول المرشحين به وانه لا يرجع من سفرته وان الامر صائر الى أبي عنان ونجح  
ذلك في أبي عنان لوافقته هواه فاشتمل على ابن جرار وخطبه بنفسه فلما ورد الخبر بنكبة السلطان  
وانحصاره أولا بالقيروان ثم بتونس لم يسترب أبو عنان في صدق ابن جرار وانه على بصيرة من أمره فتحضر  
للوثبة وصمم على الثورة ثم أكد عزمه على ذلك ما اتصل به من خبر ابن أخيه منصور بن أبي مالك  
عبد الواحد بن أبي الحسن بفاس الجديد وانه نار بها وفتح ديوان العطاء واستلحق واستركب ورام التغلب  
على المغرب واحتياز الامر لنفسه دون غيره وورى في ذلك بأنه انما عزم على الذهاب الى افريقية لاستنقاذ  
السلطان من هوة الحصار يسر من ذلك حسوا في ارتقاء وتظن لشأنه الحسن بن سليمان بن يرز يكن  
عامل القصة بفاس وصاحب الشرطة بالضيواحي فاستأذنه في الحاق بالسلطان فأذن له راحة منه فلتحق  
بأبي عنان على حين أمضى عزمته على التوثب فأخرج ما كان بقصر السلطان بالمنصورة من المال  
والذخيرة وجاهر بالداء لنفسه وجلس للبيعة بمجلس السلطان من قصره في ربيع الثاني من سنة تسع



وأربعين وسبعمائة فبايعه الملا وقرأ كتاب بيعتهم على الأشهاد ثم بايعه العامة وانفض المجلس وقد استتب سلطانه وورست قواعده ملكه وركب في التعمية والآلة حتى نزل بقية الملعب وطعم الناس وانتشروا وعقد على وزارته للحسن بن سليمان بن رزيكن القادم عليه ثم لغارس بن ميمون بن وردار وجعله رديفاه ورفع مكان ابن جراو عليهم كلهم واختص بمناباته كاتبه أبا عبد الله محمد بن محمد بن أبي عمرو ثم فتح الديوان وجعل يستر كعب كل من تساقط اليه من فل أبيه ويخضع عليهم وارتحل الى المغرب وعقد على تلمسان لابن جراو وأنزله بالقصر القديم منها فاستمر بها واستبد الى أن قدم عليه بنو عبد الواد مجتمعين على سلطانهم عثمان ابن عبد الرحمن فقتلوه غرقا في خبر طويل ولما انتهى الامير أبو عنان الى وادي الزيتون وشي اليه بالوزير الحسن بن سليمان وانه عازم على القتال به بتار اقربا الى السلطان أبي الحسن ووفاء بطاعته وانه قد داخل في ذلك حافده منصور بن أبي مالك الثائر بفاس وأطلعته هذا الواشي على كتاب الوزير في ذلك فلما قرأه تقبض عليه ثم قتله خنقا في مساء ذلك اليوم وأخذ السير الى المغرب وانتهى الخبر الى منصور صاحب فاس فرحف للقائه والتقى الجمعان بوادي أبي الجراف من ناحية تار افاحتل مصاف منصور وانهمت جموعه وخلق بفاس الجديد فتحصن بها وتبعه أبو عنان فأتاخ عليه خارجها وقد تسابيل الناس على طبقاتهم اليه وآتوه طاعتهم وكان قد سلك مع الرعية والجنود من البذل والاستلاف طريقا لم يسبق اليه وكانت منازلته لفاس الجديد في ربيع الآخر من السنة المذكورة فاخذ يحنقها وجمع الايدي والفعلة على الآلات لحصارها ثم أرسل الى مكاسة باطلاق أولاد أبي العلاء المعتق بالقبصة منها فاطلقوا ولحقوا به وحاصروا معه فاسا الجديد وضيقوا عليها الى أن ضاقت أحوال أهلها واختلفت أهواؤهم وتزع الى أبي عنان أهل الشوكة منهم ثم ان ادريس بن عثمان بن أبي العلاء احتال في فتح البلد بان أظهر التزوع عن أبي عنان الى منصور المحصور فدخل البلد وتمكن منه وثار به فبين معه من حاشيته واقتممه الامير أبو عنان عليهم ونزل منصور على حكمه فاعتقله الى أن قتله بحبسها واستولى على دار الملك وتسابقت اليه وفود الامصار للتهنئة بالبيعة وتمسك أهل سبتة بطاعة السلطان أبي الحسن ثم رجعوا عن ذلك وثاروا على عاملهم عبد الله بن علي بن سعيد من طبقة الوزراء فقبضوا عليه وقادوه الى أبي عنان مبايعين له متقرين به اليه وتولى كبر ذلك فيهم زعيمهم الشريف أبو العباس أحمد بن محمد بن رافع الصقلي من آل الحسين السبط رضي الله عنه كان سلفه قد اتفقوا من صقلية الى سبتة فاستوطنوها ثم استوطنوا بعدها حاضرة فاس واستوسق للامير أبي عنان ملك المغرب واجتمع اليه قومه من بني مرين الامن أقام مع أبيه بتونس وفاء بحقه وحص جناح أبيه عن الكفرة على بني كعب الناكين لعهد الناكين عن طاعته فأقام السلطان أبو الحسن رجه الله بتونس يرجو الايام ويأمل الكفرة والاطراف تتنقع والخوارج تتجدد وقنط من كان معه من حاشيته وسموا المقام بارض ليست لهم بدار مقام فحسوا له النهوض الى المغرب فأسغفهم وعزم على الرحلة كما نذ كره ان شاء الله وفي هذه المدة كتب اليه السلطان أبو الجراح يوسف بن الاجر كتابا من انشاء وزيره اسان الدين ابن الخطيب يسأله عن أحواله ويعزيه عن مصابه ويتأسف له ونص الكتاب المقام الذي أقار سعدة في انتظام واتساق وحياد عزه الى الغاية القصوى ذات استباق والقلوب على حبه ذات اتفاق وعناية الله تعالى عليه مديدة الرواق وأباديه الجمه في الاعناق أزم من الاطواق وأحاديث مجده سمر النوادي وحديث الرفاق مقام محل أيننا الذي شان قلوبنا الالهتتام بشانه وأعظم مطلوبنا من الله تعالى سعادة سلطانه السلطان الكذاب السلطان الكذاب السلطان الكذاب الكذا أبقاه الله تعالى والصنائع الالهية تحط بيابه والالطاف الخفية تعرض في جنبه والنصر العزيز يحف بركابه وأسباب التوفيق متصله بأسبابه والقلوب الشجيبة لفراقه مسرورة باقترابه معظم سلطانه الذي له الحقوق المحتومه والفواضل المشهورة المعلومه والماكارم المسطورة المرسومه

أصل الاشراف  
الصقليين

والمفخر المنسوق المنظومه الداعي الى الله تعالى في وقاية ذاته المعصومه وحفظها على هذه الامة  
 المرحومه الامير عبد الله يوسف ابن أمير المسلمين أبي الوليد اسمعيل بن فرج بن نصر سلام كريم طيب  
 هم كما سطعت في غيب الشدة أنوار الفرج وهبت نواسم الطاف الله عاطرة الأريج يخص مقامكم  
 الأعلى ورحمة الله وبركاته (أما بعد) حمد الله جالي الظلم بعد اعتكارها ومقيل الايام من عثارها وخرين  
 معاء الملك بشموسها المحجبة وأقارها ومرح القلوب من وحشة أفكارها ومنشى سحاب الرحمة  
 على هذه الامة بعد افتقارها وشدة اضطرابها واضطرابها ومتداركها بالالطف الكفيل بتمهيد  
 أوطانها وتيسير أوطارها والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسوله صفوة النبوة ومختارها ولباب  
 مجدها السامى ونجارها نبي الملاحم وخائض تيارها ومذهب رسوم الفتن ومطفى نارها الذى لم  
 ترعه الشدة ائديا اضطراب مجارها حتى بلغت كلمة الله ما شاءت من سطوع أنوارها ووضوح آثارها  
 والرضاعن آله وأصحابه الذين تمسكوا بعهدده على احلاء الحوادث وامرارها وباعوان نفوسهم فى اعلاء  
 دعوته الخفيفة واطهارها والدعاء لمقامكم الاعلى باتصال السعادة واستمرارها وانسحاب العناية  
 الالهية واسدال أستارها حتى تقف الايام ببابكم موقف اعتذارها وتعرض على منابكم ذنوبها رغبة  
 فى اغتفارها فانا كتبنا اليكم كتب الله تعالى لكم أوفى ما كتب لصالحى المسالوك من مواهب اسعاده  
 وعرفكم عوارف الآلاء فى اصدار أمركم الرفيع وايراده وأجرى الفلك الدوار بحكم مراده وجعل لكم  
 العاقبة الحسنى كما وعد به فى محكم كتابه المبين للصالحين من عباده من جراء غرناطة حرسها الله تعالى  
 وليس بفضل الله الذى عليه فى الشدة ائديا الاعتماد والى كنف فضله الاستناد ثم بركة جاه نبينا الذى  
 وضع به دايته سبيل الرشاد الا الصنائع التى تشام بوارق اللطف من خلالها وتخبير سيمائها بطواع  
 السعود واستقبالها وتدل مخايل يمنها على حسن ما لها لله الحمد على نعمه التى نرغب فى كمالها ونستدر  
 عذب زلالها وعندنا من الاستبشار باتساق أمركم وانتظامه والسرور بسعادة أيامه والدعاء الى  
 الله تعالى فى اظهاره واتمامه ما لا تفى العبارة باحكامه ولا تتعاطى حصر أحكامه والى هذا أيد الله  
 تعالى أمركم وعلاه وصان سلطانكم وتولاه فقد علم الحاضر والغائب وخلص الخلوص الذى لا تغيره  
 الشوائب ما عندنا من الحب الذى وضحت منه المذاهب وانما اتصل بنا ما جرت به الاحكام من الامور  
 التى حبيت مقامكم فيها العناية من الله والعصمه وجعل على العباد والبالاد الوقاية والنعمه لا يستقر  
 بقلوبنا القرار ولا تتأنى يا وطاننا الا وطار تشوقنا لتيجسه لكم الاقدار ويبرزه من سعادتكم الليل  
 والنهار ورجاؤنا فى استئناف سعادتكم يشتد على الاوقات ويقوى علمابان العاقبة للتقوى وفى هذه  
 الايام هميت الانبياء وتكالمت فى البر والبحر الاعداء واختلفت الفصول والاهواء وعاقبت الوارد  
 الانواء وعلى ذلك من فضل الله الرجاء ولو كنا نجد للاتصال بكم سببا أو تلى لاعتناكم مذهبنا لما  
 شغلنا البعد الذى بيننا اعترض والعدو بساحتنا فى هذه الايام ريبض وكان خديكم الذى رفع من الوفاء  
 راية خافقه واقتنى منه فى سوق الكساد بضاعة نافقه الشيخ الاجل الاوفى الاود الاخلاص الاصفى  
 أبو محمد بن آجاناسنى الله مأموله وبلغه من سعادة أمركم سوله وقد ورد على بابنا وتجزى الى المحاق  
 بجانبا ليتيسر له من جهتنا القدم ويتأثره باعانتنا الغرض المروم فبينما نحن نتظر فى تميم غرضه  
 واعانتة على الوفاء الذى قام بغير غرضه اذا اتصل بنا خبر فرقتين من الاجفان التى استغتمت بها على الحركة  
 والعزمة المقترنة بالبركة حطت احداها بمرسى المنكب والاخرى بمرسى المريه فى كنف العناية  
 الالهية فتلقينا من الواصلين فيها الانباء المحققة بعد التباسها والاخبار التى يعنى نصها عن قياسها  
 وتعرفنا ما كان من عزمكم على السفر وحركتكم المقرونة باليمن والظفر وانكم استخرتم الله تعالى فى  
 المحاق بالاطمان التى يؤمن قدمكم خائفها ويؤلف طوائفها ويسكن راجفها ويصلح أحوالها

ويذهب أهوالها وانكم سبقتم حركتها بعشرة أيام مستظهريين بالعزم المبرور والسعد الموفور واليمن  
الرائق السفور والاسطول المنصور فلاتسألوا عن انبعاث الآمال بعد سكونها ونهوض طيور الرجاء  
من وكونها واستبشار الأمة لمحمدية منكم بقرة عيونها وتحقق ظنونها وارتياح البلاد الى دعوتكم  
التي ألبستهم ملابس العدل والاحسان وقلدتهم اقلام السير الحسن ومامنها الامن باح بما يخفيه من  
وجده وجهر بشكر الله تعالى وجمده وابتهل اليه في تيسير غرض مقامكم الشهير وتتم قصده  
واستئناس نور سعيه وكم مظل الانتظار بديون آملها والمطاولة من اعتلالها وأمانحن فلاتسألوا  
عن استشردت توجيهه بمد طول مغيبه انما هو صدر راجعه فواده وطرف الفه رقاده وفكر  
ساعده مراده فلما بلغنا هذا الخبر بادرنالنا انجاز ما بذلنا لخدمكم المذكور من الوعد واعتننا بميقات  
هذا السعد ليصل سببه بأسبابكم ويسرع لحاقه بجنابكم فعنده خدم نرجو أن يسر الله تعالى بحوله  
أسبابها ويفتح بينكم الصالحة أبوابها وقد شاهد من امتعاضنا لذلك المقام الذي ندين له بالتشيع  
الكريم الوداد ونصل له على بعد المزار وتروح الاقطار سبب الاعتداد ما يغني عن القلم والمداد  
وقد ألقينا اليه من ذلك كله ما ياتيه الى مقامكم الرفيع العمداد وكتبنا الى من بالسواحل من ولاتنا  
نحدثهم ما يكون عليه عملهم في بر من يرد عليهم من جهة أبتوتكم الكريمة ذات الحقوق العظيمة  
والايادي الحديثة والقدية وهم يعاملون في ذلك بحسب المراد وعلى شاكله جميل الاعتقاد ويعلم  
الله تعالى اننا لولم تعق العوائق الكبيرة والموانع الكثيرة والاعداء الذين غصت بهم في الوقت هذه  
الجزيرة ما قدمنا على اللحاق بكم والاتصال بسببكم حتى نوفي لابتوتكم الكريمة حقها ونوضح  
من المسرة طرفها لكن الاعذار واضحة وضوح المثل السائر والى الله تعالى نبتهل في أن يوضح لكم من  
التيسير طريقا ويجعل لكم السعد مصباحا ورفيقا ولا يعدمكم عناية منه وتوفيقا ويتم سرورنا عن  
قريب بتعريف انباءكم السارة وسعودكم الدارة فذلك منه سبحانه غاية آمالنا وفيه أعمال  
ضراعتنا وابتالنا هذا ما عندنا بادرنالنا اعلامكم به أسرع البسار والله تعالى يوفد علينا كرم الاخبار  
بسعادة ملككم السامى المقدار ويسر ماله من الاوطار ويصل سعادتكم ويحرس مجدكم والسلام  
عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته اه

بجو كوب السلطان أبي الحسن البصر من تونس الى المغرب وما جرى عليه من المن

في ذلك كان الامير أبو العباس الفضل ابن السلطان أبي بكر الحفصي بعد أن لحق به عمله القديم من بونة  
قد وفعليه مشيخة العرب من أولاد أبي الليث وأغرروه بملك افريقية والنهوض الى تونس ومحاصرة  
السلطان أبي الحسن بها فأجابهم الى ذلك ونمض اليها بعد عيد الفطر من سنة تسع وأربعين وسبع مائة  
فحاصرها مدة ثم انفض عنها ثم عاود حصارها ثم انفض عنها ودخل القفر مع أولاد أبي الليث الى ان بايعه  
أهل بلاد الجريد بإشارة أبي القاسم بن عمرو المقطوع ودخل في طاعته توزر وقفصة ونقطة والحامة  
وقابس وجربة وانتهى الخبر الى السلطان أبي الحسن باستيلاء الفضل على هذه الامصار واستفحال  
أمره بها وأنه ناهض الى تونس فاهمه شأنه وخشي على الامر وكانت بطانته توسوس اليه بالرحلة الى  
المغرب لاسترجاع نعمتهم باسترجاع ملكه مع ما أصابهم بتونس من الغلاء والموت الذريع فأجابهم الى  
ذلك وشحن أساطيله بالاقوات وأزاح عطل المسافرين ولباقضى نسل عيد الفطر من سنة خمسين  
وسبع مائة ركب البحر في فصل الشتاء وهيجان البحر وكاب البر بعد ان عقد لابنه أبي الفضل على تونس  
ثقة بما بينه وبين عمر بن حمزة من المصاهرة وتفاذيا بملكه من معرفة الغوغاء وثورته به وكانت مدة  
محاصرة السلطان أبي الحسن بتونس سنة ونصفا واتصل خبر رحيله بالفضل بن أبي بكر وهو ببلاد  
الجريد فاغذ السير الى تونس ونزل بها على أبي الفضل المريني ومن كان معه من حاشيته وأهل دولته



ثم اقتحمها واتصلت يده بيد أهل البلاد ثم أحاطوا بالقصبة يوم منى حتى استنزوا أبا الفضل على الأمان  
فخرج إلى دار أصهاره من بني حمزة فبقى عندهم حتى أنفذوا معه من أوصاله إلى أبيه فلقق به بشعر الجزائر  
وأما السلطان أبو الحسن وجيشه الركب البحر معه فانهم لما لججوا احتاجوا إلى الماء فدخلوا مرسى  
بجاية فجلس إيمان من أقلاءهم عن تونس فنعهم صاحب بجاية الحفصي من الورد وأوعز إلى سائر  
سواحله بنعهم فزحفوا إلى الساحل وقتلوا من صددهم عن الماء إلى أن غابوهم واستقوا وأقلعوا  
ثم عصفت بهم الرياح في تلك الليلة وجاءهم الموج من كل مكان وتكسرت الاجفان وغرق الكثير  
من بطانة السلطان وعامة الناس وقذف الموج بالسلطان فألقاه على حجر قرب الساحل من بلاد زواوة  
عارى الجسد مباشر الموت وقد هلك من كان معه من الفقهاء والعلماء والكتّاب والاشراف والخاصة  
وهو يشاهد مصارعهم واختطاف الموج لهم من فوق الصخور التي تعلقوا بها فكنوا يلبثهم على ذلك  
وصبهم جفن من بقية الاساطيل كان قد سلم من ذلك العاصف فبادر أهل الجفن إليه حين رأوه  
فاحتملوه وقد تصاحب به البربر من الجبال وتواثبوا إليه حين وضع النهار وأبصروه وقد أركه الله بهذا الجفن  
فاحتملوه وقد فرأبه في مدينة الجزائر وفي نفع الطيب ان اساطيل السلطان أبي الحسن كانت نحو  
السمائة فغرت كلها ونجاها على لوح وهلك من كان معه من أعلام المغرب وهم نحو أربع مائة عالم  
منهم أبو عبد الله محمد بن سليمان السطى شارح الحوفي وأبو عبد الله محمد بن الصباغ المكاسبي الذي أملى  
في مجلس دوسه بمكاسة على حديث يابا عمير ما فعل النغير أربع مائة فائدة والاستاذ الزاوي أبو العباس  
وغير واحد وكان غرق الاسطول على ساحل تدلس في ذكر الشيخ أبو عبد الله الأبي في شرح مسلم  
كلامه على أحاديث العين ما معناه أن رجلا كان بتلك الديار معروفا بإصابة العين فسأل منه بعض  
الموتورين للسلطان أبي الحسن أن يصيب أساطيله بالعين وكانت كثيرة نحو الستمائة فنظر إليها الرجل  
العائن فكان غرقها بقدره الله الذي يفعل ما يشاء ونجى السلطان بنفسه وجرت عليه محن أهله ولما احتل  
بالجزائر وقد تمسك أهلها بطاعته استشقر ربح الحياة ولا تم الصدع وأقام الرسم وخلع على من وصل إليه  
من فل الاساطيل واستلحق واستركب وطلق به ابنه الناصر من بسكرة والتف عليه بعض العرب  
من أحوال الجزائر ووقد عليه أولياؤه من عرب سويد فقبض إلى جهة تلمسان وقد استولى عليها بنو زيان  
وسلطانهم عثمان بن عبد الرحمن فبرز إليه أبو ثابت أخو عثمان المذكور ولما التقى الجمعان اختل مصاف  
السلطان أبي الحسن واستبج معسكره وانتهت فساطيطه وقتل ابنه الناصر وظهر يومئذ من بسالته  
وصدق دفاعه وشدة جلالته حتى أنه أركب ظمائه وخلص محاميا عنها واحتمل ولده جريحاً فتوفي  
بالطريق فواراه في التراب وأخفى قبره ثم خلص إلى الصحراء مع وليه وتزمار بن عريف بن يحيى  
السويدي ولحق بحمل قومه قبلة جبل وانشر يس وأجمع أمره على قصد المغرب موطن قومه ومنبت  
عزه ودار ملكه فارتحل معه وليه وتزمار بالناجعة من قومه وخرجوا إلى جبل راشد ثم قطعوا المفاوز  
إلى مجلماسة في القفر فلما أطوا عليها وعان أهلها السلطان تم ائتوا عليه تهافت الفراش على ضوء  
السراج حتى خرج إليه العذارى من ستورهن ميلا إليه ورغبة في ولايته وفر العامل بسجلماسة إلى  
منجياته وكان الأمير أبو عنان لما بلغه الخبر بقصد أبيه بسجلماسة نهض إليه في قومه وجوعه بعد أن أراح  
علاه وأفاض عطاءه فيهم وكانت بنو مريم نافرة عن السلطان أبي الحسن حاذرة من عقوبته بلجنايتهم  
بالتخاذل في المواقف والفرار عنه في الشدائد ولما كان يبعدهم في الأسفل ويتجشم بهم المهالك والخطار  
فكانوا ذلك مجمعين على منابذته ومخلصين في طاعة ابنه ولما اتصل خبر قدومهم بالسلطان أبي الحسن  
علم من حاله أنه لا يطيق دفاعهم وكان وتزمار قد أجفل عنه في قومه سويدان أباه عريف بن يحيى كان  
قد نزع إلى أبي عنان قبل قدوم السلطان من تونس فآكرم محله ورفع منزلته فكتب إلى ابنه وتزمار ينهاه

عن ولاية السلطان أبي الحسن ومظاهرة تله وأقسم له لئن لم يفارق السلطان ليوقعن بآبائه عنتر وكان معه في جملة الامير أبي عنان فآثر ونزما رضاً بيه وعلم ان غناؤه عن السلطان في وطن المغرب قليل فأجفل عنه ولحق بيسكرة فكان بها الى ان رجع الى أبي عنان بعد هذا ولما قرب أبو عنان من مجلماسة أجفل السلطان عنها الى ناحية مرا كش ودخل أبو عنان مجلماسة فتقف أطرافها وستفر وجهها وعقد عليها اليختاتين بن عمر بن عبد المؤمن كبير بني ونكاسين وبلغه ان أباه قد سار الى مرا كش فاعتزم على اتباعه اليها فلم تطاوعه بنو مرين فرجع بهم الى فاس الى ان كان ما نذ كره

بواستيلاء السلطان أبي الحسن على مرا كش ثم انهمزاه عمها الى هنتاتة أهل جبل درن ووفاته هنالك

لما أجفل السلطان أبو الحسن عن مجلماسة سنة احدى وخمسين وسبع مائة فصد مرا كش وركب اليها الاوعار من جبال المصامدة ولما اشار فها تشارع اليه أهل جهاتها بالطاعة من كل أوب ونسوا اليه من كل حذب وفر عامل مرا كش الى أبي عنان وتزع الى السلطان أبي الحسن صاحب ديوان الجباية أبو المجد بن محمد بن أبي مدين بما كان في انظرانته من مال الجباية فاختمه واستكتبه وجعل اليه علامته واستركب واستلحق وجبي الاموال وبث العطاء ودخل في طاعته قبائل العرب من جشم وسائر المصامدة وثاب له بمر كش ملك رجي معه أن يستولى على سلطانه ويرتجع فارط أمره وكان أبو عنان لما رجع الى فاس عسكر بساحته وشرع في العطاء وازاحة العطل ثم ارتحل في جوع بن مرين الى مرا كش وبرز السلطان أبو الحسن للقائه وانتهى كل واحد من الفريقين الى وادي أم الربيع وتربص كل واحد بصاحبه عبور الوادي فعبه أبو الحسن وكان اللقاء بتامد غوست في آخر صفر من سنة احدى وخمسين وسبع مائة فاقتتل مصاف السلطان وانهمز عسكره ولحق به أبطال بن مرين ثم رجعوا عنه حياء وهيبة وكبي به فرسه يومئذ في مفره فسقط الى الارض والفرسان تحوم حوله فاعترضهم دونه أبو دينار سليمان بن علي بن أحمد أمير الذواودة من عرب رباح وورديف أخيه يعقوب كان هاجر مع السلطان من الجزائر ولم يزل في جلته الى هذا اليوم فدافع عنه حتى ركب وسار من ورائه ردأله وأسرجه علال ابن محمد دفأ ودعه أبو عنان السجين ثم امتن عليه بعد وفاة أبيه وخلص السلطان أبو الحسن رحمه الله الى جبل هنتاتة من جبال درن ومعه كبيرهم عبد العزيز بن محمد بن علي الهنتاتي قتل عليه وأجاره واجتمع اليه الملا من قومه هنتاتة ومن انضاف اليهم من المصامدة وتآمر واوتعاهدوا على المدافعة عنه وبايعوه على الموت وجاء أبو عنان على أثره حتى احتل بمر كش وأنزل عساكره على جبل هنتاتة ورتب المسالخ لحصاره وحرية وطال عليه ثوابه حتى طلب السلطان من ابنه الابقاء عليه وان يبعث اليه حاجبه أبا عبد الله محمد بن محمد بن أبي عمر فحضر عنده وأحسن العذر عن الامير أبي عنان والنفس له الرضا منه فرضي عنه وكتب له بولاية عهده وأوعز اليه بان يبعث له مالا وكسبي فسرح الحاجب ابن أبي عمر بانحراجهما من المودع بدار ملكهم واعتل السلطان خلال ذلك قرضه أولياؤه وخاصته واقتصد لاخراج الدم ثم باشر الماء للطهارة فورم محمل الفصادة ومات رحمه الله في الثالث والعشرين من ربيع الثاني سنة اثنتين وخمسين وسبع مائة هكذا عند ابن خلدون وابن الخطيب وغيرهما والذي رأيته مكتوبا بالنقش على رخامة قبره بشالة ان وفاته كانت ليلة الثلاثاء السابع والعشرين من ربيع الاول من السنة المذكورة وبعث أولياء السلطان بالخبر الى ابنه وهو بمسكرة من ساحة مرا كش ورفعوه على أعواد نعشه اليه فلقاه حافيا حاسرا وقبل أعواده وبكى واسترجع ورضي عن أوليائه وخاصته وأتر لهم بالمحل الذي رضوه من دولته ثم دفن أباه بمر كش قبلي جامع المنصور من القصبية بالموضع الذي به اليوم قبور الملوك الاشراف السعديين ثم لما تمض أبو عنان الى فاس احتمل شوابيه معه حتى دفنه بشالة مقبرة سلفهم ولا زال ضريحه قائم العين والاثرا الى الآن رحمه الله تعالى

بوقية أخبار السلطان أبي الحسن وسيرته

كان السلطان أبو الحسن رحمه الله أمر طويل القامة عظيم الهيكل معتدل اللحية حسن الوجه وكان عظاما ثلثا إلى التقوى مولعا بالطيب لم يشرب الخمر قط لآفي صغره ولا في كبره محبا للصالحين عدلا في رعيته يحب الفخر ويعني به وقال بعض المشارقة في حقه ما صورته ملك أضاء المغرب بانوار هلاله وجرت إلى المشرق أنوار نواله وطابت نسماته واشتهرت عزماته كان حسن الكتابة كثير الانابة ذابلاغة وبراعة وشهامة وشجاعة اه وبني رحمه الله عدة مدارس **بومنها** المدرسة العظمى بمراكش قبل جامع ابن يوسف **بوقال** العلامة اليفرنى في التزهة **بوان** الذي بناها هو السلطان أبو الحسن المذكور **بوقالت** **بومنها** وقف على هذه المدرسة وتأمل تجيدها وتتميقها فقدر هذا السلطان وعلم عظم همته ومحبة العلم وأهله **بومنها** المدرسة العظمى بطالعة - لاقبلي المسجد الاعظم منها بناها رحمه الله على هيئة بدعية وصنعة رفيعة وأودع جوانبها من أنواع النقش وضروب التخريم ما يجير البصر ويدهش الفكر ووقف عليها عدة أوقاف رصع أسماؤها بالنقش والاصباغ على رخامة عظيمة ثم نصب الرخامة بالحائط الجوفي منها كل ذلك محافظة على تلك الأوقاف أن تغير وأما المسجد الاعظم ومدرسته الجوفية فهما من بناء يعقوب المنصور الموحدى حسبما تقدم ذلك في أخباره وعندى ان السور المحمول عليه الماء الداخلى إلى سلا المعروف عندهم بسور الاقواس من بناء السلطان أبي الحسن رحمه الله لولى في ذلك مستند غريب وهو انى كنت ذات يوم أفروض بعض القناتنة بسلا من كان يباشر أمر المياه بها ويصلح ما احتاج إلى الاصلاح منها فقلت كلستفهم لنفسي من غير قصد توجيه الخطاب اليه ياترى من الذى بنى سور الماء الداخلى إلى البلد فقال على البديهة الذى بنى المدرسة هو الذى بنى سور الماء فقلت له وكنت متشوقا يومئذ لتحقيق ذلك وما علمك بهذا فقال ان بيعة المدرسة بنيت يوم بنيت المدرسة بدليل الزليج المرصوف حولها بالعمل الكبير الموجود تطيره في سائر حيطان المدرسة وسوارىها وهذه البيعة لم تتغير عن حالها إلى ان باشرت اصلاحها في هذه الايام فحفرت عن قنواتها وتبعت مادة الماء الواصل إليها فاذا عمل تلك القوادس وصنعة بنائها حتى السكس المفرغ عليها الجامع بينها ما تمل لعمل قنوات مبنية بالسور المذكور داخلية فيه بحيث بنى عليها يوم تأسيسه من غير فرق بين هذه وتلك في جميع عملها قال وليس شئ من القنوات الحادثة بعدهم ايشبهها ما فعلت ان الذى بناها واحد فأعجبني كلامه وباحثته في ذلك فصمم على معتقده وحاولت تشكيكه بكل وجه فلم يتشكك قطهرلى صدق دليله وغلب على ظنى ما جزم به وعند الله علم حقيقة الامر **بوعلم** ان هذا السور من المباني العادية والهيكل العظيمة التى تدل على ضخامة الدولة وكال قوتها مثل ما يقال عن حنايا قرطاجنة ونحوها وهذا السور مسوق من عيون البركة خارج مدينة سلا على أميال كثيرة تمتد من القبلة إلى الجوف على أضخم بناء وأحكمه موزون سطحه بالميزان الهندسى ليتأتى جريان الماء فوقه على استواء ولذلك ينخفض إلى الارض متى ارتفعت وبعلا عليها اذا انخفضت ويجرى على منته من الماء مقدار النهر الصغير فى سافية قد اتخذت له ولما شارف البلد عظم ارتفاعه جدا لاجل انخفاض الارض عنه وكلامى فى سيره بطريق مسالوك فحنته فيه أقواس فسمى لذلك سور الاقواس (وبالجملة) فهو شاهد بانبيته بضخامة الدولة وعظم المهمة واللسلطان أبي الحسن رحمه الله بفاس ومكاسة وغيرها من بلاد المغرب آثار كثيرة فمن آثاره بفاس بيعة الرخام الأبيض المجلوبية من المرية زنتها مائة قنطار وثلاثة وأربعون قنطار اسيقت من المرية إلى مرسى العرايش ثم طلعت فى وادى قصر كرامة ثم حملت منه على عجل الخشب تجرها القبائل إلى منزل أولاد محبوب الدين على ضفة وادى سبوا فوسقت فيه إلى ان وصلت إلى ملتقى مع وادى فاس ثم حملت على عجل الخشب أيضا يجرها الناس إلى ان وصلت إلى مدرسة الصهرىج التى بعدوة الاندلس ثم نقلت

منها بعد ذلك بأعوام إلى مدرسة الرخام التي أمر رجه الله ببنائها جوف جامع القرويين المعروفة اليوم  
بمدرسة مصباح ومصباح هذا هو أبو الضياء مصباح بن عبد الله الباصوني الفقيه المشهور وانما نسب  
اليه لان السلطان أبا الحسن لما بناها كان أبو الضياء أول من تصدى للدرس بها فنسبت اليه وقد تقدم  
لنا خبر المدرسة التي بناها غربي جامع الاندلس أيام أبيه وأتفق عليها أكثر من مائة ألف دينار يوم  
آثاره بمكاسة الزيتون في الزاويتان القدي والجديدة وكان بنى القدي في زمان أبيه والجديدة حين  
ولى الخلافة وله في هذه المدينة عدة آثار سوى الزاويتين من القناطر والسقايات وغيرها ومن أجل  
ذلك المدرسة الجديدة بها وكان قدم للنظر على بنائها قاضيه على المدينة المذكورة ولما تم بناؤها جاء  
اليها من فاس يعقف عليها ويرى عملها وصنعها فقدم على كرمي من كرامى الموضوع حول صهر بجها  
وجى عبار سوم المتضمنة للتنفيذات اللازمة فيها فترفعها في الصهر يج قبل أن يطالع ما فيها وأنشد  
لابأس بالعالى اذا قيل حسن \* ليس ما قرئت به العين عن

وكان له معرفة بالشعر فن شعره قوله

أرضى الله في سر وجهه سر \* وأجى العرض عن دنس ارتياب

وأعطى الوفر من مالى اختيارا \* وأضرب بالسيوف طلى الرقاب

وأخباره كثيرة ومن أراد الوقوف على تفاصيلها فعليه بكتاب الخطيب ابن مرزوق الذى ألفه في دولته  
وسيرته وسماه المسند الصحيح الحسن من أحاديث السلطان أبي الحسن ولما ذكر الوزير ابن الخطيب  
في كتابه رقم الحلل هذا السلطان وصفه بقوله

الملك المعدود من خير سلف \* وجمع القول اذا القول اختلف

الدين والعفاف والجلاله \* والعز والقدرة والجزاله

والعلم والحلم وفضل الدين \* وصفوة الصفوة من مرين

عهد الملك ومسدى المن \* وواحد الدهر ونخر الزمن

باني المباني النخبة الشريفة \* بمقتضى همته المنيفة

وتلوك المدارس الطريفة \* شاهدة بأنه الخليفة

وقاطع الدهر بغير لمسو \* في مجلس معظم أوجهو

امالتدريس وعلم يدرس \* أولب لادم من عدو تحرس

أولا ياد في عبادت غرس \* أولثواب ورضا يلتمس

أونسخ قرآن وعرض حزب \* أوعسدة معدة لحرب

هـ

يوم من أعيان وزرائه \* عامر بن فتح الله السدراتى وعبد الله بن ابراهيم الفودودى يوم من أعيان  
كتابه \* أبو محمد عبد المهيمن الحضرمى وأبو محمد محمد بن أبي عبد الله بن أبي مدين العثماني وأبو الحسن  
علي بن علي القبائلي التيمالي رحم الله الجميع بمنه \* ولندكر \* ما كان من الاحداث في هذه المدة  
\* في سنة سبع مائة \* أسس السلطان يوسف بن يعقوب بن عبد الحق تلمسان الجديدة المسماة  
بالمصورة حسبما تقدم الخبر عنها مستوفى \* في سنة احدى عشرة وسبعمائة \* كان القحط بالمغرب  
فاستسقى الناس وخرج السلطان أبو سعيد ماشيا على قدميه لاقامة سنة الاستسقاء وذلك يوم الاربعاء  
الرابع والعشرين من شعبان من السنة المذكورة وتقدمت أمامه الصلحاء والفقهاء والقراء يدعون  
الله تعالى وقدم بين يدي نجواه صدقات وقرق أموالا وفي يوم السبت بعده خرج في جنده الى قبر الشيخ  
أبي يعقوب الاشقر بجبل الكندرتين فدعا هناك ورحم الله تعالى عباده ونجات أرضه وبلاده \* وفي  
سنة تسع عشرة وسبعمائة \* توفى الشيخ أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الحق الزرويلي المعروف



بالصغير بضم الصاد وفتح القين وكسر الياء المشددة قاله ابن الخطيب في الاحاطة وكان ربيعة آدم  
 اللون خفيف العارضين يلبس أحسن زي ويدرس بجامعة الاجدع من فاس يقد على كرسى عال  
 لسمع القريب والبعيد على انخفاض كان في صوته وكان حسن الاقراء وقورا صبوراً ثباتاً وكان  
 أحد الاقطاب الذين تدور عليهم الفتيا بالمغرب فيحسن التوقيع عليها على طريق الاختصار وترك  
 فضول القول ولله السلطان أبو الربيع القضاء بفاس وشده عضده فجرى في العدل على صراط مستقيم  
 توفي سنة احدى وعشرين وسبعمائة هـ توفي الشيخ أبو العباس أحمد بن محمد بن عثمان الأزدي  
 المراكشي المعروف بابن البناء الامام المشهور في علم التعاليم والهيئة والنجوم والازياج وغير ذلك وكان  
 رحمه الله عز وجل معروفاً باتباع السنة موسوماً بطهارة الاعتقاد ممنوعاً بالصالح وكان انتفاعه بصحبة  
 الشيخ أبي زيد الهزيمى رضى الله عنه توفي سنة اثنين وعشرين وسبعمائة هـ في ذى القعدة منها  
 هبت ريح شديدة بفاس ومكاسة وأحوازها واستمر هبوبها يومين وليتسعين فعافت عن الاسفار  
 وهدمت الدور وقطعت الاشجار توفي سنة ثلاث وعشرين بعد هـ في المحرم منها جرت العين الموالية  
 للشرق من عيون صنهاجة بأحواز فاس بدم عيبط من وقت العصر الى نصف الليل ثم عادت الى حالها  
 وفيها كان المطر العظيم والثلج الكثير بالمغرب وعدم الفهم والخطب حتى يبيع الفهم بفاس بدرهمين للرطل  
 وفي جمادى الاولى منها احترق سوق العطارين الكبرى بفاس فخذده السلطان أبو سعيد من باب مدرسة  
 العطارين الى رأس عقبة الجزائر بن وعقد عليه هناك باباً ضخماً وأفرده للعطارين دون غيرهم توفي سنة  
 أربع وعشرين وسبعمائة هـ كانت الجماعة بالمغرب وارتفعت الاسعار في جميع البلاد فبلغ المذمن القمح  
 بفاس خمسة عشر درهماً والصفحة منه تسعين ديناراً وغلا الادم وعمدت الخضر بأسرها وكسى السلطان  
 أبو سعيد وأطعم في هذه المسغبة شيئاً كثيراً ودام ذلك الى قرب منتصف السنة بعدها وفيها في يوم  
 الثلاثاء ثالث عشر رمضان منها ثساخارح فاس من جهة جوفها سحب عظيم وظلمة شديدة ورياح  
 عاصفة أعقب ذلك برداً كثيراً عظيم الجرم تن الواحدة منه ربع رطل وأقل وأكثر وتزل في خلاله مطر  
 وابل جاءت منه السيول طامية حملت الناس والدواب وأهلكت جميع ما يجبل زالغ من الكروم  
 والزيتون وسائر الشجر توفي سنة خمس وعشرين بعد هـ ليلة الجمعة السادس والعشرين من جمادى  
 منها دخل السيل العظيم مدينة فاس وكاد يأتى عليها بحيث هدم الدور والمساجد والاسواق وأهلك  
 الآلاف من الخلق حتى خيف على البلد التلف توفي سنة ست وعشرين وسبعمائة هـ انتهى تاريخ ابن  
 أبي زرع المسمى بالانيس المغرب القرطاس في أخبار مالوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ومما هو  
 الغاية في باب الاغراب ما ذكره ابن خلدون قال حضر أشياخنا بمجلس السلطان أبي الحسن وقد رفع اليه  
 امرأتان من أهل الجزيرة الخضراء ورندة حبستا أنفسهما عن الاكل جملة منذ سنين وشاع أمرهما  
 ووقع اختبارهما فصم شأنهما واتصل على ذلك طاهما الى ان ماتتا وذكروها أيضاً الشيخ أبو عبد الله  
 محمد بن محمد بن أحمد المقرئ في كتابه المسمى بالمحاضرات قال وردت على تلمسان في العشرة الخامسة من  
 المائة الثامنة امرأة من رندة لاتأكل ولا تشرب ولا تبول ولا تتغوط وتحيض فلما اشهر هذا من أمرها  
 أنكره الفقيه أبو موسى ابن الامام وتلى كانياً كلن الطعام فأخذ الناس يبتون ثقات نسائهم ودهاتهن  
 اليها فكشفوا عنها بكل وجه يمكن فلم يقفن على غير ما ذكر وسئلت هل تشتهين الطعام فقالت هل  
 تشتهون التبن بين يدي الدواب وسئلت هل يأتينها شيء فأخبرت انها صامت ذات يوم فأدركها الجوع  
 والعطش فقامت فأتاها آت في النوم بطعام وشرب فأكلت وشربت فلما أفاقت وجدت نفسها قد  
 استغنت فهي على تلك الحال توتى في المنام بالطعام والشراب الى الآن ولقد جعلها السلطان في موضع  
 بقصره وحفظها بالعدل ومن يكشف عما عسى تجي أمهاته اذا أتت اليها أربعين يوماً لم يوقف لها

على أمر قال بيد أني أردت أن يزداد في عدد العدول ويضم اليهم الاطباء ومن يخوض في المعقولات من علماء الملل المسلمين وغيرهم ويوكل من نساء الفرق من يبالغ في كشف من يدخل اليها ولا يترك أحدا يخلوها (وبالجملة) يبالغ في ذلك ويستدام رعيها عليه سنة لاحتمال أن يغلب عليها طبع قستغنى في فصل دون فصل ثم يكتب هذا في العقود ويشاع أمره في العالم وذلك لأنه يهدم حكم الطبيعة التي هي الذي هو أضر الاحكام على الشريعة ويبين كيفية غذاء أهل الجنة وأن الحيض ليس من فضلات الغذاء ويبطل التأثير والتولد ويوجب ان الاقترانات بالاعادات لا بالزوم وعند الاسباب لا بما الى غير ذلك الا اني لما أنشئت بهذا اتقسم من أنشئت عليه بتبليغه الى من لم يفهم ما قلت ومن لم يرفع به رأسا لا يثار الدنيا على الدين فان الله وانا اليه راجعون **يقول المقرئ** وقد ذكر ان امرأة أخرى كانت معها على تلك الحالة وحدثني غير واحد من الثقات عن أدرك عائشة الجزيرية أنها كانت كذلك وان عائشة بنت أبي بكر يعني زوجة السلطان أبي الحسن التي استشهدت في طريق اختبرتها أربعين يوما أيضا وكم من آية أضيفت ووجه نسبت عالم يعرف مثله قبل المائة الثامنة وكذلك الوباء العام القريب فروطه يوشك أن يطول أمره فينسى ذكره ويكذب المحذرت به اذا انقضى عصره وكم فيه من أدلة على أصول الملة اه كلام الشيخ أبي عبد الله المقرئ رحمه الله ويعني بالوباء القريب فروطه وباء منتصف المائة الثامنة أيام كان السلطان أبو الحسن بتونس فانه كان وباء عظيم عالم بهد مثله قد عم أقطار الارض وتحييف العمران جملة حتى كاد يأتي على الخليفة أجمع والامور كلها بيد الله لا يستل عما يفعل وهم يستلون

**يقول الخبر عن دولة السلطان المتوكل على الله أبي عنان فارس بن أبي الحسن رحمه الله**

كان هذا السلطان محبوبا في قومه وعشيرته أنير عند والده متميزا بذلك عن سائر اخوته لفضله وعلمه وصيافته وعفافه واستظهاره القرآن الكريم وغير ذلك من الاوصاف الحسنة أمه أم ولد رومية اسمها شمس الضحى وقبرها بشالة معروف الى الآن رأيت مكتوبا عليه بالنقش انها توفيت ليلة السبت رابع رجب الفرد سنة خمسين وسبعمائة ودفنت اثر صلاة الجمعة في الخامس والعشرين من الشهر المذكور وحضر لدفنها أعيان المشرق والمغرب اه وكان مولد السلطان أبي عنان بفاس الجديد في الثاني عشر من شهر ربيع الاول سنة تسع وعشرين وسبعمائة ويبيع في حياة والده يوم نار عليه بتلمسان حسبيما قدمنا الخبر عنه وذلك يوم الثلاثاء من ربيع الاول سنة تسع وأربعين وسبعمائة ولما هلك والده أبو الحسن بجبل هنتاته وانقضى شأن الحصار ارتحل السلطان أبو عنان الى فاس ونقل ثلثا وأبيه الى شالة فدفنه بها وأخذ السير الى فاس وقد استتب أمره وخلالاله الجوف احتل بدار ملكه وأجمع أمره على غزو بني عبد الواد لارتجاع ما يديهم من الملك الذي تطاولوا اليه ولما دخلت سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة نادى بالعتاء وأراح العلل وعسكر بساحة البلد الجديد وعرض جيشه ثم نهض يريد تلمسان واتصل خبره بسلطان أبي سعيد عثمان بن عبد الرحمن الزباني فجمع له قومه ومن شادعهم من زناتة والعرب ثم نهض اليه ومعه أخوه ووزيره أبو ثابت فكان اللقاء ببسيط انكاد آخر ربيع الثاني من السنة المذكورة وأجمع بنو عبد الواد على صدمة المرينيين وقت القاتلة وعند ضرب الابنية وسقاء الركاب واقتراق أهل المعسكر في حاجاتهم فحملوا عليهم وأعجلوهم عن ترتيب المصاف وركب السلطان أبو عنان لتلافي الامر وخاض بحر القتال وقد أظلم الجوف بالغبار حتى اذا خاض اليهم وخالطهم في صفوفهم ولوا الادبار واتبع بنو مرين آثارهم فاستولوا على معسكرهم واستباحوهم قتلا وسبيا وصدوهم أسرى ولم يزلوا في اتباعهم الى الليل وتقبضوا على سلطانهم أبي سعيد فساوقوه الى السلطان أبي عنان فاعتقله وتقدم على التعيين الى تلمسان فدخلها في ربيع المذكور واستوت في ملكها قدمه وأحضر أبو سعيد فوبخه وأراه أعماله حسرات عليه ثم أحضر الفقهاء وأرباب الفتيا فأتوا بحرايته وقتله فامضى حكم الله

فيه فذبح في محبسه لتاسعة من اعتقاله وفر أخوه الزعيم أبو ثابت إلى قاصية الشرق بعد أن احتمل معه حرمه وحرم أخيه ومختلفهم واحتل بوادي شاف من بلاد مغراوة فمسك هنالك واجتمع عليه أوشاب من زناتة وحدث نفسه باللقاء ووعدها بالصبر والتبات واتصل خبره بالسلطان أبي عنان فسرح إليه وزيره فارس بن ميمون في عساكر بني مرين والجنود فاغذ السير اليهم ثم ارتحل السلطان أبو عنان من تلمسان على أثره ولما تراها الجمعان تصادقا الجملة وخاض النهر بعضهم إلى بعض ثم صدق بنو مرين الجملة فاجتازوا النهر وانكشف بنو عبد الواد واتبع بنو مرين آثارهم فاستلموهم ثانية واستباحوا معسكرهم واستاقوا نساءهم وأموالهم ودوابهم وكتب الوزير بالفتح إلى السلطان أبي عنان وفر أبو ثابت إلى قاصية الشرق في نفر من عشيرته بنو أبيه فاعترضتهم قبائل زواوة فانتهبوا أسلابهم وأرجلهم عن خيولهم ومر واعي وجوههم حفاة عراة لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا وكتب الوزير إلى أمراء الثغور في شأن أبي ثابت وأصحابه فأذكروا العيون عليهم وقعدوا لهم بالمرصاد حتى عثر عليهم بعض الحشم فقبضوا على أبي ثابت وابن أخيه أبي زيان بن أبي سعيد المقتول ووزيرهم يحيى بن داود فرغوا بهم إلى أمير بجاية أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الحفصي وكان خالصة للسلطان أبي عنان منذ أيام والده فاعتقلهم عنده حتى قدمهم عليه ببلدية فآكرم السلطان أبو عنان وفادته ووركب للقائه ولما تراءى نزل الحفصي عن فرسه اعظاما للسلطان فنزل السلطان مكافأة له ولقائه مبررة وكرامة وأودع أبا ثابت السجن وتوافت إليه وفود الذواودة بمكانه من بلدية فآكرم وفادتهم وأسنى عطاياهم من الخلع والجلان والذهب والفضة وانقلبوا خير منقلب وواقفه بمكانه ذلك بيعة ابن مرني عامل بسكرة والزاب مع وفدهم فآكرمهم ووصلهم وفرغ السلطان أبو عنان من شأن المغرب الأوسط ووث عماله في نواحيه وثقف أطرافه وسمى إلى تلك افريقية على ما نذكره إن شاء الله

### بفتح تملك السلطان أبي عنان بجاية وتولية عمر بن علي الوطاسي عليها

لما قدأ أبو عبد الله الحفصي على السلطان أبي عنان ببلدية في شعبان من سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة وبالغ في اكرامه ناجاه بذات صدره وشكا اليه ما يلقاه من رعيته من الامتناع من الجباية والسعي في الفساد وما يتبع ذلك من شقاق الحامية واستبداد البطانة وكان السلطان أبو عنان متشوقا لمثلها فآشار عليه بالتزول عنها وان يعرضه عنها ما شاء من بلاده فسارع إلى قبول ذلك ودس إليه السلطان مع حاجبه محمد بن أبي عمرو أن يشهد بذلك على رؤس الملافعة وعرضه عنها مكاسة الزيتون ونقم بطانته الحفصي عليه وترع بعضهم عنه إلى افريقية وأمره السلطان أبو عنان أن يكتب بخطه إلى عامله على بجاية بالتزول عنها وتمكين عمال السلطان منها ففعل وعقد أبو عنان عليها عمر بن علي الوطاسي من بني الوزير الذين قدمنا خبر ثورتهم بحصن تازوط أيام يوسف بن يعقوب ولما قضى السلطان أبو عنان حاجته من المغرب الأوسط واستولى على بجاية ثغرا افريقية انكفأ راجعا إلى تلمسان لشهود عيد الفطر بها ودخلها في يوم مشهود وجل أبا ثابت الزياتي ووزيره يحيى بن داود على جلين ودخل بهم تلمسان يخطوان بهما في ذلك المحفل بين السماطين فكانا عبرة لمن حضر ثم جنبنا من الغد إلى مصارعهما فقتلا قاصبا بالرمح وإلى الله عاقبة الامور

### بفتح ثورة أهل بجاية ومقتل عمر بن علي الوطاسي بها

لما قدم عمر بن علي الوطاسي بجاية واستقر بها تقبل أمره على نفوس أهلها لالفهم ملكة الحفصيين وانصباعهم بالميل اليهم فتربصوا بالوطاسي الدوائر وكان أبو عبد الله الحفصي قد استصعب معه في وفادته على السلطان أبي عنان حاجبه فارحامولى ابن سيد الناس فلما نزل للسلطان عن بجاية تقم فارح عليه ذلك



وأسرّها في نفسه إلى أن بعته الحفصي المذكور مع الوطاسي لينقل حرمه ومناعه وما عون داره إلى المغرب فأنتهى إلى بجاية وينما هو يحاول ما أرسل في شأنه شكك إليه الصنهاجيون سوء ما كرهه بنو مريم فتجمع كلامهم فيه ونفث لهم بما عنده من الضغن ودعاهم إلى الثورة بالبرانيين والقيام بدعوة الحفصيين فأجابوه إلى ذلك وتواعدوا والفتك بعلي بن عمر الوطاسي بمجلسه من العصبة وتولى كبرها منصور بن إبراهيم الحاج من مشيختهم وباكره في داره على عادة الأمراء ولما أكب عليه ليتم أطرافه طعنه بمنجبره ثم ولج عليه الباقون فاستلموه وذلك في ذي الحجة من سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة وثارت الغوغاء بالبلد وهتف الهاتف بدعوة أبي زيد بن محمد بن أبي بكر الحفصي صاحب قسنطينة وطيروا إليه بالخبير واستدعوه فتناقل عنهم وبلغ الخبر إلى السلطان أبي عنان فأنهم أبا عبد الله الحفصي بما حله حاجبه فارجح في ذلك فاعتقله بداره واعتقل وفدا من أشرف بجاية كانوا يبابه ثم راجع شيوخ بجاية بصائرهم وتداركوا أمرهم في الرجوع إلى طاعة السلطان أبي عنان وانفق رأيهم على أن يرفعوا هذه الخرق ويسدوا هذه الثلمة برأس الحاجب فارجح وصنهاجة الثائرين معه ودخلهم في ذلك القائد هلال مولى ابن سيد الناس ولما عزمو على أمرهم دعوا الحاجب فارجح إلى المسجد ليفاوضوه فيما نزل بهم فأحسن بالشر وبلغ إلى دار الشيخ أبي العباس أحمد بن إدريس البجائي إمام بجاية ومفتيها فافتحه وأعليه الدار وبأشهره مولاه محمد ابن سيد الناس بطعنه فانتدوه ورمى بشلوه من أعلا الدار فاحتروا رأسه وبعثوا به إلى السلطان أبي عنان وفر منصور بن إبراهيم بن الحاج وقومه صنهاجة عن البلد وسرح السلطان أبو عنان إليها حاجبه أبا عبد الله محمد بن أبي عمرو في الكتاب فدخلها فاتح سنة أربع وخمسين وسبعمائة وذهبت صنهاجة في كل وجه ولحق أصحاب الفعلة منهم بتونس وتقبض الحاجب ابن أبي عمرو على جماعة من غوغاء بجاية المتهمين بالخوض في الفتنة يناهزون المائتين فاعتقلهم وأركبهم الأسطول إلى المغرب فاطمان الناس وسكنوا وتوافت لديه وفود الذواودة من كل جهة فأبزل صلاتهم ووفد عليه عامل الزاب يوسف بن مرنى فأكرم وقادته ثم ارتحل إلى تلمسان غرة جادى الأولى من السنة ومعه شيوخ الذواودة وجوه بجاية يقول ابن خلدون في يومئذ في جلته لم يجلس السلطان للوفد وعرض ما جنب إليه من الجياد والهدايا وكان يوما مشهودا وانصرفوا إلى مواطنهم فاتح شعبان من السنة المذكورة قال وانقلبت مع الحاجب بعد أسناء الجائرة وانطلع والجلان من السلطان والوعد الجليل بتجديدهما إلى قومي بلدى من الأقطاعات ولما احتل الحاجب ابن أبي عمرو ببجاية ضبط أمرها وأقام أودها وألح على قسنطينة بترديد الموت وتجهيز الكتاب إلى أن أذعنوا للطاعة ومكنوه من ناشفين ابن السلطان أبي الحسن المنسوب هناك للفتنة وأوقد أبو زيد الحفصي صاحب قسنطينة ابنه على السلطان أبي عنان فقبل وقادته وشكره عليه وانكفأ الحاجب ابن أبي عمرو إلى بجاية وأقام بها إلى أن هلك في المحرم سنة ست وخمسين وسبعمائة فذهب حميد السيرة عند أهل البلد وعقد السلطان أبو عنان على بجاية لعبد الله بن علي بن سعيد أحد وزرائه فنهض إليها في ربيع من سنة ست وخمسين المذكورة فاستقر بهم أوصلت سنين الحاجب قبله وسيرته وجهز العساكر إلى حصار قسنطينة إلى أن كان من فتحها ما نذ كره بعد أن شاء الله

يخرج أبو الفضل ابن السلطان أبي الحسن ببلاد السوس ثم مقتله عقب ذلك

قد تقدم لنا أن السلطان أبا الحسن لما ركب البحر من تونس إلى المغرب عقد على تونس لابنه أبي الفضل هذا وأنه لما أطلع عنها نار أهل البلد وشيعة الحفصيين عليه فأخرجوه عنها ولحق أبيه فكان معه إلى أن هلك وخلص الأمر إلى السلطان أبي عنان فلحق به هو وأخوه أبو سالم فذكر أبو عنان في أمرهما وخشي عاقبة ترشيحهما فأفانخصهما إلى الأندلس ليكونا مع الغزاة والقراية في أيلة السلطان أبي الحاج يوسف ابن الأحمر ثم ندم على ذلك ولما استولى على تلمسان والمغرب الأوسط ورأى أن قد استعمل أمره واعتز



سلطانه أنفذ الرسل الى أبي الحجاج في أن يشخصهما اليه لان مقامهما عنده أحوط لجمع الحكمة بخلاف  
 ما اذا غابا عن حضرته وخشي أبو الحجاج فائتته عليهما فأبى من اسلامهما اليه وأجاب الرسل بأنه لا يخفر  
 ذمته ولا يسيء جوار المسلمين المجاهدين لديه فغضب السلطان أبو عنان لذلك وقام وقعد وأمر حاجبه ابن  
 أبي عمرو أن يكتب اليه ويبلغ في التوبيخ واللوم ففعل الحاجب المذكور ~~يقول~~ قال ابن خلدون ~~في~~ وقد  
 أوقفني الحاجب على ذلك الكتاب بجباية فقضيت عجباً من فصوله واغراضه ولما قرأه أبو الحجاج ابن الأجر  
 دس الى أبي الفضل وكان أكبر الاخوين بالحاق بالطاغية وكانت بينهما ولاية ومخالصة فترغ اليه  
 أبو الفضل وجهز الطاغية له أسطولاً أركبه فيه وأترله بساحل السوم من أرض المغرب ونذر السلطان  
 أبو عنان بذلك فأوعز الى قائد أسطوله باعتراض أسطول الطاغية فاعترضه وأوقع به وكتب ابن الأجر  
 أثناء ذلك كتاباً الى السلطان أبي عنان يعتذر عن أمر أبي الفضل من انشاء وزيره لسان الدين ابن الخطيب  
 ونصه المقام الذي شهد الليل والهارب بأصالة سعادته وجرى الفلك الدوار بحكم ارادته وتعود الظفر بمن  
 بناويه فاطر دوا الحمد لله جريان عاداته فوايه متحقق لافادته وعدوه مرتقب لآبادته وحلل الصنائع  
 الالهية تضافو على اعطاف مجادته مقام محل أحنينا الذي سهم سعده صائب وأمل من كاده خامر  
 خائب وسير الفلك المدار في مرضاته دائب وصنائع الله تعالى له تصحبها الالطاف العجائب فسيان  
 شاهد منه في عصمة وغائب السلطان الكذاب ابن السلطان الكذاب الله تعالى مستد السهم ماضي  
 العزم تجل سعوده عن تصور الوهم ولا زال مرهوب الخدم تمثل الرسم موفور الحظ من نعمة الله  
 تعالى عنده تد القسم فإترا بفتح الخصام عند انحصم معظم قدره وملتزم به مبتهج عباد سيبه الله  
 تعالى له من اعزاز نصره واظهار أمره فلان سلام كريم طيب برعميم ينخص مقامكم الاعلى ومثابكم  
 الفضلى التي حازت في الفخر الامد البعيد وقازت من التأييد والنصر بالخط السعيد ورجة الله تعالى  
 وبركاته أما بعد حمد الله الذي فسح لملككم الربيع في العزمدي وعرفه عوارف آلائه وعوائد النصر  
 على أعدائه يوما وغدا وحسن مآله وشبه من قدره وقضائه فمن يستمع الآن يجده شهابا  
 رسدا وجعل نبح آماله وحسن مآله قياسا مطردا فرب من يضره ضرته نفسه وهاد اليه الجيش  
 اهدي وما هدى والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد نبيه ورسوله الذي ملا الكون نورا وهدي  
 وأحيا مراسم الحق وقد صارت طرائق قددا أعلى الاناميدا وأشرفهم محتدا الذي بجباهه نلبس  
 أثواب السعادة جودا ونظف بالنعيم الذي لا ينقطع أبدا والرضاعن آله وأصحابه الذين رفعوا السماء  
 سنته عمدا وأوضحوا السبيل اتباعه مقصدا وتقبوا واسمه الطاهرة ركعا وسجدا سيوفاعلى من  
 اعتمدى ونجومالمن اهتدى حتى علت فروع ملتصعدا وأصبح بناؤه هامديا مخلدا والدعاء مقامكم  
 الاسمي بالنصر الذي يتوالى مشني وموحدا كما جمع لملككم ماتفرق من الالقاب على توالي الاحقاب  
 فجعل سيفكم سفاحا وعلمكم منصورا ورايكم رشيدا وعزمكم مؤيدا فانا كتبنا اليكم كتب الله تعالى  
 لكم صنعا يشرح للاسلام خلدا ونصرا يقيم للدين الحنيفي أودا وعزما يعلأ أقتدة الكفر كدا وجعلكم  
 عن هيباله من أمره رشدا ويسر لكم العاقبة الحسنى كما وعده في كتابه العزيز والله أصدق موعدا  
 من جراء غرناطة حرسها الله ولا زائد بفضل الله سبحانه الا استطلاع سعودكم في آفاق العناية واعتقاد  
 جميل صنع الله في البداية والنهاية والعلم بان ملككم تحدى من الظهور على أعدائه بآية وأجرى جياذ  
 السعد في ميدان لا يحد بغايه وخرق حجاب المعتاد بما لم يظهر الا لاصحاب الكرامة والولاية ونحن على  
 ما علمتم من السرور بما يهز لملككم المنصور عطا ويسدل عليه من العصمة سحبا فقاومه الارتياح  
 لمواقع نعم الله تعالى نصفا ونصفا ونعقد بين أبناء مسيرته وبين الشكر لله خلفا ونعد التشيع له مما يقربنا  
 الى الله زلفى ونؤمل من امداده ونرتقب من جهاده وقتا يكفل به الدين ويكفي وتروى غل

النفوس وتشفي والى هذا وصل الله سعدكم ووالى نصركم وعضدكم فانما من لدن صدر عن أخيك  
أبي الفضل ما صدر من الانقياد لخدم الآمال والاعتزاز بجوارد الآل وقال رأيته في اقتحام الأهوال  
وتورط في هفوة حار فيها حيرة أهل الكلام في الأحوال وناصب من أمركم السعيد جبلا قضى الله له  
بالاستقرار والاستقلال ومن ذاب زاحم الأطواد ويزخج الجبال وأخلف الظن منافي وفائه وأضمر  
عملا سائر عناية خفائه واستعان من عدو الدين بعين فلما وري بان استنصر به زناد ولاخفق بان تولاه  
بالنصر يند وان الطاغية أعانه وأنجده ورأى أنه سهم على المسلمين سدده وعضب للفتنة جرده فحضر  
له الفلك وأمل أن يستخدمه بسبب ذلك الملك فأورده الهلك والظلم الحلك علمنا ان طرف سعادته  
كأب وسحاب آماله غير ذات انسكاب وقدم عزته لم يستقر من السداد في غرر ركاب فان نجاح أعمال  
النفوس مرتبط بنياتها وغايات الأمور تظهر في بداياتها وعوائد الله تعالى فيمن نازع قدرته لا تجهل  
ومن غالب أمر الله خاب منه المعول فينما نحن نرتقب خسارتك الصفة المعقودة وخمود تلك الشعلة  
الموقودة وصلنا كتابكم يشرح الصدور ويشرح الأخبار ويهدى طرف المسرات على أكف  
الاستبشار ويعرب بلسان حال المسارعة والابتدار عن الود الواضح وضوح النهار والتحقق بخلاصنا  
الذي يعلمه عالم الأسرار فأعاد في الافادة وأبدا وأسدى من الفضائل الجلائل ما أسدى فعلم منه  
ما آل من رام يقدر زناد الشتات من بعد الاتمام ويشير بحاجة المنازعة من بعد ركود القتام هيئات  
تلك قلادة الله تعالى التي ما كان ليتركها بغير نظام ولم يدوا أنكم نصبت له من الحزم جبالة لا يقبلها قبيص  
وسدتم له من السعدسهما ماله عنه من محيص بما كان من ارسال جوارح الاسطول السعيد في  
مطاره حائلينيه وبين أوطاره فما كان الا التسمية والارسال ثم الامساك والقتال ثم الاقتيات  
والاستعمال فياله من زجر استنطق لسان الوجود مجده واستنصر البحر فخذله وصارع القدر  
فخذله لما جدته وان خدامكم استولوا على ما كان فيه من مؤمل غاية بعيدة ومنتسب الى نسبة غير  
سعيده وشان غمرته من الكفار خدام الماء وأولياء النار تحكمت فيهم أطراف العوالى وصدور  
الشغفار وتحصل منهم من تحطاه الحمام في قبضة الأسار فجهننا من تبسير هذا المرام وانجاد الله لهذا  
الضرام وقلنا تكيف لا يحصل في الاوهام وتسد يد لا تستطيع اصابته السهام كلما قدح الخلاف  
زناد أطفأ سعدكم شعلته أو أظهر الشتات الماء أبرأين طائر كرم علته ما ذلك الا لنية صدقت معاملتها  
في جنب الله تعالى وصحت واسترسلت بركتها وصحت وجهاد نذرتموه اذا فرغت شواغلكم وتمت  
واهتمام بالاسلام يكفيه الخطوب التي أهدت فمن نهنيكم بمخ الله ومنته ونسأله أن يلبسكم من اعانته  
أوقى جننه فأملنا ان تطرد آمالكم وتتج في مرضات الله أعمالكم فقامكم هو العسمة التي يدافع  
العدو بسلاحها وتنبج ظلماته بصفايحها وكيف لانهنشكم بصنع على جهتنا يعود ويشابا قنات طلع منه  
السعود فتيقنوا ما عندنا من الاعتقاد الذي رسومه قد استقلت واكتفت وديمه بساحة الود قد وكفت  
والله عز وجل يجعل لكم الفتوح عاده ولا يعدمكم عنايه وسعادته وهو سبحانه يعلى مقامكم وينصر  
أعلامكم ويهني الاسلام أيامكم والسلام الكريم ينصكم ورحمة الله وبركته اه ولما نزل أبو الفضل  
بساحل السوس لحق بعبد الله السكسيوى صاحب الجبل المنسوب اليه ودعا لنفسه وكان ذلك اثر  
مقدم الحاجب ابن أبي عمرو من فتح بجاية سنة أربع وخمسين وسبع مائة فجهز السلطان أبو عنان اليه  
عسكره من تلسان وعقد على حرب السكسيوى وأبي الفضل لوزيره فارس بن ميمون بن وردار فسار حتى  
نزل على جبل السكسيوى وأحاط به وأخذ يخنقه واختط مدينة لعسكره ونجمه كتابه بسفح ذلك الجبل  
سمها القاهرة ولما اشتد الحصار على السكسيوى بعث الى الوزير يسأله الرجوع الى طاعته المعروفة  
وأن ينبذ العهد الى أبي الفضل فقارقه وانتقل الى جبال المصامدة ودخل الوزير فارس أرض السوس

فدوخ أقطارها ومهدأ كفافها وسارت الالوية والجيش في جهاتها ورتب المسالح في ثغورها  
 وأمصارها وسار أبو الفضل يتنقل في جبال المصامدة الى ان انتهى الى صناكة وألقى بنفسه على ابن  
 الحميد منهم على بلاد درعة فأجاره وقام بأمره ونأزله عامل درعة يومئذ عبد الله بن مسلم الزرد الى من  
 مشيخة بني عبد الواد كان السلطان أبو الحسن رحمه الله قد اصطنعه أيام فتحه لتلمسان فاستقر في دواتهم  
 واندرج في صنائعهم فأخذ بمحقق ابن الحميد وأرهبه بوصول العساكر والوزراء اليه وداخله في  
 التقبض على أبي الفضل وأن يبذل له من المال في ذلك ما أحب فأجاب ولاطف عبد الله بن مسلم الامير  
 أبا الفضل ووعدته من نفسه الدخول في الامر وطلب لقاءه فركب اليه أبو الفضل ولما استمكن منه ابن  
 مسلم تقبض عليه ودفع لابن الحميد ما اشترط له من المال وأتخصمه معتقلا الى أخيه السلطان أبي عنان  
 سنة خمس وخمسين وسبعمائة فأودعه السجن وكتب بالفتح الى القاصية ثم قتله ليال يسيرة من اعتقاله  
 خنقا بحبسه وانقضى أمر الخوارج وتمهدت الدولة الى ان كان ما نذ كره ان شاء الله

وفادة الوزير ابن الخطيب من قبل سلطانه الغني بالله السلطان أبي عنان رحمه الله

كان السلطان أبو الحجاج يوسف ابن الاخر قد أوفد وزيره لسان الدين ابن الخطيب على السلطان أبي عنان  
 اثر مهلك السلطان أبي الحسن معز ياله بمصايه فقدم ابن الخطيب وأدى الرسالة وجسلي في أغراض تلك  
 السفارة وعاد الى غرناطة ثم هلك السلطان أبو الحجاج سنة خمس وخمسين وسبعمائة بمصلي عبد الغطر  
 وهو ساجد طعنه بعض الزعانف فاصماه لوقته وبايع الناس ابنه محمد بن يوسف الغني بالله وقام بأمر  
 دولته مولاه رضوان الراسخ القدم في قيادة عساكرهم وكفالة الاصاغر من ملوكهم واستبد بالامر  
 وانفرد ابن الخطيب بوزارته كما كان لايه من قبل واتخذ كتابته غيره وجعل ابن الخطيب رديف الرضوان  
 في أمره وتشارك في الاستبداد معا فحرت الدولة على أحسن حال ثم ان السلطان الغني بالله بعث وزيره  
 ابن الخطيب سفيرا عنه الى السلطان أبي عنان مستمدا له على عدوه الطاغية على عادة سلفه في ذلك  
 وقال ابن الخطيب لما أشرفت على مدينة فاس في غرض هذه الرسالة خاطبني الخطيب الرئيس  
 أبو عبد الله محمد بن مرزوق التلمساني بعزل الشاطبي على مرحلة منها بما نصه

يا قداما وافي بكل نجاح \* ابشر بما تلقاه من أفراح  
 هذي نرى ملك الملوك فلذبا \* تنسل المني وتفر بكل سماح  
 معني الامام أبي عنان يمين \* تطفر ببحر بالتد اطفاح  
 من قاس جود أبي عنان في النداء \* بسواء قاس البحر بالفضاح  
 ملك يفيض على العفاة نواله \* قبل السؤال وقبل بسطة راح  
 فليجود كعب وابن سعدي في النداء \* ذكر محماه عن نداء ماح  
 ما ان سمعت ولا رأيت بثله \* من أريحي للنسدا مراح  
 بسط الامان على الانام فأصبحوا \* قد ألحفوا منه بطل جناح  
 وهمي على العاقين سيب نواله \* حتى حكي نوح الغمام السباح  
 فنواله وجلاله وفعله \* فافت وأعمت السن المداح  
 وبه الدنا أضحيت تروق وأصبحت \* كل المني تنقاد به بجراح  
 من كان ذات رح فروية وجهه \* متلافة الاخران والاراح  
 فانم عن أبا عبد الاله تغربما \* تبغيه من أمل ونيل نجاح  
 لازلت ترتشف الاماني راحة \* من راحة المولى بكل صباح

فالحمد لله يا سيدي وأخي على نعمه التي لا تحصى جدا يوم به جميعنا المقصد الاسنى فيبلغ الامد الاقصى

فطلما كان معظم سيدي لاسي في خيال وللأسف بين اشتغال بال واشتغال بلبال ولقد ومك على  
هذا المحل المولوي في ارتقاب ولو اعيدكم بذلك في تحقق وقوعه من غير شك ولا ارتياب فها أنت  
تجتني من هذا المقام العلي بتشيعك وجوه المسرة صبايا وتتلق أحاديث مكارمه ومواهبه مسندة  
صحا بما يحول الله تعالى ولسيدي الفضل في قبول مركوبه الواصل اليه بسرجه ولبامه فهو من بعض  
مالدي المعظم من احسان مولاه وانعامه ولعمري لقد كان وافد على سيدي في مستقره مع غيره

فالحمد لله الذي يسر في ايماله على أفضل أحواله قال ابن الخطيب فراجعتهم بما نصه

راحت تذكري كؤوس الراح \* والقرب يخفض للجنوح جناح

وسرت تدل على القبول كأنما \* دل النسيم على انبلاج صباح

حسنا قد غنيت بحسن صفاتها \* عن دملج وفسلادة ووشاح

أمست تحض على الليالي من جرت \* بسعوده الاقلام في الاواح

بخليفة الله المؤيد فارس \* شمس المعالي الازهر الوضاح

ماشتت من شيم ومن هم غدت \* كالزهرا وكالزهري في الادواح

فضل الملوكة فليس يدرك شأوه \* أنى يقاس الغمر بالخضاح

أسنى بني عبا بهم بلوائه الش \* منصور أو بحسامه السفاح

وغدت مغاني الملك لما حلها \* تروى بيده رهدى وبجر سماح

وحياة من أهداك تحفة قادم \* في العرف منهاراحة الارواح

مازلات أجعل ذكره وثناءه \* روحى وريحانى الاريح ووراح

ولقد تمازج جسمه بجوارحى \* كتمازج الاجسام بالارواح

ولوانسى أبصرت رما في يدي \* أمرى لطرت اليه دون جناح

فلا أن ساعدنى الزمان وأيقنت \* من قربه نفسى بفوز قداح

ايه أبا عبيد الاله واته \* لنداء ود في علاك صراح

اما اذا استجبتنى من بعد ما \* ركنت لما جنت الخطوب برباح

فاليكها مهزولة وأنا امرؤ \* فررت عجزى واطرحت سلاح

سيدي أبقاك الله لعهد تحفظه وولاء بعين الوفاء تلحظه وصلتني رفعتك التي ابتدعت وبالحق من  
مولي الخليفة صدعت وألفتني وقد سطت بي الاووال حتى كادت تنف الرحال والحاجة الى العناء  
قد شمرت عن كشح البطين وثانية العجم ماوين قد توقع فوات وقتها وان كانت صلاتها صلالة الطين  
والفكر قد غاض معينه وضعف على الله جزاء المولى الذي يعينه فغرتني بكتيبة بيان أسدها هصور  
وعلمها منصور وألفاظها ليس فيها تصور ومعانيها عليها الحسن مقصور واعتراف مثلى بالعجز في  
المضائق حول ومنه وقول لا أدري للعالم فكيف بغيره جنه لكها بشرتني بما يقل لمؤديه بذل النفوس  
وان جلت وأطعتني من السراء على وجه تحسده الشمس اذا تجلت بما أعلمتني به من جميل اعتقاد  
مولانا أمير المؤمنين أيده الله في عبده وصدق الخيلة في كرم مجده وهذا هو الجود المحض والفضل  
الذي شكره هو الغرض وتلك الخلافة المولوية تتصف بصفات من يبدء بالنوال من قبل الضراعة  
والسؤال من غير اعتبار للاسباب ولا مجازات للدعوى نسأل الله تعالى ان يبق منها على الاسلام أو في  
الظلال ويبلغها من فضله أقصى الآمال ووصل ما بعثه سيدي محبتها من الهدية والتحفه الودية  
وقبلتها امتثالا واستجيبات منها عتقا وجمالا وسيدي في الوقت انسب باتخاذ ذلك الجنس وأقدر على  
الاستكثار من اناث البسم والانس وأنا ضعيف القدرة غير مستطيع لذلك الا في الندره فلورأى



سيدي ورايه سداد وقصده فضل ووداد أن ينقل القضية الى باب العارية من باب الهبة مع وجود الحقوق المترتبة لبسط خاطري وجمعه وعمل في رفع المؤنة على شاكلة حاله معه وقد استعجب من كوياشق على هجره ويناسب مقامه شكله ونجده وسيدي في الاسعاف على الله أجره وهذا أمر عرض وفرض فرض وعلى نظره المعول واعتماد اعضائه هو المعقول الاول والسلام على سيدي من معظم قدره وملتمزم به ابن الخطيب في ليلة الاحد السابع والعشرين لذي القعدة سنة خمس وخمسين وسبعمائة والسما قد جادت بغير سهرت منه الاجفان وظن أنه طوفان والحق في غدها بالباب المولوي مؤمل بحول الله اه ولما قدم الوزير المذكور على السلطان المذكور تقدم الوفد الذين من وزراء الاندلس وقهاثها ومثل بين يديه واستأذنه في انشاد شيء من الشعر يقدمه بين يدي نجواه فاذن له وأنشده وهو قائم

خليفة الله ساعد القدر \* عـلاك ملاح في الدقاقر  
ودفعت عنك كف قدرته \* ما ليس يستطيع دفعه البشر  
وجهلك في الثابت بدرجا \* لنا وفي المحل كفلك المطر  
والناس طر ابارض اندلس \* لولاك ما أوطنوا ولا عمروا  
ومن به مذوصلت جبلهم \* ما بخدوا نعمة ولا كفروا  
وجملة الامراته وطن \* في غير عليك ماله وطر  
وقد أهتم نفوسهم \* فوجهوني اليك وانتظروا

فاهتز السلطان أبو عنان لهذه الايات وأذن له في الجاوس وقال له قبل ان يجلس ما ترجع اليهم  
الاجميع طلباتهم ثم أدى الرسالة ودفع الكتاب ولما عزموا على الانصراف أثقل كاهلهم بالاحسان  
وردهم بجميع ما طلبوه قال ابن خلدون قال شيخنا القاضي أبو القاسم الشريف وكان معه في ذلك  
الوفد لم نسمع بسفير قضى سفارته قبل أن يسلم على السلطان الا هذا ونص الكتاب الذي قدمه ابن  
الخطيب المقام الذي يعني عن كل مفقود بوجوده ويهزالي جميل العوائد أعطاف بأسه وجوده  
ونستضيء عند انطلام الخطوب بنور سعيه ونزث من الاعتماد عليه أسنى ذخيره الولد عن آباءه  
وجدوده مقام محل أينا الذي رعى الازمة شانه وصلة الراعي سحبة انفرديها سلطانه ومواعيد النصر  
ينجزها زمانه والقول والفعل في ذات الله تعالى تكفات بهما يده الكريمة ولسانه وتطابق فيهما  
اسراره واعلانه السلطان الكذا ابن السلطان الكذا بقاه الله تعالى محروسا  
من غير الايام جنابه موصولة بالوقاية الالهية أسبابه مسدودا على ذاته الكريمة ستر الله تعالى وحجابه  
مصرفه من صرف القدر ما يجزع عن رده بوابه ولا زال ملجأ تنفق لديه الوسائل التي تذخرها  
لاولادها اولياؤه وأحبابه ويسطر في صحف الفخر ثوابه وتشتمل على مكارم الدين والدنيا أوابه  
وتتكفل بنصر الاسلام وجبر القلوب عند طوارق الايام كتابه وكتابه معظم ما عظم من حقه السائر  
من اجلاله وشكره خلاله على لاحب طرقه المستضيء في ظلمة الخطوب بنور أفقه الامير عبد الله  
محمد بن أمير المسلمين أبي الحاجب ابن أمير المسلمين أبي الوالي بن فرج بن نصر سلام كريم طيب برعميم  
يخص مقامكم الاعلى ورجة الله تعالى وبركاته أما بعد حمد الله الذي لا راد لامره ولا معارض لفعله  
مصرف الامر بقدرته وحكمته وعدله الملك الحق الذي بيده املاك الامر كله مقدر الالجال والاعمار  
فلا يتأخر شيء عن ميقاته ولا يبرح عن محله جاعل الدنيا مناخ نقلة لا يغتبط العاقل بعائنه ولا يظله  
وسبيل رحلة فمأ كتب ظعنه من حله والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد صفة خلقه  
وخيرة انبيائه وسيد رساله الذي نعتم بسببه الاقوي ونتمسك بحبله ونعتمد الافتقار الى فضله

ونجا هدى سبيله من كذب به أو حاد عن سبيله ونصل اليه ابتغاء مرضاته ومن أجله والرضاعن آله  
 وأخزابه وأنصاره وأهله المستولين من ميدان الكمال على خصمه والدعاء لمقامكم الاعلى بعز نصره  
 ومضاء فضله فانا كتبنا اليكم كتب الله تعالى لكم وقاية لا تطرق الخطوب جماها وعصمة ترجع عنها  
 سهام النوائب كلما قوقها الدهر وروماها وعناية لا تغير الحوادث اسمها ولا صماها وعزاز احم اجرام  
 الكواكب منتماها من حراء غرناطة حرسها الله تعالى ونعم الله سبحانه تتواتر لادينا دفعا ونفعا وألطافه  
 تتعرفها وترأوشفعا ومقامكم الابوى هو المستند الاقوى والمورد الذى ترده آمال الاسلام فتروى  
 وتهوى اليه أفئدتهم فتجد ما تهوى ومثابكم العدة التى تأسست مبانيها على البر والتقوى والى هذا  
 وصل الله تعالى سعدكم وأبقى مجدكم فانا لما نعلم من مساهمة مجدكم التى يقتضيتها كرم الطباع وطباع  
 الكرم وتدعو اليها ذم الرعى ورمى الذم نعرفكم بعد الدعاء لئلا يذمكم بدفاع الله تعالى عن ارتعائه  
 وامتناع المسلمين ببقائه بما كان من وفاة مولانا والوالد نفعه الله تعالى بالسعادة التى ألبسه محلها  
 والشهادة التى فى أعماله ازكية كتبها والدرجة العالية التى حتمها له وأوجبها وبما تصير لنا من أمره  
 وضميرنا من نشره وسدل على من خلفه من ستره وانها العبرة لمن ألقى السمع وموعظة تهز الجع  
 وترسل الدمع وحادثة أجل الله تعالى فيها الدفع وشرح مجملها وان آخر من اللسان هولها وأسلم العبارة  
 قوتها وحوها انه رضى الله تعالى عنه لما برز لاقامة سنة هذا العيد مستشعرا شعار كلمة التوحيد  
 مظهر اسمع الخضوع للولى الذى تضرع بين يديه رقاب العبيد آمنابن قومه وأهله متسربلا فى حلل  
 نعم الله تعالى وفضله قير العين باكمال عزه واجتماع شمله قد احترس باقصى استطاعته واستظهر  
 بخلصان طاعته والاجل المكتوب قد حضر والارادة الالهية قد أنفذت القضاء والقدر وسجد بعد  
 الركعة الثانية من صلاته أتاه أمر الله ليقاته على حين الشباب غض جليابه والسلاح زانر عبايه  
 والدين بهذا القطر قد أئنيح بالامن جنابه وأمر من يقول للشيء كن فيكون قد بلغ كتابه ولم يرعه وقد  
 اطمانت بذكر الله تعالى القلوب وخلصت الرغبات الى فضله المطاوب الا شقى قبيضه الله تعالى  
 لسعادته غير معروف ولا منسوب ونحيث لم يكن معتبرا ولا محسوب تحلل الصفوف المعقودة وتجاوز  
 الابواب المسدودة وخاض الجوع المشهودة والام المحشورة الى طاعة الله المحشودة لا تدل العين عليه  
 شارة ولا بزه ولا تحمل على الحذر من مثله أنفة ولا عزه وانما هو نحيث يمرور وكلب عقور وحية  
 سمها وحى محذور وآلة مصرفة لينفذ بها قدر مقدور فلما طعنه وأنته وأعلق به شرك الحين فآفقته  
 قبض عليه من الخلصان الاولياء من خبر ضميره وأحكم تقريره فلم يجب عند الاستفهام جوابا يعقل  
 ولا عثر على شيء عنه ينقل لطفامن الله أفاد براءة الذم وتعاورته للعين أيدى التمزيق وأتبع شاره  
 بالتمزيق واحتمل مولانا والوالد درجة الله الى القصر وبه ذم لم يلبث بعد الفتحة العمرية الا يسر  
 من اليسير وتخلف الملك ينظر من الطرف الحسير وينهض بالجنح الكسير وقد عا د جمع السلامة الى  
 جمع التكسير الا ان الله تعالى تدارك هذا القطر الغريب بان أقامنا مقامه لوقته وحينه ورفع عماد بناء  
 ملكه ولم تشعب دينه وكان جميع من حضر المشهد من شريف الناس وشروفهم وأعلامهم  
 واغنيهم قد جمه ذلك الميقات وحضر الاولياء الثقات فلم تختلف علينا كلمة ولا شذت منهم عن بيعتنا  
 نفس مسلمة ولا أخيف برى ولا حذر جرى ولا فرى فرى ولا وقع لبس ولا استوحشت نفس ولا  
 نبض الفتنة عرق ولا أغفل الدين حق فاستند النقل الى نصه ولم يعدم من فقيدنا غير شخصه وبأدبنا  
 الى مخاطبة البلاد عندها ونسكنها ونقرر الطاعة فى النفوس ونعكسها وأمرنا الناس بما يكف الايدي  
 ورفع التعدي والعمل من حفظ شروط المسألة المعقودة بما يجدى ومن شره منهم للفرار عاجلناه  
 بالانكار وصرقنا على النصارى ما أوصاه مصعبا بالاعتذار وخاطبنا صاحب قشتالة ترى ما عنده فى صلة

السلم الى أمدها من الاخبار وانصلت بنا البيعات من جميع الاقطار وعنى على خزن المسلمين بالديناما  
ظهر عليهم ولا يقام من الاستبشار واستبقوا تطيرهم أجنحة الابتدار جعلنا الله تعالى عن قابل الحوادث  
بالاعتبار وكان على حذر من تصاريف الاقدار واختلاف الليل والنهار وأعاننا على إقامة دينه في هذا  
الوطن الغريب المنقطع بين العدو والطاغى والبحر الزخار وألهمنا من شكره ما يتكامل بالمزيد من نعمه  
ولا قطع عنا واثد كرمه وان فقدنا والدينا فانتقم لنا من بعده الوالد والذخر الذى تكرم منه العوائد  
والحب يتوارث كما ورد في الاخبار التى صحت منها الشواهد ومن أعد مثلكم ابنيه فقد تيسرت من بعد  
المات أمانيه وتأسست قواعد ملكه وتشيدت مبانيه فالاعتقاد الجليل موصول وانفروع لها فى  
التشيع اليكم أصول وفي تقرير فخركم محصول وأنتم رداء المسلمين بهذه البلاد المسلمة الذى يعينهم بارفاده  
وينصرهم بانجاده ويعامل الله تعالى فيها بصدق جهاده وعندما استقر هذا الامر الذى تبعت  
المنحة فيه المنحه وراقت من فضل الله تعالى ولطفه فيه الصغحه وأخذنا البيعة من أهل حضرتنا بعد  
استدعاء خواصهم وأعيانهم وتراجعت على رقبها المنشور خطوط أيمانهم وتأصلت قواعد الماظها  
ومعانيها فى قلوبهم وآذانهم وضمنوا الوفاء بعاهاهد والله عليه وقد خبر سلفنا والحمد لله وفاء ضمائمهم  
بادرنا تعريف مقامكم الذى نعلم مساهمته فيما ساء وستر وأحلى وأمر عملا بقتضى الخلوص الذى  
ثبت واستقر والحب الذى مامل يوم ولا زور وما أحق تعريف مقامكم بوقوع هذا الامر المحذور  
وانجلاء ليله عن صبح الصنع البادى السفور وان كنا قدنا طيننا من خدامكم من يبادر اعلامكم بالامور  
الا أنه امر له ما بعده وحادث يأخذ حذته ونبعث الى بابكم من شاهد الحال ما بين وقوعها الى استقرارها  
رأى العيان وتولى تسديد الامور باعماله الكريمة ومقاصده الحسان ليكون أباغ فى البر وأشرح  
للصدر وأوعب للبيان فوجهنا اليكم وزيراً وكتب سرنا الفقيه الاجل أباعبد الله محمد بن الخطيب  
والقينا اليه من تقرير تعويلنا على ذلك المقام الاسنى واستنادنا من التشيع اليه الى الركن الوثيق المبني  
ما نرجو أن يكون له فيه المقام الاغنى والثمرة العذبة المحنى فلاهتما به هذا الغرض الاكيد الذى  
هو أساس بنائنا وقامع أعدائنا وآثرنا توجيهه على توفر الاحتياج اليه ومدار الحال عليه والمرغوب  
من أبتونكم المؤتملة أن يتلقاه قبولها بما يليق بالملك العالى والخلافة السامية العالى والله عز وجل  
يدم أيامكم لصلة الفضل المتوالى ويحفظ مجدهم من غير الايام والليالى وهو سبحانه يصل سعدهم  
ويحرم مجدهم ويوالى نصرهم وعضدهم والسلام الكريم ينصمكم ورحمة الله وبركاته اه واللساطان  
الغنى بالله هذا مع السلطان أبى عنان رجهما الله من اسلات عديدة ومكاتبات مديدة قد ذكر صاحب  
نعم الطيب منها جملته واقرة مع التنبيه على أسبابها فانظرها فيه ان شئت وأكرم السلطان أبى عنان الوزير  
ابن الخطيب فى هذه الوفاة وغيرها كراما بليغا ولما انصرف عنه مدحه بقصيدة طويلة طنانة يقول  
فى أولها  
أبدى لداهى الفوز وجه منيب \* وأفاق من عدل ومن تانيب  
ويقول فى أثنائها

يا ناصر الدين الحنيف وأهله \* انضاء مسغبة وقل خطوب  
حقيق ظنون بنيه فيك فانهم \* يتهالون بوعدهك المرقوب  
ضاقوا مذاهب نصرهم فعلقوا \* بجناب عزم من علالك رحيب  
ودجا ظلام الكفر فى آفاتهم \* أوليس صبحك منهم بقريب  
فاتظر بعين العزم من ثغر غدا \* حذر العداير نوب طرف مررب  
نادتك أندلس ومجدك ضامن \* ألا ينحيب لديك ذو مطلوب وهى طويلة  
وفى سنة ست وخمسين وسبع مائة \* انتقض على السلطان أبى عنان وزيره وصاحب شورا عيسى بن

الحسين بن علي بن أبي الطلاق من شيوخ بني مرين ووجوهها وكان السلطان أبو عنان قد استعمله على جبل طارق فتمكنت رياسته به وانتقض على السلطان لاسباب يطول شرحها ثم التفت حاله وضافت مذاهبه فقبض عليه وأحضر بين يدي السلطان أبي عنان هو وابنه يوم مني من سنة ست وخمسين المذكورة فتنصلا واعتذرا فلم يقبل منهما وأودعهما السجن وضيق عليهما ولما كان آخر السنة أمر بهما فجنبا إلى مصارعهما وقتل عيسى فعمدا بالرمح وقطع ابنه أبو يحيى من خلاف وأبي من مداواة قطعه فلم يزل يتخبط في دمه إلى أن هلك بعد ثلاثة أيام من قطعه وعقد السلطان على جبل طارق وسائر ثغور الأندلس لسليمان بن داود ثم عقد بعده لولده أبي بكر السعيد وهو الذي تولى الملك بعده والله أعلم

✽ رحله السلطان أبي عنان إلى سلا وطارحه على وليها الأكرابي العباس ابن عاشر رضي الله عنه ✽

كان لبني مرين هموم واللسلطان أبي عنان خصوصا جنوح إلى الخسار ومحبة في أهله وتعرض لمن يشار إليه بالصالح واستطار لطله ووبله وكان الشيخ الأشهر أبو العباس أحمد بن عاشر الأندلسي رضي الله عنه قد استوطن في هذا التاريخ مدينة سلا وكان من الأفراد الجامعين بين العلم والعمل المتمسكين بالكتاب والسنة الناهجين سنن السلف الصالح في الزهد والورع والاتقاع عن الخلق جملة بحيث طار ذكره وعظم لدى الخاص والعام قدره فتمركت همه السلطان أبي عنان لزيارته والاقباص مما يفتح الله به من وعظه وإشارته فارتحل سنة سبع وخمسين وسبعمائة إلى سلا فقدمها وحرس على الاجتماع بالشيخ المذكور ووقف بيابه مرارا فلم يأذن له وترصده يوم الجمعة بعد الصلاة ولما انفض الناس تبعه على قدميه والناس ينظرون إليه وهو لا يراه فقال السلطان عند ذلك لقد منعنا من هذا الولي ثم أرسل إليه والده راغباً ومستعظفاً فأجاب بما قطع رجاءه من لقائه غير أنه كتب إليه كتاباً وعظه فيه وذكره فسر السلطان أبو عنان بذلك الكتاب وحزن لما فاته من الاجتماع بالشيخ وقد ذكر الفقيه العلامة البركة أبو العباس أحمد بن عاشر بن عبد الرحمن السلاوي المدعو بالحافي في كتابه تحفة الزائر في مناقب الشيخ ابن عاشر نص هذا الكتاب ولم يحضر في الآتي فأنظره فيه وبالله تعالى التوفيق

✽ غزوة السلطان أبي عنان أفريقية وفتح قسنطينة ثم فتح تونس بعدها ✽

لما كانت أيام التشرية من سنة سبع وخمسين وسبعمائة اعترم السلطان أبو عنان على النهوض إلى أفريقية واضطرب معسكره بساحة فاس الجديد وبعث في الحشد إلى مراکش وأوعز إلى بني مرين بأخذ الأهبة للسفر وجلس للعباء وعرض الجنود من لدن عزمه على النهوض إلى شهر ربيع الأول من سنة ثمان وخمسين بعدها ثم ارتحل من فاس وسرح في مقدمته وزيره فارس بن ميمون في العساكر وسار هو في ساقته على التعبية إلى أن احتل بجاية وتلوم لأراحة العليل ثم نازل الوزير قسنطينة وجاء السلطان على أثره ولما أطلت رايته وماجت الأرض بجنوده ذعروا أهل البلد والقروا بأيديهم إلى الأذعان وانفضوا من حول ساطانهم أبي العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر الحفصي وجاءوا مطعين إلى السلطان أبي عنان وتميز الحفصي في خاصته إلى القصبية ثم طلبوا الأمان من السلطان أبي عنان فبذله لهم وخرجوا وأتر لهم معسكره أياما ثم بعث بأبي العباس في الأسطول إلى سبتة فاعتقلها وعقد على قسنطينة منصور ابن الحاج خاوي اليباني من شيوخ بني مرين وأهل الشورى منهم وأتره بالقصبية في شعبان من السنة المذكورة ووصلت إليه بيعات أمراء الأطراف من توزر ونقطة وقابس وغيرها وقد عليه أولاد مهلول أمراء بني كعب من سليم وأقيال بني أبي الليل منهم يستحثونه لملك تونس فسرح معهم العساكر وعقد عليها يحيى بن عبد الرحمن بن تاشفين وبعث أسطوله في البحر مدد لهم وعقد عليه للرئيس محمد بن يوسف المعسرف بالابكم من أمراء بني الأحمر وكان سلطان تونس يومئذ أبا اسحق إبراهيم بن أبي بكر



الحفصي ولما اتصل به خبر بني مرين أخرج حاجبه أبا محمد بن تافراجين لقتالهم فزحف الجيوش الى تونس ووصل الاسطول الى مرساها فقاتلهم ابن تافراجين يوما أو بعض يوم ثم ركب الليل الى المهدية فتحصنها ودخل أولياء السلطان الى تونس في رمضان من سنة ثمان وخمسين وسبعمائة وأقاموا بها الدعوة المرينية واحتل يحيى بن عبد الرحمن بالقصبة وأنفذ الأوامر وكتب الى السلطان أبي عنان بالفتح فعظم سروره وتطرب بعد ذلك في أحوال ذلك القطر وقبض أيدي العرب من رياح عن الأناوة التي يسمونها الخفارة فارتابوا وطالبهم بالهن على الطاعة فأجمعوا الخلاف والتفوا على أميرهم يعقوب بن علي ولحقوا بالزابوار تحمل السلطان في أثرهم فأجفوا أمامه الى القفر فخرّب حصونهم التي بالزاب ورجع عنهم وحمل له ابن مرين عامل بسكرة الزاب وجبايته وأطلق المئون للعسكر من الأدام والحنطة والجلان والعاوفة ثلاثة أيام وكافأه السلطان على صنيعه فخلع عليه وعلى أهله وولده وأسنى جوائزهم ورجع الى قسنطينة واعترم على الرحلة الى تونس وضافت العساكر ذرعا بشأن النفقات والابعاد في الرحلة وارتكاب الخطر في دخول افريقية فتمتت رجالتهم في الانقراض عن السلطان وداخلوا الوزير فارس بن ميمون في ذلك فوافقهم ثم أذن شيوخ العسكر ونقبائوه ان تحت أيديهم من القبائل في الصحاق بالمغرب حتى يبقوا منفردين وأنهم الى السلطان أبي عنان أن شيوخ العسكر قد عزموا على قتله ونصب ادريس بن عثمان ابن أبي العلاء مر فأسرها في نفسه ولم يبد لها لهم ورأى قلة من معه من الجند فارتاب وكرر اجماعا الى المغرب بعد ان كان ارتحل عن قسنطينة الى جهة تونس مرحلتين فانكفأ وأخذ السير الى قاس فاحتل بها غرة ذي الحجة من سنة ثمان وخمسين المذكورة وتقبض يوم دخوله على وزيره فارس بن ميمون لانه اتهمه بـمـدخالته بني مرين في شأنه وقتله رابع أيام التشريق فعصا بالراح وتقبض على مشيخة بني مرين فاستلمهم وأودع طائفة منهم السجن ولما رجع السلطان أبو عنان من افريقية بلغ خبره الى الجهات فارتحل أبو محمد بن تافراجين من المهدية الى تونس ولما أطل عليها تارت شعبة الحفصيين على من كان بها من جيش بني مرين فجهوا الى السفن وركبوا البحر الى المغرب وجاء على أثرهم يحيى بن عبد الرحمن فمن كان معه من العساكر وأولاد مهمل و كان يوم الهبة بناحية الجريد لاقتضأ جبايته فصوب الى المغرب واجتمعوا كلهم بباب السلطان أبي عنان فأرسله الى العام القابل وكان ما نذ كره ان شاء الله

### ﴿وزارة سليمان بن داود ونهوضه بالعساكر الى افريقية﴾

لما رجع السلطان أبو عنان من افريقية ولم يستم فتحها بقي في نفسه منها شيء وخشي على ضواحي قسنطينة من يعقوب بن علي ومن معه من الذواودة المخالفين فأهم شأنهم واستدعى سليمان بن داود من مكانه بجبل طارق وعقد له على وزارته وسرّحه في العساكر الى افريقية فنهض اليها في ربيع من سنة تسع وخمسين وسبعمائة وكان السلطان أبو عنان لما خالف عليه يعقوب بن علي وقرأ الى القفر أقام مكانه أخاه المتازع له في رياسته يحيى ميمون بن علي وقدمه على أولاد محمد من الذواودة وأحمله بمكانه من رياسته البدوق تزعم اليه عن أخيه يعقوب الكثير من قومه وتمسك بطاعة السلطان أيضا طوائف من أولاد سبع بن يحيى فانتحشوا جميعا للوزير ونزلوا بجلاهم على معسكره ثم ارتحل السلطان أبو عنان من قاس حتى احتل بتلمسان فأقام بها المشرفة أحوال الوزير المذكور واحتل الوزير بوطن قسنطينة وبعث الى عامل بسكرة والزاب يوسف بن مرين بان تكون يده معه وان يقاوضه في أحوال الذواودة لرسوخه في معرفتها فارتحل اليه من بسكرة ونزلوا بجبل أوريس واقتضوا جبايته ومغارمه وشرّذوا المخالفين من الذواودة عن العيث في الوطن فتم غرضهم من ذلك وانتهى الوزير وعساكر السلطان الى أول أو طان افريقية من آخر مجالات رياح وانكفأ اجماعا الى المغرب فوافق السلطان أبو عنان بتلمسان ووصلت معه وفود العرب الذين أبلاوا في الخدمة فوصلهم السلطان وخلع عليهم ووجههم وفرض لهم في العطاء بالزاب

وكتب لهم بذلك وانقلبوا الى اهلهم فرحين مقتبطين ووفد على اترهم أحد بن يوسف بن مزني أوفده  
أبو بهدي الى السلطان من الخيل والقيق والدرق فتقبلها السلطان وأكرم وفادته ثم استصحبه الى  
فاس ليريه أحوال كرامته وليستبلغ في الاحتفاء به واحتل بدار ملكه منتصف ذي القعدة من سنة تسع  
 وخمسين وسبعمائة

### وفاة السلطان أبي عنان رحمه الله

لما وصل السلطان أبو عنان الى دار ملكه بفاس احتلها بين يدي العيد الاكبر حتى اذا قضى الصلاة من  
يوم الاضحى أدركه المرض بالمصلى وأبجده طائف الوجع عن الجلاس للناس يوم العيد على العادة فدخل  
قصره ولزم فراشه ووذكر ابن خلدون ما حاصله انه كانت بين الوزير حسن بن عمر الفودودي وبين  
ولي العهد أبي زيان محمد بن السلطان أبي عنان نفرة مستحكمة لسوء طويته وشر ملكته فاتفق الوزير  
المذكور مع من كان على رأيه من أهل مجلس السلطان على تحويل الامر عنه الى غيره من أبناء السلطان  
فأجمعوا الفتك به والبيعة لآخيه أبي بكر السعيد طفلاً لاجل سياثم أغر والوزير مسعود بن عبد الرحمن بن  
ماساي بتطلب أبي زيان ولي العهد في نواحي القصر والتقبض عليه فدخل اليه وتلطف في اخراجه من  
بين الحرم وقاده الى أخيه السعيد فبايع ونزل الى بعض حجر القصر فأنلفت فيهما مهجة واستقل الحسن  
ابن عمر بالامر يوم الاربعاء الرابع والعشرين من ذي الحجة والسلطان أبو عنان أثناء ذلك يجود بنفسه  
وارتقب الناس دفته يوم الاربعاء والخميس بعده فلم يدفن فارتابوا وفتى الكلام فدخل الوزير زعموا اليه  
بمكانه من قصره ثم غطه حتى أتلفه ودفن يوم السبت وحجب الحسن بن عمر الولد المتصوب بالامر وأغلق  
عليه باب الموت فربالامر والنهي دونه انتهى وهذا أول مرض نزل بالدولة المرينية ووقال في الجنوة  
توفي السلطان أبو عنان قتيلاً لا خنقه وزيره الحسن بن عمر الفودودي يوم السبت الثامن والعشرين من  
ذي الحجة من سنة تسع وخمسين وسبعمائة وسنه يوم توفي ثلاثون سنة

### بقية أخبار السلطان أبي عنان وسيرته

كان السلطان أبو عنان رحمه الله أبيض اللون تعلوه صفرة طويل القامة يشرف على الناس بطوله  
نحيف البدن عالي الاتف حسنه عين أدعج جهوري الصوت في كلامه بجملة حتى لا يكاد السامع يفهم  
ما يقول عظيم اللحية تملأ صدره أسودها واذا مرت بها الريح تفرقت نصفين حتى يستبين موضع الذقن  
وكان فارساً شجاعاً يقوم في الحرب مقام جنده وكان فقيهاً ينظر العلماء الجلة عارفاً بالمنطق وأصول الدين  
وله حظ صالح من علمي العربية والحساب وكان حافظاً للقرآن عارفاً بآمنه ومنسوخه حافظاً للحديث  
عارفاً برجاله فصيح القلم كاتباً بليغاً حسن التوقيع شاعراً أنشد له صاحب الجنوة أشعاراً حسنة من  
ذلك في الحكمة قوله

واذا تصقر للرياسة حامل \* جرت الامور على الطريق الاعوج

وقال ابن الأحرر كنت يوماً جالساً معه بمجمع ملكه من المدينة البيضاء بفاس فدخل عليه رجل  
يتصلح فلما نظر اليه قال بديهة

تراهم في ظواهرهم كراما \* ويخفون المكيدة والحداما

والسلطان أبو عنان رحمه الله آثار دينية من بناء المدارس والزوايا وغير ذلك ومدرسته العنانية بفاس  
مشهورة الى الآن ومن مدارس المدرسة البهية بمحومة باب حسين من سلا وقد صارت اليوم قنادقا  
يعرف بعندق اسكور وسماه أبو بكر بن جزى في بعض ما أنشأه السلطان المذكور من الزوايا قوله  
هذا محل الفضل والايثار \* والرفق بالسكان والزوار

دار على الاحسان شيدت والتقى \* فجزاؤها الحسنى وعقبى الدار  
 هي ملجأ للسواردين ومورد \* لابن السبيل وكل ركب سارى  
 آثار مولانا الخليفة فارس \* أكرم بها في المجد من آثار  
 لازال منصور اللواء مظفرا \* ماضى الغزائم ساهى المقدر  
 بنيت على يد عبدهم وخديمها \* بهم العلى محمد بن حيدر  
 في عام أربعة وخمسين انقضت \* من بعد سبعين في الاعصار

وقال صاحب الجذوة رحمه حدثني شيخنا أبو راشد البدرى أن السلطان أبا عنان هو الذى أحدث بفارس  
 العلم الأزرق في الصومعة يوم الجمعة **وقال في موضع آخر منها** حتى أن السلطان أبا عنان المريني صدق  
 الصومعة يعنى بالقرويين اعتبر المدينة وترتيبها ووقف على المنجانية وما اتصل بها فاستحسن ذلك وأنعم على  
 الناظر فيها بمرتب وسع عليه فيه ليستعين به على القيام بشعائر الاسلام وذلك في سنة تسع وأربعين  
 وسبعمائة قال وأمر بارتداد ذلك بل ينصب بأعلى الصومعة صارى من خشب وينشرفه علم في الاوقات  
 التى يصلى فيها وفتار فيه سراج مزهر في أوقات صلاة الليل ليستدل بذلك من بعد ومن لم يسمع النداء  
 وفي ذلك اعتناء بأمر الاوقات وما يتعلق بها من وجوب الصلوات وترتب عليها من وجوه الحقوق  
 في العادات والعبادات وما قيل في ذلك

نور به علم الايمان مرتفع \* للمهتدين به للحق ارشاد

يأتون من كل صوب نحوهم قلهم \* لديه الرشيد اصدار واپراد

وقد تلخص ابن الخطيب رحمه الله في رقم الحلل سيرة السلطان أبي عنان فقال

ونخاص الامر لكف فارس \* بانى الزوايا الكثر والمدارس

الاسد المقتر من المصنوع له \* من نال من كل المساعى أمه

واحد آحاد الملوك العظما \* ومطلع النصر اذا ما أقدم

ونحجل الغيث اذا الغيث هما \* وعالم الملك وملك العلماء

أوجب حق الشعر والكتابة \* فأقلت أعمالها جناه

واستجلب الامثال الكبارا \* والنهء العلية الاخيارا

يجبرهم على حضور الدولة \* فهم بدور وشموس حوله

وكان جبارا على خدامه \* ينالهم بالقصر فى أحكامه

مذهبه الأيقيل عثره \* حتى لارباب التقي والاثره

فطرة السيف تنافى الدرره \* اذ غلبت على المزاج المتره

ومات فيما قيل شرميته \* بغيلة لنفسه مفيته

لم يغن عنه الباس والبساله \* وأصبحت مهجته مساله

والقبت أزمنة التسدير \* من بعده فى راحة الوزير

ومن أعيان كتابه **أبو القاسم بن رضوان** وأبو القاسم البرجى **ومن أعيان قضائه** **أبو عبد الله محمد**  
**ابن محمد بن أحمد المقرئ** وهو جد أبي العباس المقرئ صاحب نفع الطيب وغيره من التاليف الحسنان  
**وأبو عبد الله محمد بن أحمد القشتالى** وغيرهما رحم الله الجميع

**الخبر عن دولة السلطان السعيد بالله أبي بكر بن أبي عنان بن أبي الحسن المرينى**

هذا السلطان أول من استبد عليه من ملوك بني مرين أمه أم ولد اسمها الياسمين كنيته أبو يحيى وهى  
 كنية كل من اسمه أبو بكر لقبه السعيد بالله صفته درى اللون مستدير الوجه حسن الانف العس

الشفقتين برأق الثنايا جعد الشعر بويح وأبوه مريض في التاريخ المتقدم وكان محجوباً بالوزيره حسن ابن عمر الفودودي لا يملك معه ضرا ولا نفعا ولما بويح لحق أخوه عبدالرحمن بن أبي عنان بجبل الكاكي وكان أسن منه وإنما آثره لمكان ابن عمه مسعود بن عبدالرحمن بن ماساي من وزارته فبعثوا اليه من لطفه واستزله على الامان وجاء به الى أخيه فاعتقله الحسن بن عمر بقصبة من فاس وبعث على أبناء السلطان الا صغر الامراء بالثغور فجاء المعتصم من سجلماسة وامتنع المعتد بركش وكان بها في كفاة عامر بن محمد الهنتاني وكان عامر هذا من بيوتات هنتانة وأهل الرياسة والشرف فيهم وكان السلطان أبو عنان قد أوصى اليه بولده المذكور وجعله هنالك لنظره فلما بعثوا عليه منعه من الوصول اليهم وخرج به من مراكش الى حصنه من جبل هنتانة فجهز اليه الوزير حسن بن عمر الجيوش لنظر الوزير سليمان بن داود مشاركة في الاستبداد وسرحه في المحرم سنة ستين وسبعمائة فسار الى مراكش فاستولى عليها ثم تخطى الى الجبل فأحاط به وضيق على عامر حتى أشرف على اقتحام الحصن الى ان بلغه خبر افتراق بني مري بن بغاس وظهور منصور بن سليمان به على ما ذكره فانقض العسكر من حوله وتسايقوا الى منصور فلقوا به ولحق به سليمان بن داود أيضا وتنفس الحصار عن عامر ومكفوله والله غالب على أمره

﴿ يظهر رابي جو موسى بن يوسف الزياتي واستيلاؤه على تلمسان ونهوض مسعود ﴾  
 ﴿ ابن عبدالرحمن اليه وطرده عنها ﴾

كان بنو عامر بن زغبة من عرب هلال خارجين على السلطان أبي عنان منذ استيلائه على تلمسان وكانت رياستهم الى صغير بن عامر بن ابراهيم ولما رجع أبو عنان الى فاس اعترم صغير على الرحلة بقومه الى وطنهم من صحراء المغرب لانهم كانوا منتبذين عنها باطراف افريقية فدعوا بأبا جو موسى بن يوسف بن عبد الرحمن بن يحيى بن يغمراسن بن زيان الى الرحلة معهم لينصبوه للامر ويحببوا به على تلمسان فأجابهم الى ذلك وأغذوا السير الى المغرب للعبث في نواحيه فجمع لهم أعداؤهم من سويد وكانوا خالصه لبني مري بن فالتقوا قبيلة تلمسان فانهمزمت سويد وهلك كبيرهم عثمان بن وزمار واتصل بهم في أثناء ذلك خبر وفاة السلطان أبي عنان بغاس فأغذوا السير الى تلمسان وقاتلوا عليها حامية بني مري ثم اقتحموها عليهم ليلال خلون من ربيع الاول سنة ستين وسبعمائة واستباحوا من كان بها منهم وامتلات أيديهم من أسلابهم واستولى أبو جو على ملك تلمسان واستأثر بما ألفاه بها من متاع بني مري ومن جلته هدية كان السلطان أبو عنان أعدها هنالك ليبعث بها الى طانجة برشاونة وفيها فرس أدهم من مقرباته بركب ولجام مذهبين ثقلين فاتخذ أبو جو ذلك الفرس لركوبه وصرف باقي الهدية في وجوه مقاصده ولما انتهى الى الوزير حسن بن عمر خبر تلمسان واستيلاء أبي جو عليها جمع شيوخ بني مري وأخبرهم بالنهوض اليها فأبوا عليه من النهوض بنفسه وأشاروا بتجهيز العساكر ووعده من أنفسهم المسير كافة ففتح ديوان العطاء وقرق الاموال وأسنى المصلات وأزاح العلل وعسكر بساحة البلد الجديد ثم عقد عليهم مسعود بن عبدالرحمن بن ماساي وجل معه المال وأعطاه الآلة وسار في العساكر والالوية ولما اتصل خبر مسيره بابي جو أفرج له عن تلمسان ودخلها مسعود في ربيع الثاني من السنة المذكورة فاستولى عليها وخرج أبو جو الى الصحراء الى ان كان ما ذكره

﴿ يظهر منصور بن سليمان وبيعة مسعود بن عبدالرحمن له وما نشأ عن ذلك ﴾

منصور هذا هو منصور بن سليمان بن منصور بن عبد الواحد بن يعقوب بن عبد الحق وكان الناس يرجفون بان ملك المغرب سائر اليه بعد وفاة أبي عنان وشاع ذلك على السنة الناس حتى تحققت به السمير



والندمان وخشي منصور على نفسه من ذلك فجاء الى الوزير حسن بن عمرو وشكا اليه ذلك فنهاه أن يختلج  
بفكره هذا الوسواس وانتهره انتهار اخلاصا عن وجه السياسة فارتجز واستكان **وقال ابن خلدون** وقد  
شهدت هذا الموطن فرجت ذلة انكساره وخضوعه في موقفه ثم لما مضى مسعود بن عبد الرحمن الى  
تلمسان واستولى عليها كان منصور هذا في جلته ولما قرأ بوجوه الصغراء اجتمعت عليه جموع العرب  
من بني زغبة وبني معقل ثم خالفوا بني مرين الى المغرب واحتلوا بازنكاد بجلاهم وظواهرهم فجهز اليهم  
مسعود بن عبد الرحمن عسكريا من جنوده انتقى فيه مشيخة بني مرين وأمراءهم وعقد عليهم لابن عمه  
عامر بن عبد الله بن ماساي وسرّحه فزحف الى العرب بساحة وجدة فصدقه العرب القتال فاذكشفت  
بنو مرين واستبجح معسكرهم واستلبت مشيختهم وأرجلوا عن خيولهم ودخلوا الى وجدة عراة وبلغ الخبر  
الى بني مرين الذين بتلمسان وكان في قلوبهم هم مرض من استبداد حسن بن عمرو عليهم وجره لسلطانهم  
فكانوا يتربصون بالدولة الدوائر فلما بلغهم هذا الخبر حاصوا حيضة جمر الوحش وخلصوا انجيا بساحة  
البلد فاتفقوا على البيعة ليعيش بن علي بن أبي زيان بن يوسف بن يعقوب فبايعوه وانتهى الخبر الى مسعود  
ابن عبد الرحمن وكان في جلته منصور بن سليمان كما قلنا فاكراهه على البيعة وبايعه معه الرئيس الا بكم من  
بني الاحمر وقائد النصارى القهر دور وتسابل اليه الناس من كل جانب وتسامع الملا من بني مرين بالخبر  
فتأروا اليه وذهب يعيش بن علي لوجهه فركب البحر الى الاندلس واستتب أمر منصور بن سليمان  
واجتمع بنو مرين على كلمته فارتحل بهم من تلمسان يريد المغرب واعترضتهم جموع العرب في طريقهم  
فاوقعت بهم بنو مرين وامتلات أيديهم من أسلحتهم وطعنهم ثم أغذوا السير الى المغرب فاحتلوا بوادي  
سبوا في منتصف جادى الآخرة من سنة ستين وسبع مائة وبلغ الخبر الى الحسن بن عمر فيروز واضطرب  
معسكره بساحة البلد وأخرج السلطان السعيد في الآلة والتعبية الى أنزله بفسطاطه ولما غشيه  
الليل انفض عنه الملا الى منصور فاوقد الوزير الشموع وأذكى النيران وجع الموالى والجنود حول  
الفسطاط حتى أركب السلطان وعاد به الى قصره وتحصن بالبلد الجديد وأصبح منصور بن سليمان  
فارتحل في التعبئة حتى نزل بكديه العرائس في الثاني والعشرين من جادى الآخرة من السنة المذكورة  
وغدا على فاس الجديد بالقتال وجمع الايدي على اتخاذ الآلات للمحار وانثالت عليه وفود الامصار  
بالمغرب البيعة ولحقته به كتاب بنى مرين التي كانت بحجرة على حصن عامر بن محمد الهنتاني ولحق به أيضا  
قائدها سليمان بن داود وكاد أمره يتم وأقام على فاس الجديد بغاديم القتال ويراوحها ثم بدأ الخلل في عسكره  
وتزع عنه الى الوزير حسن بن عمر طائفة من بني مرين ولحق آخرون ببلادهم ووقفوا ينتظرون ما آل  
أمره واستمر هذا الحال الى غرة شعبان فينما الناس في ذلك اذ ظهر السلطان أبو سالم بجبال غمارة  
فانصرفت اليه وجوه أهل المغرب وبطل أمر السلطانين أبي بكر السعيد ومنصور بن سليمان معا  
وذابا كما يذوب الملح فأما منصور بن سليمان فانه قرأ الى بادس فقبض عليه ووجىء به الى السلطان أبي سالم  
فقتله وأما السعيد فان وزيره الحسن بن عمر لما سمع بظهور السلطان أبي سالم واستفحال أمره نبذ دعوة  
سلطانه المذكور وبعث بطاعته الى أبي سالم ووعده بالتمكين من دار الملك ان قدم عليه فكان الامر كذلك  
ونخل السعيد يوم الثلاثاء الثاني عشر من شعبان سنة ستين وسبع مائة ثم قتل بعد ذلك غرقا في البحر فان  
السلطان أبو سالم بعثه في جملة الابطال المرشحين من بني أبي الحسن الى الاندلس ووكل بهم من يحرسهم ثم  
بعد ذلك بعث الى الموكل بهم فحملهم في سفينة كأنه يريد بهم المشرق ثم غرقهم في البحر والامر لله وحده

**الخبر عن دولة السلطان المستعين بالله أبي سالم ابراهيم بن أبي الحسن المريني**

كان هذا السلطان جوادا جتم العطاء معروفا بالوفاء كثيرا الحياء كنيته أبو سالم لقبه المستعين بالله  
أمه أم ولد رومية اسمها قرصمته آدم اللون معتدل القامة رحب الوجه واسع الجبين بادن

الجسم أعين أدعج معتدل اللحية أنودها وكان بعد مهلك والده السلطان أبي الحسن رحمه الله قد استقر بالاندلس بعثه إليها أخوه أبو عنان كافر ولمامات أبو عنان المذكور وولي ابنه الصبي طمع أبو سالم هذا في الملك فاستأذن الحاجب رضوان مدبر دولة ابن الأجر بالاندلس في السماح بسلامة فأي عليه فغاطه ذلك وترجع عنه إلى طاغية قشتالة وتطارح عليه في أن يجعله إلى بالعدوة يطلب ملك أييه فأسغفه وأمر به فحمل في مركب وألقى به ملاحه في ساحل بلاد غمارة بعد أن تردد في أي السواحل يليقه ووافق ذلك اختلاف الحكامة بغاس ومحاصرة منصور بن سليمان للدينة البيضاء فتسامع الناس بخروجه ببلاد غمارة أخرج ما كانوا إليه قسايوا إليه من كل وجه وانقض الناس من حول منصور ومشي أهل معسكره بأجمعهم على التعبئة فليقوا بالسلطان أبي سالم واستعدوه على دار ملكه فأغذ السير إليها وخلق الحسن بن عمر سلطانه السعيد من الأمر لتسعة أشهر من خلافته وأسلمه إلى عمه فخرج إليه وبأيدعه ودخل السلطان أبو سالم البلاد الجديد يوم الجمعة منتصف شعبان من سنة ستين وسبع مائة واستولى على ملك المغرب وتوافقت وفود النواحي بالبيعات وعقد الحسن بن عمر على مراكش وجهزه إليها بالعساكر تخفقا منه ورغبة بكانه من الدولة واستوزر مسعود بن عبد الرحمن بن ماساي والحسن بن يوسف الورتاجني واصطفي من خواصه خطيب أبيه الفقيه أبو عبد الله محمد بن أحمد بن مرزوق وجعل إلى أبي زيد عبد الرحمن بن خادون صاحب التاريخ توقيعه وكتابة سره قال وكنت تزعت إليه من معسكر منصور بن سليمان بكدية العرائس لما رأيت من اختلال أحواله ومصير الأمر إلى السلطان أبي سالم فأقبل على وأتراني بحمل التنويه واستخلصني لكتابته اهـ

بوجود الغني بالله ابن الأجر ووزيره ابن الخطيب مخلوعين على السلطان أبي سالم والسبب في ذلك

قد قدمنا أن السلطان أبا الحجاج قتل يوم عيد الفطر بالمصلى سنة خمس وخمسين وسبع مائة وولي الأمر من بعده ابنه الغني بالله محمد بن يوسف وكان له أخ اسمه اسمعيل فجعله الغني بالله في بعض القصور من حراء غرناطة احتفاظا به إلى أن كان رمضان من سنة ستين وسبع مائة فخرج الغني بالله إلى بعض منزهاته خارج القصبية ولما كانت ليلة سبع وعشرين من رمضان المذكور وأثمان وعشرين منه تسور جماعة من شيعة اسمعيل المحبوس عليه القصبية أملا وأخرجوه من محبسه وأعلنوا بدعوتهم ثم اتفقوا على حاجبه رضوان داره فقتلوه على فراشه وبين نساءه وضبطوا القصبية وأعلنوا بالدعوة ولم يرع الغني بالله الأقرع الطبول بالقصبية في جوف الليل فاستكشف الخبر وتسمع فعلم بما تم عليه من خلعه وتولية أخيه فركب فرسه وخاض الليل إلى وادي آش فاستولى عليها وضبطها وبأيدعه أهلها على الموت ثم عمد شيعة اسمعيل الثائر إلى الوزير ابن الخطيب فأودعوه السجن بعد أن أغروا به تأثرهم واكتسحوا داره واصطلموا نعمته وأتلفوا موجوده وكان شيا يبجل عن الحصر واتصل ذلك كله بالسلطان أبي سالم وكانت له مصافاة مع ابن الأجر من لدن كان عنده بالاندلس فكتب إلى اسمعيل الثائر وشيعته بأمرهم بتخليه طريق الغني بالله للقدوم عليه ويشفع في تسريح ابن الخطيب وتخليته سبيله فاجابوا إلى ذلك وقدم الغني بالله ابن الأجر ووزيره ابن الخطيب على السلطان أبي سالم في السادس من محرم فاتح سنة إحدى وستين وسبع مائة فأجل السلطان أبو سالم قدومه وركب للقائه ودخل به إلى مجلس ملكه وقد احتفل في ترتيبه وقد غص بالمشيخة والعلية ووقف وزيره ابن الخطيب على قدميه فأنشد السلطان أبا سالم قصيدته الرائعة التي استصرخه لسلطانه ويستحثه لظاهرته على أمره واستعطفوا بكمي الناس شفقة له ورجحة ونص القصبية

سلاهل لديهما من مخبرة ذكرك \* وهل أعشب الوادي ونم به الزهر  
وهل باكر الواسمي دارا على اللوا \* عفت آيها الا التوهم والذكرك

بلادى التى عاطيت مشموله الهوى \* باكتافها والعيش فيمنان مخضر  
 وجوى الذى ربي جناحي وكره \* فيها أنا ذامالى جناح ولا وكر  
 نبت بي لاعن جفوة ومسالمة \* ولا نسخ الوصل الهني بها هجر  
 واجكها الدنيا قايل متاعها \* ولذاتها دأبا تزور وتزور  
 فن لي بقرب العهد منها ودوننا \* مدى طال حتى يومه عندنا شهر  
 ولله عيننا من وأنا وللأسى \* ضرام له في كل جانحة جسر  
 وقد بددت در الدموع يد النوى \* وللشوق أثنجان يضيق لها الصدر  
 بكيناعلى النهر الشروب عشية \* فعاد أجاجا بعدنا ذلك النهر  
 أقول لا طعاني وقد غالها السرى \* وأنسها الحادى وأوحشها الزجر  
 رويدك بعد العسر يسران اشرى \* بانجاز وعد الله قد ذهب العسر  
 ولله فينا علم غيب وربما \* أتى النفع من حال أريد بها الضر  
 وان تحن الايام لم تحن النهى \* وان يخذل الاقوام لم يخذل الصبر  
 وان عركت منى الخطوب مجربا \* نقابا تساوى عنده الحلو والمر  
 فقد عجمت عودا صليبا على الردا \* وعزما كما تمضى المهندة البتر  
 اذا أنت بالبيضاء قررت منزلى \* فلا اللحم حل ما حيت ولا الظهر  
 زجرنا يا ابراهيم برء هومنا \* فلما رأينا وجهه صدق الزجر  
 بمنخب من آل يعقوب كلما \* دجا الخطب لم يكذب لعزمته فجر  
 تناقلت الركب ان طيب حديثه \* فلما رأته صدق الخبر الخبير  
 ندى لوجواه البصر لذم مذاقه \* ولم يتعقب مـدته أبدأ جزر  
 وبأس غدا يرتاع من خوفه الردى \* وترفل في أذباله الفتكة البكر  
 أطاعته حتى العصم في قن الربا \* وهشت الى تأميله الانجم الزهر  
 قصدناك يا خير الملوك على النوى \* لتنصفنا مما جنى عبدك الدهر  
 كففتنا بك الايام عن غلوائها \* وقدر اينا منها التعسف والمكبر  
 وعدنا بذلك المجد فانصرم الردا \* ولذنا بذلك العزم فانهمزم الذعر  
 ولما آتينا البحر يربح موجه \* ذكرنا نذاك العمر فاحترق البحر  
 خلاقك العظمى ومن لم يدين بها \* قائماته لغو وعرقانه زجبر  
 ووصفك يهدى المدح قصد صوابه \* اذا ضل في أوصاف من دونك الشعر  
 دعناك قلوب المؤمنين وأخلصت \* وقد طاب منها السر لله والجهر  
 وسدت الى الله الألف ضراعة \* فقال لمن الله قد قضى الامر  
 وألبسها النعمى ببيعتك التى \* لها الطائر الميمون والمحمد الختر  
 فأصبح نغر الثغر يسم ضاحكا \* وقد كان مما نابه ليس يقتر  
 وأمنت بالسلم البيلاد وأهلها \* فلا طيبة تعرى ولا روعه تعروا  
 وقد كان مولانا أبوك مصرحا \* بأنك في أولاده الولد البر  
 وكنت حقيقا بالخل لافقه بعده \* على الفور لـكن كل شئ له قدر  
 فأوحشت من دار الخلافه هالة \* أقامت زمانا لا يلوح بها البدر  
 فرد عليك الله حقك اذ قضى \* بأن تشمل النعمى وينسدل الستر

وقاد اليك الملك رفقا بخلقه \* وقد عدمواركن الامامة واضطروا  
وزادك بالتمحيص عز اورفة \* وأجرا ولولا السبك ما عرف التبر  
وأنت الذي يدعى اذا هم الردا \* وأنت الذي يرجى اذا أخلف القطر  
وأنت اذا جاز الزمان محكم \* لك النقض والابرام والنهي والامر  
وهذا ابن نصر قد أتى وجناحه \* مهيض ومن عليك يلمس الجبر  
غريب يرجى منك ما أنت أهله \* فان كنت تبغى الفخر قد جاءك الفخر  
فقر يا أمير المؤمنين بيعة \* موثقة قد حمل عروتها العسر  
ومثلك من يرعى الدخيل ومن دعا \* يالمسرين جاءه العز والنصر  
ونخذ يا امام الحق بالحق ثاره \* ففي ضمن ما أتى به العز والاجر  
وأنت لها يا ناصر الحق فلتقم \* بحق فزايد يرجى ولا عمرو  
فان قيل مال مالك الدثر وافر \* وان قيل جيش عندك العسكر المجر  
كف بك العادي ويحيبك الهدى \* ويبنى بك الاسلام ما هدم الكفر  
أعدده الى أوطانه عنك راضيا \* وطوقه نعماله التي لها حصر  
وعاجل قلوب الناس فيه بجبرها \* فقد صدتهم عنه التغلب والقهر  
وهم يرقبون الفعل منك وصفقة \* تحاولها بمنك ما بعد ما حصر  
مرامك سهل لا يودك كلفة \* سوى عرض ما ان له في العلى خطر  
وما العسر الا زينة مستعارة \* ترد ولكن الثناء هو العمر  
ومن باع ما يفنى بياق مخلد \* فقد أنجح المسعى وقدر مع التجبر  
ومن دون ما تبغيه يا ملك الهدى \* جياذ المذاكي والمجسلة الفتر  
ورادوشقروا ضحكات شياتها \* فأجسامها تبر وأرجلها در  
وشهب اذا ما ضمرت يوم غارة \* مصممة غارت بها الانجم الزهر  
وأسد رجال من مرين أعزة \* مماعها ييض وأسألها سمر  
عليها من المأذى كل مفاضة \* تدافع في أعطافها اللبج الخضر  
هم القوم ان هبوا الكشف ملة \* فلا الملتقى صعب ولا المرتقى وعمر  
اذا سألوا أعطوا وان نوزعوا سطوا \* وان واعدوا وفوا وان عاهدوا برّوا  
وان مدحوا اهتروا ارتياحا كأنهم \* نشاوى تمشت في معاطفهم خمر  
وان سمعوا العوراء قرّوا بأنفس \* حرام على هاماتها في الوغى الفسر  
وتبسم ما بين الوشج تغور هم \* وما بين قضب الدوح يتسم الزهر  
أمولاي غاضت فكري وتبلدت \* طباعي فلا طبع يعين ولا فكر  
ولولا حنان منك دار كنتى به \* وأحيتنى لم يبق عين ولا أثر  
فأوجدت منى فائتساى فائت \* وأنشرت مبيتا ضم أشلاء قبر  
بدأت بفضل لم أكن لعظيمه \* بأهل فجّل اللطف وانشرح الصدر  
وطوقتنى النعمى المضاعمة التي \* يقبل عليها منى الحمد والشكر  
وأنت بنتميم الصنائع كافل \* الى أن يعود الجاه والعز والوفر  
جزاك الذى أسنى مقامك رجة \* يفك بها عان وينعش مضطر  
اذا نحن أثينا عليك بحدحة \* فهيات يحصى الرمل أو يحصر القطر



ولكننا أتى بما نستطيعه \* ومن بذل الجهد حق له العذر

ثم انقض المجلس وانصرف ابن الاحرار الى منزله المعتدله وقد فرشت له القصور وقربت له الجياد بالمر اكب المذهبة وبعث اليه بالكسا الفاخرة ورتبت الجرايات له ولوالديه من المعالوجي وبطاتيه من الصنائع وانحفظ عليه رسم سلطانه في الراكب والراجل ولم يفقد من القاب ملكه الا الاداة اذ باع السلطان واستقر في جلته الى ان لحق بعد بالاندلس وعاد له ملكه سنة ثلاث وستين وسبع مائة وأرغد السلطان أبو سالم عيسى ابن الخطيب وأفاض عليه الجرايات ورتب له الاقطاعات غير أنه كان مضمرا لفارقة السلطان والتخلي عن خدمته والاقرار بنفسه لاغتنام ما بقي من عمره في طاعة الله تعالى فكان من أمره في ذلك ما ذكره

يوسف ابن الخطيب الى مراکش وأعمالها وزيارته لاوليائها ورجالها والسبب في ذلك

كان ابن الخطيب رحمه الله عندما حصلت له هذه النكبة وخلصه الله منها بانتقاله الى بلاد العدو قد عثر له رأى في التردد والانقطاع الى الله تعالى واغتنام بقية العمر فيما يعود عليه نفعه في العاجل والآجل ورفض السلطان وأسبابه وترك ما يلجئه للوقوف ببابه فتلطف في استئذان السلطان أبي سالم رحمه الله وطلب منه الاذن في الذهاب الى جهات مراکش والوقوف على آثار الاقدمين بها والتطرح على اوليائها والمثول بأعتابها والتعلق بأذيالها والتمسك بأسبابها جاعلا ذلك مفتاح العزلة والتخلي عن الدولة فأذن له وكتب الى العمال بالتحاقه والاعتناء به فصار وفي ذلك كما يفصح عنه بعض شعره الاتي وجعل طريقه على مدينة سلا فتأمل أحوالها وآفاقها فوق لم يراه في العزلة فأضمر الاستيطان بها عند عودته من وجهته ولما دخل مدينة آنتي وهي الدار البيضاء مر بها على دار عظيمة تنسب الى والي جيبايتها عبو من بني التريجان قارون قومه وغنى صنعه وكان قد هلك قبل ذلك فقال ابن الخطيب

قدمرنا بدار عبو الوالي \* وهي نكلى تشكو صروف الليالي

أقصدت ربه بالحوادث لما \* وشقته بصائبان النبال

كان بالامس واليامس تطيلا \* وهو اليسوم ماله من والي

وأظنه في هذه الوجهة خاطب شيخ العرب مبارك بن ابراهيم بن عطية بن مهلهل الخطي ونص ما خاطبه به

ساحات دارك للضياف مبارك \* وبضوء نار قرالك يهدي السالك

ونوالك المبذول قد شمل الوري \* طرا وفضلك ليس فيه مشارك

قل للذي قال الوجود قد انطوى \* والباس ليس له حسام فانتك

والجود ليس له غمام هاطل \* والمجد ليس له هام باتك

جمع الشجاعة والرجاحة والندى \* والباس والرأي الاصيل مبارك

للدين والدينا والشيم العلي \* والجود ان شح الغمام السافك

عند الهياج ربيعة بن مكرم \* والفضل والتقوى الفضيل ومالك

ورث الجلالة عن آبيه وجده \* فكأنهم ما غاب منهم هالك

بغياده للآملين مراكب \* وخيامه للقاصدين أرائك

فذا المعالي أصحبت مملوكة \* أعناقها بالحق فهو المالك

يا فارس العرب الذي من بيته \* حرم لها حج به ومناسك

يا من يشتر باسمه قصاده \* فلهم اليه مسارب ومسالك

أنت الذي استأثرت فيك بعبطتي \* وسوالك فيه ما آخذ ومتارك

لازلت نور ايمتي بضيائه \* من جنة للروع ليس حالك

ويخص مجدك من سلامي عاطر \* كالمسك صالك به الغوالي صائك

الحمد لله تعالى الذي جعل بينك شهيرا وجعلك للعرب أميرا وجعل اسمك فالأ ووجهك جالا وقربك  
جاءا ومالا وآل رسول الله صلى الله عليه وسلم لك ألا أسلم عليك يا أمير العرب وابن أمراءها وقطب  
ساداتها وكبرائها وأهنيك بما منحك الله تعالى من شهرة تبقى ومكرمة لا يضل المتصفيها ولا يشقى  
اذ جعل خيمتك في هذا المغرب على اتساعه واختلاف أشياعه مأمنا للخائف على كثرة المذاهب  
والطوائف وصرف الالسننة إلى مدحك والخلود إلى حبك وما ذلك إلا لسريرة لك عند ربك  
ولقد كنت أيام تجعني وإياك المجالس السلطانية على معرفتك متهاككا وطوع الأمل سالكا لما يلوح  
لي على وجهك من سيماء المجد والحياء والشيم الدالة على العلية وزكاء الأصول وكرم الآباء وكان  
والذي رحمه الله قد عين للقاء خال السلطان قرييكم لما توجه في الرسالة إلى الأندلس نائباً في تانيسه  
عن مخدومه ومنوها حيث حل بقدمه واتصلت بعد ذلك بينه ما للمهاداة والمعروفه والوسائل  
المختلفة فعظم لاجل هذه الوسائل شوقى إلى التشرف بزيارة ذلك الجنب الذي حاوله شرف وخر  
ومعرفته كثر وذخر فلما ظهر الآن لمحل الأخ القائد فلان المحاق بك والتعلق بسبيك رأيت أنه  
قد اتصل بهذا الغرض المؤمل بعضى والله تعالى يسر في البعض عند تقرير الأمر وهدنة الأرض وهذا  
الفاضل بركة حيث حل لكونه من بيت أصالة وجهاد وماجد وابن أمجاد ومثلك لا يوصى بحسن  
جواره ولا ينسبه على إيتاره وقبيلك من العرب في الحديث والقديم وهو الذي أوجب لها منية  
التقديم لم تفتخر قط بذهب يجمع ولا دخر يرفع ولا نصري يبنى ولا غرس يبنى إنما خرها عدو يغلب  
وثناء يجلب وجزر تنخر وحديث يذكر وجود على الفاقه وسماحة بحسب الطاقه فلقد ذهب  
الذهب وقى النسب وتمزقت الأثواب وهلكت الخيل العرب وكل الذي فوق التراب تراب  
وبقيت المحاسن تروى وتنقل والاعراض تجلى وتصلق والله در الشاعر اذ يقول  
وانما المرء حديث بعده \* فكن حديثنا حسنا لمن وعى

هذه مقدمة ان يسر الله بعدها لقاء الامير فيجلى اللسان عما في الضمير

ومدحى على الاملاك وقف وانما \* رأيتك منها فامتدحت على وسعى

وما كنت بالمهدى لغيرك مدحتى \* ولو ان قد حصل في مفرق النجم

وقال في الشيخ ابن بطان الصنهاجى صنهاجة آرمور

لله درك يا ابن بطان فما \* لتبهير جودك في البسيطة جاحد

ان كان في الدنيا كريم واحد \* يزن الجميع فانت ذاك الواحد

أجريت فضلك جمع فرا يحيى به \* ما كان من مجد فد كرك خالد

فالقوم منك تجتمعوا في مفرد \* ولداك كما شاء العلاء ووالد

وهى الليالى لا تزال صروفها \* يشقى بموقعها الكريم الماجد

وعسى حين الله يصلح منك ما \* قد كان أفسده الزمان الفاسد

وقال رحمه الله عندما توسط بسيط تامسنا

كانا تامسنا نجومس خلاها \* ومدودها في سيرنا ليس يقصر

مراكب في البحر المحيط تخبطت \* ولا جهة تدرى ولا البر تبصر

وقال رحمه الله يخاطب أبا العباس أحمد بن يوسف حفيد المولى الصالح سيدي أبي محمد صالح النائم في ظل

صيته رضى الله عنه يا حفيد المولى يا وارث الفخشر الذى نال في مقام وصال

لك يا أحمد بن يوسف جينا \* كل فطريعي أكف الرحال

وقال في نفاضة الجراب لما خرجت من آسفي سرت الى منزل ينسب الى أبي حداد ووفيه رجل من بني  
 المنسوب اليه اسمه يعقوب فالطف وأجل وأنس في الليل وطلبتني بتذكرة تثبت عندي معرقته  
 فكتبت له \* زمانا على يعقوب نجل أبي حداد \* فعرقنا الفضل الذي ماله حد  
 وقابلنا بالبشر واحتفل القرا \* فلم يبق لحم لم تناله ولا زيد  
 يحق علينا أن نقوم بحرقه \* ويلقاء منا البر والشكر والحمد  
 وقال رحمه الله وقد اتناه البرغوث

زحفت الى ركائب البرغوث \* ثم الظلام برصكها المخبوث  
 بالحلبة السوداء قابل مقدي \* لله أي قري أعديت حيث  
 كسحت بين ذباب سرح تجادي \* ليل فليل الصبر جديت  
 ان صارت نفسي أذاه تعبدت \* أوصحت منه أنفت من تخنيثي  
 جيشان من ليل وبرغوث فهل \* جيش الصباح اصرتي بجنيث

وقال رحمه الله وقد أشرف على الحضرة المرآة كشيبة طاهها الله تعالى

ماذا أحدثت عن بحر سميت به \* من البحار فـالـام ولا حرج  
 دعاه مبتدع الاشياء مستويا \* مان به درك ككلا ولا دوج  
 حتى اذا ما المنار الفرد للاح لنا \* صحت ابشري يا مطايا جاءك الفرج  
 قريب من عامردارا ومنزلة \* والشاهد العدل هذا الطيب والارج  
 ولما وقف على مصانع مرا كس وقصورها وقصبتها واعتبر ما صار اليه حالها بعد الموحدين قال

بلد قد غزاه صرف الليالي \* وأباح المصون منه مبيع  
 فأنذى خرم من بناء قبيل \* والذي خرم منه بعض جريح  
 وكان الذي يزور طيب \* قد أتى له بها التشریح  
 أعجمت منه أربع ورسوم \* كان قدما بها اللسان الفصيح  
 كم معان غابت بتلك المعاني \* وجمال أخفاه ذلك الضريح  
 وملوك تعبدوا الدهر لما \* أصبح الدهر وهو عبد صريح  
 دوخوا نازح البسيطة حتى \* نال ماشاء ذابل وصفيح  
 حين شبت لهم من الباس نار \* ثم هبت لهم من النصر ريح  
 أثر يندب المؤثر لما \* طال بعد الدتومنه التزوج  
 ساكن الدار روحها كيف يبقى \* جسد بعد ما تولى الروح

ومما قاله في الشيخ أبي العباس السبتي رضي الله عنه على لسان سلطانه الغني بالله وهو يومئذ بفاس

يا بولي الآله أنت جواد \* وقصدنا الى جمالك المنيع  
 راعنا الدهر بالخطوب فجتنا \* نرتجي من علاك حسن الصنيع  
 قد دنا لك الاكف نرجي \* عودة العز تحت شمل جميع  
 فوجعنا وسيلة تريك الزا \* كي وزلني الى العليم السميع  
 كم غريب أسرى اليك فواني \* برضى عاجل وخير سريع  
 وقال يخاطب عميد البلاد المرآة كشيبة المتميز بالرأي والسياسة والهمة واقاضة العدل وكف اليد والتجاني  
 عن مال الجباية عامر بن محمد بن علي الهنتاني

تقول لي الاطعان والشوق في الحشا \* له الحكم يعضي بين ناه وأمر

اذا جبل التوحيد أصبحت فارعا \* نخيم قري العيين في دار عامر  
وزرت به المعالوم ان مزارها \* هو الحج يسعي نحو كل ضامر  
سماقي بمثوى عامر بن محمد \* تغور الاماني من ثنايا البشائر  
ولله ما تباه من سعد وجهه \* ولله ما تلقاه من يمن طائر  
وتستعمل الامثال في الدهر منكم \* بخير من رور او باغبط زائر

لم يكن هي ابقاك الله تعالى مع فراغ البال واسعاق الآمال ومساعدة الايام والليال اذا شمل جميع  
والزمان كله ربيع والدهر سميع مطيع الا زيارتك في جبلك الذي يعصم من الطوفان ويوصل  
أمنه بين النوم والاجفان وان أرى الافق الذي طلعت منه الهداية وكانت اليه العودة ومنه البداية  
فلما حتم الواقع وعجز عن خرق الدولة الاندلسية الراقع وأصبحت ديار الاندلس وهي البلاقع وحسنت  
من استدعائك اباي المواقع وقوى العزم وان لم يكن ضعيفا وعرضت على نفسي السفر بسيدك فالقيته  
خفيفا والتست الاذن حتى لا نرى في قبلة السداد تحريفا واستقبلتك بصدر مشروح وزند العزم  
مقدوح والله سبحانه يحقق السؤل ويسهل بمثوى الامثال المتول ويهي من قبيل هنتانة القبول  
بفضله انتهى ولما ذهب الى عامر بن محمد المذكور ورقى الجبل زار الموضع الذي توفي به السلطان  
أبو الحسن رحمه الله وقد ألم بذكر ذلك في نقاضة الجراب اذ قال وشاهدت بجبل هنتانة محل وفاة السلطان  
المقدس أمير المسلمين أبي الحسن رحمه الله حيث أصابه طارق الاجل الذي فصل الخطة وأصميت الدعوة  
ورفع المنازعة وعابنته مرفعا عن الابتذال بالسكنى مفروشا بالحصباء مقصودا بالابتهاج والدعاء  
فلم أبرح يوم زيارته ان قلت

يا حسنها من أربع وديار \* أخحت لباغى الامن دار قرار  
وجبال عز لا تنل أنوفها \* الالعز الواحد القهار  
ومقر توحيد وأس خلافة \* آتارها تنبي عن الاخبار  
ما كنت أحسب أن أنهار الندى \* تجري بها في جملة الانهار  
ما كنت أحسب أن أنوار الحجا \* تلتاح في قسن وفي اجمار  
بجت جوانبها البرود وان تكن \* شبت بها الاعداء جذوة نار  
هدت بناها في سبيل وفائها \* فكأنها صرعى بغير عقار  
لما توعد لها على المجد العدا \* وضيت بعيت النار لا بالعار  
عمرت بجملة عامر وأعزها \* عميد العزيز بمرهف بتار  
فرسارهان أحرز اقصب الندى \* والباس في طلق وفي مضمار  
ورثاعن الندب الكبير أيهما \* محض الوفاء ورفعة المقدار  
وكذا الفروع تطول وهي شبيهة \* بالاصل في ورق وفي أثمار  
أزرت وجوه الصيد من هنتانة \* في جثوها يطالع الاقار  
لله أي قبيلة تركت لها الـ \* تنظراء دعوى الفخر يوم فخار  
نصرت أمير المسلمين ومملكه \* قد أسلمت به عزائم الانصار  
وارت عليا عند ما عظم الردا \* والروع بالاسماع والابصار  
وتخاذل الجيش اللهام وأصبح الا \* بطال بين تقاعد وفسرار  
كفرت صفائعه فيم دارها \* مستظهر امنها بعز جوار  
وأقام بين ظهورها لا يتقى \* وقع الردى وقد ارتقى بشرار



فكانها الانصار لما ان سميت \* فيما تقدم غربة المختار  
لما غدا لخطا وهم أجفانه \* نابت سفارهم عن الاشفار  
حتى دعاه الله بين ييوتهم \* فاجاب ممتثلا لامر الباري  
لو كان يمنع من قضاء الله ما \* خلصت اليه نوافد الاقدار  
قد كان يأمل ان يكافئ بعض ما \* اولوه لولا قاطع الاعمار  
ما كان يقنع به لو امتد المدى \* الا القيام بحقها من دار  
فيعيد ذلك الماء ذائب فضة \* ويعيد ذلك التراب ذوب نضار  
حتى تفوز على النوى اوطانها \* من ملكه بجلائل الاوطار  
حتى يلوح على وجوه وجوههم \* اثر العناية ساطع الانوار  
ويستوعق الامل القصي كرامها \* من غير ما تنبأ ولا استعمار  
ما كان يرضى الشمس أو بدر الدجا \* عن درهم فيهم ولا دينار  
أو ان يتوج أو يقلد هامها \* ونحورها بأهله ودراري  
حق على المولى ابنه ايشارما \* بذلوه من نصر ومن ايشار  
فلئلا ذخر الجزاء ومثله \* من لا يضيع صنائع الاحرار  
وهو الذي يقضى الديون وبره \* يرضيه في علن وفي اسرار  
حتى نتج محبته رفعا بها \* علم الوفاء لآعين النظار  
فيصير منها البيت بيتا ثانيا \* للطائفين اليه أي بدار  
تغني قلوب القوم عن هدي به \* ودموعهم تم تكفي لري جبار  
حيث من دار تكفل سعيها \* محمود بالزلفي وعقبي الدار  
وضفت عليك من الاله عناية \* ما كتر ليل فيك اثر نهار

ويعني بالمولى ابنه السلطان أبي سالم بن أبي الحسن ثم سار ابن الخطيب الى انعمات فزار مشاهدا وشاهدا  
معاهدا فخشي عن نفسه رحمه الله قال ووقفت على قبر المعتد بن عباد في مدينة انعمات في حركة اعلمتها الى  
الجهات المراكشية باعتماق الصالحين ومشاهدة الاثار سنة احدى وستين وسبع مائة وهو بحجرة  
انعمات في نهر من الارض وقد حفت به سدره والى جنبه قبر اعتماد خطيبته مولاة ترميك وعليه ما أثر  
التغريب ومعاناة الجول من بعد الملك فلم تملك العين دمعها عند رؤيتها فانشدت في الحال

قد زرت قبرك عن طوع بانعمات \* رأيت ذلك من أولى المهمات  
لم لا أزورك يا أندي الملوكة يدا \* وياسراج الليالي المدهمات  
وأنت من لو تخطى الدهر مصرعه \* الى حياتي لجادت فيه أيات  
أناف قبرك في هضب عيزه \* قنتحبه حفيات الثمانيات  
كرمت حيا وميتا واشتهرت علا \* فأنت سلطان أحياء وأموات  
ما رى مثلك في ما مضى ومعتدى \* ألا يرى الدهر في حال ولا آت

ولما انكفا ابن الخطيب رحمه الله واجعا من سفرته هذبه وانتهى الى سلا أقام بها منتبذا عن سلطانه  
رافضا لللك وأسباب طول مقامه بالمغرب على ما ذكره ان شاء الله

بقية أخبار ابن الخطيب بسلا حرسها الله

قد قدمنا ان ابن الخطيب كان قد عزم على التخلي عن الدنيا والانقطاع الى الله تعالى وانه اختار ان يكون  
مقامه بسلا لكونه يومئذ أعون له على مراده من غيرها حسب ما يؤخذ بذلك من مواضع من كلامه

من ذلك انه لما وصف أمصار الاندلس والمغرب في مقاماته المشهورة وصف مدينة سلا بقوله العقيلة  
المفضلة والبليغة المنضلة والقاعدة المؤصلة والسورة المفصلة ذات الوسامة والنظارة  
والجامعة بين البداوة والحضارة معدن القطن والسكان والمدرسة والمارستان والزاوية كأنها  
البستان والوادي المتعدد الاجفان والقطر الامين عند الرجفان والعصير العظيم الشان  
والاسواق السارة حتى يرقق الحبشان اكتنفها المسرح وانحصب الذي لا يبرح والبحر الذي يأسو  
ويجرح وشقها الوادي الذي يتم محاسنها ويشرح وقابها الرباط الذي ظهر به من المنصور والاعتباط  
حيث التصبئة والسبابات ثم يقع الانحطاط الى شالة مرعى الذم وتبجبة المهم ومشخخ الانوف ذوات  
الشمم وعنوان الرمم حيث الحسنات المكتتبه والاقواق المرتبسه والقباب كالازهار مجودة بذكر  
الله آناء الليل وأطراف النهار وطلل حسان المنسل في الاشتهار وهي على الجملة من غيرها أوفق  
ومغارمها الاحترام الملوك الكرام أرفق ومقبرتها المنضدة عجب في الانتظام معدودة في المواقف  
العظام ويتأق بها العباد الخلوه وتوجد عندها اللهموم السالوه كما قال ابن الخطيب

وصلت حيث السير فيمن في الغلا فلا خاطري لما نأ وانجلا انجلا

ولانصحت كربي بقا بي سلاوة \* فلما سرى فيه نسيم سلا سلا

وكفى بالشابل رزقا طريا وسكك بالتمغضيل حريا يبرز عدد قطر الديم ويباع بخمس القيم ويمع المجاشير  
النائية والنجيم اه \* وما قاله في حق سلا من كونها تتأق بها العباد الخلوه هو كذلك معروف عند صلحاء  
المغرب وعباده من لدن قديم ولذا لما قدم أبو العباس ابن عاشر رضى الله عنه من الاندلس وتغل في بلاد  
المغرب مثل فاس ومكاسة لم يطب له القرار الا بسلا وقد صرح رضى الله عنه بذلك حيث قال  
سلا كل قلب غير قلبي ما سلا \* أيسلا وبفاس والاحبة في سلا  
بها خيموا فالقلب خيم عندهم \* فاجر وادموى مر سلا ومسل سلا

ولما ذكر أبو العباس الصومعي رحمه الله في كتابه الموضوع في مناقب الشيخ أبي يعزى رضى الله عنه  
استجاب زيارة الاولياء قال ما نصه ولا سيما في مشاهد الاخيار اذا اجتمعوا في مكان من الامكنة  
المشرفة كما كانوا يجتمعون قبل هذا برباط شاكرو وبساحل دكالة وبسلا وبجبل العلم وعند الشيخ أبي يعزى  
في أيام الربيع وغير ذلك اه \* ووقول في ذكر سلا فقد كتب الى وأنا بمر اكش حرسها الله الاخ في الله  
الفقيه الاديب المحاضر أبو عبد الله محمد بن عزوزار باطى أصلا المراكشي دار اباطقة يقول فيها ما نصه  
الحمد لله وحده السيد الاخ الذي ثوب اخائه ما نسخ الفقيه العلامة اللابس من أسلحة العالوم  
الدرع واللامه أبا العباس السيد أجد الناصري سلام عليك سلا ما ذكى العرف رافع الصريف وبعد  
فقد اشتقنا الى لذيم مذاكرتكم وحلوفكاهتكم والآن نحب من السيادة أن تشرفونا بنقل قدمكم  
وتكرمونا بطلعتكم السعيدة بكرمة غدان شاء الله وعلى المحبة والسلام في فاتح رجب الفرد سنة أربع  
وتسعين ومائتين وألف وألحق بأسفلها ما نصه

سلا البحر ما بحر نيت بشطه \* كبحر علوم فيك أنشئ صالحا

فهذا هو الفياض بالعلم والتقى \* وذلك هو الفياض بالماء صالحا

ولم ندر هل البيتان له أو تمثل به ما وعلى كل حال فاقاله حفظه الله انما حله عليه حسن نيته وصفاء طويته  
وأما المكتوب اليه بما فلا والله لا علم ولا تقي الا يتعمدنا الله برحمته ثم انى أجبته بشر تركته للاختصار  
ووصلته بمايات أقول فيها ما نصه

بعثت أبا عبد الله مدائحا \* هو الدر حسنا والشذور لوأثحا

قنيت فكرا طالما بات ناعما \* وروضت ذهنا طالما ناطل جامحا

وشيدت من ذكرى وقد كان خاملا \* وهيجت من قلبى الشجى القرائحا  
 وطوقتنى النعمى بتقريضك الذى \* به ظل مجدى للنجوم مصافحا  
 والافاق قدرى وان جد جدته \* وما قيسمتى لولم تكن لى مادحا  
 فانت أديب العصر حقا ومن غدا \* له مرى لا يواب المعارف فاتحا  
 نخذ من أخيك العى واسترعيوبه \* وسامح قطنى أن تكون مسامحا  
 فوصفك يعنى كل أشدق بارع \* ولو ظل فى بحر البلاغة ساجحا  
 فلقيت من ذى العرش كل كرامة \* ووقيت من هذا الزمان الطوائحا  
 ولا زال هذا الدهر طوعك خادما \* علاك وطرف السعد نحوك طامحا

وعلى مدح به سلا وأهلها قول الامام العلامة الهمام أبى على الحسن بن مسعود اليوسى رضى الله

عنه  
 مرمى سلا ماوى الشمم \* والمجد عن طول الامم \*  
 بلد بحسبك منظر منه ومخبره أتم \* مسرى المهوم ومسرح الابصار مسلاة الغمم  
 مترفلا فى حلة من حسنه جنب العلم \* كالخيرة الحسنة فى كنف الهمام المحترم  
 ونراه من جناته ثلاثا بين الاجم \* كالدرين زمر ذى قرط مارية انتظم  
 وكوجه خود حقه شعر السوالف فى دلم \* وكقتره فى أدهم والصبح فى جنح الاحم  
 والتغر من زنجية ترنوا ليه وقد بسم \* والبدر ما بين الدجى والشيب فى سود اللمم  
 بعلى فويق جبينه علم تدلى من أم \* فكانه تاج اللجين على جبينى ذى عظم  
 أو كالكبير مرمرة لأودى بنهضته الهرم \* فى رأسه صلح وفيمات تحت جبهته غمم  
 أو كالجواد بأنفه من ذلك القصر الرثم \* يكفيك منه هواؤه لا خبت فيه ولا وحم  
 عجباً صحح والهوى أبدأ عليل ذوقم \* وزلاله العذب الذى يشقى الفؤاد من الضرم  
 حاكى العقار وفاها بصفاء لون والشيم \* أبناء مجدى فى الالى كانوا براعون الذمم  
 من نبلهم دون العويص ونبلهم خلف الحرم \* ونفيسهم فقع الفلا ونفوسهم بيض الرحم  
 من كل أبيض وجهه تجلى به سدق النظم \* فى الخطب بدر لامع وادى الندى ببحر خضم  
 وأحبة كانوا لنا كالماء بالراح التأم \* لم يعسدين يبتنا ولو الفراق بنا ألم  
 البين بين جسومنا لا بين أنفسنا يحم \* والعهد جبل ما انقصاعه الوداد ولا انقصم  
 والصدق نهم قد علا فى كل أوجه علم \* والبرمرعاه قري من فيه للحسنى قرم  
 والنفس أرض قد كرى منها المعين ذو والكرم \* والدين روض قدرى فيه من العقبى رعم  
 والعلم ورد ما حلا الامن ترع الحلم \* والسر برق ما أضا الامن غسل الاضم  
 والدهر دولا بشفافيه سوى أهل الشمم \* من ذاق مورده الصرى يوما فلدى ناصرم

ولنرجع الى بقية أخبار ابن الخطيب ولما استقر بسلا واطمان جنبهها قال

أيا أهل هذا القطر ساعده القطر \* بليت فدلونى لمن يرفع الامر

تشاغت بالدينا وعت فرطا \* وفى شغلى أو نومتى سرق العمر

ثم حرص على لقاء الشيخ ابن عاشر رضى الله عنه حتى ظفر به فعظم سروره بذلك وتجمع به اذ قال فى نماضة  
 الجراب ولقيت من أوامى الله تعالى بسلا الولى الزاهد الكبير المنقطع القرين فراراعن زهرة الدنيب  
 وعزوفاعنها واغراقا فى الورع وشهرة بالكشف واجابة الدعوة وظهور الكرامات أبا العباس ابن عاشر  
 يسر الله تعالى لقاءه على تعذره لصعوبة تأتبه وكثافة هيئته قاعدا بين القبور فى الخلائث الهيمته مطرق  
 اللعظ كثير الصمت مفرط الانقباض والعزلة قد ضره أهل الدنيا وتطارحهم فهو شديد الاشمئزاز من

قاصده مجرم من الوثبة من طارقه فنع الله تعالى به اه كلامه في النفاضة وقال رحمه الله تعالى من  
قصيده العينية السلاوية التي وجهها الى سلا أيام خاف بها أهله وولده

بولى الله فايدا وابتدر \* واحدا لا آحاد في باب الورع

ومراده بولى الله ابن عاشر المذكور ثم ان ابن الخطيب بعد رجوعه من مراکش جعل يتتاب  
رباط شالة مدفن الملوك من بني مرين ومنهم السلطان أبو الحسن رحمه الله للدعاء وقراءة القرآن بها  
وتعاهدها وقد كتب بذلك الى السلطان أبي سالم وطلب منه أن يشفع له عند أهل الاندلس في ردمتاه  
الذي أتلفوه عليه أيام النكبة ونص الكتاب مولاي المرجو لا تمام الصنيعة وصله الله مئة وحرار  
الفخر أبقاكم الله تعالى تضرب بكم الامثال في البر والرضا وعلو المهمة ورعى الوسيلة مقبل موطن قدمكم  
المنقطع الى تربة المولى والدكم ابن الخطيب من الضريح المقدس بشالة وقد حط رحل الرجاء في القبة  
المقدسة وتيمم بالتربة الزكية وقعد بازا لحد المولى أبيكم ساعة اياه من الوجهة المباركة وزيارة الربط  
المقصودة والتراب المعظمة وقد عزم أن لا يبرح طوعا من هذا الجوار الكريم والدخيل المرعى حتى يصله  
من مقامكم ما يناسب هذا التطارح على قبره هذا المولى العزيز على أهل الارض ثم عليكم والتماس  
شفاعته في أمر سهل عليكم لا يجترأ فاد مال ولا اقتحام خطراتها هو أعمال لسان وخط بنان وصرف عزم  
واحرار فخر واطابة ذكر وأجر وذلك أن العبد عرفكم يوم وداعكم أنه ينقل عنكم الى المولى المقدس بلسان  
المقال ما يحضر مما يفتح الله تعالى فيه ثم ينقل عنه لكم بلسان الحال ما يتلقى عنه من الجواب وقال لي  
صدر دولتكم وخالصتكم وخالصة المولى والدكم سيدي الخطيب يعني ابن مرزوق سنى الله تعالى أمه من  
سعادة مقامكم وطول عمركم أنت يا فلان والحمد لله من لا ينكر عليه الوفاء بهذين الفرضين وصدر عنكم من  
البشر والقبول والانعام ما صدر بجزاكم الله تعالى جزاء المحسنين وقد تقدم تعريف مولاي بما كان من  
قيام العبد بما نقله الى التربة الزكية عنكم حسب آذاه من حضر ذلك الشهيد من خدامكم والعبد الآن  
يعرض عليكم الجواب وهو أني لما فرغت من مخاطبته بمرى من الملا الكبير والجم الغفير أ كبت على  
الحمد الكريم داعيا ومخاطبا وأصغيت باذني نحو قبره وجهل فوادى يتلقى ما يوجه اليه لسان حاله فكانتني  
به يقول لي قل لولاك يا ولدي وقررة عيني المخصوص رضاي وبرتي وسترحمى ورد ملكي وصان أهلي  
وأكرم صنائعي ووصل على أسلم عليك وأسأل الله تعالى أن يرضى عنك ويقبل عليك الدنيا دار غرور  
والآخرة خير لمن اتقى وما الناس الا هالك وابن هالك ولا تجدا الا ما قدمت من عمل يقتضى العفو والمغفرة  
أو ثناء يجلب الدعاء بالرحمة ومثلك من ذكر فتذكروا عرفقا أنكر وهذا ابن الخطيب قد وقف على قبري  
وتهمم بي وسبق الناس الى رثائي وأنشدني ومجدني وبكالي ودعالي وهنأني بصير أمرى اليك وعفرو وجهه  
في تربتي وأملني لما انقطعت مني آمال الناس فلو كنت يا ولدي حيا لما وسعني أن أعمل معه الا ما يليق بي  
وأن أستقل فيه الكثير وأحتقرن العظيم لكن لما عجزت عن جزائه وكنته اليك وأحلته يا حبيب قلبي  
عليك وقد أخبرني أنه سلب المال كثير العيال ضعيف الجسم قد ظهر في عدم نشاطه أثر السن وأمل أن  
ينقطع بجوارى ويسته تربد خيلى وخدمتى ويرد عليه حقه بخدمتى ووجهى ووجوه من ضاجعنى من  
سلفى ويعبد الله تعالى تحت حرمته وحرمتى وقد كنت تشوقت الى استخدامهم في الحياة حسب ما يعلمه حبيبتنا  
الخالص المحبة وخطيبنا العظيم التزية القديم القربة أبو عبد الله بن مرزوق فاسأله يذكرك واستخبره  
يخبرك فانا اليوم أريد أن يكون هذا الرجل خديمي بعد المات الى أن نلحق جميعا بروضان الله تعالى  
ورحمته التي وسعت كل شئ وله يا ولدي ولد نجيب يخدم ببابك وينوب عنه في ملازمة بيت كتابك  
وقد استقر ببابك قراوه وتعين بامرلك مرتبه ووثاوه فيكون الشيخ خديم الشيخ والشاب خديم الشاب  
هذه رغبتى منك و حاجتى اليك واعلم أن هذا الحديث لا بد له أن يذكروا يتحدث به في الدنيا وبين أيدي



الملك والكبراء فاعمل ما يبقى لك فخره ويثقل ذكركه وقد أقام مجاوراً ضريحى نالياً كتاب الله تعالى على منتظر ما يوصله منك ويقرؤه على من السعى في خلاص ماله والاحتجاج بهذه الوسيلة في جبره واجراء ما يليق بك من الحرمة والكرامة والنعمة فالله يا ابراهيم اعلم ما يسمع عنى وعندك فيه ولسان الحال أبلغ من لسان المقال هـ والعبد يا مولاي مقيم تحت حرمة وحرمة سلفه منتظر منكم قضاء حاجته وتعلموا وتحققوا أتى لوارثك الجرائم ورزأت الاموال وسفكت الدماء وأخذت خسائف الملوك الاعزة عن وراء النهر من التار وخلف البحر من الروم ووراء الصحراء من الحبشة وأمكهم الله تعالى منى من غير عهد بعد ان بلغتهم تدمى بهذا الدخيل ومقامى بين هذه القبور الكريمة ما وسع أحد منهم من حيث الحياء والخشمة من الاحياء والاموات وايجاب الحقوق التي لا يغفلها الكبار للكار الا الجود الذي لا يتعبه البخل والعفو الذي لا تفسده المواقفة فضلا عن سلطان الاندلس أسعده الله تعالى وعلا بمواليتكم فهو فاضل وان ملكاً أفاضل وحوله أكيما من ما فيهم من يجهل قدركم وقدر سلفكم لا سيما مولاي والدم الذي أتوسل به اليكم واليهم فقد كان يتبنى مولاي أبا الخجاج ويشمله بنظره وصارحه بنفسه وأمده بامواله ثم صير الله تعالى ملكه اليكم وأنتم من أنتم ذاتا وقيلا فقد قدرت يا مولاي عين العبد عارات في هذا الوطن المراكشى من وفور حشودكم وكثرة جنودكم وترادف أموالكم وعددكم زادكم الله تعالى من فضله ولا شك عند عاقل انكم ان اخلت عروة تأمليكم وأعرضتم عن ذلك الوطن الاندلسي استوائت عليه يد عدوه وقد علم تطارحى بين الملوك الكرام الذين خضعت لهم التيجان وتعلق بثوب الملك الصالح والد الملوك الكرام مولاي والدم وشهرة حرمة شالة معروفه حاشى الله أن يضيعها أهل الاندلس وما توسل اليهم قط بها الا الآن وما يجهلون اغتنام هذه الفضيلة الغريبة وأملى منكم أن يتعين من بين يديكم خديم بكتاب كريم يتضمن الشفاعة في رد ما أخذنى ويخبر بمشواى مترا ميا على قبر والدم ويقرر ما أزمتمكم بسبب هذا الترامى من الضرورة المهمة والوظيفة الكبيرة عليكم وعلى قبيلكم حيث كانوا وتطلبون منه عادة المكارمة بحل هذه العقدة ومن العالوم أنى لو طلبت بهذه الوسائل من صلب ما وسعهم بالنظر العقلى الاحفظ الوجه مع هذا القبيل وهذا الوطن فالحياء والخشمة بأبيان العسرة عن هذا فى كل ملة ونحلة واذا تم هذا الغرض ولا شك فى اتمامه بالله تعالى تقع صدقتكم على القبر الكريم بين وتعينونى بخدمته هذا المولى وزيارته وتفقدوه ومدح النبي صلى الله عليه وسلم ليله المولد فى جواره وبين يديه وهو غريب مناسب لبركم به الى أن أجمع بيت الله بعناية مقامكم وأعود داعيا مثنيا مستدعيا للشكر والثناء من أهل المشرق والمغرب وأنعوض من ذمتى بالاندلس ذمة هذا الرباط المبارك برئها ذرتى وقد ساومت فى شئ من ذلك منتظرا ثمنه مما يباع بالاندلس بشفاعتكم ولو ظننت أنهم يتوقفون لكم فى مثل هذا أو يتوقع فيه وحشة أو جفاء والله ما طلبته لكم أمرى وأفضل وانقطاعى أيضا والدم مما لا يسع مجدكم الا عمل ما يليق بكم فيه وهما أنا أرتقب جوابكم بما لى عندكم من القبول ويسعنى مجدكم فى الطلب خروج الرسول لا قضاء هذا الغرض والله سبحانه يطاع من مولاي على ما يليق به والسلام وكتب فى الحادى عشر من رجب سنة احدى وستين وسبع مائة وفى مدرج الكتاب بعد ثر هذه القصيدة

مسولاي هـ أنا فى جوار أيبكا \* فابذل من السبر المقتر فيكا  
اسمه ما يرضيه من تحت الثرى \* والله يسمعك الذى يرضيك  
واجعل رضاه اذا نهدت كتيبة \* تهدي اليك النصر أو تهديك  
واجبر بجسرى قلبه تنل المنا \* وتطالع الفتح المبين وشيكا  
فهو الذى سن البرور بأمه \* وأيسه فاسرع شرعه لبنيكا  
وابعث رسولاك منذروا محذرا \* وبما تؤمل نيله يأتيك

قد هز عزمك كل قطر نازح \* وأخاف عسوكه ومليكا  
 فاذا سمسوت الى مرام شامع \* فتصونه ثمر المناجنيحكا  
 ضمنت رجال الله منك مطالي \* لما جعلتك في الثواب شريكا  
 فاشن كفيت وجوهها في مقصدي \* ورعيت باركاتها كفيكا  
 واذا قضيت حوائجي وأريقتي \* أملا فربك ما أردت بريكا  
 واشدد على قولي يدا فهو الذي \* برهانه لا يقبل التشكيكا  
 مولاي ما استأثرت عنك بهجتي \* انى ومهجتى التى تفديكا  
 لكن رأيت جناب شاله مغنما \* يضفى على العزفى نادىكا  
 وفروض حقلك لا تقوت فوقتها \* باق اذا استجزيت به يجزيكا  
 ووعدتني وتكرر الوعد الذى \* أبت المكارم أن يكون أفيكا  
 أضفى عليك الله ستر عناية \* من كل محذور الطريق يفيكا  
 يقانك الدنيا تحاط وأهلها \* فالله جل جلاله يفيكا

هـ

وقال أيضا فى الغرض المذكور

عن باب والدك الرضى لأبرح \* بأسو الزمان لاجل ذا أو يجرح  
 ضربت خيالى فى حياه نصيتى \* تجبني الجم به وجهى نسر  
 حتى يراى وجهه فى وجهتى \* بعناية تشفى الصدور وتشرح  
 أسوغ عن منواه سيرى خائبا \* ومنابر الدنيا بذكرك تصدح  
 أنا فى حياه وأنت أبصر بالذى \* برضيه منك فوزن عقلك أرح  
 فى مثلها سيف الحية ينتضى \* فى مثلها زناد الحفيظة بقدح  
 وعسى الذى بدأ الجميل يعيده \* وعسى الذى سد المذاهب يفتح

هـ

فأجابه السلطان أبو سالم رحمه الله بما صورته من عبد الله المستعين بالله إبراهيم أمير المسلمين المجاهد  
 فى سبيل رب العالمين ابن مولانا أمير المسلمين المجاهد فى سبيل رب العالمين أبى الحسن ابن مولانا أمير  
 المسلمين المجاهد فى سبيل رب العالمين أبى سعيد ابن مولانا أمير المسلمين المجاهد فى سبيل رب العالمين  
 يوسف بن يعقوب بن عبد الحق أيد الله أمره وأعز نصره الى الشيخ الفقيه الاجل الاسنى الاعز  
 الاحظى الاوجه الا نوه الصدر الاحفل المصنف البليغ الاعرف الاكمل أبى عبد الله ابن الشيخ الاجل  
 الاعز الاسنى الوزير الرفع الانجيد الاصيل الاكمل المرحوم المبرور أبى محمد ابن الخطيب وصل الله عزته  
 ووالى رفعتة سلام عليكم ورحمة الله وبركاته أما بعد حمد الله تعالى والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا  
 محمد رسوله المصطفى الكريم والرضاعن آله وصحبه أعلام الاسلام وأئمة الرشد والهدى وصله الدعاء  
 لهذا الامر العلى العزيز المنصور المستعنى بالنصر الاعز والفتح الاسنى فانا كتبناه اليكم كتب الله تعالى  
 لكم بلوغ الامل ونجح القول والعمل من منزلنا الاسعد بفضة وادى ملوية يمنه الله وصنع الله جميل  
 ومنه جزيل والحمد لله ولكم عندنا المكاتة الواضحة الدلائل والعناية المتكفلة برعى الوسائل ذاكم بما  
 تميزتم به من التمسك بالجناب العلى المولوى العاوى جدد الله تعالى عليه ملابس غفراته وسقاه غيوث  
 رحمة وحنانه وبما أهديتم الينامن التقرب لدينا بخدمته تراه الطاهر والاشتمال بطارف حرمته  
 السامية المطاهر والى هذا وصل الله حظوتكم ووالى رفعتكم فانه ورد علينا خطابكم الحسن عندنا  
 قصده المقابل بالاسعاف المستعذب ورده فوقنا على مانصه واستوفينا ما شرحه وقصده فآثرنا حسن  
 تلتفكم فى التوسل بأكبر الوسائل اليانا ورعينا أكل الرعاية حق ذلكم الجناب العزيز علينا وفى الحين

عينا لكال مطلبكم وتمام ما ربيكم والتوجه بخطابنا في حقكم والاعتماد بوقفكم خدعينا أبا البقاء بن  
 تاشكورت وأباز كريات بن فرقاچه أنجدهما الله وتولاهما وأمس تاريخه انفصلا مودعين إلى الغرض  
 المعام بعد التأكيد عليهما فيه وشرح العمل الذي يوفيه فكونوا على علم من ذلكم وأبسطوا له جلة  
 آمالكم وانا لندرجوا ثواب الله في جبرأحوالكم وبرءاعتلالكم والله سبحانه يصلى مبرتكم ويتولى  
 تكرمتمكم والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته كتب في الرابع والعشرين من رجب سنة احدى  
 وستين بمراجعة ابن الخطيب بعانصه بمولاي خليفة الله بحق وكبير مالوك الارض عن حجة ومعدن  
 الشفقة والحكمة يبرهان وحكمه أبقاكم الله تعالى على الدرجة في المنعمين وافرى الخط عند جزاء  
 المحسنين وأراكم عمرة برأيكم في البنين وصنع لكم في عدوكم الصنع الذي لا يقف عند معتاد وأذاق  
 العذاب الاليم من أراد في مثابكم بالحماد عبدكم الذي ملكتم رقه وأوتم غرته وسترتم أهله وولده  
 وأسنتم رزقه وجبرتم قلبه يقبل وطى الانحص الكريم من رحاكم الطاهرة المستوجبة بفصل الله  
 تعالى لموقف النصر الفارعة هضبة الغز المعلة الخطوف في مجال السعد وسير الخط ابن الخطيب من شالة  
 التي تآكد على الرضى احترامها وتجدد برعيكم عهدا واستبشر بلكم دفينها وأشرف بحسناتكم  
 نورها وقد ورد على العبد الجواب المولوي البر الرحيم المنعم المحسن بما يليق بالملك الاصيل والقدر  
 الرفيع والهمة السامية والعزة القمساء من رعى الدخيل والنصرة للذمام والاهتزاز لبر الاب  
 الكريم فتاب الرجاء وانبعث الامل وقوى العضد وزار اللطف فالجد لله الذي أجرى الخير على يدكم  
 الكريمة وأعانكم على رعى ذمام الصالحين المتوسل اليكم أولا بقبورهم ومنعبداتهم وتراب أجداتهم  
 ثم بقبر مولاي ومولاكم ومولى المطلق أجمعين الذي تسبب في وجودكم واختصكم بحبه وغمركم بلطفه  
 وحنانه وعلكم آداب الشريعة وأورتكم ملك الدنيا وهياتكم دعواته بالاستقامة الى ملك الآخرة  
 بعد طول المدى وانفساح البقاء وفي علومكم المقدسة ما تضمنت الحكايات عن العرب من النصرة عن  
 طائر داست أفراخه ناقة في جوار رئيس منهم وما انتهى اليه الامتعاض لذلك مما أهينت فيه النفس  
 وهلكت الاموال وقصارى من امتعض لذلك أن يكون كبعض خدامكم من عرب تامسنا قسا الظن بكم  
 وأنتم الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم فممن لجأ أولا الى حاكم بالاهل والولد عن حسنة  
 تبرعتم بها وصدقة جاتكم الحرية على يدها ثم فممن حط رحل الاستجارة بضريح أكرم الخلق عليكم  
 دامع العين خافق القلب واهى الفرعة يتغنى بردائه ويستجير بعليائه كائنني تراميت عليهم في  
 الحياة امام الذعر الذي يذهل العقل ويحجب عن التمييز بقصر داره ومضجع رقادها ما من يوم الا  
 وأجهر بعد التلاوة باليعقوب بالمرين نسأل الله تعالى أن لا يقطع عنى معروفكم ولا يسلبنى عنايتكم  
 ويستعملنى ما بقيت في خدمتكم ويتقبل دعائى فيكم ولحين وصول الجواب الكريم نهضت الى القبر  
 المقدس ووضعته بازائه وقلت يا مولاي يا كبير الملوك وخليفة الله وبركة بنى من صاحب الشهرة  
 والذكر في المشرق والمغرب عبدك المنقطع اليك المترامى بين يدي قبرك المتوسل الى الله ثم الى ولدك بك  
 ابن الخطيب وصله من مولاه ولدك ما يليق بمقامه من رعى وجهك والتقرب الى الله تعالى برعيك  
 والاشتهار في مشرق الدنيا ومغربها ببرك وأنتم من أنتم من اذا صنع صنعة كلها واذا من منة تمها  
 واذا أسدى يدا برزها طاهرة بيضاء غير معيبة ولا ممنونة ولا منتقصة وانا بعد تحت ذيل حرمتك وظل  
 دخيلك حتى يتم أملى ويخاص قصدى وتحف نعمتك بي ويطمئن الى ما منك قلبى ثم قلت للطلبة أيها  
 السادة يبنى وبينكم تلاوة كتاب الله تعالى منذ أيام ومناسبة النحلة وأخوة التألف بهذا الرباط المقدس  
 والسكى بين أظهركم فآمنوا على دعائى باخلاص من قلوبكم واندفعت فى الدعاء والتوسل الذى أرجو أن  
 يتقبله الله تعالى ولا يضيعه وخاطب العبد مولاه شاكر النعمة مشيدا بصنيعته مسرورا بقبوله

وشانه من التعلق والتطارح شانه حتى يكمل القصد ويتم الغرض معمو والوقت بخدمة يرفعها ودعاء  
يرده والله المستعان اه ولما وصل كتاب السلطان أبي سالم الى أهل الاندلس أعظموا وسيلته وقبوا  
شفاعته وردوا على ابن الخطيب ما تأتي رده مما كان ضاع له وأتلف عليه واستمر مقبلا مستين وزيادة ثم  
استدعاه ساطانه الغني بالله الى الاندلس بعد رجوعه اليها واحتوائه على ملكها فاجاب حياء لا رغبة  
ومكرها لا بطلا الى ان كان مانذ كره من شأنه بعد ذلك ان شاء الله ونوادره بسلا وما جرياته كثيرة وفيها  
ذكرناه كفاية

﴿ انتقاض الحسن بن عمر الفوددي وخروجه بتادلا تم مقتله عقب ذلك ﴾

قد قدمنا أن السلطان أباسالم لما استولى على ملك فاس والمغرب عقد للحسن بن عمر على مراکش ووجهه  
اليها تخفيا منه وريية بمكانه من الدولة فاستقر بها وتأنث له بهار ياسة نفسها عليه أهل مجلس السلطان  
وسواقبه عنده حتى تنكر له وأظلم الجوى بينهما وأحس الحسن بن عمر بذلك فخشي على نفسه وخرج  
من مراکش في صفر سنة احدى وستين وسبع مائة فلقق بتادلا منصرفا عن السلطان ومرت بك الخلاق  
قتلاه بنو جابر من عرب جشم وأجاروه واءصو صبوا عليه فسرّح اليه السلطان أبوسالم وزيره الحسن  
ابن يوسف الورتاجني فاحتل بتادلا وانشر الحسن بن عمر الى الجبل بها فاعتصم به ومعه كبير بني جابر  
الحسن بن علي الورديني فحاطت بهم العساكر وأخذوا بمخنقهم وداخل الوزير بعض أهل الجبل من  
برابرة صناكة في الثورة بهم وسرب اليهم المال فثاروا بهم وانقض جمعهم وتقبضوا على الحسن بن عمر  
وقادوه برمته الى الحسن بن يوسف فاعتقله وانكفأ راجعا به الى الحضرة فدخلها في يوم مشهود استركب  
السلطان فيه الجند وجلس بريح الذهب مقعده من ساحة البلد وجل الحسن بن عمر على جبل فطيف به  
بين تلك الجوع ولما قرب من مجلس السلطان أو ما الى تقبيل الارض من فوق جملته ثم ركب السلطان  
الى قصره وانقض الجمع وقد شهر الحسن بن عمر وأصحابه فصاروا عبرة لمن اعتبر ولما دخل السلطان قصره  
جلس على كرسيه واستدعى خاصته وجلساءه وأحضر ابن عمر فويحه وقرر عليه ذنوبه فتاوى بالمعاذير  
وفزع الى الانكار ﴿ قال ابن خلدون ﴾ وحضرت هذا المجلس يومئذ فيمن حضره من الخاصة فكان مقاما  
تسيل فيه العيون رجوة وعبرة ثم أمر به السلطان فصب على وجهه وتفت لحيته وضرب بالعصى وذل  
الى محبسه ثم قتل بعد ليال قعصا بالرمح خارج البلاد ونصب شلوه بباب المحروق ورحمه الله تعالى

﴿ نهوض السلطان أبي سالم الى تلمسان واستيلاؤه عليها ﴾

لما استوسق للسلطان أبي سالم ملك المغرب ومحى أثر الخوارج منه سمعت همة الى تلك تلمسان كما كان  
لا يسه وأخيه من قبل وأكدهزمه على ذلك ما كان من فرار عبد الله بن مسلم الزرد الى عاملهم على درعة  
اليها فأجمع السلطان أبوسالم النهوض اليها وعسكر بظاهر فاس الجدي منتصف سنة احدى وستين  
وسبع مائة ولما توافقت لديه الحشود وتكاملت بسدته الجنود ارتحل الى تلمسان واتصل خبر نهوضه  
بسلطانها أبي جواد بن يوسف الزياتي ووزيره عبد الله بن مسلم الزرد الى فنادوا في العرب من بني عامر بن  
زغبة وبني معقل فأجابوهم كافة الاشرذمة فليسة من الاحلاف ثم خرج أبو جواد وشيعته عن تلمسان الى  
العصراء والتفت عليه العرب بحلها ولما دخل السلطان أبوسالم تلمسان واستولى عليها خالفه أبو جواد في  
عربيه الى المغرب فتلوا آ كرسيف ووطاط وبلاد ماوية وحطمو ازر وعها وانتسفوا بركتها وخرّبوا عمرانها  
وبلغ السلطان أباسالم ما كان من افسادهم فاهم أمر المغرب وكان في جلته من بني زيان محمد بن عثمان  
ابن السلطان أبي تاشفين ويكنى أبا زيان فعقد له على تلمسان وأعطاه الآلة وجعل له جيشا من مغراوة  
وبني توجين وودع لهم أعطياتهم وانكفأ راجعا الى فاس فأجفل أبو جواد والعرب أمامه ثم خالفوه الى



تلسان فطردوا عنها أبازيان واستولوا عليها وثبت قدم أبي جواها وعاد أبو زيان إلى المغرب لاحقا  
بالسلطان أبي سالم فقبله وعقد المهادنة مع أبي جواها واستقر الأمر على ذلك وقد كان ابن الخطيب عند  
ما بلغه استيلاء السلطان أبي سالم على تلسان هناك بقصيدة طويلة يقول في مطلعها

أطاع لسانى في مديحك احسانى \* وقد لهجت نفسى بفتح تلسان

ويقول في أثنائها وقد ألم بشئ من علم الاحكام النجومية لميل السلطان اليه

ولله من ملك سعيد ونسبة \* قضى المشتري فيها بعزلة كيوان

وسجل حكم العدل بين بيوتها \* وقوقامع المشهور من رأى يونان

فلم تخش سهم القوس صفحة بدرها \* ولم تشك فيها الشمس من بخس ميزان

ولم يعترض مبتزها قطع قاطع \* ولا تازعت نوبرها كف عدوان

تولى اختيار الله حسن اختيارها \* فلم يخج الفرغان فيما الفرغان

ولا صرفت فيها دقائق نسبة \* ولا حققت فيها طوال بلدان

وفوادة السودان من أهل مالى على السلطان أبي سالم واغراهم في هديتهم بالزرافة الحيوان المعروف

قد تقدم لنا ما جرى من المواصلات بين السلطان أبي الحسن والسلطان منسا موسى وأخيه أو ابنيه من بعده  
منسا سليمان وتردد الوفود واسناء الهدايا بينهم وقد كان السلطان منسا سليمان قد هيا هدية بنفسه بقصد  
أن يبعثها إلى السلطان أبي الحسن مكافأة له على هديته فهلك السلطان أبو الحسن خلال ذلك ثم هلك  
السلطان منسا سليمان بعده واختلف أهل مالى واقترق أمرهم وتقاتلوا على الملك إلى أن جمع الله كلمتهم  
على السلطان منسا زاطة واستوسق له الأمر ثم تطرف في اعطاف ملكه وأخبر بشأن الهدية التي كان  
منسا سليمان قد هياها للملك المغرب فامر بانفاذها اليه وضم اليها الزرافة الحيوان الغريب الشكل  
العظيم الهيكل المختلف الشبه بالحيوانات وفصلوا بها من بلادهم فوصلوا إلى حضرة فاس في صفر من  
سنة اثنتين وستين وسبع مائة قال ابن خلدون وكان يوم وفادتهم يوما مشهودا جلس لهم السلطان  
ببرج الذهب بمجلسه المستعرض الجنود ونودي في الناس بالبروز إلى العصراء فبرزوا وينسألون من كل  
حديب حتى غص بهم القضاء وركب بعضهم بعضا في الازدحام على الزرافة اعجابا بمخلفتها وحضر الوفدين  
يدى السلطان وأدوارسالتهم بتأكيدهم والود والمخالصة والعذر عن ابطاء الهدية بما كان من اختلاف أهل  
مالى وتوابعهم على الأمر وتعظيم سلطانهم وما صار اليه والترجمان يترجم عنهم وهم يصعد قونه بالترزع في  
أوتار قسيهم عادة معروفة لهم وحيوا السلطان بان جعوا ويحشون التراب على رؤسهم على سنة ملوك  
الجهنم وأنشد الشعراء في معرض المدح والتهنئة ووصف الحال ثم ركب السلطان إلى قصره وانفض ذلك  
الجمع وقد طار به طائر الاشتهار واستقر الوفد تحت جراية السلطان أبي سالم إلى أن هلك قبل انصرافهم  
فوصلهم القائم بالأمر من بعده وانصرفوا إلى مراكتس ثم منها إلى ذوى حسان عرب السوس الأقصى  
من بني معقل المتصلين ببلادهم ومن هناك لحقوا بسلطانهم والأمر كله لله وكان مما قيل في الشعر في  
ذلك اليوم قول ابن خلدون من قصيدة يقول في مطلعها

قد حثت يد الاشواق من زند \* وهفت بقلبي زفرة الوجد

إلى أن قال في وصف الزرافة

ورقيمة الاعطاف حالية \* موشية بوشائع البرد

وحشية الانساب ما أنست \* في موحش اليبداء بالقرد

تسمو بجيد بالغ مسعدا \* شرف الصروح بغير ما جهد

طالت رؤوس الشامخات به \* ولربما قصرت عن الوهد  
 قطعت اليك تناثرا وصلت \* اسمئادها بالنص والوحد  
 تحدى على استصعابها ذلال \* وتبيت طوع القن والقند  
 بسعودك اللاتي ضمن لنا \* طول الحياة بعيشة رغد  
 جاءتك في وفد الاحباش لا \* يرجون غيرك مكرم الوفد  
 وافوك انضاء تقابهم \* أيدي السرى بالغور والتجد  
 كالطيب يستقرى مضاجعه \* أو كالحسام يسئل من غمد  
 يثنون بالحسنى التي سبقت \* من غير انكار ولا جمد  
 ويرون لحظك من وفادتهم \* فخر على الاراك والمنمد  
 يا مستعينا جبل في شرف \* عن رتبة المنصور والمهدى  
 جازالك ربك عن خليقته \* خير الجزاء فعم ماتسدى  
 وبقيت للدينا وساكنها \* في عزة أبدأ وفي سسعد  
 وقول الكاتب البارع أبي عبد الله بن زمر الكاندلسي من قصيدة يقول في مطامعها  
 لولا نالقي بارق التمد كل \* ما صابوا كقدمي المدرار  
 لكنه مهمات تعرض خافقا \* قد حثب الاشواق زنداواري

الى ان قال في الغرض المذكور

وغريبة قطعت اليك على الونى \* يبدا تبيد بها هموم الساري  
 تنسبه طيبته التي قد أتمها \* والركب فيها ميت الاخبار  
 يقتادها من كل مشتمل الدجا \* فكأنما عيناها جذوة نار  
 تشدوا بحمد المستعين حداتها \* يتعالىون به على الكوار  
 ان مسهم لفتح الهجير أباهم \* منه نسيم تنائلك المعطار  
 خاضوا بها الحج الفلا فتخلصت \* منها خلوص البدر بعد سرار  
 سلمت بسعدك من غوائل مثلها \* وكفى بسعدك حاميا للذمار  
 وأنتك يا ملك الزمان غريبة \* قيد النواظر ترهة الابصار  
 موشية الاعطاف راتقة الحلى \* رقت بدائعها يد الاقدار  
 راق العيون أدعها فكأنه \* روض تفتح عن شقيق بهار  
 ما بين مبيض وأصفر فاقع \* سال اللجين به خلال نضار  
 يحكي حدائق نرجس في شاهق \* تنساب فيه أرقام الانهار  
 تحذوا قوائم كالجذوع ووقوفها \* جبل أشم بنوره متواري  
 وممت بجيد مثل جذع مائل \* سهل التعطف لبين خوار  
 تستشرف الجدرات منه تراثبا \* فكأنما هو قائم بنهار  
 تاهت بكل كلفها وأتلع جيدها \* ومشي بها الاعجاب مشى وقار  
 خرجوا لها الجتم الغفير وكلهم \* متعجب من لطف صنع الباري  
 كل يقول لصحبه قوموا انظروا \* كيف الجبال تقاد بالاسيوار  
 ألقت بيابك رحلها ولطالما \* ألقى الغريب به عصا التسيار  
 علمت ملوك الارض أنك فخرها \* قد سابت لرضاك في مضمار

يتبؤون به وان بعد المسدي \* من جاهلك الاعلى أعز جوار  
 فارفع لواء الفخمر غير مدافع \* واسحب ذبول العسكر الجزار  
 واهنا باعياد الفتوح مخولا \* ماشئت من نصر ومن أنصار  
 واليك هامن روض فكري نهضة \* شف الثناء بهاعلى الازهار  
 في فصل منطقتها ورائق رسمها \* مستمتع الاسماع والابصار  
 وتميل من أصغى لها فكأننى \* عاطيته منها كؤوس عقار

### بمقتل السلطان أبي سالم رحمه الله والسبب في ذلك

كان السلطان أبو سالم رحمه الله قد غلب على هواه الخطيب أبو عبد الله بن مرزوق والقي زمام الدولة  
 بيده فنقم خاصة السلطان وحاشيته ذلك عليه وسخطوا الدولة من أجله ومرضت قلوب أهل الحل  
 والعقد من تقدمه فترهبوا بالدولة الدوائر الى ان كانت أو اخر سنة اثنتين وستين وسبعمائة فتحول  
 السلطان أبو سالم عن دار الملك من فاس الجديد الى القصبه من فاس القديم واختط بها ابوابا فخما لجلاسه  
 فلما استولى عمر بن عبد الله بن علي بن سعيد الفودودي أحد كبراء الدولة ووزراءه على دار الملك اذ كان  
 السلطان أبو سالم قد خلفه أمينا عليها حدثته نفسه بالتوثب وسهل ذلك عليه ما كان قد عرفه من مرض  
 القلوب على السلطان لما كان ابن مرزوق قد اخل قائد جند النصارى غرسية بن أنطول واتعد والذالك  
 ليلة الثلاثاء السابع عشر من ذي القعدة من السنة المذكورة فعمدوا الى تاشفين الموسوس ابن  
 أبي الحسن فخلعوا عليه وألبسوه شارة الملك وقرّبوا له مركبوا وأجلسوه مجلس السلطان وأكرهوا شيخ  
 الحامية والناشبة محمد بن الزرقاء على البيعة له وجاهروا بالخلعان وقرعوا الطبول ودخلوا الى بيت المال  
 ففرضوا العطاء من غير تقدير ولا حساب وماج الجند بفاس الجديد بعضهم في بعض واختطفوا ما وصلوا  
 اليه من العطاء ثم اتهبوا ما كان بالمخازن الخارجة من السلاح والعدة وأضرموا النيران في بيوتهم استرا  
 على ما ضاع منها وأصبح السلطان أبو سالم بمكانه من قصبه فاس القديم وكان قد تحول اليها فراراً من قاطع  
 فلكي تخوفه اياه بعض منجميه فكان البلاء فيه موكل بالناطق فلما علم بالكائنة ركب واجتمع اليه من  
 حضر من أوليائه وغدا على فاس الجديد وطاق به ايروم اقتحامها فامتنعت عليه ثم اضطرب معسكره  
 بكديه العرائس لحصارها ونادى في الناس بالاجتماع اليه ولما كان وقت الهاجرة دخل فاس طاطه  
 للقبولة فتسائل الناس عنه الى فاس الجديد فوجبه فوجعهم الى ان انقض عنه خاصته وأهل  
 مجلسه فطلب النجاء بنفسه وركب في لمة من الفرسان وفيهم وزيره سليمان بن داود ومعه مودين  
 عبد الرحمن بن ماساي ومقدم الموالي والجنه بيا به سليمان بن ونصار وأذن لابن مرزوق في الدخول الى  
 داره ومضى هو على وجهه فبين معه ولما غشيهم الليل انفضوا عنه حتى بقي وحده ورجع الوزير ان الى  
 دار الملك فقبض عليه مارتيس الثورة عمر بن عبد الله الفودودي ومشاركه فيها غرسية بن أنطول  
 النصراني واعتقلاهما متفرقين وبعث عمر بن عبد الله الطالب في أثر السلطان أبي سالم فعثروا عليه نائماً  
 من الغد في بعض المجاشرو وادى ورغة وقد غير لباسه اختفاه بشخصه وتواريا عن العيون بمكانه فقبضوا  
 عليه وجلاوه على بغل وطير وابلخبر الى عمر بن عبد الله فآزع لتأقيه شعيب بن ميمون بن وردار وفتح الله  
 ابن عامر بن فتح الله السدراتي وأمرهم باقتله وانقاذ رأسه فلقيا به بخندق القصب ازاء كديه العرائس  
 فامر بعض جند النصارى أن يتولى ذبحه ففعل وجلاوا رأسه في مخلاة ووضعوه بين يدي الوزير الثائر  
 ومشيخته وكان ذلك يوم الخميس الحادي والعشرين من ذي القعدة سنة اثنتين وستين وسبعمائة ودفن  
 بالقلعة خارج باب الجبسة باعلى جبل العرض المعروف بجبل الزعفران يقال ابن الخطيب في الاطحة  
 كان السلطان أبو سالم رحمه الله بقبية البيت وآخر القوم دماثة وحياء وبعداعن الشرور وكونا للعافية

قالوا نشدت على قبره الذي ووريت به جنته قصيدة آذيت فيها بعض حقه

بنى الدنيا بنى مع السراب \* لدوا اللوت وابنوا الخراب <sup>ها</sup>  
ومن أعيان وزرائه أبو عبد الله محمد بن أحمد بن مرزوق الجعفي الخطيب المشهور الذي مر ذكره  
أنفا ومن قضاة عسكره أبو القاسم محمد بن يحيى الأندلسي البرجي ومن أعيان كتابه الرئيس أبو زيد  
عبد الرحمن بن خلدون صاحب التاريخ وأبو القاسم عبد الله بن يوسف بن رضوان التجاري من أهل  
مالقة صاحب كتاب السياسة وغيره \* ومما نظم هذا الفاضل عن اذن السلطان أبي سالم رحمه الله  
ليكتب في طرة قبة رياض الغزلان من حضرته قوله

هذا يحمل النى بالامن مغمور \* من حله فهو بالامان محبور  
مأوى النعيم به ما شئت من نرف \* تموى محاسنه الولدان والخور  
ويطلع الروض منه مصنعا عجبا \* يضاحك النور من لآله النور  
ويسطع الزهر من أرجائه أرجا \* ينافح التفتنشر منه منشور  
مغنى السرور سقاها الله ما حلت \* غتر الغمام وحلته الازاهير  
أنظر الى الروض تنظر كل مجيبة \* مما ارتضاه لرأى العين تجبير  
مرا النسيم به يبغي القصر اقرا \* دراهم النور تبديد وتنوير  
وهامت الشمس في حسن الظلال به \* فقرت فوقه منها دناسير  
والدوح ناعمة تهتر من طرب \* همسا وصوت غناء الطير مجهور  
كأنما الطير في أفنانها صدحت \* بشكر مال كها والفضل مشكور  
والنهر شق بساط الارض تحسبه \* سيفا وليكنه في السلم مشهور  
يتساب للجنة الخضراء أزرقه \* كالايم جدانسياب وهو مذعور  
هذي مصانع مولانا التي جعت \* تحمل السرور وأمر السعد مأمور  
وهذه القبة الغراء ما تطرت \* لشكلها العين الاعز تنظير  
ولا يصورها في الفهم ذوفكر \* الاومنه لكل الجسن تصور  
ولا يرام بحصر وصف ما جعت \* من المحاسن الاصدت تقصير  
فيها المقاصير تحميها مهاتبه \* لله ما جعت تلك المقاصير  
كأنها الأفق تبدو النيرات به \* ويستقيم بها في السعد تسيير  
وينشأ الميزن في أرجائه وله \* من غدير الشجر انشاء وتسخير  
وينهي القطر منه وهو منسكب \* ماء من الورد يد كومننه تعطير  
وتخفق الريح منه وهي ناسمة \* مما أهب به مسك وكافور  
ويشرق الصبح منه وهو من غرر \* غتر تلالا لمنهن الاسارير  
وتطلع الشمس فيه من سناملك \* تبسم الدهر منه وهو مسرور  
ومضى في مدح السلطان والله تعالى يتعمد الجميع برحمته عنه وكرمه

الخبر عن دولة السلطان أبي عمر تاشفين الموسوس ابن أبي الحسن المريني

هذا السلطان كان محبوبا لوزيره عمر بن عبد الله الفودودي لا يملك معه ضرا ولا نفعا أمه أم ولد اسمها  
ميمونة صفته طويل القامة عظيم الهيكل بعيد ما بين المنكبين أعين أدعج وكان فارسا بطلا  
قوي الساعد الا أنه كان ناقص العقل ولما ثار عمر بن عبد الله بالسلطان أبي سالم وسعى في هلاكه الى أن  
قتل كما مر استبتمر الدولة ونصب هذا الموسوس بموته به على الناس فبويع ليلة الثلاثاء التاسع



عشر من ذي القعدة سنة اثنتين وستين وسبعمائة حسبا سبق وكان نقصان عقل ناشفين من أجل  
الاسر الذي أصابه بوقعة طريف أيام والده السلطان أبي الحسن الى ان اقتدى وبقي ناقص العقل مختل  
المزاج الى أن كان من أمره ما كان

بفتح الفتك بغرسية بن انطول قائد النصارى ومقتل جنده معه والسبب في ذلك

لما قبض عمر بن عبد الله على الوزير بن مسعود بن عبد الرحمن بن ماساي وسليمان بن داود وسجنهما  
متفرقين فآخذ اليه ابن ماساي لكان صهره منه ودفع لغرسية سليمان بن داود وكان سليمان بن  
ونصار قد فرغ مع السلطان أبي سالم كما مر ولما رجع عنه فممن رجع نزل على غرسية فقبله وأكرمه وكان  
يعاقره الخرفاوضه ذات ليلة في الثورة بعمر بن عبد الله واعتقاله واقامة سليمان بن داود والمسجون  
بداره مقامه لما هو عليه من السن ورسوخ القدم في الامر ونفى الخبر بذلك الى عمر بن عبد الله فارتاب  
وكان خلوا من العصية ففرغ الى قائد المركب السلطاني من ناشبة الاندلس ورماتها وهو يومئذ ابراهيم  
البطروجي فعاقدته على أمره وبايعه على الاستماتة دونه ثم رأى أن ذلك لا يكفيه ففرغ نائبا الى يحيى  
ابن عبد الرحمن شيخ بني مرين وصاحب شورا هم قسكي اليه فاشكاه ووعده الفتك بابن انطول وأصحابه  
وانيرم عقدا بن انطول وسليمان بن ونصار أيضا على عمر بن عبد الله وغدوا الى القصر وداخل ابن انطول  
طائفة من النصارى استظهارهم وتوافقت بنو مرين بمجلس السلطان على عادتهم وحضر ابن انطول  
والبطروجي ويحيى بن عبد الرحمن وغير هؤلاء من الوجوه فسأل عمر بن عبد الله من ابن انطول تحويل  
سليمان بن داود من داره الى السجن فأبى ورضن به عن الاهانة حتى سأل مثلها من ابن ماساي صاحبه  
فامر عمر بالتقبض عليه فكثرت في وجوه الرجال واختلط سكينه للدفاعه فتواتبت بنو مرين عليه وقتلوه  
لحينه واستلموا من وجدوا بالدار من جنده النصارى عند دخولهم مع قائدهم وقر بعضهم الى  
معسكرهم ويعرف بالملاح جوارفاس الجديد وأرجف الغوغاء بالمدينة أن ابن انطول قد غدر بالوزير  
فقتلوا جنده النصارى حيث وجدوهم من سكك المدينة وتزاحقوا الى الملاح لاستلحام من بقي به منهم  
وركبت بنو مرين لحماية جندهم من معرة الغوغاء وانتهب يومئذ الكثير من أموالهم وأنتهم وأمتعتهم  
وقتل النصارى أيضا كثيرا من مجان المسلمين كانوا يعاقدون الخمر بالملاح ثم سكنت الهبة وما كادت  
واستبدت عمر بن عبد الله بدار الملك واعتقل سليمان بن ونصار الى الليل ثم بعث من قتله بحبس وحول سليمان  
ابن داود الى بعض الدور من دار الملك فاعتقله بها واستولى على أمره ثم خاطب عامر بن محمد الهنتاقي في  
اتصال اليد به واقسام ملك المغرب بينه وبينه وبعث اليه بابي الفضل ابن السلطان أبي سالم اعتمده عنده  
ليوم ما ثم فسد ما بينه وبين مشيخة بني مرين فاجتمعوا على كبيرهم يحيى بن عبد الرحمن وعسكروا بباب  
الفتوح واستدعوا عبد الحليم بن أبي علي ابن السلطان أبي سعيد من تلمسان على ما ذكره

بفتح ظهور عبد الحليم بن أبي علي بن أبي سعيد ومحاصرته لفاس الجديد ثم فراره عنها

قد قدمنا في أخبار السلطان أبي الحسن أن أخاه أبا علي صاحب مجمل ماسة كان قد انتقض عليه فامكنه  
الله منه فقتله وكفل أولاده فلم يميز بينهم وبين أولاده في شيء من الاشياء ولما أفضى الامر الى أبي عنان  
بعث جماعة من اخوته وقرابته الى الاندلس تحت حياطة ابن الاحر وكان فيهم أولاد أبي علي هؤلاء ثم  
بعث حين سرحوا وقد مو التلمسان على سلطانها أبي حو ابن يوسف فكانوا عنده الى هذا التاريخ فلما  
فسد ما بين عمر بن عبد الله وشيوخ بني مرين بعثوا الى تلمسان جماعة منهم لاستمعام عبد الحليم  
المدكور فسرحه أبوجوا وأعانته بشي من الآلة وجع عليه من رغب في طاعته وزحف الى فاس  
فلقته جماعة بني مرين بسبوا وتزلوا على فاس الجديد يوم السبت سابع محرم سنة ثلاث وستين

وسبعمائة واضطربوا معسكرهم بكديّة العرائس وحاصروا دار الملك سبعة أيام وتتابعت وفودهم وحشودهم ثم ان عمر بن عبد الله برز يوم السبت القابل في مقدمة السلطان تاشفين بن معه من جنود المسلمين والنصارى راححة وناشبة وروكل بالسلطان من جاءه في الساقفة على التعمية المحكمة وناوشهم الحرب فزحفوا اليه فاستطرد لهم ليتمكن الناشبة من عقورهم من الاسوار حتى فشت فيهم الجراحات ثم صمم نحوهم فانفرج القلب وانقضت الجموع ثم زحف السلطان تاشفين في الساقفة فابذعروا في الجهات واقترق بنو مريّن الى مواطنهم ولحق يحيى بن عبد الرحمن عمرا كمش مع مبارك بن ابراهيم شيخ الخطاط ولحق عبد الحليم واخوته بتازا بعد ان شهدتهم رجال الدولة بصدق الجلال وحسن البلاء في ذلك المقام ثم ان الوزير عمر بن عبد الله راجع بصيرته في تقديم المعتوه للامر وعلم ان الامر لا يستقيم له بذلك فبادر باستقدام أبي زيان محمد بن أبي عبد الرحمن يعقوب ابن السلطان أبي الحسن وكان عند الطاغية بدار الحرب فقدم وخلق الوزير المذكور سلطانه الموسوس يوم الاثنين الحادى والعشرين من صفر سنة ثلاث وستين وسبعمائة فكانت دولته ثلاثة أشهر ويومين ومات وسنه ستون سنة والله تعالى أعلم

والخبر عن دولة السلطان المتوكل على الله أبي زيان محمد بن أبي عبد الرحمن يعقوب بن أبي الحسن المريّني

هذا السلطان كان محبوبا للوزير عمر بن عبد الله أيضا كنيته أبو زيان لقبه المتوكل على الله أمه أم ولد اسمها فضة صفته آدم اللون شديد الادمة معتدل القامة منفرج الأنف دقيق العينين وهو قال ابن الخطيب في الاطاطة حاله فاضل سكون منقاد مشغول بخاصة نفسه قليل الكلام حسن الشكل درب ركض الخيل مفوض للوزراء عظيم التآني لاغراضهم وكان قبل ولايته عند الطاغية بالاندلس قرأ اليه خوفا على نفسه ولما التبت الامور على عمر بن عبد الله طلبه الى الطاغية فسمح به بعد اشتراط واشتراط وفصل من اشيلية في المحرم فاتح سنة ثلاث وستين وسبعمائة ونزل بسبته وبها سعيد بن عثمان من قرابة الوزير عمر بن عبد الله أرصده لقدمه فطير اليه بالخبر فحينئذ خلق عمر تاشفين الموسوس وبعث الى السلطان أبي زيان بالبيعة والآلة والفساطيط ثم جهز عسكر اللقائه فتلقوه بطنجة وأخذ السير الى الحضرة فنزل منتصف صفر بكديّة العرائس واضطرب معسكره بما وتلقاه يومئذ الوزير عمر بن عبد الله اليباني وبأيدعه وأخرج فسطاطه فاضطرب به معسكره وتلقوا السلطان أبو زيان هناك ثلاثا ثم دخل في اليوم الرابع الى قصره واقعد أريكته وتودع ملكه وهو قال ابن الخطيب في الاطاطة كان دخوله داره مغرب ليلة الجمعة بطالع الثامن من السرطان وبه السعد الاعظم كوكب المشتري من السيارة السبعة اه ولما تم له الامر خاطبه ابن الخطيب من سلامه مثاله بقوله

يا ابن الخـلاف يا سمي محمد \* يا من علاه ليس يحصر حاصر  
أبشر فانت مجتد الملك الذي \* لولاك أصبح وهو رسم دائر  
من ذابعا ندمك وارته الذي \* بسعوده فلك المشيشة دائر  
ألفت اليك يد الخـلافه أمرها \* اذ كنت أنت لها الولي الناصر  
هذا وبينك للصريح وبينها \* حرب مضرسة وبحر زانر  
من كان هذا الصنع أول أمره \* حسنت له العقبى وعز الآخر  
مولاي عندي في عسلاك محبة \* والله يعلم ما تكن ضمائر  
قلبي يحسدني بانك جابر \* كسرى وحظي منك حظ وافر  
بثري جدودك قد حططت حقيتي \* فوسسيتني لعلاك نور باهر  
وبذلت وسعي واجتهادي مثل ما \* يلقى للكك سيف أمرك عامر  
فهو الولي لك الذي اقحم الردي \* وقضى العزيمة وهو سيف باهر

وولي جدك في الشدايد عندما \* خذلت علاه قبائل وعشائر  
 فاستهدمنه النصح واعلم انه \* في كل معضلة طيب ماهر  
 ان كنت قد عجلت بعض مدائحى \* فهى الرياض وللرياض بواكر  
 ثم اتبعها بشر أضر بنا عنه اختصارا والله تعالى الموفق

وفادة ابن الخطيب من سلا على السلطان أبي زيان بن أبي عبد الرحمن رحمه الله

وقال في الاحاطة \* وفدت على السلطان أبي زيان بن أبي عبد الرحمن بن أبي الحسن من محل الانقطاع  
 بسلا وأشدته قولى

لمن علم في هضبة الملك خفاق \* أفاقته من غشية الهرج آفاق  
 تقل رياح النصر عنه غمامة \* تمسكها أيد وتخضع أعناق  
 ويعة شورى أحكم السعد عقدها \* واعمل اجماع عليها واصفاق  
 قضى عمر فيها بحق محمد \* فسهل عهدا للوفاء وميناق  
 أحلما ترى عيناي أم هي فترة \* أعندك في مشكل الامر مصداق  
 وفاض لفضل الله في الارض بتغى \* ومجتمعات لا تريب وأسواق  
 وسرح تهنيه الكلاءة بالكلا \* وقلح لسقى الغيث قام له ساق  
 وقد كان طيف الحلم لا يعمل الخطا \* والفتنة العمياء في الارض اطباق  
 وللغيث امسالك وفي الارض رجوة \* وللدين والدينا وجوم واطراق  
 فكل فريق فيه للبعى راية \* وكل طريق فيه للغيث طراق  
 أجل انه من آل يدع قوب وارث \* يحق له البيت العتيق ويشتاق  
 له من جناح الروح ظل مسجف \* ومن رفرق العز الالهى رستاق  
 أطل على الدنيا وقد عادضوها \* دجى وعلى الاحداق للدعرا حداق  
 فانسرت الارجاء من نور رجاها \* وساح بها لله لطف واشفاق  
 فن السن بالشكر لله أعلنت \* وكان لها من قبل مس واطباق  
 وليس لامر أبرم الله ناقص \* وليس لمسى النجى في الله اخفاق  
 محمد قد أحيت دين محمد \* وللخلق ادماء تفيض وارماق  
 ولولم تنب غطى على شفق الضحا \* دم لسيف البغى في الارض مهراق  
 فأعين بمشكون من الفلك سماح \* له باختيار الله حط وايساق  
 اقلك والدماء تطهر طاعة \* اليك وصفح الماء أزرق رقرق  
 الى هلف السعد انبرى منه والدجا \* تضل الحصى سهم من السعد رشاق  
 نخطت لتقويم القوام جداول \* وصحت من التوفيق واليمن أوفاق  
 تبارك من أهداك للخلق رجوة \* ومستبعد أن يهمل الخلق خلاق  
 هو الله يبلو الناس بالخبر قننة \* وبالشتر والايام سم وترباق  
 سم منك أعناق الورى خليفة \* له في مجال السعد عدو واعناق  
 وقالوا بنان ما استقل بك منه \* تفيض على العاقين أم هي أرزاق  
 وأظن بك الماسحون وأغرقوا \* فلم يجسد اطناب ولم يغن اغراق  
 ألسنت من القوم الذين أكههم \* غمام ندى ان أخلف الغيث غيداق  
 ألسنت من القوم الذين وجوههم \* بدورها في ظلمة الروع اشراق

رياض اذا العاقى استظل ظلالها \* ففيها جنى مسلى الا كف و اوراق  
 أبوك ولى العهد لوسالم الردى \* وجنتك قد فاق الملوك وان فاقوا  
 فن ذاله جند بجدك أو اب \* لائى والمجد المؤنسل نساقي  
 وحسب العلى فى آل يعقوب انهم \* هم الاصل فى العلياء والناس الحاق  
 أسود سروج أو بدور أسرة \* فان حاربوا راعوا وان سالموا راقوا  
 يطول لتحصيل الكمال سهادهم \* فهم لله الكرام عشاق  
 ﴿ومنها﴾

لقد نسبت احسان جندك فرقة \* تزرت على أعناقهم منه أطواق  
 أجازت خروج ابن ابنه عن ترانه \* ولم تدر ما ضمت من الذكر أوراق  
 ومن دون ما راموه الله قدرة \* ومن دون ما أموه للفتح انغلاق  
 خذ العفو وايدل فيهم العرف ولتسع \* جريرة من أبدى لك الغدر اخلاق  
 فربما تنبؤهم نعمة الطي \* وتمنقوا حوم القوم والقوم حذاق  
 وما للناس الا مذب و ابن مذب \* ولله ارفاد عليه هم وارفاق  
 ولا ترج فى كل الامور سوى الذى \* خزائنه ماضر ها قط انفاق  
 اذا هو أعطى لم يضر منع مانع \* وان حشدت طسم وعادو عملاق  
 عرفت الردى واستأثرت بك للعدا \* تخوم لمخط الصليب واعماق  
 فيسر ليسرى واحبابك الورى \* وللرؤع ارعاد عليك و اوراق  
 فجاز صنيع الله وازدد بشكره \* مواهب جود غيبتها الدهر دفاق  
 وأوفى ان أوفى وكفى الذى كفى \* فانت كريم طهرت منك اعراق  
 وتهنيك يا مولى الملوك خلافة \* شجتها تباريح اليك وأشواق  
 فقد بلغت أقصى المنى بك نفسها \* وكم فاز بالوصل المهنا مشتاق  
 فلاراع منها السرب للدهر رائع \* ولانال منها جدة السعد اخلاق  
 أمولاى راع الدهر سربى وغالى \* فطرفى ممدعور وقلبي خفاق  
 وليس لكسرى غيرك اليوم جابر \* ولا ليدى الا بجدك اعلاق  
 ولى فيك وتواعتد اغرسته \* فراقته به من يانع الحمد أوراق  
 وقد عيل صبرى فى ارتقاي خليفة \* تحصل به للضرعنى أوهاق  
 وأنت حسام الله والله ناصر \* وأنت أمين الله والله رزاق  
 وأنت الامان المستجار من الردى \* اذا راع خطب أو توقع املاق  
 وأهون ما يرجى لديك شفاعته \* اذا لم يكن عنزم حثيث وارهاق  
 ودونك هامن ذائع الحمد محاص \* له فيك تقييد بروق واطلاق  
 اذا قال اما كل سمع لقوله \* فصنع وأما كل أنف فتشاق  
 ودم خافق الاعلام بالنصر كلها \* ذهبتمسى لم يكن فيه اخفاق

قال وعدت منه ببر كثير واحترام شهير يشير بذلك الى ما أكرم به وكتب له من الظهير الذى يتضمن كمال  
 الاحترام والتوقير ونصه هذا ظهير كريم من أمير المسلمين فلان أيدى الله ونصره وسنى له الفتح المبين  
 ويسره للشيخ الفقيه الاجل الاسنى الاعز الاحظى الارفع الامجد الاسمى الاوحد الانوه الارقى العالم  
 العلم الرئيس الاعرف المتفنن الابرع المصنف المفيد المصدر الاحفل الافضل الاكمل أبى عبد الله ابن الشيخ



الفيقيه الوزير الاجل الاسنى الاعزاز رفيع الامجد الوجيه الانوه الاحفل الافضل الحسينى الاصمى  
الاكمال المبرور المرحوم ابي محمد بن الخطيب قابله ايده الله بوجه القبول والاقبال وأضفى عليه ملابس  
الانعام والافضال ورعى له خدمة السلف الرفيع الجلال وما تقرر من مقاصده الحسنه في خدمة  
أمرنا العال وأمر في جلة ما سوغه من الالاء الوارفة الظلال الفسيحة المجال بان يجدد له حكم ما بيده  
من الاوامر المتقدم تاريخها المتضمنة تمشية خمسمائة دينار من الفضة العشرية في كل شهر عن مرتب له  
ولولده الذي لنظره من محبي مدينة سلا حرسها الله ومن حيث جرت العادة ان تمشى له ورفع الاعتراض  
ببها فيما يجب له من الادم والاقوات على اختلافها من حيوان وسواه وفيما يستفيده خدامه بخارجها  
وأحوازها من عنب وقطن وكتان وفاكهة وخضر وغير ذلك فلا يطلب في شئ من ذلك مغرم ولا وظيف  
ولا يتوجه فيه اليه بتسكين يتصل له حكم جميع ما ذكر في كل عام تجديداتنا واحتراما عاما اعلن  
بتجديد الخطوة واتصالها واتمام النعمة واكملها من تواريخ الاوامر المذكورة الى الآن ومن الآن  
الى ما يأتي على الدوام واتصال الايام وان يحمل جانبه فيمن يشركه أو يخدمه فحسب الرعي والمحاشاة في  
السخرمها معرضت والوظائف اذا اقتضت حتى يتصل له تالدة العناية بالطارف وتتضاعف أسباب  
المن والعوارف بفضل الله وتحروله الازواج التي يحرمها بالتامت من كل وجيبة وتحاشي من كل  
مغرم أو ضريبة بالتحريم التام بحول الله وعونه ومن وقف على هذا الظهير الكريم فليعمل بمقتضاه  
وليمض ما أمضاه ان شاء الله وكتب في العاشر من شهر ربيع الآخر من سنة ثلاث وستين وسبعمائة  
وكتب في التاريخ اه وقوله وكتب في التاريخ هو العلامة السلطانية في ذلك الزمان يكتب بقلم غليظ  
وبعض ملوك المغرب يكتب عند العلامة صح في التاريخ

بجوادة عامر بن محمد الهنتاني على السلطان أبي زيان بن أبي عبد الرحمن رجهما الله

كان للوزير عمر بن عبد الله الياباني مودة ومصافاة مع الرئيس الشهير أبي ثابت عامر بن محمد الهنتاني  
كبير جبل درن والبلاد المرأكتسية وكان الوزير عمر المذكور قد بعث اليه بصهره وظهيره على الملك  
مسعود بن عبد الرحمن بن ماساي يكون عنده عدة وعناد اليوم ما فلما بويع السلطان أبو زيان استقدم  
عمر بن عبد الله صهره المذكور لوزارته وكان عامر بن محمد فحما القدم على السلطان المذكور فقدم  
في صحبته مسعود وتزلا من الدولة بخير منزل وعقد السلطان أبو زيان لسعود المذكور على وزارته بإشارة  
الوزير عمر بن عبد الله فاضطلع بها ودفعه عمر اليها استماله اليه وثقة بمكانه واستظهار بعصيته وعقد مع  
عامر بن محمد الخائف على مقاسمة المغرب شق الابله وجعل اماره مرا كش لابي الفضل ابن السلطان  
أبي سالم اسعاف الغرض عامر بن محمد في ذلك وخطب اليهم عامر بنت السلطان أبي بكر الحفصي التي توفي  
عنها السلطان أبو عثمان فاجابوه وحلوا اولياءها على العقد عليها وانكفأرا جمعا الى مكان عمله عمرا كش  
يجز الدنيا وراءه عز وتروة وتابعا وذلك في جادى الاولى من سنة ثلاث وستين وسبعمائة فاستقل بامر  
التاحية الغربية من مرا كس وجبال المصامدة وما اليها من الاعمال واستبد بها ونصب ابا الفضل  
ابن السلطان أبي سالم صورة واستوزر له وتمكن ساطانه وعلاذ كره وصارت كأنها دولة مستقلة فصرف  
اليه النازعون من بني مرين عن الدولة وجوه مفرهم ولجوا اليه فاجارهم على السلطان واجتمع اليه منهم  
مسلا واتسع الخرق على الراقع واضطربت الاحوال بالمغرب ونرج على السلطان أبي زيان الامير  
عبد الحليم بن أبي علي بن أبي سعيد وتغلب على سجلماسة وأعمالها ثم غلب عليه أخوه عبد المؤمن بن أبي علي  
فخرج عبد الحليم الى المشرق لقضاء فريضة الحج واستمر عبد المؤمن بسجلماسة وأقام بها دولة كما كان  
لواده من قبيل الى ان فتحها الوزير مسعود بن عبد الرحمن بن ماساي وأضافها الى ملكه فاس ثم انتقض  
الوزير مسعود أيضا وبايع الامير عبد الرحمن بن أبي يفاوس بن أبي علي ونصب به للامر وصار يشوش به

على الدولة وشرق عمر بن عبد الله بدائه في أخبار طويلة والم يتم له أمر عبره هو وسلطانه البحر من مرسى  
غساسة الى الاندلس فاتح سنة سبع وستين وسبعمائة وأقبل على الجهاد واستراح الوزير عمر وسلطانه  
أوزيان من شعبهما والله غالب على أمره

﴿ مقتل السلطان أوزيان بن أبي عبد الرحمن رحمه الله ﴾

لماطال استبداد الوزير عمر بن عبد الله على السلطان أوزيان وجره اياه اذ كان وضع عليه الرقباء  
والعيون حتى من حرمه وأهل قصره عزم على القتل بالوزير المذكور وتناجى بذلك مع بعض ندائه  
وأعدله طائفة من العبيد كانوا يختصون به فمضى ذلك الى الوزير بواسطة بعض الحرم كانت عيناه عليه  
فداجله وكان قد بلغ من الاستبداد عليه ان كان الحجاب مرفوعا له عن خواتم السلطان وحرمه فدخيل  
عليه وهو في وسط حتمه فطردهم عنه ثم غطه حتى فاط وأمر به فالتقى في بئر روض الغزلان واستدعى  
الخاصة فأراهم مكانه بها وأنه سقط عن دابته وهو سكران وذلك في محرم فاتح سنة ثمان وستين وسبعمائة  
كذا عند ابن خلدون ﴿ وقال في الجذوة ﴾ توفي يوم الاحد الثاني والعشرين من ذي الحجة سنة سبع وستين  
وسبعمائة وله ثمان وعشرون سنة ودفن بجامع قصره فكانت دولته أربع سنين وعشرة أشهر ويوما  
واحدا والله أعلم

﴿ الخبر عن دولة السلطان أبي فارس عبد العزيز بن أبي الحسن رحمه الله ﴾

هذا السلطان هو الذي أنعش دولة بني مرين بعد تلاشيها وأعاد اليها شباها بعد هزمها وتقاضياها  
وأزال عنها وصمة الحجر والاستبداد وأعادها من العزالي طالها المعتاد وهو الذي ذكره ابن خلدون في  
أول تاريخه الكبير وألقبه برسمه وحلى ديباجته باسمه أمه مولدة اسمها مريم صفته آدم اللون شديد  
الادمة طويل القامة يشرف على الناس بطوله نحيف الجسم أعين أدعج أخنس في وجهه أثر جدري  
وكان عفا متمسكا بالدين محبا في الخير وأهله لم يشرب خراولا وقع في فاحشة قط وبالجملة فقد كان من  
صالحى الملوك رحمه الله ﴿ ولما ﴾ كان من الوزير عمر بن عبد الله اليابقي الى السلطان أوزيان رحمه الله  
ما كان من الخلق واللقاء في البئر استدعى عبد العزيز بن أبي الحسن هذا وكان في بعض الدور من القصة  
بفاس محتاطا عليه من قبل الوزير المذكور فأحضره بالقصر وأجلسه على سرير الملك وبأيدىه وفتحت  
الابواب لبني مرين وسائر الخاصة والعامة فازدجوا على تعجيل يده معطين الصفة بطاعته فم أمره  
وثبت ملكه وذلك يوم الاحد الثاني والعشرين من ذي الحجة سنة سبع وستين وسبعمائة ثم ان الوزير  
عمر جرى معه على عادته من الاستبداد ومنع التصرف في شئ من أمور الملك فأذف السلطان عبد العزيز  
من ذلك وتأفف منه ودارت بينه وبين الوزير أمور الى ان عمل السلطان على القتل به فأعدله جماعة  
من الخصيان بزوايا داره ثم أحضره ووجعه وثار به أولئك الخصيان فتناولوه هربا بالسيف وصاح  
الوزير المذكور صيحة أسمعهم باطانتهم خارج الدار فوثبوا على الابواب فكسروها واقتحموا الدار  
فأذا صاحبهم مدرج بدماثة قد فرغ منه فولوا الادبار هاربين ثم تتبع السلطان عبد العزيز حاشية  
الوزير بالاعتقال والقتل حتى أتى على الجميع في خبر طويل واستبدع بكه واضطلع به وأدار الامور فيه  
على ما ينبغي والله تعالى أعلم

﴿ انتفاض أبي الفضل بن أبي سالم ثم مقتله بعد ذلك ﴾

قد قدمنا ان ابا الفضل بن أبي سالم كان قد عقد له الوزير عمر بن عبد الله على مرا كش اسع اقال كافلة عامر  
ابن محمد الهنتاني فلما قتل السلطان عبد العزيز بالوزير المذكور سوت لابي الفضل نفسه مثلها في  
عامر بن محمد لاستبداده عليه وأغراه بذلك بطاقته فأحس عامر بالشر فتمارض بداره من مرا كش

ثم استأذنه في الصعود الى معتمده من الجبل ليرضه هنالك حرمه وأقاربه فارتحل بجملته واحتل  
بحصنه وكان أعز من الأبلق الفرد فيس أبو الفضل من الاستمكان منه ثم أغرته بطانته اذ فاتهم عامر  
بالفتك بعبد المؤمن بن أبي علي وكان قد انضاف اليه بعد اجفاله عن سجا ماسة فسكراً أبو الفضل ذات  
ليلة وبعث عن قائد الجند من النصارى فأمره بقتل عبد المؤمن بكان معتقله من قسبة مرا كش فجاء  
برأسه اليه وطار الخبر بذلك الى عامر فارتاع ووجد الله اذخلصه من غائلته وبعث يبيعه الى السلطان  
عبد العزيز وأغراه بأبي الفضل ورغبه في ملك مرا كش ووعدته بالمظاهرة فأجمع السلطان أمره على  
النهوض اليها ونادي في الناس بالعطاء وقضى أسباب حركته وارتحل من فاس سنة تسع وستين  
وسبعمائة وقد استبدأ أبو الفضل بمرا كش وأعمالها وأقام بهار سم الملك واستوزر واستلحق وجعل  
شوراه المبارك بن ابراهيم بن عطية الخلطي ولما نهض السلطان عبد العزيز من فاس اتصل خبره بأبي  
الفضل وهو منازل عامر بن محمد فأنقض معسكره وخلق بتادلا ليعتصم بجبل بني جابر منها فبعثه  
السلطان عبد العزيز اليها ونازله وأخذ بمنزله وقتله فقتل عسكره ثم ادخل بعض بني جابر في جوارحه  
عليه على مال يعطيه لهم ففعلوا وانزمت جيوشه وتقبض على أشياعه وسبق مبارك بن ابراهيم الى  
السلطان عبد العزيز فاعتقله الى ان قتله مع عامر بن محمد كما نذكر وخلق أبو الفضل بقبائل صناكة  
وراء بني جابر فدخلك بنو جابر صناكة في شأنه وبذلوا لهم عن السلطان ما لا تراقى اسلامه فأسلموه  
وبعث السلطان اليهم وزيره يحيى بن ميمون فجاء به أسيراً وأحضره أمام السلطان فوبخه ثم اعتقله  
بفسطاط مجاور له ثم غط من الليل فكان مهلكه في رمضان سنة تسع وستين وسبعمائة اضى ثمان سنين  
من امارته على مرا كش وبعث السلطان عبد العزيز الى عامر بن محمد يختبر طاعته فأبى عليه وجاهر  
بالتحلاف الى ان كان من شأنه ما نذكره

### في انتقاض عامر بن محمد الهنتاني وحصار السلطان عبد العزيز اياه وظفره به

كان عامر بن محمد الهنتاني مجير السلطان أبي الحسن من ابنه أبي عثمان على ما وصفنا من بلوغ الغاية في  
الرياسة والاعتزاز على الدولة وطول الاستبداد بمرا كش وأحوالها وكان قد حصل في مدة رياسته على  
ثروة عظيمة وجاءه كبير وكان له معتمد بجبل درن أعز من بيض الأنوق قد حصن فيه ماله وسلاحه  
وذخيره وكان كلما هاجه هيج صعد اليه وأمن على نفسه فلما صفا الأمر للسلطان عبد العزيز جعل  
عامر اهذاً من أهم أمره فتصبله واستعد لقتاله وعقد على وزارته لابي بكر بن غازي بن يحيى بن الكاس  
ونمض اليه من فاس سنة سبعين وسبعمائة فحاصره في جبله سنة كاملة ولما طال الحصار على عامر  
وشيعته اختلفت كلمتهم عليه وفسد ما بينه وبين ابن أخيه فارس بن عبد العزيز بن محمد فبعث الى السلطان  
وسهل له الطريق لاقتحام الجبل فترحفت العساكر والجنود وشارفت المعتصم ولما استيقن عامر  
ان قد أحيط به بعث الى ابنه أبي بكر أن يلحق بالسلطان مختاراه ومشيراً عليه بالتى هي أحسن وأسلم  
فالتى الولد بنفسه الى السلطان فقبله وبذل له الامان وألحقه بجماعته واتقن عامر عن الناس وذهب  
لوجهه ليخاص الى السوس فرده الثلج وقد كانت السماء أرسلت به منذ أيام حتى تراكم بالجبل بعضه على  
بعض وسد المسالك فاقتمه عامر حتى هلك فيه بعض حرمه ونفق من كومه وعان الهلكة العاجلة فرجع  
أدراجه محتفياً حتى أوى الى غار مع أدلاء كان قد استخاصهم وبذل لهم ما لا على أن يسلكوا به ظهر الجبل  
الى صحراء السوس فأقاموا ينتظرون امساك الثلج وقد شد السلطان عبد العزيز في التفسير عنه  
والبحث فشر عليه بعض البربر بالغار المذكور فسبق الى السلطان فأحضره بين يديه ووبخه فاعتذر  
واعترف بالذنب ورغب في الأقالة فحمل الى مضرب بني له بزاز فسطاط السلطان واعتقل هنالك وانطقت  
الأيدي على معتقل عامر ودياره فانتهب من الاموال والسلاح والذخيرة والزرع والاقوات ما لا عين

رأت ولا أذن سمعت واسه تولى السلطان على الجبل ومعاقله في رمضان من سنة احدى وسبعين  
 وسبع مائة لحول من يوم حصاره وعقد على هنتاته لابن أخي عامر وهو فار من بن عبد العزيز بن محمد بن علي  
 الهنتاتي وارتحل الى فاص فاحتل بها آخر رمضان المذكور ودخلها في يوم مشهود برز فيه الناس وحمل  
 عامر وسلطانه ناشفين من بني عبد الحق كان نصبه للامر بمؤهبه على عادته فحمله الامع على جملين وقد فرغ  
 عليه ما بالباس رث وعبثت به ما أيدي الاهانة فكان ذلك عبرة لمن رآه ولما قضى السلطان عبد العزيز  
 نسك عيد الفطر أحضر عامر افتقره بذنوبه وأتى بكتاب بخطه يخاطب فيه أبا جوار بن يوسف الزياتي  
 ويستجده على السلطان فشهد عليه به وأمر السلطان بامتحانه فلم يزل يجلد حتى أنتن لحمه وضرب بالعصى  
 حتى ورمت أعضاؤه وهلك بين يدي الوزعة وجنب ناشفين سلطانه الى مصره فقتل قعصا بالرمح  
 وجنب مبارك بن ابراهيم الخلطي من محبسه بعد الاعتقال فالحق بهم ولكل أجل كتاب وصفا الجوار  
 للسلطان عبد العزيز من المنازعين وتفرغ لغزو تلمسان على ما نذ كره ان شاء الله

### بجوار تجاع الجزيرة الخضراء من يد الاصبنيول

قد قدمنا ما كان من استيلاء الطاغية على الجزيرة الخضراء أيام السلطان أبي الحسن رحمه الله فاستمرت  
 في ما كتهم الى هذا التاريخ فنشأت بينهم قتنة وتقاتلوا على الملك وأعر واثغورهم الموالية للمسلمين من  
 الحامية والجنديت عورة وتشوق المسلمون الى ارتجاع الجزيرة الخضراء التي قرب عهدهم بانتظامها  
 في ملكة المسلمين وكان السلطان عبد العزيز في شغل عن ذلك بقتة أبي الفضل بن أبي سالم وعامر بن محمد  
 وانتقاضهم ما بعث الى ابن الاجر صاحب الاندلس أن يزحف اليها بعساكره وعليه عطاؤهم  
 وامدادهم بالمال والاساطيل على أن تكون مثوية جهاده خالصه فأجاب ابن الاجر الى ذلك وبعث  
 اليه السلطان عبد العزيز بالمال وأوعز الى أساطيله بسبته فأنعمرت وأقاعت حتى احتلت  
 بحرسى الجزيرة الخضراء لحصارها وزحف ابن الاجر بعساكر المسلمين على أثرها بعد ان قسم فيهم العطاء  
 وأزاح العلل وأعد الآلات للعصار فنازلها أياما قلائل ثم أيقن النصرى بالهلكة لبعدهم عن الصريح  
 ويأسهم من مدد ملوكهم فالتقوا باليد وسألوا النزول على الصلح فأجابهم ابن الاجر اليه وتزلوا عن البلد  
 وأقيمت فيه شعائر الاسلام ومحبت منه كلمة الكفر وكتب الله أجرها لمن أخلص في معاملته وكان ذلك  
 سنة سبعين وسبع مائة وولى ابن الاجر عليها من قبله ولم تزل الى نظره الى ان وقع الاختيار على هدمها  
 خشية استيلاء النصرانية عليها مرة أخرى فهدمت أعوام الثمانين وسبع مائة وأصبحت خاوية كأن لم  
 تكن بالامس

### في نهوض السلطان عبد العزيز الى تلمسان واستيلاؤه عليها وقرار سلطانه أبي جوار بن يوسف عنها

كان أبو جوار بن يوسف الزياتي قد فسد ما بينه وبين عربسويد وقبض على بعض رؤسائهم محمد بن  
 عريف فاستصرخوا عليه السلطان عبد العزيز وكانت القوارص لا تزال تسرى اليه من أبي جوار  
 المذكور فصادفوا منه صاغية الى ما التمسوا منه واعتزم على النهوض الى تلمسان وبعث الحاشرين الى  
 الجهات المراكشية فتوافى الناس اليه على طبقاتهم واجتمعوا عنده أيام منى سنة احدى وسبعين  
 وسبع مائة فافاض العطاء وأزاح العلل ولما قضى نسك عيد الاضحى عرض الجنود ونهض الى تلمسان  
 فاحتل بتازا واتصل بخبره بابي جوار فجمع الجوع وهمم باللقاء ثم اختلفت كلمة احمابه وتفرق عنه العرب  
 من بني معقل فأجفل هو وأشياعه من بني عامر بن زغبة فدخلوا القفر وتقدم السلطان عبد العزيز  
 فاحتل بتلمسان يوم عاشوراء من سنة اثنين وسبعين وسبع مائة فدخلها في يوم مشهود واستولى عليها  
 وعقد لوزيره أبي بكر بن غازي بن الكاس على عساكر مرين والعربوسرحه في اتباع أبي جوار فادركه



ايضا بلاد زناتة الشرق فاجهضوه عن ماله ومسكره فانتهب باسره واكتسحت أموال العرب الذين معه ونجا بمائة الى مصاب وتلاحق به ولده وقومه متفرقين على كل مفازة ثم دخلوا القفر بعد ذلك ودوخ الوزير المذكور بلاد المغرب الاوسط وشرده عصاته واستنزل ثواره في أخبار طويلة واستولى السلطان عبد العزيز على سائر الوطن من الامصار والاعمال وعقد عليها اللوالة والعمال واستوسق له ملك المغرب الاوسط كما كان لسيفه واستمر مقيما بتلمسان الى ان كان مات ذكره

﴿ تزوع الوزير ابن الخطيب عن سلطانه الغني بالله الى السلطان عبد العزيز بتلمسان ﴾

قد قدما ما كان من رجوع الغني بالله ابن الاجر الى ملكه بالاندلس سنة ثلاث وستين وسبعمائة زلما استولى على غرناطة وثبت قدمه بها بعث عن مخافه بغاص من الاهل والولد والقائم بالدولة يومئذ عمر بن عبد الله فاستقدم عمر بن الخطيب من سلاويهم الى نظره فسير السلطان ابن الاجر مقدمه وردّه الى منزلته ودفع اليه تدبير المملكة وخطب بينه بنده مائة وأهل خلوته وانفرد ابن الخطيب بالحل والعقد وانصرفت اليه الوجوه وعلقت به الآمال وغنى بابه الخاصة والكافة وغصت به بطانة السلطان وحاشيته فتوافقوا على السعاية فيه وقدم السلطان عن قبولها وغنى الخبر بذلك الى ابن الخطيب فشرع عن ساعده للرحلة عن الاندلس والحق بالمغرب وكان له حنين اليه ورغبة في الايالة المرينية من قبل ذلك فقدم الوسائل الى السلطان عبد العزيز وأوعز اليه بما عزم عليه من الحق بمحضته فوعد السلطان بالجبل وبسط أمره فحينئذ استأذن السلطان الغني بالله في تفقد الثغور والغريسة من أرض الاندلس فاذن له وسار اليها في جماعة من فرسانه ومعه ابنه علي فلما حاذى جبل طارق مال اليه فخرج قائد الجبل لتلقيه وقد كان السلطان عبد العزيز قد أوعز اليه بذلك وجهز اليه الاسطول من حينه فاحتل بسبته ثم سار منها فقدم على السلطان عبد العزيز بتلمسان سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة فاهتزت له الدولة وأركب السلطان خاصته لتلقيه وأحله بمجلسه محل الامن والغبطة ومن دولته بمكان الشرف والعزة وأخرج لوقته كاتبه أبا يحيى بن أبي مدين سفيرا الى الاندلس في طلب أهله وولده فجاءهم على أكمل الحالات من الامن والتكرمة ثم نزل بعد ذلك مدينة فاس القديمة فاستكثروها من شراء الضياع وتأنق في بناء المساكن واعتراض الجنات وحفظت عليه رسومه السلطانية وتوفيراتهم وأقام مطمئنا بخيردار عند أعزجار

﴿ وفاة السلطان عبد العزيز بن أبي الحسن رحمه الله ﴾

كان السلطان عبد العزيز قد أصابه مرض الضحول في صغره ولاجل ذلك تجافى السلطان أبو سالم عن بعثه مع الابناء الى الاندلس فاقام بالمغرب ولما شب أفاق من مرضه وصلاح بدنه ثم عاوده وجمعه في مشواه بتلمسان وتزايد ضحوه ولما اكمل الفتح واستفحل الملك اشتد به الوجع فصاربه وكنه عن الناس خشية الارجاف ثم عسكر خارج تلمسان للحاق بالمغرب ولما كانت ليلة الخميس الثاني والعشرين من ربيع الآخر سنة أربع وسبعين وسبعمائة قضى نحبه رحمه الله بظاهر تلمسان بين أهله وولده وسبق الى فاس فدفن بجامع قصره وسنه يومئذ أربع وعشرون سنة وكانت دواته ست سنين وأربعة أشهر ومن تطمه ما ذكره ابن الاجر في نثر الجمان مذيلا لبيتي والده السلطان أبي الحسن اللذين هما قوله  
أرضي الله في سر وجهه سر \* وأحى العرض من دنس ارتياب  
وأعطى الوفر من مالي اختيارا \* وأضرب بالسيوف طلي الرقاب

فقال هو وأحسن

وأرغب خالقي في الفروعني \* وأطلب حلمه يوم الحساب

وأرجوعونه في عز نصر \* على الأعداء محروس الجناب  
وعبدك واقف بالباب فارحم \* عبيدنا خائفاً ألم العقاب

الخبر عن دولة السلطان السعيد بالله أبي زيان محمد بن عبد العزيز بن أبي الحسن

هذا السلطان من ولي الأمر وهو صبي وفيه ألف ابن الخطيب كتابه المسمى بأعلام الأعلام بن بوع من ملوك الإسلام قبل الاحتلام كنيته أبو زيان أمه عائشة بنت القائد فارج العلي صفة آدم اللون شديد الأدمة ولما مات السلطان عبد العزيز رحمه الله بظاهر تلمسان خرج الوزير أبو بكر بن غازي بن السكاس على الناس وقد احتمل أبو زيان ابن السلطان عبد العزيز فمزاهاهم عن سلطانهم ثم طرح ابنه بين أيديهم فازدحوا عليه باكين متعجبين يعطونه الصفقة ويقبلون يديه للبيعة ثم أخرجوه للعسكر وأنزلوه بفساطيط أبيه وتم أمره وكفله الوزير المذكور فكان إليه الأبرام والنقض والصبي كالعدم اذ لم يكن في سن التصرف ثم ان الوزير ارتحل بالناس وجد السير فدخل حضرة فاس وأجلس الصبي لبيعة العامة فبايعوا ثم توافقت عليه وفود الأماص على العادة واستبد الوزير أبو بكر واستعمل على الجهات وجلس بمجلس الفصل واشتغل بأمر المغرب إراماً ونقضا ولما فصل بنو مريم عن تلمسان عاد إليها سلطانها أبو جوا ابن يوسف الزياتي والتفت عليه بنو عبد الواد من كل جانب ومحي دعوة بني مريم من ضواحي المغرب الأوسط وأماصه واتصل الخبر بالوزير أبي بكر بن غازي فهم بالتهوض إليه ثم ثنى عزمه ما كان من خروج الأمير عبد الرحمن بن أبي يفاوس بن أبي علي بن أبي سعيد بناحية بطوية فان السلطان ابن الأحمر كان قد سرتحه من الأندلس صحبة وزيره مسعود بن عبد الرحمن بن ماساي لطلب ملك المغرب تشغيباً على الوزير أبي بكر بن غازي ثم أتبعه بالأمير أبي العباس أحمد بن السلطان أبي سالم الذي كان محتاطاً عليه بطبيعة فزحف الأمير أبو العباس المذكور إلى فاس وظاهره ابن عمه الأمير عبد الرحمن بن أبي يفاوس فحاصروا الوزير أبي بكر بن غازي وسلطانه أبو زيان بن عبد العزيز وضر بوا على فاس الحديدة يدسها جبال البناء للمحصار وأنزلوا به أنواع القتال بعد ان بعث ابن الأحمر رسلاً إلى الأمير عبد الرحمن باتصال اليه بان عمه الأمير أبي العباس ومظاهرة على ملك سلفه بفاس واجتماعهم المنازلتها وعقد بينهم ما الاتفاق والمواصلة وأن يختص عبد الرحمن بملك سلفه من سجله وأعمالها فراضياً وزحف إلى فاس كما قلنا وأمدتهم ابن الأحمر بجمع من جنده فاستمر الحال على حصار فاس إلى أن أذعن الوزير أبو بكر نطع سلطانه أبي زيان ومبايعة الأمير أبي العباس فخلعه يوم الأحد السادس من محرم فاتح سنة ست وسبعين وسبع مائة وغرب إلى الأندلس فكانت دولته سنة وثمانية أشهر وأربعة عشر يوماً والله غالب على أمره

الخبر عن الدولة الأولى للسلطان المستنصر بالله أبي العباس أحمد بن أبي سالم بن أبي الحسن

هذا السلطان يقال له ذو الدولتين لأنه ولي الملك مرتين كما سيأتي أمه حرة بنت أبي محمد السبائي كنيته أبو العباس لقبه المستنصر بالله صفة أبيض اللون ربعة تعالوه صفرة رقيقة أدمج أسود الشعر أكل الحاجبين ضيق البلع أسيل الخدين براق الثنايا جميل الوجه ملج الصورة ظريف المتزع لطيف الشماثل حسن الشكل اذ اركب بوبع أولاً بطبيعة في شهر ربيع الآخر سنة خمس وسبعين وسبع مائة ثم بوبع البيعة العامة بالمدينة البيضاء بعد استيلائه عليها يوم الأحد السادس من محرم سنة ست وسبعين وسبع مائة وكان الأمير عبد الرحمن بن أبي يفاوس عندما أشرفوا على فتح فاس شرط عليهم ولاية مراکش عوضاً عن سجلماسة فعقدوا له على كره مخافة ان تفرق كلمتهم ولا يتم أمرهم ففعلوا وطروا له على البت فارتحل إلى مراکش واستولى عليها ثم فارقه وزيره مسعود بن عبد الرحمن وأجاز البحر إلى الأندلس فاستقر بها في إيالة ابن الأحمر واستقل السلطان أبو العباس بن أبي سالم بملك فاس وأعمالها

واستوزر محمد بن عثمان بن الكاس وقوض اليه أمورهم فقلب على هواه وجعل أمر الشورى الى سليمان  
ابن داود فاسم ثقل بها وماز رياسة الشيخة واستحكمت المودة بينه وبين ابن الاجر وجعلوا اليه المرجع  
في نقضهم وابعادهم فصار له بذلك تحكيم في الدولة المرينية وأصبح المغرب كأنه من بعض أعمال الاندلس  
وذلك بما كان لابن الاجر من اعانة السلطان أبي العباس على ملك المغرب حتى تم له وبما كان تحت يده  
من أبناء الملوك المرشحين للامر فكان أبو العباس وحاشيته يصانعون له لاجل ذلك والله تعالى أعلم

### في محنة الوزير ابن الخطيب ومقتله رحمه الله

لما لجأ ابن الخطيب الى بني مرين وأصاب عندهم دارا وقرار اعز ذلك على ابن الاجر وسعى بطائفة عنده  
في ابن الخطيب لعداوتهم له ثم بلغه انه يعزى السلطان عبد العزيز بملك أرض الاندلس وقطع دعوة  
بني الاجر منها فغضب عليه ذلك ودبر الحيلة في قتل ابن الخطيب وتبع أعداؤه كلمات زعموا أنهم صدقت  
منه في بعض تأليفه فأحصوها عليه ورفعوها الى قاضي غرناطة أبي الحسن النباهي فاسترعاها ومجبل  
عليه بالزندقة وبعث ابن الاجر برسم الشهادة مع هدية لم يسمع عنها الى السلطان عبد العزيز وطلب منه  
اقامة الحد على ابن الخطيب أو اسلامه اليه فصم السلطان عبد العزيز عن ذلك وأنفذت منه أن تخفر  
ولجوارده ان يؤذى وقال للوفد هلا انتقمتم منه وهو عندكم وأنتم عالمون بما كان عليه وأما أنا فلا يخلص  
اليه بذلك أحدا ما كان في جوارى ثم وفر الجارية والاقطاع له ولبنيه ولمن جاء من فرسان الاندلس  
في جلته ثم سلمت السلطان عبد العزيز رحمه الله وولي ابنه أبو زيان وقام بأمره الوزير أبو بكر بن غازي  
عاود ابن الاجر الكلام في شأن ابن الخطيب وبعث بهدية أخرى الى الوزير المذكور وطلب منه  
اسم لأمه اليه فابى الوزير وأساء الرد وعادت رسل ابن الاجر اليه مخففين وقد رهبوا سطوته فعند ذلك  
عمد ابن الاجر الى الامير عبد الرحمن بن أبي يفاوسن وكان عنده بالاندلس فاطمعه في ملك المغرب وأركبه  
البحر فعدى به بساحل بطوية من بلاد الريف تشغبيا على الوزير أبي بكر بن غازي كما مر ثم تاب له وأى  
آخر فأعزى محمد بن عثمان بن الكاس وهو ابن عم أبي بكر بن غازي المذكور وكان يومئذ بسببة قائما على  
تغرها فدخله في البيعة لابي العباس بن أبي سالم وكان يومئذ بسببة محتاطا عليه في جملة من القرابة  
والترحم أن يمدد بالمال والرجال حتى يتم أمره لكن بشرط أن ينزل له عن جبل طارق ويبعث له بالقرابة  
الذين بطخبة ليكونوا تحت يده ويسلم اليه ابن الخطيب متى قدر عليه فكان الامر كذلك فان السلطان  
أبا العباس لما استولى على الامر نزل لابن الاجر عن جبل طارق فحى دعوة بني مرين من وراء البحر  
ثم نك بعد ذلك بسببة فاستولى علىها وبعث اليه بالقرابة المذكورين فأوسع لهم جنباه بغرناطة ثم قبض  
السلطان أبو العباس ووزيره محمد بن عثمان على ابن الخطيب وطيروا بالاعلام لابن الاجر فحينئذ بعث  
وزيره أبا عبد الله بن زمرك وكان من زلامذة ابن الخطيب وبه تخرج فقدم على السلطان أبي العباس  
وأحضره وابن الخطيب بالمنشور في مجلس الخاصة وأهل الشورى من الفقهاء وعرضوا عليه بعض  
كلمات وقعت له في بعض كتبه فعظم عليه النكير فيها فوج ونسكل وامتنع بالعذاب بشهد ذلك الملام ثم نزل  
الى محبسه وتفاوضوا في قتله بمقتضى تلك المقالات المسجلة عليه فاقى بعض الفقهاء بقتله قدس سليمان  
ابن داود اليه بعض الاوغاد من حاشيته فطرقوا السجن ليلا ومعهم زعانقة من أهل الاندلس جاؤا  
في اقيب ذلك الوفا فقتلوه خنقا في محبسه وأخرجوا شلوه من الغد فدفن في مقبرة باب المحروق ثم أصبح  
من بعد طريحه على شافة قبره وقد جمعوا له أعوادا فاضرموها عليه نارا فاحترق شهرا واسود بشره  
وأعيد الى حفرة وكان في ذلك انتهاء محنته وعجب الناس من هذه السفاهة التي جاء بها سليمان بن داود  
واعتدوها من هنائه وعظم النكير فيها عليه وعلى قومه وأهل دواته وكان ابن الخطيب رحمه الله أيام  
مقامه بالسجن يتوقع مصيبة الموت فتجيش هو اتفه بالشعري بيكي نفسه فما قال في ذلك

بعدنا وان جاورتنا البيوت \* وجئنا بوغظ ونحن صموت  
 وأنفاسنا سكنت دفعة \* بكهرا الصلاة تلاه القنوت  
 وكنا عظاما فصرنا عظاما \* وكنا نقوت فهانحن قوت  
 وكنا شموس سما العلى \* غرنا ففناحت عليها السموت  
 فكم جدلت ذا الحسام الطي \* وذو البخت كم جدلته البخوت  
 وكم سبق للقبر في خرقة \* فتي ملئت من كساه التخت  
 فقل للعدا ذهب ابن الخطيب \* وفات ومن ذا الذي لا يفوت  
 فن كان يفرح منكم له \* فقل يفرح اليوم من لا يموت  
 وكانت نكبته وجه الله أوائل سنة ست وسبعين وسبع مائة وعند الله تجتمع الخصوم

بقية أخبار أمير مرا كش عبد الرحمن بن أبي يفاوسن وجه الله

قد تقدم لنا ما كان من معاقبة السلطان أبي العباس والامير عبد الرحمن بن أبي يفاوسن على ولاية سجلماسة أول ثم التعويض عنها بمرا كش ثانيا فلما فتح السلطان أبو العباس فاسا وفي الامير عبد الرحمن بعقده فسار الى مرا كش واستولى عليها وعلى أعمالها واقتسمت مملكة المغرب الاقصى يومئذ بنصفين وكان الحد بين الدولتين ثغرا زمو رف كانت في ايلة صاحب فاس وماوراءها الى مرا كش في ايلة صاحب مرا كش ثم كانت بينهما ما بعد ذلك مواصلات ومناقضات ومسالات ومحاربات يطول جليها واتصل ذلك الى منتصف سنة أربع وثمانين وسبع مائة قطف السلطان أبو العباس بعبد الرحمن بعد محاصرته بقصبة مرا كش تسعة أشهر ولما أشرف السلطان أبو العباس على فتحها وانقضت الناس من حول الامير عبد الرحمن وتزلوا من الاسوار ناجين الى السلطان وبقي هو في قصبته منفردا بات ليلته يراود ولديه على الاستماتة وهما سليم وأبو عامر وركب السلطان أبو العباس من الغد في التعمية الى القصبة فافتحمها بعقدته ولقيته الامير عبد الرحمن وولاده مسابقين الى الميدان ومباشرين القتال بين ابواب دورهم فجالوا معهم جولة قتل فيها الولدان قتلهم على بن ادريس وزيان بن عمر الوطاسي وقال ابن خلدون وطالما كان زيان يمتري ثدي نعمتهم ويجزئله خيلاء في جاههم فذهب مثلا في كفران النعمة وسوء الجزاء والله لا يظلم مثقال ذرة وكان ذلك خاتم جادى الاخرة سنة أربع وثمانين المذكورة احدى عشر سنين من امارة عبد الرحمن على مرا كش ثم رحل السلطان أبو العباس منقبا الى فاس وقد استولى على سائر أعمال المغرب وظفر بعدوه ودفع النازعين عن ملكه والله غالب على أمره

ذكر الشاوية وبيان ذمهم وأولبتهم وشرح لقبهم وتسميتهم

ذكر ابن خلدون ان الشاوية من ولد حسان بن أبي سعيد الصبيحي نسبة الى صبيح بالتصغير بطن من سويدوسويدا حدى قبائل بني مالك بن زغبة الهلاليين وكان دخول حسان وأخيه موسى ابني أبي سعيد الى المغرب الاقصى أيام السلطان يعقوب بن عبد الحق وجه الله قدموا في صحبة عبد الله بن كندوز العبد الوادي ثم الكمي وكان عبد الله هذا قد نزع عن يغمراسن بن زيان الى السلطان يعقوب المذكور فقدم عليه قبل فتح مرا كش فاهتز السلطان يعقوب لقدمه وأحله بالمكان الرفيع من دولته وأنزل قومه بجهات مرا كش وأقطعهم البلاد التي كفتهم مهماتهم وجعل انشجاع ابله ورواحله وسائر ظهره في احياتهم فقدم عبد الله بن كندوز على رعايتها حسان وأخاه موسى الصبيحيين وكانا عارفين برعاية الابل والقيام عليها فاقاموا يتقبلون في تلك البلاد ويتعدون في نجعها الى أرض السوس وكانت ماشية السلطان يعقوب متفرقة في سائر المغرب فجمعها عبد الله بن كندوز وجمعها عبد الله لحسان الصبيحي



المذكور فكان حسان يباشر أمور السلطان في شأن تلك الماشية ويطالع بهما ته فحصلت له مداخلة معه جلبت اليه الحظ حتى ارتفع قدره ونشأ بنوه في ظل الدولة وعزها وتصرفوا في الولايات منها وانفردوا بخطط الشاوية فلم تزل ولايتها متوارثة فيهم منقسمة بينهم لهذا العهد الى ما كانوا يتصرفون فيه من غير ذلك من الولايات وكان حسان من الواد على ويعقوب وطلمحة وغيرهم ومن حسان هذا تفرعت شعوبهم في ولده **يوقل** ابن خلدون **يوقل** وهم لهذا العهد يتصرفون في الدولة على ما كان لسلفهم من ولاية الشاوية والنظر في رواج السلطان والنظر الذي يحمل من الابل ولهم عدد وكثرة ونباهة في الدولة **اه** **يوقل** **يوقل** واقط الشاوية نسبة الى الشاء التي هي جماعة الغنم مثلا قال في الصحاح والنسبة الى الشاء شاوي قال الرازي لا ينفع الشاوي فيها شاته \* ولا حصاراه ولا علانه

وان سميت بهر جلا قلت شاء وان شئت شاوي **اه** واعلم ان الشاوية اليوم يطلقون على سكان تامسان من قبل شتى بعضها عرب وبعضها زتاتة وبر غير ان لسان الجميع عربي وكان أصل جمهورهم من هؤلاء الذين ذكر ابن خلدون ثم انضافت اليهم قبائل آخر واختلطوا بهم فاطلق على الجميع شاوية تغليباً وهكذا وقع في سائر عرب المغرب الاقصى الوطنيين بتلوله فانهم وقع فيهم اختلاط كبير حتى نسوا أنسابهم وأصولهم الاولى الا في النادر وذلك بسبب تعاقب الاعصار وتناسخ الاجيال وتوالي الجماعات والانتجاعات ووقعت الملوك بهم في كثير من الاحيان وتفرق بعضهم من بعض ونقل بعضهم الى بلاد بعض ومع ذلك فاسماؤهم الاولى لازالت قائمة فيهم لم تتغير الى الآن فنهايتي الفطن الى التنقيب عن أنسابهم والحق قروعهم باصولهم متى احتاج الى ذلك والله تعالى أعلم

### في موضع السلطان أبي العباس الى تلمسان وقتها وتخریبها

لما تم غز السلطان أبو العباس الى مراکش وحاصره بمعية عبد الرحمن بن أبي يغلسن خالعه الى المغرب أبو جواد بن يوسف الزياتي في جمع من اولاد حسين عرب معقل وذلك باغراء عبد الرحمن المذكور فدخلوا الى أحواز مكاسة وعاقوا فيها ثم عمدوا الى مدينة تازا فحاصروها سبعة ايام واقتصر الملك هنالك ومجده المعروف بقصر تازروت وينماهم على ذلك بلغهم الخبر اليقين بفتح مراکش وقتل الامير عبد الرحمن فاجتفوا من كل ناحية ومتر أبو جواد في طريقه الى تلمسان بقصر وتزمار بن عريف السويدي في نواحي بطوية المسمى بمرادة فهدهم ووصل السلطان أبو العباس الى فاس فراح بها أياماً ثم أجمع النهوض الى تلمسان فاذنسى الى تاويرت وبلغ الخبر الى أبي جواد فاضطرب رآيه واعتزم على الحصار وجمع أهل البلاد عليه فاستعدوا له ثم بداهه فخرج في بعض تلك الليالي بولده وأهله وخاصته وأصبح مخيماً بالصفيصيف فأخرج أهل البلاد اليه بعيالهم وأولادهم متعلقين به تفادياً من معرة هجوم العسكر عليهم فلم يرعه ذلك عن قصده وارتمل ذاهباً الى البطحاء ثم قصد بلاد مغراوة فنزل في بني أبو سعيد قريبا من شلف وأتزل أولاده الاصغر وأهله بمحصن تابعهم وتوجه السلطان أبو العباس الى تلمسان فلكها واستقر بها أياماً ثم هدم أسوارها وقصر الملك بها باغراء اوليه وتزمار جزاء بما فعله أبو جواد في تخريب قصر تازروت وحصن مرادة ثم خرج من تلمسان في اتباع أبي جواد وتزل على مرحلة منها وهنالك بلغه الخبر باجازة موسى بن أبي عنان من الاندلس الى المغرب وانه خالفه الى دار الملك فانه كفأ راجعاً عوده على بدءه ورجع أبو جواد الى تلمسان فاستقر ملكه بها الى ان كان ما نذ كره ان شاء الله

### في خلع السلطان أبي العباس بن أبي سالم وتغريبه الى الاندلس والسبب في ذلك

قد قدمنا ما كان من تحكيم ابن الاحمر في مملكة المغرب ودالته على السلطان أبي العباس بما أنه كان السبب في ولايته وبما تحت يده من القرابة المرشحين الذين أرصدتهم للتشغيب على دار الملك بالمغرب متى رأى من

أحدهم ما لا يوافق هواه وكان مع كثره تحكمه فيهم يتجنى عليهم في بعض الاوقات بما أتونه من تقصير في شفاعته أو مخالفة في أمر لا يجدون عنها محيصا فيضطن ذلك عليهم وكان يعتد على السلطان أبي العباس بتشي من هذه الهنات فلما غرض الى تلمسان واستولى عليها سنة خمس وثمانين وسبعمائة اتصل بابن الاجر أن دار الملك بفاس قد بقيت عورة من الجند والحامية فانتهر الفرصة وبأمر يتسرع موسى ابن السلطان أبي عنان الى المغرب واستوزر له مسعود بن عبد الرحمن بن ماساي رئيس الفتنة وقطب رحاها وكان عنده بالاندلس بعد مفارقة عبد الرحمن بن أبي يفاوس قتل موسى بن أبي عنان سنة فاستولى عليها وسلها لابن الاجر فدخلت في طاعته ثم تقدم الى فاس فدخلها من يومه واستقر قدمه بها واتصل الخبر بالسلطان أبي العباس وهو بتلمسان فجاء مبادرا ونزل بتلما فاقام بها أربعين يوما ثم تقدم الى الموضع المعروف بالركن فانتقض عليه رؤساء جيشه وتسلوا عنه الى موسى طوائف وأفراد ولما رأى ما نزل به رجع الى تازا بعد ان انتهب معسكره وأضرمت النار في خيامه وذلك يوم الاحد الموفى ثلاثين من ربيع الاول سنة ست وثمانين وسبعمائة ثم بعث موسى بن أبي عنان من أتاه بالسلطان أبي العباس في الامان فقدم عليه وقيده وبعث به الى ابن الاجر فبقي عنده محتاطا عليه الى ان كان من أمره ما نذ كره ان شاء الله وكانت دولته هذه عشر سنين وشهرين وأربعة وعشرين يوما ومن وزرائه في هذه الدولة محمد بن عثمان بن الكاس المجذولي ومن كتابه عبد المهين بن أبي سعيد بن عبد المهين الحضرمي تعمد الله الجميع برحمته

الخبر عن دولة السلطان المتوكل على الله أبي فارس موسى بن أبي عنان بن أبي الحسن

أمه مولدة اسمها تاملالت صفته أسمر ماثل الى السواد قصير القامة جاحظ العينين عظيم اللحية تملأ صدره قائم الانف واذا تكلم بلا لسانه فخرج من بين شفتيه ويتحرك فيقبح كلامه بويح يوم الخميس الموفى عشرين من شهر ربيع الاول سنة ست وثمانين وسبعمائة وقام بأمر دولته وزيره مسعود بن ماساي مستبدا عليه ولما استقر أمره بالحضرة وجه اليه ابن الاجر أمه وعياله وكانوا عنده وهناك وزيره أبو عبد الله بن زمرك بتوشح يقول في مطلعته

قد نظم الشميل أتم انتظام \* ولاحت الاقار بعد المغيب  
وضاحك الروض تغور الغمام \* عن مبسم الزهر البرود الشنيب

الى ان قال في آخره

مولاي يهنئك وحق الهنا \* قد نظم الشميل كنظم السعود  
قد قرت بالفخر ونيل المنى \* وأنجز السعد جميع الوعود  
وقرت العين وزال العنا \* وكلاما مترصنيع يعود  
ولم يزل ملكك حلف الدوام \* يحوز في التخليد أوفى نصيب  
يتاوعليك الدهر بعد السلام \* نصر من الله وفتح قريب

خروج الحسن بن الناصر بغمارة ونهوض الوزير ابن ماساي اليه

كان الحسن بن الناصر بن أبي علي بن أبي سعيد قد لحق من مقره بالاندلس بحضرة تونس في سبيل طلب الملك وكان الوزير مسعود بن ماساي قد قتل محمد بن عثمان بن الكاس واقترقت حاشيته في الجهات فطلبوا بطن الارض دون ظهرها ولحق منهم ابن أخيه العباس بن المقداد بتونس فعثر على الحسن بن الناصر بها فتاب له رأى في الرجوع به الى المغرب لطلب الامر فخرج به من تونس وقطع المقاصد الى ان انتهى الى جبال غمارة ونزل على أهل الصفيحة منهم فأكرموا منواه ومنقلبه وأعلنوا بالقيام بدعوته واستوزر العباس بن المقداد وبلغ الخبر الى مسعود الوزير فجهز العساكر مع أخيه مهدي بن عبد الرحمن

ابن ماساي فخاصره بجبل الصفيحة أيا ما قام تنع عليه قهض اليه مسعود بنفسه على ما نذ كره

### وفاة السلطان موسى بن أبي عنان رحمه الله

لما كان من استبداد ابن ماساي على السلطان موسى ما قدمناه استكشف من ذلك ودخل بطائته في الفتك به فمضى ذلك اليه وحصلت له نفرة من السلطان طلب لاجلها البعد عنه وبادر الى الخروج لمداغمة الحسن بن الناصر القائم بعمارة واستخلف على دار الملك أخاه يعيش بن عبد الرحمن بن ماساي فلما انتهى الى قصر ككتامة بلغه الخبر بوفاة السلطان موسى وكانت وفاته في جمادى الآخرة طرقه المرض فهلك ليوم وإياله من مرضه وكان الناس يرمون يعيش أخا الوزير بانه سممه قاله ابن خلدون وهو قال ابن القاضي في الجذوة توفي السلطان موسى بن أبي عنان مسموما يوم الجمعة الثالث من شهر رمضان سنة ثمان وثمانين وسبع مائة وله احدى وثلاثون سنة فكانت دولته سنتين وأربعة أشهر وولى بعده محمد بن أحمد بن أبي سالم اه ومن كتابه أبو الفضل محمد بن محمد بن أبي عمر والتميمي وأبو القاسم محمد بن سودة المري ومن قضاته أبو عبد الله محمد بن محمد المغيلي والله تعالى أعلم

### الخبر عن دولة المنتصر بالله السلطان أبي زيان محمد بن أبي العباس بن أبي سالم بن أبي الحسن

أمه حرة وهي رقيقة بنت السلطان أبي عنان صفته أبيض اللون قائم الأنف أسيل الخدين بويح بعد خاله موسى بن أبي عنان يوم الجمعة الثالث من شهر رمضان سنة ثمان وثمانين وسبع مائة وسنة يوم بويح خمس سنين وخامس يوم الجمعة الخامس عشر من شوال من السنة المذكورة وغرب الى الاندلس مع أبيه فكانت دولته ثلاثة وأربعين يوما تحت استبداد الوزير مسعود عفا الله عنه

### الخبر عن دولة السلطان الواثق بالله أبي زيان محمد بن أبي الفضل بن أبي الحسن

أمه أم ولد اسمها عسيلة صفته اسود اللون عظيم الخلق رجب الوجه طويل القامة والساقين ممتلي الأنف عظيم الساعدين وكان قبل ولايته عند ابن الاحمر بالاندلس في جملة القرابة ولما استوحش الوزير مسعود من السلطان موسى بن أبي عنان بعث ابنه يحيى الى ابن الاحمر يسأل منه اعادة السلطان أبي العباس الى ملكه فأخرج ابن الاحمر من الاعتقال وجاء به الى جبل الفتح يروم اجازته الى العدو فلما توفي السلطان موسى بدال الوزير مسعود في أمره ودس لابن الاحمر في رده وأن يبعث اليه بالواثق هذا وراه أليق بالاستبداد والجر فأسعه ابن الاحمر في ذلك ورد السلطان أحمد الى مكانه بالجرء وحيء بالواثق فحضر بجبل الفتح عنده فأجازه الى سبتة واتفق أن جماعة من الحاشية انتقضوا على الوزير مسعود ولحقوا بسبتة فقدم عليهم الواثق بهاور جمعوا به الى المغرب وتقبلوا في نواحيه الى ان وصلوا الى جبل غميلة قرب فاس فبرز الوزير مسعود في العساكر وتزل قبالتهم وقتلهم هناك أياما ثم وقع الاتفاق على ان يبايع مسعود للواثق بشرط الاستبداد فتم العقد على ذلك وهو قال في الجذوة بويح السلطان الواثق بالله أبو زيان محمد بن أبي الفضل يوم الجمعة الخامس عشر من شوال سنة ثمان وثمانين وسبع مائة وقام بأمره الوزير مسعود بن ماساي ثم حدثت الفتنة بين الوزير المذكور وابن الاحمر بسبب ان الوزير طلب منه اعادة سبتة الى الالة المرينية وكان موسى بن أبي عنان قد نزل له عنها كما مر وكان طلبه على سبيل الملاطفة فاستشاط ابن الاحمر غضبا وأساء الرثب فجهز ابن ماساي العساكر لحصار سبتة مع العباس بن عمر بن عثمان الوسناني ويحيى بن علال بن أم محمود والرئيس محمد بن أحمد الا بك من بني الاحمر فاستولى عليها ثم سرح ابن الاحمر السلطان أبا العباس من اعتقاله وبعثه الى المغرب لطلب ملكه والتشغيب على ابن ماساي الجاحد لا حسانه بزعمه فعبر السلطان أبو العباس الصر الى المغرب

فاحتل بسبته واستولى عليها ثم تقدم الى فاس فحاصرها واضيق على ابن ماساي ولساطانه الوائق بالله وأهرع الناس الى الدخول في طاعته حتى من مرا كش فاستمر الحصار على فاس الجديد ثلاثة أشهر ثم أذن الوزير مسعود للطاعة على شرط أن يبقى وزيراً ويعترب ساطانه الى الاندلس فاجيب وخلق الوائق بالله ثم خرج الى السلطان أبي العباس فبايعه وتقدم أمامه فدخل دار ملكه يوم الخميس خامس رمضان سنة تسع وثمانين وسبعمائة ولحقه قبض على الوائق بالله فقيده وبعث به الى طنجة فقتل بها بعد ذلك وسنه يوم قتل عثمان وثلاثون سنة وبها قبر ومن وزرائه يعيش بن علي بن فارس اليباني ومسعود ابن رحو بن ماساي ومن كتابه منصور بن أحمد بن محمد التميمي وأبو يحيى محمد بن محمد بن أبي القاسم بن أبي مدين ومن قضائه أبو يحيى محمد بن محمد السكالك رحمهم الله تعالى عنه

### ﴿الخبر عن الدولة الثانية للسلطان أبي العباس بن أبي سالم بن أبي الحسن﴾

لما دخل السلطان أبو العباس حضرة فاس الجديد في التاريخ المتقدم ببيع البيعة العامة في اليوم الثالث من دخوله وهو يوم السبت السابع من رمضان سنة تسع وثمانين وسبعمائة لمضي ثلاث سنين وخمسة أشهر وستة أيام من خلعه ولما ملك أمر نفسه قبض على الوزير ابن ماساي وعلى اخوته وحاشيته وامتنعهم امتحاناً بليغاً فهاكوا من العذاب ثم سلب على مسعود من العذاب والانتقام ما لا يعبر عنه واعتمد عليه بما كان يفعله في دور بني مرين النازعين عنه اليه فانه كان متى هرب منهم أحد عمده الى بيوتهم فقبها فامر السلطان أبو العباس بعقابه في اطلالها فكان يوثق به الى كل بيت منها فيضرب عشرين سوطاً الى أن يرح به العذاب وتجاوز الحد ثم أمر به فقطعت أربعته فهلك عند قطع الثانية وذهب مثل اللذخون

### ﴿ظهور محمد بن عبد الحلیم بن أبي علي بسجلماسة ثم اضمه لاله بعد ذلك﴾

فقد قدمنا أن الامير عبد الحلیم بن أبي علي بن أبي سعيد كان تغلب على سجلماسة ثم غلبه عليها أخوه عبد المؤمن وسافر عبد الحلیم الى المشرق فهلك في سفرته تلك وكان قد ترك ابنه محمد اهدار ضيعا فشب متقلبا بين الدول من ملك الى آخر على ان أكثر مقامه انما كان عند أبي جوار صاحب تلمسان ولما حاصر السلطان أبو العباس فاس الجديد كان محمد هذاعند العرب الاحلاف فلما اشتد الحصار على مسعود بن ماساي دس الى الاحلاف أن ينصبوا محمد بن عبد الحلیم للامر ويحبوا به على المغرب لياخذ بحجرة السلطان أبي العباس عنه ففعلوا ودخل محمد بن عبد الحلیم سجلماسة فلما كها حتى اذا استولى السلطان أبو العباس على فاس الجديد وأوقع بمسعود بن ماساي واخوته خرج محمد بن عبد الحلیم عن سجلماسة وطلق باحياء العرب فسارت طائفة منهم معه الى أن أبلغوه مأمناً منه ونزل على أبي جوار تلمسان الى أن هلك فسار الى تونس ونزل على صاحبها أبي العباس الحفصي ثم ارتحل بعد وفاته الى المشرق ليج الفريضة والله تعالى

### ﴿نسكبة الكاتب بن أبي عمرو وحر كات بن حسون ومقتلهما﴾

أعلم

كان محمد بن محمد بن أبي عمرو والتميمي وقد تقدم ذكر والده في دولة السلطان أبي عنان كاتباً عند السلطان أبي العباس في دولته الاولى فلما خلع وولى موسى بن أبي عنان تقرب اليه بسالف المخالصة لا يسه من أبي عنان فقد كان أعز بطاقته كما مر فاستخاضه السلطان موسى للشورى ورفع منزلته على منازل أهل الدولة وجعل اليه كتابة علامته على المراسم السلطانية كما كان لابييه وكان يفاوضه في مهماته ويرجع اليه في أمور حتى غص به أهل الدولة وسعى هو عند السلطان موسى في جماعة من بطاقته السلطان أبي العباس فأتى عليهم النكال والقتل لسكلمات كانت تجري بينهم وبينه في مجالس المنادمة عند السلطان أبي العباس حدها عليهم فلما ظفر بالخط من السلطان موسى سعى بهم عنده فقتلهم وكان القاضي



أبو إسحق إبراهيم البرزاسني من بطانة السلطان أبي العباس وكان يحضر مع ندمائه ففقد عليه ابن أبي عمرو وأغرى به السلطان موسى فضربه وأطافه وجاءها شعاء غربية في القبح ثم سفر ابن أبي عمرو عن سلطانه موسى الى الاندلس فكان يترجم مجلس السلطان أبي العباس من محفل اعتقاله فلا يلبس به ويرى بقاءه فلا يحببه ولا يوجب له حقا فاحفظ ذلك السلطان أبا العباس فلما رد الله عليه ملكه وفرغ من ابن ماساي قبض على ابن أبي عمرو وهذا أو دعه السجن ثم امتحنه بعد ذلك الى أن هلك تحت السياط وجعل الى داره وبينما أهله يحضرونه الى قبره اذا بالسلطان قد أمر بان يسحب في نواحي المدينة ابلاغاً في النكال فحمل من نعشه وقدر بط في رجله حبس وسحب في سلك المدينة ثم ألقى على بعض المزابل ثم قبض السلطان على حركات بن حسون شيخ العرب وكان مجلباً في الفتنة وكان العرب المخالفون من معقل لما أجاز السلطان أبو العباس الى سبته وحركات هذا ابتداء لارادوه على طاعة السلطان فامتنع أولاً ثم أكرهوه و جاؤا به الى السلطان فطوى على ذلك حتى اذا استقام أمره وملك حضرة فاس الجديدي قبض عليه وامتحنه الى أن هلك والى الله عاقبة الامور

### في أخبار تلمسان واستيلاء السلطان أبي العباس عليها

كان السلطان أبو جواد بن يوسف الزياتي قد عاد الى تلمسان وثبت قدمه بها كما قلنا الى أن خرج عليه ابنه أبو تاشفين آخر سنة ثمان وثمانين وسبعمائة فوقعت بينهما حروب وشرق أبو تاشفين ثم عادت له السكرة عليه في أخبار طويلة فاستمد أبو تاشفين السلطان أبا العباس فامده بابنه الامير أبي فارس ووزيره محمد بن يوسف بن عمال عقد لهما على جيش كثيف من بني مرين وغيرهم فانتصر أبو تاشفين على أبيه فقتله وبعث برأسه الى السلطان أبي العباس ثم تقدم فدخل تلمسان آخر سنة احدى وتسعين وسبعمائة واستمر بها مقيماً الدعوة السلطان أبي العباس فكان يخطب له على منابر تلمسان ويبعث اليه بالضريبة كل سنة كما شرط على نفسه عند توجيهه العساكر معه واستمر على ذلك الى أن مات سنة خمس وتسعين وسبعمائة فقتل على تلمسان أخوه الامير يوسف بن أبي جواد ولما اتصل الخبر بالسلطان أبي العباس خرج من الحضرة الى تازا ومن هنالك بعث ابنه الامير أبا فارس في العساكر الى تلمسان فاستولى عليها وأقام فيها دعوة والده وقرى يوسف بن أبي جواد الى بعض الحصون فاعتصم به الى ان كان ما نذكره

### في وصول هدية صاحب مصر السلطان الظاهر برقوق الى السلطان أبي العباس بتازا والسبب في ذلك

كان العلامة الرئيس ولي الدين ابن خلدون قد استوطن في آخر عمره مصر القاهرة وتزل من سلطانه بالمتزلة الرفيعة قال رحمه الله وكان يوسف بن علي بن غانم أمير أولاد حسين من معقل ثم من أولاد جوار منهم قد حج سنة ثلاث وتسعين وسبعمائة واتصل بصاحب مصر الملك الظاهر برقوق أول الملوك الجراكسة من الترك قال فتقدمت الى السلطان المذكور فبه وأخبرته بحمله من قومه فأكرم تلقيه وجعله بعد قضاء حجه هدية الى صاحب المغرب يطرفه فيها يتحف من بضائع بلاده على عادة الملوك فلما قدم يوسف بن علي السلطان أبي العباس أعظم موقفاً وجلس في مجلس حفيل لعرضها والباهاات بها وشرع في المسكافة عليها بمختير الجياد والبضائع والثياب حتى اذا استكمل من ذلك ما رضيه وعزم على بعثها مع يوسف بن علي حاملها الا اول وانه يعنه بها من موضع مقامه بتازا اخترمته المنية دون ذلك

### في وفاة السلطان أبي العباس بن أبي سالم رحمه الله

كانت وفاة السلطان أبي العباس بمحل مقامه من تازا وهو يشارف أحوال ابنه أبي فارس ووزيره صالح ابن جواد الياباني وكان قد قدمها بالفتح تلمسان والبلاد الشرقية فاصابه حاصبه هنالك ليلة الخميس السابع

من محترم فاتح سنة ست وتسعين وسبعمائة وحمل الى فاس فدفن بالقلعة وسنه يومئذ تسع وثلاثون سنة فكانت دولته الثانية ست سنين وأربعة أشهر ومن وزرائه في هذه الدولة صالح بن جو اليباني ومحمد ابن يوسف بن علال الصنهاجي ومن حباه أبو العباس أحمد بن علي القبائلي ومن كتبه الشريف أبو القاسم محمد بن عبد الله الحسني السبتي والقائد محمد بن موسى بن محمود الكردي ويحيى بن الحسن بن أبي دلامة التسولي ومن قضائه القاضي أبو اسحق ابراهيم بن محمد بن ابراهيم اليزناسني **يقال في الجنوة** وكان السلطان أبو العباس شاعرا مقلعا بديع التشبيه فنظمه قوله

أما الهوى يا صاحبي فألقته \* وعهدته من عهد أيام الصبا  
ورأيت قوت النفوس وحليها \* فتخذته ديننا الى ومذهبا  
ولبست دون الناس منه حلة \* كان الوفاء لها طرازا مذهبها  
لكن رأيت له الفراق منعصا \* لا مرحبا بفراقنا لا مرحبا

**يقوم** من أخبار السلطان أبي العباس ما حكاها في نوح الطيب **يقول** أن الاديب الكاتب أبو الحسن علي ابن الوزير لسان الدين ابن الخطيب كان مصاحبا للسلطان أبي العباس هذا فحضر معه ذات يوم في بستان سم فيه ماء المذاكرة الهتان وقد أبدى الاصيل شواهد الاصفار وأزعم التهاولما قدم الليل على الفرار فقال السلطان أبو العباس لما لان جانبه وسالت بين سرحات البستان جدا وله ومذانه

يا فاس اني وأيم الله ذوشغف \* بكل ربع به معناه يسيني  
وقد أنست بقرب منك يا أملي \* ونظرة فيكم بالانس تحيني

فاجابه أبو الحسن ابن الخطيب بقوله المصيب

لا أوحش الله ربعا أنت زائره \* يا بهجة الملك والدينا مع الدين  
يا أحمد الحمد أبقاك الاله لنا \* نخر الملوكة وسلطان السلاطين

**يقوم** من أخباره أيضا **يقول** ان كاتبه أباز كريات يحيى بن أحمد بن عبد المنان دخل عليه عشاء فقال له أنعم الله صباح مولانا فانكر السلطان ذلك وظن انه غل ففطن أبوز كريات لما صدر منه وتدارك ذلك فانشد **مر تبلا** صحته عند المساء فقال لي \* ماذا الكلام وظن ذلك من انا فأجبتة اشراق وجهك غرتني \* حتى توهمت المساء صببا

**يقول** الخبر عن دولة السلطان المستنصر بالله أبي فارس عبد العزيز ابن أبي العباس بن أبي سالم رحمه الله **يقول**

من الاتفاق الغريب **يقول** أن سلطان فاس والمغرب في هذا التاريخ كان اسمه عبد العزيز بن أحمد و سلطان تونس وافريقية كل اسمه أيضا عبد العزيز بن أحمد وكانت ولايته مائة سنة واحدة الا ان مدة الخفصي طالت جدا أم هذا السلطان أم ولد اسمها الجوهر صفته شاب السن ربعة من القوم أدعج العينين جميل الوجه (لما توفي) السلطان أبو العباس بن أبي سالم رحمه الله بتازا كان ابنه أبو فارس هذا بتلسان فاستدعاه رجال الدولة منها فقدم عليهم بتازا وبادعوه بها يوم السبت التاسع من محرم سنة ست وتسعين وسبعمائة ولما تم أمره أطلق أبازيان بن أبي جو الزياتي وكان معتقلا عنده بفاس لانتجائه الى أبيه من قبل في خبر ليس تفصيله من غرضنا وبعثه الى تلمسان أميرا عليها من قبله فساوا اليها أبوزيان وملكها وأقام فيها دعوة السلطان أبي فارس ثم خرج عليه أخوه يوسف بن أبي جو واتصل باحياء بني عامر بن زغبة وعزم على الاجلاب عليهم فسرب أبوزيان فيهم الاموال فقتلوه وبعثوا اليه برأسه فسكنت أحوال تلمسان وذهبت الفتنة بذهاب يوسف واستقامت أمور دولة السلطان أبي فارس قاله ابن خلدون وهو آخر ما ورثه من دولة المغرب **يقول** **يقول** ان ما نسوقه بعد هذا من الاخبار عن هذه الدولة المرينية لم يسمع لنا الوقت بالوقوف عليه في تأليف بعضها أو موضوع يقص أخبارها نسقا

وينصها وانما تتبعنا ما أثبتناه من ذلك في مواضع ذكرت فيها بحسب التبعية لا بالقصد الاول وعلى الله تعالى في الهداية الى الصواب المعقول

بقية اخبار السلطان عبد العزيز ووفاته

قالوا كان السلطان عبد العزيز بن أبي العباس رجه الله كثير الشفقة رقيق القلب منقبض عن الغدر متوقفا في سفك الدماء وكان فارسا عارفا بركض الخيل ويحسن فرض الشعر ويحب سماعه فنظمه وقد نزل المطر يشكر الله تعالى عليه قوله

الله يلفظ بالعباد فواجب \* أن يشكروا في كل حال نعمته

فهو الذي فيهم ينزل غيثه \* من بعدما قنطوا وينشر رجته

توفي رجه الله يوم السبت ثامن صفر سنة تسع وتسعين وسبعمائة ودفن مع أبيه بالقبة فكانت دولته ثلاث سنين وشهرا ومن وزرائه صالح بن جوالباباني ويحيى بن علال بن أمصم ودالمسكوري ومن كتبه يحيى بن الحسن بن أبي دلامة ومن قضائه عبد الرحيم بن أبي اسحق الزيناسني رجهم الله تعالى بمنه

والخبر عن دولة السلطان المستنصر بالله أبي عامر عبد الله بن أبي العباس بن أبي سالم رجه الله تعالى

هذا السلطان شقيق الذي قبله أمه الجوهرة المتقدمة صفته أدمع العينين حسن الانف لامي العذار يبيع بعد أخيه عبد العزيز يوم السبت الثامن من صفر سنة تسع وتسعين وسبعمائة وكان التصرف والنقض والارام في هذه المدة كلها للوزراء وتوفي السلطان المذكور بعد صلاة العصر من يوم الثلاثاء الموفى ثلاثين من جمادى الآخرة سنة ثمانمائة فكانت دولته سنة وخمسة أشهر سوى أيام ومن وزرائه صالح بن جواويهي بن علال ومن قضائه عبد الرحيم الزيناسني ومن حجابيه أبو العباس أحمد بن علي القبائلي وفارح بن مهدي العليج والله تعالى أعلم **بجو** وأما **بجو** أخبار الغني بالله ابن الأجر بالاندلس فإنه كان أسقط رياسة الجهاد من بني مرين بها ومحارمها من مملكته أيام أجاز عبد الرحمن بن أبي بغاوس للتشغيب علي أبي بكر بن غازي بن الكاس حسما تقدم وصلوا أمر الغزاة والمجاهدين اليه وبأشر أحواله سم بنفسه واستمر الحال على ذلك الى ان هلك سنة ثلاث وتسعين وسبعمائة فولى مكانه ابنه أبو الججاج يوسف وياومه الناس وقام بأمرة خالد مولى أبيه وتقبض على اخوته سعد ومحمد ونصر فكان آخر العهد بهم ولم يوقف لهم بعد على خبر ثم سعى عنده في خالد القاسم بدولته وانه أعد السم لقتله وان يحيى بن الصائغ اليهودي طبيب دارهم قد ادخله في ذلك فقتل بمخالد وتناوشته السيوف بين يديه لسنة أو نحوها من ملكه ثم حبس الطبيب المذكور فذبح في محبسه ثم هلك سنة أربع وتسعين وسبعمائة لسنتين أو نحوها من ولايته وقد وفت لبعض الاصبينوليين واسمه منويل باولو القشتيلي على كتاب موضوع في أخبار المغرب الاقصى فنقلت منه بعض أخبار لم أجدها الا عنده وهو وان كان ينقل الغث والسمين والرخيص والثمين الا ان الناقد البصير يميز حصاه من درره ويفرق بين حشفه وقره فن ذلك انه حكى عن السلطان أبي الججاج المذكور وما صورته قال كانت مراسلات السلطان المريني يعني السلطان أبا العباس مع السلطان يوسف بن الغني بالله صاحب غرناطة حسنة في الظاهر تدل على الموافقة والمحبة وكان المريني في الباطن يحب الاستيلاء على مملكة غرناطة ولما لم يمكنه ذلك بالسيف عدل الى اعمال الخيلة فاهدى الى السلطان أبي الججاج كسي رقيقة احداها مسمومة فلبسها فهلك لحينه ومع ذلك فلم يدرك المريني غرضه فإنه لم يلبث الا يسيرا حتى توفي أيضا اه ولما توفي أبو الججاج يبيع ابنه محمد بن يوسف وقام بأمرة القائد أبو عبد الله محمد الخصاصي من صنائع أبيه **بجو** قال ابن خلدون **بجو** والحال على ذلك لهذا العهد ولندكر ما كان في هذه المدة من الاحداث **بجو** في سنة خمسين وسبعمائة كان الوباء الذي عم المسكونة شرقا وغربا على ما نهبنا عليه

فيما مضى في سنة خمس وستين وسبع مائة هـ توفي الولي الزاهد أبو العباس أحمد بن عمر بن محمد بن عاشر  
 الأندلسي تزيل سلا العارف المشهور قال أبو عبد الله بن سعد التلمساني في كتابه النجم الثاقب  
 فيما لولياء الله من المناقب كان ابن عاشر أحد الأولياء الأبدال معدودا في كبار العلماء مشهورا  
 بإجابة الدعاء معروف بالكرامات مقدمات في صدور الزهاد منقطعاً عن الدنيا وأهلها ولو كانوا من  
 صالحى العباد ملازمين للقبور في الخلاء المتصل ببحر مدينة سلا منفرداً عن الخلق لا يفكر في أمر  
 الرزق وله أخبار جليلة وكرامات عجيبه مشهورة من جمع الله العلم والعمل وأتى عليه القبول من  
 الخلق شديد الهيبة عظيم الوفاة كثير الخشية طويل التفكير والاعتبار قصده أمير المؤمنين أبو عنان  
 وارتحل إليه سنة سبع وخمسين وسبع مائة فوق بيابه طويلاً فلم يأذن له وانصرف وقد امتلأ قلبه من  
 حبه واجلاله ثم عاود الوقوف بيابه مراراً فواصل إليه فبعث إليه بعض أولاده بكتاب كتبه إليه  
 يستعطفه لزيارته ورؤيته فاجابه بما قطع رجاءه منه وأياسه من لقائه فاشتد حزنه وقال هـذا ولي من  
 أولياء الله تعالى حبه الله عنا هـ ومناقب الشيخ ابن عاشر وكراماته كثيرة وقد ألف فيها أبو العباس  
 ابن عاشر الحسافي من علماء سلا كتابه المسمى بتحفة الزائر في مناقب الشيخ ابن عاشر فانتظره  
 في سنة ست وسبعين وسبع مائة هـ وهي السنة التي قتل فيها ابن الخطيب كان الجوع بالمغرب  
 قال أبو العباس ابن الخطيب القسنطيني المعروف بابن قنفذ في كتابه أنس الفقير ما حصل له أنه رجع من  
 هجرته بالمغرب الأقصى في السنة المذكورة إلى بلده قسنطينة فاجتاز في طريقه بتلمسان قال وفي  
 هذه السنة كانت الجماعة العظيمة وعم الخراب المغرب فأقت بتلمسان نحو شهر أنتظر تيسر مسلك  
 الطريق فالتجأت إلى قبر الشيخ أبي مدين ودعوت الله عنده فوقع ما أملتته وارتحلت بعد أيام يسيرة  
 فرأيت في الطريق من الخير ما كان يتعجب منه من شاهده وكان أمر الطريق في الخوف والجوع  
 بحيث أن كل من تقدم عليه يتعجب من وصوله أسالين ثم عند ارتحالنا من عنده يتأسف علينا حتى أن  
 منهم من يسمنا ضرب الألف خلفنا تحسراً علينا حتى انتهى سفرنا على وفق اختيارنا والحمد لله في سنة  
 ثمان وسبعين وسبع مائة هـ توفي الشيخ العقبة المحدث أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد بن عمران الفتراري  
 السلاوي المعروف بابن المجراد صاحب لامية الجمل وشرح الدرر وغيرهما من التأليف الحسان قال  
 صاحب بلغة الأمانة ومقصد اللبيب فيمن كان بسبته في الدولة المرينية من مدرس وأستاذ وطبيب في  
 حق الشيخ المذكور كان محدثاً حاداً عارفاً بآية له معرفة بالرجال والمغازي والسير وكان رجلاً صالحاً حسن  
 السيرة صادق اللغة انتفع به الناس وظهرت بركته على كل من عرفه أو لازم مجلسه أو قرأ عليه من صغير  
 أو كبير قال وذلك عندنا معروف بسبته مشهور بين أهلها وانتقل إلى بلده سلا وتوفي بها في السنة  
 المذكورة في وقت وقبره مشهور بها إلى الآن وعليه قبعة صغيرة وهو من منارات سلا خارج باب  
 المعاقمة نهان عن الحارج على نحو غلوة وأهل سلا يسمونه سيدي الامام السلاوي رحمه الله ورضي عنه  
 في سنة اثنتين وتسعين وسبع مائة هـ توفي الشيخ الامام العارف المحقق الرباني أبو عبد الله محمد بن ابراهيم  
 النهزي المعروف بابن عباد شارح الحكم العطائية وأحد تلامذة الشيخ ابن عاشر المذكور آنفاً قال  
 صاحبه وأخوه في الله الشيخ أبو زكرياء السراج في حقه ما نصه كان حسن السمعت طويل الصمت كثير  
 الوفاة والحياء جميل اللقاء حسن الخلق والخلق على الهمة متواضعاً معظماً عند الخاصة والعامة  
 نشأ ببلده رندة على أكمل طهارة وعفاف وصيانة وحفظ القرآن وهو ابن سبع سنين ثم اشتغل بعد بطلب  
 العلوم النحوية والادبية والاصولية والفروعية حتى رأس فيها وحصل معانيها ثم أخذ في طريق  
 الصوفية والمباحثة عن الاسرار الالهية حتى أشير إليه وتكلم في علوم الاحوال والمقامات والعلل  
 والآفات وألف فيها تأليف عجيبة وتصانيف بديعة غريبة وله أجوبة كثيرة في مسائل العلوم



فحو مجاهد بن ودرس كتبها وحفظها كلها وأوجها إلى أن قال ولقي بسـ لا الشيخ الحاج الصالح السني الزاهد  
الورع أحمد بن عاشر وأقام معه ومع أصحابه سنين عديدة قال رحمه الله قد صدقتم لو وجدان السلامة معهم  
وتوفي رحمه الله بفاس بعد صلاة العصر من يوم الجمعة ثالث رجب من السنة المذكورة وحضر جنازته  
السلطان أبو العباس بن أبي سالم فن دونه همت العامة بكسر نعشه تبركاً به رحمه الله ورضي عنه ومن  
قوائده التي نقلها عن شيخه ابن عاشر ما ذكره في رسائله قال كنت قد ما خرجت في يوم مولد النبي صلى  
الله عليه وسلم صاعداً إلى ساحل البحر فوجدت هناك سيدي الحاج أحمد بن عاشر رحمه الله ورضي عنه  
وجاعة من أصحابه ومعهم طعامياً كلونه فأرادوا مني ألا أكل فقلت إني صائم فنظر إلى سيدي الحاج نظرة  
منكرة وقال لي هذا يوم فرح وسرور يستعجب في مثله اليوم كالعبيد قاتلت قولة فوجدته حقا وكأنه  
أيقظني من النوم أهـ وهو أعلم به انه في آخر هذا القرن الثامن تبدلت أحوال المغرب بل وأحوال  
المشرق ونسخ الكثير من عوائد الناس ومألوفاتهم وأزيائهم قال ابن خلدون في مقدمة تاريخه  
بعد أن ذكر أن الأحوال العامة للاتفاق والجيال والأعصار هي أس المورخ الذي تنبئ عليه أكثر  
مقاصده ما نصه وأما هذا العهد هو آخر المائة الثامنة فقد انقلبت أحوال المغرب الذي نحن شاهدوه  
وتبدلت بالجملة واعتاض من أجيال البربر أهـ له على القدم عن طرفه من لدن المائة الخامسة من  
أجيال العرب بما كثروهم وغلبوهم وانتزعوا منهم عامة الاوطان وشاركوهم فيما بقي من البلدان  
بملكهم وبأسهم هذا إلى ما نزل بالعمران شرقاً وغرباً في منتصف هذه المائة الثامنة من الطاعون  
الجارف الذي تحيف الأمم وذهب بأهل الجبل وطوى كثير من محاسن العمران ومحامها وجاء الدول على  
حين هزمها وبلوغ الغاية من مداها فقلص من ظلالها وقل من حدها وأوهن من ساطعها  
وتداعت إلى التسلاشي والاضمحلال أحوالها وانتقص عمران الأرض بانتقاص البشر فخربت  
الامصار والمصانع ودرست السبل والمعالم وخذت الديار والمنازل وضعفت الدول والقبائل وتبدل  
السكان وكأني بالمشرق قد نزل به مثل ما نزل بالمغرب لكن على نسبه ومقدار عمرانه وكأني نادى لسان  
الكون في العالم بالتحول والانقباض فبادر بالاجابة والله وارث الأرض ومن عليها واذا تبدلت الأحوال  
جملة فكأنما تبدل انطلق من أصله وتحول العالم بأسره وكأني خلق جديد ونشأة مستأنفة وعالم محدث  
إلى آخر كلامه رحمه الله فانهم هذه الجملة وتفطن لأحوال الدول التي سردنا أخبارها فيما مضى وأحوال  
التي سردنا أخبارها فيما بعد وتأمل الفرق بين ذلك والسبب فيه والله تعالى الموفق للصواب بعبه

الخبر عن دولة السلطان أبي سعيد عثمان بن أبي العباس بن أبي سالم

هذا السلطان هو ثالث الاخوة الاشقاء من بني أبي العباس الذين ولوا الامر من بعده ولاء أمه الجوهر  
أم أخويه قبله بويج بعد صلاة العصر له من يوم الثلاثاء الموفى ثلاثين من جادى الآخرة سنة ثمانمائة  
وسنة يومئذ ست عشرة سنة وكان النقص والابرار وسائر التصرفات في دولته للوزراء والحجاب  
والسلطان متفرغ لاستيفاء لذاته ومن أكبر حجابة أبو العباس القبائلي الذي نذكر خبره الآن

حجابة أبي العباس القبائلي ونكبته ومقتله والسبب في ذلك

بيت بني القبائلي بيت مشهور في الوزارة والحجابه والكباية من ادن الدولة الموحدية بمرا كس إلى هذا  
التاريخ وكان الرئيس الفقيه أبو العباس أحمد بن علي القبائلي كاتباً مشهوراً وحاجباً مذكوراً وكان  
قد بذل الاقران وتصدر على الاعيان وبلغ من الجاه ونفوذ الكلمة مبلغاً عظيماً وكان يحابي بالخطط  
السلطانية الاقارب والارحام لا يعدل بها عن سواهم فاضطغت عليه القلوب وكثرت فيه السعيات إلى  
أن نفذ أمر الله فأوقع به السلطان أبو سعيد وقعة شنعاء كان من خبرها انه كان للعاجب المذكور ولداً اسمه

عبد الرحمن وكان من فضلاء وقته وكان لعبد الرحمن هذا ولدا اسمه علي وكان من نجباء الأبناء فكان  
لجده أبي العباس لذلك ميل إليه ومحبة واقتان به فاتفق ان مرض هذا الحافظ ذات يوم فترجل جسده  
أبو العباس من الحضرة بقاس الجديد لعيادته بدار ولده عبد الرحمن من عدوة القرويين من قاس القديم  
وكانت الدار بزينة الجميلة من الطالعة فبات الشيخ عنده حافده تلك الليلة وكان منذولى خبطة الحجابة  
لم يغيب عن دار الملك ليلة واحدة بل كان يأخذ في ذلك بالحزم بحيث يستأبواب الحضرة ويفتحها ويباشر  
سائر الامور السلطانية بنفسه فلما أراد الله انفاذ قدره عطى على عقله وبصره قساها في تلك الليلة  
وبعث ولده أبا القاسم ليقوم مقامه في غلق الابواب وفتحها مع صاحب السقيف ومساهمه في القيام  
بالامور السلطانية أبي محمد عبد الله الطريفي الآتي ذكره فغلق الابواب على العادة ولما كان الصباح من  
الغد تقدم الولد أبو القاسم لاخذ المفاتيح من دار الخليفة فانجرت اليه وتولى فتح الابواب وحده دون  
أن يحضر الطريفي المشارك له في ولاية السقيف فلما جاء أبو محمد المذكور ورأى الابواب مفتحة بدون  
حضوره أخذ من ذلك ما قدم وما حدث وأسرها في نفسه حتى اذا كان المساء وحضر الوقت المعهود  
لغلق الابواب طلع للحضرة ولد آخر من ولد الحاجب القبائلي يعرف بأبي سعيد فبادر أبو محمد فسد الابواب  
في وجهه قبل أن يصل اليه وأمسك المفاتيح عنده واستبد بهم اطلب منه أبو سعيد أن يفتح له الباب فجهمه  
وامتنع وكأنه أمر دبر بليل ثم تقدم القائد أبو محمد المذكور الى السلطان أبي سعيد فاعلم بما اتفق له مع  
أولاد الحاجب فأوعز اليه السلطان أن لا يفتح الباب بعد غلقه الا وقت فتح المعتاد وزاد في الوصية بان  
لا يفتح ولا يغلّق الا بمحض السعيد ابن السلطان أبي عامر رحمه الله ولما رجع أبو سعيد الى والده بعدوة  
القرويين من قاس أعلمه بما اتفق له مع القائد الطريفي فامتلا غيظا وقامت قيامته وكانت فيه دالة على  
السلطان فتخف عن الحضور ولم يذكر ما قالته الحكماء اذا عادت من يملكك فلا تله ان يهلكك ثم  
استعطفه السلطان فأبى أن يعطف ثم بعث اليه ببراءة بخطه ليزيل ما صدره من الموجدة فكتب  
الحاجب جوابا وأقسم أن لا يطأ بساطا فيه فارح بن مهدي العلي وكان فارح هذا بعين التجلة من  
السلطان فلما وقف السلطان أبو سعيد على جواب الحاجب حى أنه وأظلم الدنيا في عينيه وأمر  
بالايقاع بالحاجب في الحين فذبح هو وولده عبد الرحمن يوم الخميس الموي ثلاثين من شوال سنة اثنيتين  
وثمانائة وكان عبد الرحمن هذا فاضلا شاعرا فن شعره في الغزل قوله

أسمع في الهوى قول الواحى \* وقد أبصرت خشف بنى رياح  
غزال خلف الصب المعنى \* من الوجد المبرح غير صاح  
وقد قتلت ولا أتم عليها \* مراض جفونه كل الصباح  
يقول ولحظه بالعقل يزرى \* على م تطيل وصفي وامتداحى  
فقلت فتون صحرفي كراقت \* قضت للقب بالعشق الصراح  
جبينك والمقاد والتنايا \* صباح في صباح في صباح

وبقي الحافظ أبو الحسن علي بن عبد الرحمن المذكور مرتباً في جملة الكتاب وكان فاضلاً شاعراً أيضاً  
ولما مرض السلطان أبو سعيد في شعبان سنة سبع وثمانائة وصح من مرضه وهناك الشعراء بقصائد  
كثيرة فكان من جللتهم أبو الحسن المذكور وقال

هنيئاً لنا ولكل الأنام \* براحة نحر الملوك الهمام  
امام أقام رسوم العلى \* وحل من المجد أعلى السنام  
به قرن العين لمابدا \* صحبها وما أن به من مقام  
وهل هو الا كبد الدجا \* يوارى قيسلا وراء النمام

ويظهر طورا فيجلبه \* عن الناس يا صاح ساجي الظلام  
 أو اللبث يعكف في غيبه \* فتحذر منه السباع اهتجام  
 أمولاي عثمان بجر الندي \* ومردي العداة ونجل الكرام  
 لقد رفع الله مقدركم \* فنفسى الفداء لكم من امام  
 أمولاي عبدك قدضره \* أفول رضاكم وبعده المرام  
 وأضحى كئيبا لابعادكم \* مشوقا لتقبيل ذلك المقام  
 فكن راجيا امام الوري \* عطوفا بملوكك المستهام  
 لعل الذي ناله ينقضى \* وتشميل منك هبات جسام  
 فأيدك الله بالنصر ما \* ترنم فوق الغصون حمام

﴿حجابه فارح بن مهدي وأوليته وسيرته﴾

يقال ابن خلدون ﴿فارح بن مهدي من معاوي السطان يعني أبا العباس وأصله من موالى بنى زيان  
 ملوك تلمسان اه﴾ ويقال في الجذوة ﴿هو من موالى السطان أبي سعيد بن أبي العباس ولا منافاة بين  
 الكلامين والله أعلم ولما قتل أبو العباس القبائلي ولي الحجابة من بعده فارح بن مهدي هذا ﴿وقال في  
 الجذوة ﴿ولم يكن من أهل العلم لكنه كان شيخا مجربا بالألامور عارفا مجيدا في التدبير قد أعطى الرياسة  
 حقها والخلاط مستحقها وكان ممسكا عنانه فلا يميل مع نفسه ولا يصحب أردانه ولا يوحش سلطانه  
 موسوما عند الخلافة بالامانة ملحوظا لديها بعين المروءة والصيانة وكان السطان أبو سعيد يعنى به  
 لاجل كبر سنه وترينه الحرة آمنة بنت السطان أبي العباس كانت تبدي له وجهها في حال صغرها  
 وكبرها فكانت له بذلك هزية لم تكن لغيره بهذا ذكره التاورقي ولعل فيه تعريضا بالحاجب قبله ولما  
 تكلم أبو عبد الله محمد العربي الفاسي في كتابه مرآة المحاسن على مدينة تيجساس وصفها بقوله انها  
 في شرقى تطاوين على مسيرة يوم منها في موضع كثير الحجارة والصخر في سفح جبل من غربيها وتحتها من  
 شمالها جرف كثير الصخر عظيمه على مكسر موج البحر ولها من رفاع يجلب اليها منه جدول ولها بسط  
 تركبه الجدول من كل جهة فتسقى الزرع والكان والثمار فأهلها في أمن من القحط الى ان قال ولم تزل  
 عامرة الى حدود ثمانمائة فجلا عنها أهلها بسبب جور فارح بن مهدي الوالى عليها من قبل بنى مرين  
 نفلت من سكانها وانتقلوا الى القبائل وغيرها ولم يزل سورها ماثلا الى الآن اه﴾ قلت ﴿وفي هذه  
 المدة خربت تطاوين القديمة أيضا فزعم منويل في تاريخه أن قرابين المسلمين من أهل تطاوين وغيرهم  
 كانت تغير على سواحل اصبيا نيا وتغنم مرأكها ولما كانت سنة ألف وأربعمائة مسيحية الموافقة لسنة  
 ثلاث وثمانمائة هجرية بعث الطاغية الريني الثالث كوادرة لغزو تطاوين ومرأكها فانتهدت الى  
 وادي مر تيل وأفسدت قرابين المسلمين التي به ثم نزلت عساكر الاصبينول البرفاقتحت مدينة تطاوين  
 بعد ان جلا أهلها عنها وخربتها وعاثت فيها وبقيت خربة نحو تسعين سنة ثم جدد بنائها على يد الرئيس  
 أبي الحسن على المنتظري الغرناطي كما سيأتي وكانت وفاة فارح بن مهدي في الثاني والعشرين من ربيع  
 الاول سنة ست وثمانمائة والله تعالى أعلم

﴿حجابه أبي محمد الطريفي وسيرته﴾

لما توفي الحاجب فارح بن مهدي ولي الحجابة من بعده أبو محمد عبد الله الطريفي وكان من فضلاء الحاجب  
 وهو الذي بنى مسجد السوق الكبير بفاس الجديد وحبس عليه كتب كثيرة فكان ذلك من حسناته  
 الباقية نفعه الله بقصده

حدث الفتن بين السلطان أبي سعيد والسلطان أبي فارس الحفصي والسبب في ذلك

لما توفي السلطان أبو العباس الحفصي صاحب تونس ولي الأمر من بعده ابنه أبو فارس المذكور فوزع الوظائف من الأمانة والوزارة وولاية الأعمال على أخوته فاعتضد بهم وكان من جلتهم أخوه أبو بكر بن أبي العباس بقسنطينة فنارعه بها ابن عمه الأمير أبو عبد الله محمد بن أبي زكرياء الحفصي صاحب بونة وألح عليه في الحصار فحمد إليه السلطان أبو فارس الحفصي وأوقع به على سيوس ووقعة شنعاء انتهت به هزيمة إلى فاس مستعمر خاصا صاحبها وهو يومئذ أبو فارس المريني فأقام أبو عبد الله بفاس إلى سنة عشر وثمانائة في دولة السلطان أبي سعيد فاتفق أن قسدا بين السلطان أبي فارس الحفصي وبين أعراب أفريقية من سلم فقدمت طائفة منهم حضرة فاس مستجدين السلطان أباس سعيد على صاحبهم أبي فارس فالفوا عنده الأمير أبو عبد الله المنزه بسبيوس كما مر فعقد له السلطان أبو سعيد على جيش من بني مرين وغيرهم وبعثه مع العرب فلما انتهى إلى بجاية تلقته أعراب أفريقية طائفة وهون عليه المرباط شيخ حكيم منها أمر تونس فرد الجيش المريني وقصدها بمن انضم إليه من الحشود فأخذ بجاية من أبي يحيى وقر في البحر وعقد أبو عبد الله عليها لابنه المنصور ثم زحف إلى السلطان أبي فارس فخالفه إلى بجاية فافتكها من يد ابنه المنصور ووجهه مع جماعة من كبار أهلها معتقلين إلى الحضرة وعقد عليها لاجدا بن أخيه ونهض لقتال ابن عمه أبي عبد الله المذكور ففرغ المرباط عنه إلى السلطان أبي فارس لعهد كان بينهما فاتفق جمع أبي عبد الله وقتل واحترق رأسه ووجهه السلطان أبو فارس مع من علقه بياب المحروق أحد أبواب فاس اغاظة للسلطان أبي سعيد وذلك سنة اثنتي عشرة وثمانائة ثم تحرك السلطان أبو فارس إلى جهة المغرب فأصدأ أخذ الثار من السلطان أبي سعيد فاستولى على تلمسان ثم قصد حضرة فاس فلما شارفها جفح السلطان أبو سعيد إلى السلم فوجه إليه بهدايا جليلة تقبل ذلك أبو فارس وكافأ عليه وانكفأ راجعا إلى حضرة ولحقته في طريقه يعة أهل فاس وانتظم له ملك المغرب وبإياديه صاحب الأندلس أيضا قاله صاحب الخلاصة النقية وهو الأديب أبو عبد الله محمد الباجي أحد كتاب الدولة التركية بتونس

استيلاء البرتقال على مدينة سبتة أعادها الله

كان جنس البرتقال وهو البردقيز في هذه السنين قد كثر بعد القلة واعتز بعد الذلة وظهر بعد الجول وانتعش بعد الذبول فانتشر في الاقطار وسما إلى تلك الامصار فانتهى إلى أطراف السودان بل وأطراف الصين على ما قيل وألح على سواحل المغرب الاقصى فاستولى في سنة ثمان عشرة وثمانمائة على مدينة سبتة أعادها الله بعد محاصرته لها حصارا طويلا ولسطان المغرب يومئذ أبو سعيد بن أحمد صاحب الترجمة ولسطان البرتقال يومئذ خوان الاوّل (وذكر منويل في تاريخه) أن سلطان المغرب يومئذ عبد الله ابن أحمد أخو أبي سعيد المذكور وسيأتي كلامه بتمامه (وذكر صاحب نشر المثنى) في كيفية استيلاء البرتقال على سبتة قصة تشبه قصة قصير مع الزباء قال رأيت بخط من يظن به التثبت والصدق أن النصارى جاؤا بصناديق مقلدة يوهون ان بها سلعا وأنزلوها بالمرسى كعادة المعاهدين وذلك صبيحة يوم الجمعة من بعض شهور سنة ثمان عشرة وثمانمائة وكانت تلك الصناديق مملوءة رجالا عددهم أربعة آلاف من الشباب المقاتلة فخرجوا على حين غفلة من المسلمين واستولوا على البلد وجاء أهل إلى سلطان فاس مستعمر حينه وعليهم المسوح والشمر والوبر والنعال السود رجالا ونساء وولدا فارتهم بعلاج المسلمين ثم ردّهم إلى الفحص قرب بلادهم لجزره عن نصرتهم حتى تفرقوا في البلاد والأمر لله وحده قال وسمعت من بعضهم ان الذي جرت النصارى على ارتكاب تلك المكيدة هو أنهم كانوا قد قاطعوا أمير سبتة على أن يفوض اليهم التصرف في المرسى والاستبداد بغلتها ويبدلوا له خراجا معلوما في كل سنة فكان حكم



المرسي حيث نزلهم دون المسلمين ولو كان المسلمون هم الذين يولون حكم المرسي ما تركوهم ينزلون ذلك العدد  
 من الصناديق متغلة لا يعلمون ما فيها والله أعلم بحقيقة الامر ولما استولى البرتقال على سبتة اعتنى بها  
 وحصنها واستمرت في ملكتهم مدة تزيد على مائتين وخمسين سنة ثم ملكها منهم طائفة الا صنيول  
 في سبيل مهادنة وشروط انه عقدت بينهم بمدينة اشبونة في حدود الثمانين وألف وأخبار السلطان أبي سعيد  
 كثيرة وقد أرنخ دواته وسيرته الكاتب أبو اسحق ابراهيم بن أحمد التاورتي رحمه الله وتوفي السلطان  
 المذكور سنة ثلاث وعشرين وثمانمائة وولى الامر من بعده ابنه عبدالحق الاخير كذا ذكره في جذوة  
 الاقباس وقد ذكر منوبيل في أمر أبي سعيد ووفاته ما يخالف هذا قال لما كانت دولة السلطان  
 أبي سعيد المريني كان المسلمون أهل جبل طارق قد ستموا ملكة ابن الاجر صاحب غرناطة وتحققوا بان  
 المريني أقوى منه شوكة وأقدر على تخليصهم مما عسى ان ينالهم به الا صنيول من حصار ونحوه فبعثوا  
 اليه يخطبون ولايته ويعرضون عليه الدخول في طاعته ان هو أمدتهم بما يدفعون به في نحر ابن الاجر  
 فأعجب أباسعيد ذلك وللحين بعث اليهم أخاه عبد الله بن أحمد المعروف بسيدى عموا ومعه طائفة من  
 الجيش امدادهم وكان قصد أبي سعيد بيعت أخيه عبد الله للحصول على إحدى القادتين اما فتح جبل  
 طارق ان كان الظهور له أو الاستراحة منه ان كان عليه لانه كان يشوش عليه فجاء الاخ المذكور حتى نزل  
 بأزاء جبل طارق ففتح أهل البلد الباب وأدخلوه وأدخلوا جنده وتحصن قائد الغرناطي وعسكره بقلعة  
 الجبل وطير الاعلام بذلك الى صاحبه فبعث اليه جيشا قوي يت به نفسه فترل من القلعة وانضم اليه  
 مدده وقتلوا جيش المريني فهزموه وقبضوا على عبد الله باليد وعلى جماعة من أصحابه وبعثوا بهم أسرى  
 الى صاحب غرناطة فمهد صاحب غرناطة الى عبد الله وأنزله في محل معتبر وأحسن اليه فختلف ظن  
 السلطان أبي سعيد فيما كان يجب لأخيه من التلف وغاظه فعل ابن الاجر معه من الاحسان والابقاء  
 عليه ثم ان أباسعيد در حيلة بان بعث من قبله رجلا الى أخيه ليسقيه السم ويستريح منه مع ان غوغاء  
 أهل المغرب وقبائله المنخرقة عن السلطان كانوا قد تشوقوا لقدمه عليهم وقيامهم معه فبطلت حيلة  
 أبي سعيد في السم ولم يحصل على طائل ثم ان ابن الاجر اتفق مع عبد الله على ان يمدته بالسكر والمال  
 ويسرجه الى المغرب ليستولى على ملكه ويأخذه بالثار من أخيه فقبل عبد الله ذلك وأمدته ابن الاجر  
 وسرجه الى المغرب فلما احتدل به تبعه عددوا فر من قبائله الذين كانوا مستنقلين لو طأه أبي سعيد فنهض  
 اليه أبو سعيد فكانت الكثرة عليه ورجع مفلولا في يسير من الجند الى فاس فتقبض عليه أهلها ومجنوه  
 وأعلنوا بنصر أخيه عبد الله وفتحوا الباب فدخل الحضرة واستولى عليها وتم أمره وسجن أخاه أباسعيد  
 الى ان مات قال ولما استقل عبد الله بأمر المغرب كله هدأت أريعية واستقامت الاحوال الا انه تكثر  
 عيشه بذهاب سبتة التي استولى عليها طائفة البرتقال خوان الاول بعدما حاصرها أشد الحصار وكان  
 ذلك على السلطان من أعظم النحوس وتكثرت المسلمون غاية لقوات هذه المدينة العظيمة منهم ثم ناروا  
 على السلطان عبد الله واعتورته رماحهم حتى فاط ولما قتل تنازع الملك بعده اثنان من اخوته وبعد قتال  
 شديد ولم ينتصف أحد منهم ما من صاحبه اتفق أهل الحل والعقد على ان يولوا عبد الحق بن أبي سعيد  
 اه كلام منوبيل وهذا السلطان عبد الله الذي زاده منوبيل بين أبي سعيد وعبد الحق لم يذكره صاحب  
 جذوة الاقباس ويبعد أن يكون هذا الخبر الذي ساقه منوبيل لأصل له والله تعالى أعلم بحقيقة الامر  
 ومن جملة حجاب السلطان أبي سعيد الرئيس أبو فارس عبد العزيز بن أحمد الملياني قال في الجذوة هو أصله  
 من زرهون ونوبلى حجاب السلطان المذكور قال فزدر مولاه ومخدومه وهتك ستره وخرب داره وعبث  
 بحريمه وقتل أولاده واخوانه ورفع الاذنان وحط الرؤساء وكان فساد المغرب على يده وقد ذكره التاورتي  
 فإني عليه قال في الجذوة هو وجدته في طرة ذمه وتنقيصه والله أعلم ومن وزراء السلطان أبي سعيد

صالح بن جوا الياباني ويحيى بن علال بن أمصمرد المسكوري وقد تقدم ذكرهما ومن كتابه الفقيه  
الاديب أبو بكر يحيى بن الحسن بن أبي دلامة وكان صاحب العلامة عند السلطان المذكور وعن  
شهادة أهل عصره بالتبريز في النظم الفائق ثم ابنه محمد من بعده ومن قضائه الفقيه أبو محمد عبد الرحيم  
ابن ابراهيم الزناسني وقد تقدم ذكره والله تعالى أعلم

﴿الخبر عن دولة السلطان عبد الحق بن أبي سعيد بن أبي العباس بن أبي سالم المريني رحمه الله﴾

هذا السلطان هو أخو أولاد بني عبد الحق من بني مرين وهو أطولهم مدة وأعظمهم محنة وشدة وهو  
أبو محمد عبد الحق بن أبي سعيد عثمان بن أبي العباس أحمد بن أبي سالم ابراهيم بن أبي الحسن علي بن أبي سعيد  
عثمان بن أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق الزناتي المريني أمه علة اصنيولية على ما ذكره منويل  
وفي أيامه ضعف أمر بني مرين جدا وتدهاى الى الانحلال وكان التصرف للوزراء والحجاب شأن دولة  
أيده من قبله على ما ذكره

﴿وخرج البرتقال الى طنجة ورجوعهم عنها بالخبية﴾

(قال منويل) كان لطاغية البرتقال خمسة اخوة شجعان فأرادوا أن يديروا فخر اباستيلاتهم على ثغر من  
ثغور المغرب يضيفونه الى سبتة ويوسعون به ممالك كره من أعمال المفاخر كيو اقرصينهم في ستة آلاف  
عسكري وتزلوا بسبتة ثم زحفوا الى طنجة سنة احدى وأربعين وثمانمائة وحاصرها وضيقوا على  
أهلها ثم عاجلهم سلطان فاس و سلطان مراکش وأرهب قوههم عن فتحها وأوقعوا بهم وقبضوا على كبير  
عسكرهم فرنادو وجماعة من أصحابه وعادوا بهم -م أسرى الى فاس فلما صارت عظماء البرتقال في يد  
المسلمين وأسروهم جنحوا الى السلم فسألهم المسلمون على ان يردوا لهم سبتة ويسرحوا لهم كبيرهم وأصحابه  
الذين معه فرضى البرتقال بذلك وانعقد الصلح عليه ثم كان من قدر الله ان هلك كبير البرتقال الذي وقع  
الشرط عليه في سجن فاس واستمرت سبتة في يد العدو وذلك من سوء بخت المسلمين والأمر لله وحده  
﴿وقد ذكر صاحب المراتبة﴾ أن البرتقال استولى على طنجة سنة احدى وأربعين وثمانمائة وهو غير  
صواب وإنما كان الحصار فقط والله تعالى أعلم

﴿وأخبار الوزراء والحجاب ونصر قائمهم﴾

كان من جملة وزراء السلطان عبد الحق الوزير صالح بن جوا الياباني قالوا وهو الذي أوقع بالفقيه  
القاضي أبي محمد عبد الرحيم بن ابراهيم الزناسني قتله ذبحا سنة أربع وثلاثين وثمانمائة ومن وزراء  
السلطان المذكور الوزير أبو بكر يحيى بن زيان الوطاسي قالوا في سنة ست وأربعين وثمانمائة  
غزا الوزير المذكور الشاوية وكانوا قد تمردوا على الدولة وأعضل داوهم فقتل الوزير المذكور جمعهم  
ونهب منازلهم ثم كانت وفاته سنة اثنتين وخمسين وثمانمائة قتله عرب انقاد على سبيل الغدر فقصا  
بالرمح وجل قبيلا الى فاس فدفن بالقلة خارج باب الجيسة وولى الوزارة بعده علي بن يوسف الوطاسي  
قالوا فكانت أيامه مواسم لذيابته وصيانتته وحفظه أمور الملك ورقته بالرعية مع العدل وحسن الإدارة  
ثم توفى بتامسنا خامس رمضان سنة ثلاث وستين وثمانمائة وجل الى فاس فدفن بالقلة أيضا وفي هذه  
السنة أو التي قبلها استولى البرتقال على قصر الحجاز وهو المعروف بقصر مصمودة والقصر الصغير وهو  
الآن خراب والله أعلم

﴿وزارة يحيى بن يحيى الوطاسي ومقتله ومقتل الوطاسيين معه والسبب في ذلك﴾

لما توفى الوزير علي بن يوسف رحمه الله قدم للوزارة بعده أبو بكر يحيى بن يحيى بن زيان الوطاسي قالوا

فكانت ولاية هذا الوزير هي مبدأ الشر ومنشأ الفتنة وذلك انه لما استقل بالحجابة اخذ في تغيير مراسم الملك وعوائد الدولة وزاد ونقص في الجند ونقص جل ما أبرمه قبله الوزير واعمال الرعية بالسف ومن جلة ما تقدم عليه انه عزل تاضي فاس الفقيه ابا عبد الله محمد بن محمد بن عيسى بن علال المصمودي وقدم مكانه الفقيه يعقوب التسولي وكان المصمودي من الدين وتحترى المعدلة بمكان فلما رأى السلطان عبد الحق فعل الوزير واستحوذ على أمور الدولة وتبين له ان الوطاسيين قد التحفوا معه رداء الملك وشاركوه في بساط العز وكادوا يغلبونه على أمره سطا بهم سطوة استأصلت جمهورهم الامن جناه الاجل منهم فتقبض على الوزير يحيى وعلى أخويه أبي بكر وأبي شامة وعلى عمهم فارس بن زيان وقريبهم محمد بن علي ابن يوسف وأبي الذبح على جميعهم واستمر البحث عن محمد الشيخ ومحمد الخواخوي الوزير المذكور فلم يوجد لذهاب الشيخ في ذلك اليوم للسيد واختفاء الخوا عند قيام الهبة فكان ذلك من لطف الله بهما واتصل بهما ما جرى على عشرتهم وبنى أيهم فذهبوا الى منجاتهما وكان من أمرهما ما نذكره وكانت هذه الحادثة الصماء بعد مضي سبعين يوماً من وزارة يحيى بن يحيى المذكور وصف السلطان عبد الحق أمره ورأى ان وشفان نفسه من الوطاسيين ونفى بساط حضرته من قضضهم وأبرأ جسم ملكه من مرضهم والله غالب على أمره

﴿ورياسة اليهوديين هرون وشاويل وما نشأ عن استبدادهما من المحنة والفتنة﴾

قالوا كان السلطان عبد الحق منذ أوقع بيني وطاس لم تسمح نفسه باعطاء منصب الوزارة لاحد ثم غنى اليه ان العامة وكبير امن الخاصة قد تقموا عليه ابقاعه بالوطاسيين وان اذنهم صاغية الى محمد الشيخ صاحب أصيلا وكان قد استولى عليها بعد فراره حساند كروور بما شافهه البعض منهم بذلك فولى عليهم اليهوديين المذكورين تاديبا لهم وتشفيانهم زعموا فشرع اليهوديان في أخذ أهل فاس بالضرب والمصادرة على الاموال واعترا اليهود بالمدينة وتحكموا في الاثراف والفقهاء من دونهم وكان اليهودي هرون قدولى على شرطته رجلا يقال له الحسين لا يألوا جهدا في الصف واستلاب الاموال واستمر الحال على ذلك والناس في شدة ﴿وفي سنة سبع وستين وثمانمائة﴾ انتزع الاصبنيول جبل طارق من يد ابن الأحمر

﴿استيلاء البرتقال على طنجة﴾

ثم في سنة تسع وستين وثمانائة استولى البرتقال على طنجة وحفرو اليها من سبتة في ألوف من العساكر واستولوا عليها واستمرت بايديهم أكثر من مائتين وخمسين سنة ثم بذلوا الطاغية النجيز سنة أربع وسبعين وألف في سبيل الهادة والصهر الذي انعقد بينهما كما سيأتي

﴿قتل السلطان عبد الحق بن أبي سعيد والسبب في ذلك﴾

ثم ان اليهودي عمدا الى امرأة شريفة من أهل حومة البليدة فقبتض عليها والبليدة حومة بفاس دلوا وكانت بدار الكومي قرب درب جنينة فأنهى عليها بالضرب ولما ألتهبتا السباط جعلت تتوسل برسول الله صلى الله عليه وسلم فحوى اليهودي وكاد يتمر غيظا من سماع ذكر الرسول وأمره بالبلاغ في عقابها وسمع الناس ذلك فاعظوه ووشيت رجالان فاس بعضهم الى بعض فاجتمعوا عند خطيب القرويين الفقيه أبي فارس عبد العزيز بن موسى الورياكلى وكانت له صلابة في الحق وجلادة عليه بحيث يلقى نفسه في العنات ولا يبالى وقالوا له ألا ترى الى ما نحن فيه من اللذة والصغار وتحكم اليهود في المسلمين والعيب بهم حتى بلغ حالهم الى ما سمعت فنجع كلامهم فيه والحين أغراهم بالفتك باليهود وخلق طاعة السلطان عبد الحق وبيعة الشريف أبي عبد الله الحفيد فأجابوه الى ذلك واستدعوا الشريف

المذكور فبايعوه والتفت عليه خاصتهم وعامتهم وتولى كبر ذلك أهل حومة القلبيين منهم ثم تقدم  
 الوريا كلهم إلى فاس الجديد فصعدوا إلى حارة اليهود فقتلوهم واستلبوهم واصطلموا نعمتهم واقسموا  
 أموالهم وكان السلطان عبد الحق يومئذ غائبا في حركة له ببعض النواحي **١٠** وقال في نشر المثنى **١١** خرج  
 السلطان عبد الحق بجيشه إلى جهة القبائل الهبطية وترك اليهودى يقبض من أهل فاس المغارم  
 فشد عليهم حتى قبض على امرأة شريفة وأوجها ضربا وحكى ما تقدم فأتصل بعبد الحق الخبر  
 وانقض مسرعا إلى فاس واضطرب عليه أمر الجند فسدت نياتهم وتنكرت وجوههم وصاروا في كل  
 منزلة تنقض عنه طائفة منهم فأيقن عبد الحق بالنكبة وعان أسباب المنية ولما قرب من فاس استشار  
 هرون اليهودى فيما نزل به فقال اليهودى له لا تقدم على فاس لغليان قدر الفتنة بها وانما يكون قدومنا  
 على مكاسة الزيتون لانها بلدنا وجرها قوادنا وشيعتنا وحينئذ يظهر لنا ما يكون فاستتم اليهودى كلامه  
 حتى انتظمه بالمرحرجل من بنى مرين يقال له تيان وعبد الحق ينظر وقال أوما زلنا في تحكيم اليهود  
 واتباع رأيهم والعمل بأشارتهم ثم تعاورته الرماح من كل جانب وخرصر يدعاليدين والغم ثم قالوا للسلطان  
 عبد الحق تقدم أمامنا إلى فاس فليس لك اليوم اختيار في نفسك فأسلم نفسه وانتهت محلة وفيتت  
 أمواله وحلت به الاهانة و جاؤا به إلى ان بلغوا عين القوادس خارج فاس الجديد فاتصل الخبر بأهل  
 فاس وسلطانهم الحفيد فخرج إلى عبد الحق وأركبه على بغل بالبردة وانترع منه خاتم الملك وأدخله  
 البلد في يوم مشهود حضره جمع كبير من أهل المغرب وأجمعوا على ذمه وشكروا الله على أحذنه ثم  
 جنب إلى مصرعه فضربت عنقه صليحة يوم الجمعة السابع والعشرين من رمضان سنة تسع وستين  
 وثمانمائة ودفن ببعض مساجد البلد الجديد ثم أخرج بعد سنة ونقل إلى القلعة فدفن بها وانقرضت  
 بملكه دولة بنى عبد الحق من المغرب والبقاء لله وحده **١٢** ونقل النقات **١٣** أن الشيخ أبا العباس أحمد  
 زروق رحمه الله كان قد ترك الصلاة خلف الفقيه أبي فارس الوريا كل لما صدر منه في حق السلطان  
 عبد الحق وكان يقول لا آمن الغندور على صلاتي يعيبه بذلك والغندور في لسان المغاربة ذو النخوة  
 والايبة وما أشبهه ذلك والله يتعمدنا والمسلمين برجمته أمين ولندكر ما كان في هذه المدة من الأحداث  
 فنقول **١٤** في سنة سبع وثمانمائة **١٥** توفي الشيخ أبو زيد عبد الرحمن بن علي بن صالح المكودي عالم فاس وأديها  
 ونحوها صاحب المقصورة وشرح الاصله وغير ذلك من التأليف قيل هو آخر من درس كتاب  
 سيوييه في النحو بفاس **١٦** وفي سنة ثمان عشرة وثمانمائة **١٧** توفي الشيخ أبو عبد الله محمد بن عمر بن الفتوح  
 التلمساني ثم المكاسي يقال أن سبب انتقاله من تلمسان أنه كان شابا حسن الصورة جميل المشارة قررت به  
 امرأة جميلة فجعل ينظر إليها من طرف خفي فقالت اتق الله يا ابن الفتوح يعلم خائفة الاعين وما تحفى  
 الصدور فتأثر قولها وانعظ وتاب إلى الله تعالى وجعل من تمام توبته أن يهاجر من الارض التي قارف  
 الذنب فيها فارتحل إلى فاس فأقام بها مدة وانتفع الناس به ثم انتقل بعدها إلى مكاسة فتوفي بها في السنة  
 المذكورة قالوا وهو أول من أدخل مختصر الشيخ خايل مدينة فاس والمغرب **١٨** وفي سنة ست وأربعين  
 وثمانمائة **١٩** كان الوباء العظيم بالمغرب هلك فيه جمع من كبار العلماء والاعيان ويسمى هذا الوباء عند  
 أهل فاس بوباء عزونة **٢٠** وفي سنة تسع وأربعين وثمانمائة **٢١** في ذي القعدة مها توفي الشيخ أبو محمد عبد الله  
 العبدوسى مفتي فاس وعالمها الكبير ومحدث الشهر وكان من أهل الصلاح والخير والايثار **٢٢** وفي سنة  
 اثنتين وسبعين وثمانمائة **٢٣** في أواخر ذي القعدة مها توفي امام الجماعة بفاس الشيخ أبو عبد الله محمد بن  
 قاسم الاندلسي الاصل المعروف بالقورى ودفن ببيان الجراء منها **٢٤** وفي سنة تسع وتسعين وثمانمائة **٢٥** في  
 أواخر صفر مها توفي الشيخ العارف بالله المحقق أبو العباس أحمد البرنسي الشهير بزروق وكانت وفاته  
 بمراته من أعمال طرابلس والله أعلم



ببقية أخبار بني الأجر واستيلاء العدو على غرناطة وسائر الأندلس منها وانقراض كلمة الإسلام منها  
كانت دولة بني الأجر في هذه المدة متمسكة والفتنة بين أعيانها متشابكة والعدو فيما بين ذلك  
يخادعونهم عما يبايدهم ويرأونهم ويسالمهم تارة ويحاربهم إلى أن كانت دولة السلطان أبي الحسن على  
ابن السلطان سعد بن الأمير علي بن السلطان يوسف بن السلطان محمد الغني بالله فزارعه أخوه أبو عبد الله  
محمد بن سعد المدعو بالزغل قدم من بلاد النصراري وبيع بمالقة وبقى بها مدة وعظم الخطب واشتدت  
الفتن وشرق المسلمون بداء الخلاف الواقع بين هذين الأخوين وتكالب العدو عليهم ووجد السبيل إلى  
تفريق كلمتهم والتمكن من فسح عهدهم وذمتهم وذلك أعوام الثمانين وثمانمائة ثم انقاد أبو عبد الله  
لأبي الحسن فسكنت أحوال الأندلس بعض الشيء ثم خرج عليه ولده أبو عبد الله محمد بن أبي الحسن  
وأسره النصراري في بعض الوقعات فراجع الناس طاعة أبي الحسن ثم نزل لأخيه أبي عبد الله الزغل عن  
الأمر لآفة أصابته في بصره ثم ان العدو وعمد لاسيره أبي عبد الله بن أبي الحسن فوعده ومناه وأظهره  
من أكاذيبه وتخدعه غاية مناه وبعنه للتشغيب على عمه طلبا لتفريق كلمة المسلمين وعكس مرادهم  
وتوصلا إلى ما بقي عليهم من حصون المسلمين وبلادهم وطالت الفتنة بين العم وابن الأخ وكل عقد كان بين  
العدو وبينه انحل وانفسخ وخبث العامة الذين هم أتباع كل ناعق في ذلك ووضعت وكان ذلك من أعظم  
الأسباب المعينة للعدو على التمكن من أرض الأندلس والتها مها واستئصال كلمة الإسلام منها ثم ان ابن  
الأخ استولى على غرناطة بعد خروج العم عنها إلى الجهاد ففت ذلك في عضده وعطف إلى وادي آش  
فاعتصم بها وحاصر العدو لآفة فقائه أهلها بكل ما أمكنهم حتى اذالم يجد والقتال مسانعا تزلوا على الأمان  
فاستولى العدو عليها وأخر شعبان سنة اثنتين وتسعين وثمانمائة ثم استولى بعد ذلك على وادي آش  
وأعمالها صلحا ودخل في طاعته صاحبها أبو عبد الله العم بعد ان استهوى العدو قواده بالاموال الجزيلة  
ثم ان العدو وحذله للدراسل أبا عبد الله بن أبي الحسن صاحب غرناطة وعرض عليه الدخول في الخطة التي  
دخل فيها عمه من التزول له عن البلاد على أموال جزيلة يبذلها له ويكون تحت حكمه مخيرا في أي بلاد  
الأندلس شاء فسار روعيته فاتفق الناس على الامتناع والقتال فعند ذلك أرفه العدو وحده وجعل  
غرناطة وأهلها من شأنه بعد ان استولى أثناء هذه الفتن والتضريبات على حصون كبيرة لم يتعرض  
لذكرها حتى لم يبق له الا غرناطة وأعمالها وقد اختصر تام معظم هذه الأخبار اذ لم تكن من موضوع  
الكتاب وانما المناب هذه النبذة تيمم للفائدة وزيادة في الامتناع ولما كان اليوم المأني والعشرون من  
جادي الآخرة سنة ست وتسعين وثمانمائة خرج العدو بمخلائه إلى مرج غرناطة وأفسد الزرع ودوخ  
الأرض وهدم القرى وأمر بنساء موضع بالسور والحفير فاحكمه وكان الناس يظنون أنه عازم على  
الانصراف فاذا به قد صرف عزمه إلى الحصار والاقامة وصار يضيق على غرناطة كل يوم ودام القتال  
سبعة أشهر واشتد الحصار بالمسلمين غير أن النصراري على بعد والطريق بين غرناطة والبشرات متصلة  
بالمراقق والطعام يأتي من ناحية جبل شلير إلى أن تمكن فصل الشتاء وكلب البرد وتزل الثلج فاندب  
المراقق وانقطع الجالب وقل الطعام واستد العلاء وعظم البلاء واستولى العدو على أكثر الأماكن خارج  
البلد ومنع المسلمين من الحرث والسبب وبناف الحال وبان الاختلال وعظم الخطب وذلك أول سنة سبع  
وتسعين وثمانمائة وطمع العدو في الاستيلاء على غرناطة بسبب الجوع والقلاء ودون الحرب والقتال ففر  
ناس كثيرون من الجوع إلى البشرات ثم اشتد الأمر في شهر صفر من السنة وقل الطعام وتفاقم الخطب  
فاجتمع ناس مع من يشار اليه من أهل العلم كأبي عبد الله المتواقي شارح المختصر وغيره وقالوا انظروا  
لانفسكم وتكلموا مع سلطانكم فاحضر السلطان أبو عبد الله بن أبي الحسن أهل دولته وأرباب مشورته  
وتكلموا في هذا الأمر وأن العدو يزداد مدة كل يوم ونحن لا ممدد لنا وكذا نظن أنه يقطع عنا في فصل

الشتاء فجاب الظن وبني وأسس وأقام وقرب منافاتنظر والانفسكم وأولادكم فاتفق الرأي على ارتكاب  
 أنف الضررين وشاع ان الكلام وقع بين النصارى ورؤساء الاجناد قبل ذلك في اسلام البلاد خوفا على  
 نفوسهم وعلى الناس ثم عدوا مطالب وشروطا داروها وازادوا أشياء على ما كان في صلح وادي آش منها  
 أن صاحب رومة يوافق على الالتزام والوفاء بالشرط اذا مكثوه من جراء غرناطة والماعقل والحصون  
 ويحلف على عادة النصارى في العهود وتكلم الناس في ذلك وذكر وان رؤساء اجناد المسلمين لما خرجوا  
 للكلام في ذلك امتن عليهم النصارى بمال جزيل وذخائر ثم عقدت بينهم الوثائق على شروط قرئت على  
 أهل غرناطة فانقادوا اليها ووافقوا عليها وكتبوا البيعة لصاحب قشتالة فقبلها منهم ونزل سلطان  
 غرناطة أبو عبد الله عن الحمراء ولا حول ولا قوة الا بالله في يوم ثاني ربيع الاول من السنة أعني سنة سبع  
 وتسعين وثمانمائة استولى النصارى على الحمراء ودخلوها بعد ان استوثقوا من أهل غرناطة بنحو  
 خمسمائة من الاعيان رهنا خوف الغدر وكانت الشروط سبعة وستين شرطا منها تأمين الصغير والكبير  
 في النفس والاهل والمال وابقاء الناس في اماكنهم ودورهم ورباعهم وعقارهم ومنها اقامة شريعتهم  
 على ما كانت ولا يحكم على أحد منهم الا بشريعتهم وأن تبقى المساجد كما كانت والاقواق كذلك وأن  
 لا يدخل النصارى دار مسلم ولا يعصبوا أحدا وأن لا يولي على المسلمين نصرا في أو يهودي ممن يتولى عليهم  
 من قبل سلطانهم وأن يفتك جميع من أسرى غرناطة حيث كانوا خصوصا اعيان اناص عليهم ومن  
 هرب من أسارى المسلمين ودخل غرناطة لاسبيل عليه مال الكه ولا غيره والسلمطان يدفع ثمنه لما لقيه  
 ومن أراد الجواز الى العدو لا يمنع ويجوزون في مدة عينت في مراكب السلطان لا يلزمهم الا الكراء  
 ثم بعد تلك المدة يعطون عشر ما لهم والكراء وأن لا يؤخذ أحد بدينه غيره وأن لا يجبر من أسلم على  
 الرجوع للنصارى ودينهم وان من تنصر من المسلمين يوقف أياما حتى يظهر حاله ويحضره حاكم من المسلمين  
 وآخر من النصارى فان أبي الرجوع الى الاسلام تمامدى على ما أراد ولا يعاتب على من قتل نصرا نيا أيام  
 الحرب ولا يؤخذ منه ما سلب من النصارى أيام العداوة ولا يكاف المسلم بضيافة اجناد النصارى ولا  
 يسفر لجهة من الجهات ولا يزيدون على المغارم المعتادة وترفع عنهم جميع المظالم والمغارم المحدثه ولا يطاع  
 نصرا في السور ولا يتطلع على دور المسلمين ولا يدخل مسجدا من مساجدهم ويسير المسلم في بلاد النصارى  
 آمنا في نفسه وماله ولا يجعل علامة كما يجعل اليهود وأهل الدجن ولا يمنع مؤذن ولا صائم ولا مصل  
 ولا غيره من أمور دينه ومن ضحك منهم يعاقب ويتركون من المغارم سنين معلومة وان يوافق على كل  
 الشروط صاحب رومة ويضع خط يده وأمثالهم اذا ما تركنا ذكره وبعد انبرام ذلك ودخول  
 النصارى للحمراء والمدينة جعلوا تائدا بالجرعاء وحكاما ومقدمين بالبلد ولما علم بذلك أهل البشرات دخلوا  
 في هذا الصلح وشماعهم حكمه على هذا الوجه ثم أمر العدو ببناء ما يحتاج اليه في الحمراء وتحصينها وتجديد  
 بناء قصورها واصلاح سورها واصار الطاغية يتخلف الى الحمراء او يبيت بمحلته لئلا الى ان اطمان من  
 خوف الغدر فدخل المدينة وتطوف بها وأحاط خبرا بما رومه منها ثم أمر سلطان المسلمين ان ينتقل  
 لسكنى البشرات وانها تكون له في سكاء باندرش فانصرف اليها وأخرج الاجناد منها ثم احتال عدو الله  
 في نفيه لبر العدو وأظهر أن السلطان المذكور طلب منه ذلك ثم كتب لصاحب المرية انه ساعة وصول  
 كتابي هذا لاسبيل لا حد أن يمنع مولاي أبا عبد الله من السفر حيث أراد من بر العدو ومن وقف على  
 هذا الكتاب فيصرفه وليقف معه ووافقا على ذلك فانصرف السلطان أبو عبد الله في الحين بنص هذا  
 الكتاب وركب البحر فنزل بمليسة واستوطن فاسا وكان قبل ذلك قد طلب الجواز لناحية مرا كش فلم  
 يسعف بذلك وحين جوازه لبر العدو لى شدة وغلاء و... ثم ان النصارى كثروا العهدون نقضوا الشروط  
 عروة عروة الى أن آل الحال لهم المسلمين على التنصر سنة أربع وتسعين وثمانمائة بعد ما ورر أسباب أعظمها

عليهم انهم قالوا ان القيسيين كتبوا على جميع من أسلم من النصارى أن يرجع قهر الدينه ففعلوا ذلك  
وتكلم الناس ولا جهدهم ولا قوة ثم تعدوا ذلك الى أمر آخر وهو أن يقولوا للرجل المسلم ان جلدك كان  
نصرا نيا فأسلم فترجع أنت نصرانيا ولما فاحش هذا الامر قام أهل البيازين على الحكام فقتلواهم وهذا  
كان السبب الاعظم في التنصر قالوا لان الحكم خرج من عند السلطان ان من قام على الحاكم فليس الا  
الموت الا أن يتنصر فينجو من الموت وبالجمله فانهم تنصروا عن آخرهم يادية وحاضرة وامتنع قوم من  
التنصر واعتزلوا النصارى فلم ينفعهم ذلك وامتنعت قري وأما كن كذلك منها بلقيق واندرش وغيرها  
فجمع لهم العدو الجوع واستأصلهم عن آخرهم قتلا وسييا الا ما كان من جبل بالنقة فان الله تعالى أعانهم  
على عدوهم وقتلوا منهم مقتلة عظيمة مات فيها صاحب قرطبة وأخرجوا على الامان الى فاس بعيالهم وما  
خف من أموالهم دون الذخائر ثم بعد هذا كله كان من أظهر التنصر من المسلمين يعبد الله في خفية  
ويصلى فستد النصارى في البحث عنهم حتى انهم أحرقوا كثيرا منهم بسبب ذلك ومنعواهم من حمل  
السكين الصغيرة فضلا عن غيرها من الحديد وقاموا في بعض الجبال على النصارى مرارا فلم يقبض الله  
تعالى لهم ناصر الى ان كان اخراج النصارى اياهم جملة أعوام سبعة عشر وألف بعد ان ساكنوهم  
بغرناطة وأعمالها نحو امان مائة وعشرين سنة كانوا فيها تحت ذمة النصارى كما رأيت والامر لله وحده  
ولما أجلاهم العدو عن جزيرة الاندلس خرجت ألوف منهم بفاس وألوف أخر بتلمسان ووهران وخرج  
جمهورهم بتونس فتسلط عليهم في الطرقات الاعراب ومن لا يخشى الله تعالى من الاوباش ونهبوا  
أموالهم وهذا يلاذ تلمسان وفاس ونجا القليل من هذه المصرة وأما الذين خرجوا بنواحي تونس فسلم  
أكثرهم وكذلك بتطاوين وسلاو وبيجة الجزائر ولما استخدم سلطان المغرب الأقصى وهو المنصور السعدي  
منهم عسكريا اوسكنوا سلا كان منهم من الجهاد في البحر ما هو مشهور وحصنوا قلعة سلا وهي رباط  
الفتح وبنوا القصور والحمامات والدور **يقول أبو عبد الله المقرئ في فتح الطيب** وهم الآن يعني في  
حدود الثلاثين وألف بهذا الحال ووصل جماعة منهم الى القسطنطينية العظمى والى مصر والشام  
وغيرها من بلاد الاسلام وانقضى أمر الاندلس وعادت نصرانية كما كانت أول مرة والله وارث الارض  
ومن عليها وهو خير الوارثين **يقول** السنة التي استولى الاصبنيول على غرناطة انكشفت لهم أرض  
الماركان التي كانت مجهولة قبل هذا التاريخ لسائر الامم وذلك أن الحكاء الاقدمين من اليونان وغيرهم  
أجمعوا على أن شكل الارض كرة وأن الماء قد غمر أحدى جانبيها كله بحيث صارت الارض فيه كأنها  
بيضة مفرقة في طست ماء قد رسب فيه أكثرها وبرز أقلها وأجمعوا على أن هذا البارز منها هو المسكون  
ببني آدم وغيرهم من الحيوانات وهو المقسم الى سبعة أقسام تسمى الاقاليم ولم يهتدوا الى أن الجانب الآخر  
منكشف عنه الماء ولأنه مسكون كهذا الجانب بل جزمو اياته ماء صرف يسمى البحر المحيط واستمر هذا  
الاعتقاد عندهم ونقله الخلف عن السلف ووضوا فيه التاكليف العديدة الى أن كانت سنة سبع وتسعين  
وثمانمائة وهي السنة التي استولى فيها الاصبنيول على غرناطة وسائر الاندلس فاتفق ان ظهر في تلك  
المدّة رجل من فرنج جنوة اسمه كلنب بضم الكاف واللام كانت حرقته الملاحه والسفر في البحر وكان  
بعيد الهمّة مولعا بالشهرة مغري بالذكور وحسن الصيت فخطر بباله أن جانب الارض الذي أغفل الحكاء  
الاولون ذكره وزعموا انه بحر صرف ربما يكون مسكونا كهذا الجانب وكان جنس البرتقال في هذه  
المدّة قد كثر أسفارهم في البحر وملكوا عدة محال من جزائره الخالدات فحصل لكلنب الجنويزي  
بعض غيره ونفاسة منهم وأراد أن يأتي باعظم مما فعلوا فمزم على التليج في البحر المحيط والابعاد فيه عسى  
أن ينظر عمرا ده قطارح على ملك البرتقال واسمه بومثذو حنا الثاني في أن يمينه على ما هو بصدد  
وعده بما يكون سببا في نيل مقصده فلم يلتفت الى قوله ولا عرج على وأيه ومن قبل ما كان أهل جنوة



يحمقونه وينسبونه الى النور بمثل هذه الراء فلما لم يجد عند ملك البرتقال مراده تطارح على ملكة  
الاصنيول وهي يومئذ ايسايلا الشهيرة الذ كرعندهم فأسعفته وهيأت له ثلاث سفان وشحنها  
بالرجال والسلاح والازاد والمال ودفعت ذلك اليه فسافر بها كئيب في البحر المحيط على سمت المغرب حتى  
أرسي بعض الجزائر الخالدات فأراح بها أياما ثم سافر على سمت المذكور ولجأ بمدة من شهر ولما طال  
السفر على أصحابه الذين معه أرادوا قتله وينفاهم في ذلك ظهرت له أرض الماركان فسار حتى أرسى  
باجفانه على ساحلها في اليوم الثامن عشر من ذي الحجة سنة سبع وتسعين وثمانمائة المذكورة فعثر منها  
على أرض واسعة ذات أقطار ونواحي وجبال وأنهار تفوت الحصر حتى قيل أنها تساوي نصف هذا  
المسكون من الأرض أو تزيد وإذا فيها خلق كثير من بني آدم كهذه إلا أنهم لم يفقهوا قوله ولا فقه قولهم  
فعاد كئيب الى ملكة الاصنيول بعد ان بنى هناك حصنا وترك به بعض الجنود وساق من تلك الأرض  
بعض الغرائب من حيوان وغيره اثباتا للمتعاه فلما قدم على الملكة بعد مغيبه سبعة أشهر واحد عشر يوما  
أعظمت قدره وتوهت باسمه وسرت بما أتى به من ذلك كله وعدت ذلك من سعادتها الى ماتسني لها من  
الظفر بجزيرة الاندلس والاستيلاء عليها وتبين للفرنج حيثئذ ان الأرض معمورة من كل الجانبين  
لا من جانب واحد كما اعتقده الاقدمون فحينئذ تسارعت أجناسهم الى أرض الماركان واقتسموها  
واعتوا بعمرائها وموهها الدنيا الجديدة فكانت من أعظم الاسباب في انتعاشهم وتقويتهم وضمانه  
دولهم واتساع خططهم والكهم والامور كلها بيد الله عز وجل ومن جملة ما كان مفقودا بأرض الماركان  
نوع الخيل وكذا غيرها من الحيوانات الاهلية ولما رأوا الاذى كبا على الفرس مسرجا ظنوه قطعة  
واحدة وان العارس وفرسه حيوان واحد خلق على تلك الكيفية الى غير ذلك وأخبار أرض الماركان  
وكيفية العثور عليها ثم التردد اليها واعمارها بعد ذلك طويلا ولملخصها ما ذكرناه والله تعالى الموفق بعنه

### ﴿ أخبار البرتقال بالمغرب الاقصى على الجملة ﴾

﴿ اعلم يا ابن هذا المغرب الاقصى حرسه الله وكلاه بيمين حفظه لم يزل بجميع ثغوره وسواحله وأقطاره منذ  
الفتح الاسلامي الى المائة التاسعة محفوظا للجوانب من طروق أمم الفرنج وغيرهم من أعداء الدين  
مخوف الاكتاف بالحامية من جنود المسلمين مرهوبة شوكة ملوكة عند أم النصرانية جيلا بعد جيل  
وأمة بعد أمة ودولة بعد دولة لم تكن الفرنج تحت نفسها بغزو شي من بلاده أو طروق ثغر من ثغوره  
أو الاستيلاء على شي من سواحله ولم يكن أهلها أيضا يتوقعون ذلك منهم ولا يخشونه بل هم الذين كانوا  
يغزون الفرنج في عقربايرهم وأعز بلادهم ويحامون عن بلاد الاندلس وسواحل افريقية وغيرها  
متى هاج أهلها هيج من ذلك حسبما تقدمت الاخبار المفصلة عن ذلك ولم يبلغنا أن جنسا من أجناس  
الفرنج فيما قبل المائة التاسعة غزاشيا من أطراف المغرب الاقصى أو ثغرا من ثغوره بقصد الاستيلاء  
والتملك إلا ما كان من مدينة سلا التي دخلها الاصنيول غدرا أيام الفتنة بين العقبين ثم خرجوا عنها  
لمدة يسيرة حسبما تروا إلا ما كان من محاصرة أهل جنوة لسببته ثم الاقلاع عنها كذلك ونحو هذا مما  
لا يعتبر فلما دخلت المائة التاسعة ومضى صدرها وتداعت دول المغرب من بني أبي حفص بافريقية وبني  
زيان بالمغرب الاوسط وبني مرين بالمغرب الاقصى وبني الاحمر بالاندلس وأشرفت على الهرم وحدثت  
الفتن بين المسلمين ودامت فيهم واشتغلوا بانفسهم دون الالتفات الى جهاد العدو ومطالبة في أرضه  
وبلاده على ما كان لهم من العادة قبل ذلك وافق ذلك ابتداء ظهور الجلالقة وهم الاصنيول والبرتقال  
وهم البرطقيير بجزيرة الاندلس واستفحال أمرهم فكثرت أسفار البرتقال في البحر المحيط ودام تغلبهم فيه  
ومر نواعليه حتى حصلوا على عدة جزائر منه وكشفوا بعض الرؤس الساحلية من أرض السودان وغيرها



ثم شرهوا التملك سواحل المغرب الاقصى فهجموا عليها و جالدوا أهلها دونها حتى تمكنوا منها ونسبوا  
 فيها قويت شوكتهم وعظم ضررهم على الاسلام وطمحت نفوسهم للاستيلاء على ما وراء ذلك حسبا  
 تقف عليه مينا في مواضعه ان شاء الله فاستولوا في سنة ثمان عشرة وثمانمائة على مدينة سبتة بعد  
 محاصرتهم لها ست سنين على ما في بعض تواريخ الافرنج ثم في سنة اثنتين وستين وثمانمائة استولوا على  
 قصر الجاز ثم استولوا في سنة تسع وستين وثمانمائة على طنجة ثم في حدود سنة ست وسبعين وثمانمائة  
 ملكوا أصيلا وفي هذا التاريخ نفسه أو قبله يسير استولوا على مدينة آتفي وبعض سواحل السوس  
 ثم في حدود سنة سبع وتسعمائة نزلوا بأرض الجديدة فيما بين أزموروت ويط وبنوا بها حصن البريجة  
 وطال مقامهم بها ثم في سنة عشر وتسعمائة استولوا على مدينة العرائس ثم بعد ذلك يسير في حدود  
 العشر وتسعمائة على ما تقتضيه تواريخ الفرنج ملكوا حصن أكادير وما اتصل به من سواحل  
 السوس الاقصى ثم ملكوا في حدود اثني عشرة وتسعمائة رباط آسفي ثم عطفوا على نغر أزموروت  
 فاستولوا عليه في سنة أربع عشرة وتسعمائة ثم العمورة وهي المهديبة ملكوها أيضا في حدود سنة  
 عشرين وتسعمائة وفي هذا التاريخ نفسه رجعوا الى المدينة آتفي بعد هدمها فبنوها ~~سواحل~~ وبنوها  
 (وبالجملة) فلم يبق من تغور المغرب الاقصى بيد المسلمين الا القليل مثل سلا ورباط الفتح وبنى المسلمون من  
 هذا البرتقال بالامر العظيم ودهوا منه بالخطب الجسم واستحوذ على بلاد الهبط وضابقتهم  
 بها حتى انحازوا الى الامصار المتزوية عن الاطراف والقرى النائية عن السواحل وكان ذلك كله  
 فيما بين اقراض دولة بني وطاس وظهور دولة الشرفاء السعديين ولقد ذكر في مرآة المحاسن ان قصر  
 كتامة كان في صدر المائة العاشرة مقصد للتجار وسوقا تجلب اليه بضائع العدوتين وسلعها قال  
 اذ كان القصر المذكور نغرا بين بلاد المسلمين وبين بلاد النصارى تحط به رجال تجار المسلمين من آفاق  
 المغرب وتجار الحرييين من أصيلا وطنجة وقصر الجاز وسبتة ولانه كان محل عناية سلطان المغرب  
 اذ ذلك محمد الشيخ بن أبي ذكرياء الوطاسي فان القصر قاعدة بلاد الهبط التي كانت موقد شرارة  
 السلطان المذكور ومشب نارهم وموشح عصيتهم مع مجاورته لبلاد الحرب فكان نظره مصر وواليه  
 واختصاصه موقفا عليه وتقبل بنوه من بعده مذهب فيه اه كلامه فهذا يدل على ما كان عليه  
 العدو وحذله الله من المضايقة للمسلمين في تغورهم وبلادهم والله الامر من قبل ومن بعد ولما نزل باهل  
 المغرب الاقصى ما نزل من غلبة عدو الدين واستيلائه على تغور المسلمين تباروا في جهاده وقاتله واعملوا  
 الخيل والرجل في مقارعتة ونزاله وتوفرت دواعي الخاصة منهم والعامية على ذلك وصرفوا وجوه العزم  
 لتحصيل الثواب فيما هنالك فكم من رئيس قوم قام لنصرة الدين غيرة واحتسابا وكم من ولي عصر أو  
 عالم مصر باع نفسه من الله ورأى ذلك صوابا حتى اقد استشهد منهم اقوام وأسر آخرون وبلغ الله تعالى  
 جميعهم من النواب ما يرجون فمن استشهد منهم في سبيل الله سيدي عيسى بن الحسن المصباحي دفن  
 الدعاءة بارض البروزي من بلاد طليق وأبو الحسن علي بن عثمان الشاوي من أصحاب الشيخ أبي محمد  
 الغزواني وأبو الفضل فرج الاندلسي ثم المكاسي وأبو عبد الله محمد القصري المعروف بسعفين قتله  
 القصارى عند ضريح الشيخ أبي سلهم وكان قد قصد له للزيارة فقتلوه كما بهنالك وكل هؤلاء معدود في  
 أولياء الله تعالى ومن أسر منهم ثم خلاصه الله الشيخ أبو محمد عبد الله بن سامي دفن تانسيفت من أحواز  
 مراکش والشيخ أبو محمد عبد الله الكوش دفن جبل العرض من أحواز فاس والد صاحب دوحمة  
 الناسر وهو أبو الحسن علي بن مصباح الحسني عرف بابن عسكر والشيخ العلامة أبو العباس أحمد ابن  
 القاضي المكاسي أحد قضاة سلا وهو صاحب جذوة الاقباس والمنتقى المقصود وغيرهما من التاليف  
 الحسان أسر وهو ذاهب الى الحج وأبو عبد الله محمد بن أبي الفضل التونسي المعروف بخروف تزيل فاس

وشيخ الجماعة بها هؤلاء كلهم أصابه الأسر ثم خلاصه الله بعد حين وغير هؤلاء ممن لم يحضر ناذ كرههم أجزل  
الله ثوابهم ويسر عنه حسابهم ولقد ألف الناس في ذلك العصر التأليف في الحوض على الجهاد  
والترغيب فيه وقال الخطباء والوعاظ في ذلك فاكثروا ونظم الشعراء والادباء فيه وثرثروا فمن ألف في  
ذلك الباب فافاد الشيخ المتقن البارع الصوفي أبو عبد الله محمد بن عبد الرحيم بن يحيى التازي **رحمه الله** في  
الدوحة **رحمه الله** وقضت له على تأليف ألفه في الحوض على الجهاد في سبيل الله فكان مما ينبغي أن يتناول باليد  
ويكتب دون المداد باللين أودعه نظما وثرثرا ومن نظم في ذلك فاجاد الشيخ الصالح المتصوف المجاهد  
أبو عبد الله محمد بن يحيى البهاولي **رحمه الله** في الدوحة **رحمه الله** كان هذا الشيخ ممن لازم باب الجهاد وفتح له فيه وله في  
ذلك أشعار وقصائد زجلية وغيرها وكان معاصر السلطان أبي عبد الله محمد بن محمد الشيخ الوطاسي  
المعروف بالبرتغالي فكان إذا جاءه زائر احضه على الغزو فيساعده على ما أراد من ذلك ولما توفي  
السلطان المذكور ودالت الدولة لولده السلطان أحمد وغص بالثرفاء القاطنين عليه بسبب لاد السوس عقد  
الهندنة مع النصارى المجاورين له بسبب لاد الهبط وصاحبهم سلطان البرتغال فبلغ ذلك الشيخ أبا عبد الله  
المذكور فآلى على نفسه أن لا يلقى السلطان المذكور ولا يمشي إليه ولا يقبل منه ما كان عينه له والده  
من جزية أهل الذمة بفاس لقوته وضروريته فكتب على ذلك إلى أن حضرته الوفاة وكان في التزع  
وأصحابه دائرون به فقال له بعضهم يا سيدي أخبرك أن السلطان أمر بالغزو ونادى به وحض الناس عليه  
والمسلمون في شره لذلك وفرح ففتح الشيخ عينيه وتمهل وجهه فرحا وحمد الله وأثنى عليه ففاضت نفسه  
وهو مسرور بذلك ولهذا الشيخ زجلية ومقطعات حسان في الحوض على الجهاد منها اللامية  
المشهورة التي خاطب بها السلطان أبا عبد الله المذكور ومطلعها

قل للامير محمد \* ياطلعة الهلال لويته في السواحل \* من أفضل الليال

**رحمه الله** ومنها القصيدة التي مطلعها **رحمه الله**

ظهر الرمل مرادى \* والعسكريا كرام نفسي على الجهاد \* سببت والسلام

**رحمه الله** ومنها القصيدة التي أولها **رحمه الله**

قسم للجهاد رعاك الله منتهجا \* نهج الرشاد إلى الاقوام لو فهموا

من بعد اندلس ما زلت محتدما \* لو كان يمكنني في الليل احترم

إلى غير ذلك مما يطول ذكره **رحمه الله** قال صاحب الدوحة **رحمه الله** حدثني الفقيه العدل أبو العباس أحمد الدغموري  
القصري قال كان الشيخ أبو عبد الله يقول ما غزونا غزوة قط إلا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها  
ويخبرني بجميع ما يتفق لي ولا صحابي في تلك الغزوة وله رضى الله عنه في شأن الجهاد والرجولية حكاية  
ظريفة وهي أنه غزاه غزوة إلى الثغور الهبطية ثم قدم منها مع أصحابه فوجد زوجته فلانه بنت الشيخ  
أبي بكر بن يحيى بن بكار قد توفيت وصلى الناس عليها بجامع القرويين وأمامهم الشيخ غازي ابن الشيخ  
أبي عبد الله محمد بن غازي الإمام المشهور فوصل الشيخ أبو عبد الله وجد جنازتها على شفير القبر والناس  
يحاوون دفنها فقال لهم مهلا ثم تقدم وأعاد الصلاة عليهم مع أصحابه الذين قدموا معه فبادر الناس إليه  
بالانكار في تكرير الصلاة على الجنازة بالجماعة من نين فقال لهم على البديهة صلواتكم التي صلبت عنيتها  
فاسدة لكونها بغير إمام فقالوا له كيف ذلك يا سيدي قال لأن من شرط الإمام الذكورية وهي مفقودة  
في صاحبكم لأن الذي لم يتقلد سيفاً في سبيل الله قط ولم يضرب به ولا عرف الحرب كما كان يبايئ الله عليه  
وسلم ولم يتعبد بالسيرة النبوية فكيف به إذ ما ذكره إمامكم والله من جملة النساء اه **رحمه الله** وحكي **رحمه الله**  
أيضاً في ترجمة الشيخ أبي محمد عبد الله الورياني الذي تال له العلامة ابن مرزوق وقد عزم على الرحلة  
إلى بلاد المشرق في طلب العلم ليس أمامك أحد أعلم منك قال فرجع من هنالك فوجد النصارى

قد تغلبوا على طنجة وأصيلا فلازم الثغور الهبطية لاجل الرباط والجهاد في سبيل الله وبث العلم ونشره قال وكان من عادته أن يشتغل بالتدريس في فصلي الشتاء والربيع ويخرج في الصيف والخريف فيربط في ثغور القبائل الهبطية إلى آخر كلامه وأمثال هذا كثير ذكرنا منه هذه النبذة اليسيرة لتعظيمها على أحوال القوم وما كانوا عليه من الرغبة في الجهاد والمثابرة عليه قدس الله أرواحهم وجعل في دار النعم غدوهم وورواحهم وقد أن أن نشرع في الاخبار عن دولة بني وطاس بعد ان نذ كر دولة الشريف العمراني الذي بايعه أهل فاس يوم مقتل السلطان عبدالحق بن أبي سعيد رحمه الله

### الخبر عن دولة الشريف أبي عبد الله الحفيد وأوليته

هذا الشريف هو أبو عبد الله محمد بن علي الأدرسي الجوطي العمراني من بيت بني عمران فرقة من أدارسة فاس وهم واسطة عقد البيت الأدرسي وأوضحهم نسبا وأعلاهم حسبا قال ابن خلدون ليس في المغرب فيما نعلم من أهل هذا البيت الكريم من يبلغ في صراحة نسبه ووضوحه مبلغ أعقاب ادريس رضي الله عنه قال وكبرائوهم لهذا العهد بنو عمران بفاس من ولدي يحيى الجوطي بن محمد بن يحيى العذام بن القاسم بن ادريس بن ادريس وهم نقباء أهل البيت هناك والسالكون بيت جدتهم ادريس ولهم السيادة على أهل المغرب كافة اه (والجوطي) قال في المرآة نسبة إلى جوطة بجيم مضمومة وواو متوسطة مفتوحة وهاء تأنيت وهي قرية عظيمة على نهر سبوا في العدو الجنوبية خربت ولم يبق منها الا آثار ولها مسيل شتوي يعرف بمخرط جوطة نزلها السيد يحيى قسب إليها وقبره هناك معروف اه

### بيعة السلطان أبي عبد الله الحفيد والسبب فيها

كان بنو مرين أيام ولايتهم على المغرب يعظمون هؤلاء الاشراف الادارسة ويوجبون حقهم ويتقربون الى الله تعالى برفع منزلتهم وجبر خواطرهم لما فاتهم من رتبة الخلافة التي كانت تكون لهم بطريق الاستحقاق الشرعي فكان بنو مرين لما جابوا عليه من الجنوح الى مراسم الدين وانتهالها يرون في أنفسهم كأنهم متغلبون مع وجود هؤلاء الاشراف فلذا كانوا يخضعون لهم ويتأذون معهم ما أمكن ولقد حكى أبو عبد الله بن الأزرق ان الشيخ الكبير أبا عبد الله المقرئ كان يحضر مجلس السلطان أبي عنان لبث العلم وكان نقيب الشرفاء بفاس اذا دخل مجلس السلطان يقوم له السلطان وجميع من في المجلس اجلاله الا الشيخ المقرئ فانه كان لا يقوم له فخرت بين الشريف والفقير المذكور معاتبته ومراجعة في حكاية مشهورة تركناها العدم تعلق الغرض بها اذا الغرض هو الوقوف على ما كان عليه القوم من التجلة والتعظيم لاهل هذا البيت الكريم فلما اضطربت أحوال الدولة المرينية بفاس واجتمع رؤساء فاس الى الفقيه أبي فارس الورياكلي في شأن اليهوديين الذين كانوا يحتكوا في المدينة ويعتسفان أهلها أجمع رأيتهم على مبايعة هذا الشريف الحفيد وكان يومئذ يلي نقابة الاشراف بفاس فاستدعوه فحضر وبايعوه في العشر الاواخر من رمضان سنة تسع وستين وثمانمائة وتم أمره وكان من قتله السلطان عبدالحق ما تقدم ذكره والله أعلم

### وقتة الشاوية ووصولهم الى بلاد المغرب

قد قدمنا ما كان من أمر الشاوية وقتنتهم في أيام السلطان عبدالحق ولما كانت أيام الحفيد هذا تزايد ضررهم واستطار شرورهم فزحفوا الى بلاد المغرب من أحوال مكاسة وفاس وعاقوا وأفسدوا ولما تكلم أبو عبد الله محمد العربي القاسمي في مرآة المحاسن على الشيخ عبد الوارث الياصوتي وانه أخذ عن

جماعة منهم أبو النجاء سالم الروداني الشاوي والشيخ أبو عبد الله الصغير السهلي والشيخ أبو محمد الغزواني  
قال وكان الشيخ أبو النجاء أولا يقرأ بالمدرسة العنانية فلما نزل الشاوية الغرب خرج من قاص خائفًا يترقب  
وذلك في أيام الحفيد اه وبلاد الغرب تطلق في عرف أهله على خصوص بسبب ازغار وما اتصل به الى  
ساحل البحر والله أعلم

### ﴿استيلاء البرتقال على مدينة آنتي وأصيلا﴾

رأيت في بعض تواريخ الفرنج ان استيلاء البرتقال على آنتي كان في حدود أربع وسبعين وثمانمائة  
وانهم هدموها وبقيت كذلك مدة تزيد على أربعين سنة ثم شرعوا في تحصينها والبناء بها ولم يزالوا  
مقيمين بها الى حدود أربع وخمسين ومائة وألف وفي سنة ست وسبعين وثمانمائة استولوا على أصيلا  
وظفر واقبها بيت مال الوطاسي وأسر واولده محمد المدعو بالبرتقالى وابنته وزوجتيه وجماعة من  
الاعيان وكان الخطب عظيمًا وبقى ولد الوطاسي عند البرتقال سبع سنين ثم اقتلكه والده بعد وكان يوم  
أسر صبيًا صغيرًا وأما مدينة فضالة فلم يقع عليها استيلاء وانما كانت بها كمانية خمسة نفر من تجار  
مدرية قاعدة قشتالة نزلوها بقصد التجارة باذن سلطان الوقت وكانت سلعتهم توسق وتوضع من مرساها  
وبنواها البناء الموجود اليوم والله تعالى أعلم

### ﴿خلع السلطان أبي عبد الله الحفيد وانقراض أمره﴾

يقال في الجذوة بمما قامت عامة قاص على السلطان عبد الحق وأقاموا هذه النقيب من أهل مدينة قاص  
امامًا استمر بها وابنه وزيره الى سنة خمس وسبعين وثمانمائة فعزل عن الامامة وكان الذي خلعه  
أبا الجاج يوسف بن منصور بن زيان الوطاسي وكان ذلك سبب ذهاب الشريف المذكور الى تونس لمدة  
يسيرة من خلعه وبقيت حضرة قاص الجديد في يد أخت أبي الجاج المذكور وهي الزهراء المدعوة  
بزهور مع قائده السحيري الى ان تولى الامر أبو عبد الله محمد الشيخ الوطاسي والله غالب على أمره

### ﴿الخبر عن دولة بني وطاس وزك نسبهم وأوليتهم﴾

﴿اعلم﴾ ان بني وطاس فرقة من بني مرين غير انهم ليسوا من بني عبد الحق ولما دخل بنو مرين المغرب  
واقسموا أعماله حسبما تقدم كان لبني وطاس هؤلاء بلاد الريف فكانت ضواحيها النزولهم وأمصارها  
ورعاياها الجبايتهم وكان بنو الوزير منهم يسمون الى الرياسة ويرومون ان يروج على بني عبد الحق  
وقد تكررت ذلك منهم حسبما مر ثم أذعنوا الى الطاعة وراضوا أنفسهم على الخدمة فاستعملهم بنو  
عبد الحق في وجوه الولايات والأعمال واستظهروا بهم على أمور دولتهم فحسن أثرهم لديهم واعتقد  
الوزراء منهم فيها فجوذ كرا بن خلدون بمكان بني الوزير هؤلاء يرون ان نسبهم دخيل في بني مرين وانهم  
من أعقاب يوسف بن تاشفين المتوفى لحقوا بالبدو وتزلوا على بني وطاس ووشجت فيه عرفهم حتى  
لبسوا جلدتهم ولم يزل السرور متربعابن أعينهم لذلك والرياسة شاخحة بانوفهم اه ولما كانت دولة  
السلطان أبي عنان واستولى على بجاية عقد عليها العمر بن علي الوطاسي من بني الوزير هؤلاء فتار عليه  
أهله واستلموه في خبر من التنبيه عليه ثم لما كانت الدولة الاولى للسلطان أبي العباس بن أبي سالم  
وخاص ملك مراکش وأعمالها الى ابن عمه الامير عبد الرحمن بن أبي بفاوسن كان من جملة من تحيز اليه  
وصار في جلته زيان بن عمر بن علي المذكور فكانت له في دولته الوجاهة الكبيرة والمنزلة الرفيعة



ثم لما قسد ما بين السلطان أبي العباس والامير عبد الرحمن كان زيان بن عمر في جملة النازعين الى السلطان  
 أبي العباس فاتصل به وصار في جلته الى ان حاصر السلطان أبو العباس قصبته مرا كس وبها يومئذ  
 الامير عبد الرحمن قابلي زيان بن عمر في ذلك الحصار وكان أحد الذين باشر واقتل ولدى الامير عبد الرحمن  
 بنو قال ابن خلدون بن وطالم كان زيان هذا بعتري ندى نعمتهم ويجتذبه خيلاء في جاههم فذهب مثلا  
 في كفران النعمة وسوء الجزاء والله لا ينظلم من قال ذرة ثم جاء بعده ابنه أبو زكرياء يحيى بن زيان فولى  
 الوزارة للسلطان عبد الحق كما مر ثم بعده ابنه يحيى أيضا وهو الذي قتله السلطان عبد الحق في جماعة  
 من عشيرته وقرأخوه أبو عبد الله محمد الشيخ الى الصحراء وبقى متقلبا في البلاد الى ان كان من أمره  
 ما ذكره

### الخبر عن دولة السلطان أبي عبد الله محمد الشيخ بن أبي زكرياء الوطاسي رحمه الله

قد تقدم انما كان من ايقاع السلطان عبد الحق بيني وطاس وافلات محمد الشيخ ومحمد الحلوم من النكبة  
 وان الشيخ كان قد خرج للصيد فاتصل به الخبر فذهب على وجهه لا يلوى على شيء وان الحلوم اختفى حتى  
 اذا سكنت الهيعة تسال ولحق بالشيخ فسارا الى جهة الصحراء وجعلوا يترددان فيما بينهما وبين البلاد  
 المبطية حتى ملكا أصيلا وذلك قبل استيلاء البرتقال عليها ولما ملك الشيخ أصيلا واستفحل أمره بها  
 تشوقت اليه الاعيان من أهل فاس والرؤساء من أهل دولة السلطان عبد الحق وصاروا يكتبونه  
 ويقدمون اليه الوسائل سرا ويربعادعوه الى القدوم على أن يبذلوا له من الطاعة والنصرة ماشاء فاستمر  
 الحال على ذلك الى أن قتل عبد الحق وبويع الحفيد حينئذ أرفه الشيخ حده واستفرغ في المطالبة  
 جهده الى أن استوفى على الحضرة وصفاله ملك المغرب بنو قال في المرآة ما يابيع أهل فاس بأب عبد الله  
 الحفيد قام محمد الشيخ الوطاسي في أصيلا واستتبع القبائل واستفحل أمره وحاصر فاسا وقتا بعد وقت  
 الى ان دخلت في طاعته في رمضان سنة ست وسبعين وثمانمائة وخرج عنها الحفيد ودخلها محمد الشيخ  
 المذكور في أوائل سؤال من السنة المذكورة وهو مورث الملك لبيته بها اه وقد تقدم لنا ان الذي خلع  
 الشريف من الملك هو أبو الججاج وسف بن منصور الوطاسي وان حضرة فاس الجديد قد بقيت بعد  
 ذهاب الشريف الى تونس في يذهور الوطاسية والقائد السجيري الى ان قدم السلطان محمد الشيخ  
 والله تعالى أعلم بنو قال منو يل في أخبار محمد الشيخ هذا ما صورته كانت مملكة المغرب الاقصى في عاية  
 الاضطراب والانتكاس حتى طمع في ملكها كل من كانت توسوسه نفسه بذلك واستولى ابن الاحمر  
 على جميع النور لني كنت لبي هرين بارض الاندلس ولم يترك لهم قيد شبر واشربت أجناس الفرنج  
 لا تغلب على المغرب وفي تلك المدة كان با أصيلا محمد الشيخ الوطاسي وكان سجاجام قد اصابه ما أحسن  
 من نفسه بالتسدره على لاسيلاء على كرمي فاس وتعبه الشريف عنه لاسيما مع ما كان الناس فيه  
 من افتراق الكلمة فجمع جنودا صالحا وزحف الى فاس فبرز اليه الشريف والتقوا باحواز مكاسة  
 فوقعت بينهما ما حرب عظيمة كانت الكثرة فيها على الوطاسي ثم جمع عسكرا آخر وزحف به الى فاس  
 وحاصرها نحو سنتين والشربغ فيها مع أرباب دولته وفي أثناء الحصار ورد عليه الخبر باستيلاء  
 البرتقال على أصيلا وعلى بيت ماله الذي كان بها وعلى حظاياها وأولاده فافرج عن فاس ورجع مبادرا  
 الى أصيلا فحاصرها ولما امتعت عليه عندهم البرتقال هدنة وعاد سرا الى فاس فحاصرها وضيق  
 على الشريف فيها حتى خرج فاربا نفسه وأسلم اليه فدخلها محمد الشيخ وتمت بيعته وتفرغ لتدوين  
 القبائل التي باحواز فاس وغيرها فدخلوا في طاعته واغتنبوا به اه كلامه

بني ياسة بن راشد من شرفاء العلم بعمارة وبنواؤهم مدينة شفشاون وما يتبع ذلك

وقال في نشر الثاني اختط بعض شرفاء العلم مدينة شفشاون بقصد تحصين المسلمين من نصارى سبتة اذ كانوا يداسونهم عليها يتطاولون على أهل تلك المداشر في أوخر دولة بني وطاس ووقال في المراتة كان ابتداء اختطاط مدينة شفشاون في الجهة المروفة عندهم بالعدوة وهي عدوة وادي شفشاون في حدود سنة ست وسبعين وثمانمائة على يد الشريف الفقيه الصالح الناصح المجاهد أبو الحسن بن أبي محمد المعروف بأبي جمعة العلي واسمه الحسن بن محمد بن الحسن بن عثمان بن سعيد بن عبد الوهاب بن علال بن القطب أبي محمد عبد السلام بن مشيش ومات شهيدا قبل اتمام ما شرع فيه بتدبير النصارى دمرهم الله مع أهل النفاق اذ ذلك من أهل الخروب وقد جاءهم في سبيل الجهاد وينما هو يتعهد من الليل في مسجد هنالك اذ ضربوه عليه نار اخفات رضوان الله عليه وقام مقامه فيما كان بسبيله من الجهاد والاستنغار له وتجييش الجيوش ابن عمه الامير الجليل الفاضل الاصيل أبو الحسن علي بن موسى بن راشد بن علي بن سعيد بن عبد الوهاب الى آخر النسب المتقدم فشرع في اختطاط مدينة شفشاون في العدو الاخرى فبنى قصبتها وشيدها وأوطنها باهلها وعشيرته ونزل الناس بها فبنوا وصارت في عداد المدن الى ان توفي سنة سبع عشرة وتسعمائة وورثها بنوه من بعده ولم ير الوافيه ابي سلم وحرب الى ان اخرجهم منها الشرفاء السعديون عند استيلائهم على بلاد المغرب والله تعالى أعلم

بني ثورة عمرو بن سليمان السيفي ببلاد السوس وشي من أخباره

هذا الرجل هو عمرو بن سليمان الشيطمي الملقب المعروف بالسيفي ويقال له المريدي بضم الميم وكان ابتداء أمره انه كان من تلامذة الشيخ أبي عبد الله محمد بن سليمان الجزولي صاحب دلائل الخيرات نقل الانتقاة انه كان يتردد الى الشيخ المذكور أيام حياته ويأتيه بألواح فيها كلام كثير منسوب الى الخضر عليه السلام فلا يقول له في ذلك شيئا غير انه أتني عليه امرات كثيرة ثم لمات الشيخ المذكور رحمه الله سنة سبعين وثمانمائة نار عمرو والمذكور مظهرا للطلب بتسار الشيخ والانتقام من الذين سموه اذ كان معه بعض فقهاء عصره فتبعهم حتى قتلهم ثم صار يدعو الناس الى اقامة الصلاة ويقايلهم عليها فانصرف عليهم وشاع ذكره وتمكن ناموسه ثم تجاوز ذلك الى ان صار يدعو الناس الى نفسه ويقتل المنكرين عليه وعلى شيخه وأصحابه وسمى أصحابه المريدين بضم الميم قال زروق وما أحقها بالفتح وسمى المخالفين له الجاحدين ثم جعل ينفوه بالمغيبات ويزعم انه مأذون ورجا ادعى النبوة وكان قد أخرج شلوا الشيخ الجزولي من قبره وجعله في تابوت وصار يقدمه بين يديه في حروبه كتابوت بني اسرائيل فينتصر على من خالفه وقيل انه لم يدقنه وانما أخذ به بعد موته فكفنه وجعله في التابوت وجمع الجوع وقاد الجبوش وسفك الدماء واستمرت قنته في الناس عشرين سنة ووقال الشيخ زروق رحمه الله بلغني أن شيخنا الغضبية أبا عبد الله القوري ورد عليه سؤال في شأن عمرو بن سليمان السيفي فبادرت اليه كي أراه فقال لي قد خرج من يدي فقلت له فامقتضاه فال مقتضاه انه يقول ان أحكام الكتاب والسنة ارتفعت ولم يبق الا ما يقول له قلبه قال زروق وشاع من أمره انه يقول انه وارت النبوة وان له أحكاما تخصه بما في قصة الخضر مع موسى عليهما السلام وان الخضر حي وحي مرسل وانه يلقاه ويأخذ عنه بل يدعي ذلك من هو دونه من تلامذته (وحكى بعضهم) أن عمر المذكور لما جعل شلوا الشيخ في التابوت كان اذا رجع به من حربه وضعه في روضة عنده يسميها الرباط فاذا جنه الليل أطاف الحرس بالروضة يحرسون التابوت من السراق ويوقد عليه كل ليلة قنيلة عظيمة في مقدار النوب مغموسة في ثعومدي من الزيت ليغوى الضوء وينتشر ويبلغ من كل الجهات الى مسافة بعيدة فتكشف الطرق عن يأتي عليها كل ذلك مخافة ان يؤخذ منه شلوا الشيخ

هو المذكور في القيساري الدماء والحدود

فقتصر به عليه ويقال ان ثورة عمرو والمذكور وقتته كانت اثر من آثار دعوات الشيخ الجزولي رحمه  
الله فقد ذكر تلامذته كالشيخ التباع وغيره ان الشيخ الجزولي خرج عليهم من آخر الليلة التي قتل في  
صبيحتها فقالوا له يا سيدي الناس يزعمون أنك الفاطمي المنتظر فقال ما يبحثون الا عن يقطع رقابهم - ثم الله  
يسلط عليهم من يقطع رقابهم وكثر ذلك مرارا فكانوا يرون أن أثر دعوته ظهر في عمرو والسياف والله أعلم  
وقتل عمرو والمذكور سنة تسعين وثمانمائة واختلف فيمن قتله فقبيل كان عمر وقد تزوج زوجة الشيخ  
الجزولي وبنته فلما رأتا ما هو عليه من الرندقة والفساد في الارض قتلتاه امتعاضا للدين ترصدتاه حتى  
اذا نام عدا عليه فقتلتاه ثم رمتا احدهما وهي بنت الشيخ بنفسها من كوة هناك في البيت الذي كانوا به  
فوصلت الى الارض سالمة ونجت وبقيت الاخرى وهي الزوجة بالبيت فدخلوا عليها فقتلواها وقيل  
انما قتلتها زوجته وربيبته وقيل غير ذلك والله أعلم ولما هلك عمرو والسياف دفن الناس الشيخ الجزولي  
وقيل هو دفنه بموضع يعرف بتاصروت ثم نقل بعد الى مراکش على ما ذكر ان شاء الله ولما ذكر  
الشيخ أبو العباس الصومعي في كتابه الموضوع في مناقب الشيخ أبي يعزى قصة نقل الشيخ الجزولي الى  
مراكش وانه وجد طريا لم يتغير بعد وفاته بنحو سبعين سنة قال وأعجب من هذا ان عمر المغيطي  
السياف زعموا انه وجد كذلك ولعله أدركته بركة هذا الشيخ مع ما كان عليه والفضل بيد الله اه فيوفى  
سنة إحدى وتسعين وثمانمائة استدعى السلطان محمد الشيخ الامام أباعبدالله بن غازي من مكاسة الى  
فاس فولى الخطابة أولا بالمسجد الجامع من فاس الجديدة ثم ولى الامامة والخطابة ثانيا بمسجد القرويين  
من فاس وصار شيخ الجماعة بها واستوطنها الى ان مات رحمه الله فيوفى سنة خمس وتسعين وثمانمائة  
تحرّك السلطان محمد الشيخ الى دبدو ثم عاد الى حضرته (وفيها أيضا) في يوم الخميس السابع من ذي القعدة  
توفي الوزير أبو عبد الله محمد الحلو الوطاسي ودفن بالقبة خارج باب الجيسة فيوفى سنة سبع وتسعين  
وثمانمائة استولت الرينة ايسايلا صاحبة مادي قاعدة بلاد قش - تالة على حمراء غرناطة ومحت  
دولة بني الاحرار من جزيرة اندلس ولم يبق للمسلمين بها سلطان وتفرق أهلها في بلاد المغرب وغيرها  
أيادي سبا وقد تقدم الخبر عن ذلك مستوفى

### ﴿بناء مدينة تطاوين﴾

(قال منويل) لما استولى الاصبنيول على غرناطة خرج جماعة كبيرة من أهلها الى المغرب فزلوا في مرتيل  
قرب تطاوين ولما تزلوا به لم يقدموا شيئا على الوفاة على سلطان فاس محمد الشيخ الوطاسي فأجل مقدمهم  
ورحب بهم فقالوا ان ضيافتنا عندك أن تعين لنا موصعا نبني فيه بلدا يكننا ونحفظ فيه عيالنا من أهل  
الريف فأجابهم الى مرادهم وعين لهم مدينة تطاوين الخربة منذ تسعين سنة وولى عليهم كبيرهم  
أبا الحسن عليا المنظري وكان رجلا شجاعا من كبار جنود ابن الاحرار وكان قد أبلى معه في حرب غرناطة البلاء  
الحسن ثم انتقل الى المغرب كما قلنا ولما عقد له الشيخ الوطاسي على أصحابه رجوعهم الى تطاوين وشرع في  
بناء أسوار البلد القديم فجده وبنى المسجد الجامع به واستوطنه هو وجماعته ثم أخذ في جهاد البرتقال  
بسببته وبلاد الهبط الى ان أسرمهم ثلاثة آلاف فاستخدمهم في اتمام ما بقى عليه من بناء تطاوين  
واتصلت الحرب بينهم وبين برتقال بسببته كاتصاهما بين أهل آزمور وبرتقال الجديدة اه وقوله ان بناء  
تطاوين كان عقب أخذ غرناطة مخالف لما يقوله أهل تطاوين من أن تاريخ بنائها من (تفاحة) وان  
ذلك كان بإعانة الشريف أبي الحسن علي بن راشد فيظهر والله أعلم ان أبا الحسن المنظري كان قد قدم من  
اندلس قبل أخذ غرناطة بسنين يسيرة موافق الرمز المذكور والله أعلم

وقدم أبي عبد الله ابن الأحمر مخلوعا على السلطان محمد الشيخ الوطاسي وجهما لله

لما استولى طاعية الاصنيول على حضرة غرناطة وسائر الاندلس انتقل سلطانها أبو عبد الله ابن الأحمر إلى حضرة فاس فاستوطنها تحت كنف السلطان محمد الشيخ بعد ان خاطبه من انشاء وزيره أبي عبد الله محمد العربي العقيلي بقصيدة بارعة يقول في صدرها

مولى الملوك ملوك العرب والجم \* وعيالما مثله يرعى من الذم  
بك استجرنا ونعم الجار أنت لمن \* جار الزمان عليه جور منتقم  
حتى غدا ملكه بالرغم مستلبا \* وأقطع الخطب ما يأتي على الرغم  
حككم من الله حتم لا مرد له \* وهل مرد لحكم منه من حتم

وهي طويلة ثم وصلها برسالة يقول فيها بعد الحمد لله والصلاة على نبيه مانصه أما بعد فيا مولانا الذي أولانا من النعم ما أولانا لاحظ الله لكم من العزة أروا قافلا وأذوى لدوحة دولكم أغصانا وأوراقا ولا زالت مخضرة العود مبتسمة عن زهرات البشائر متحفة بثمرات السعود بمطورة بسحاب البركات المتداركات دون بروق ولا رعود هذا مقام العائذ بكم المتعلق بأسباب ذمامكم المترجى لعواطف قلوبكم وعوارف انعامكم المقبل الأرض تحت أقدامكم المتلجج اللسان عند محاولة مفاتيح كلامكم وماذا الذي يقول من وجهه نجل وقواده وجل وقضيته المقضية عن التنصل والاعتذار تجل بيد أني أقول لكم ما أقوله لربي واجترأى عليه أكثر واجترأى إليه أكبر اللهم لا بريء فاعتذر ولا قوى فانتصر لكني مستقبل مستعيب مستغفر وما أبرئ نفسي ان النفس لا تارة بالسوء هذا على طريق التزل والانصاف بما تقتضيه الحال من تمييز الى حيز الانصاف وأما على جهة التحقيق فاقول ما قالته الامانة الصديق والله اني لاعلم أني ان أقربت بما يقوله الناس والله يعلم أني منه بريئة لا قول ما لم يكن ولئن أنكرت ما تقولون لا تصدقوني فاقول ما قاله أبو يوسف فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون على اني لا أنكر عيوبي فانا معدن العيوب ولا أبجد ذنوبي فانا جبل الذنوب الى الله أشكو عجزى وبجري وسقطاتي وغلطاتي نعم كل شيء ولا ما يقوله المتقول المشنع المهول الناطق بضم الشيطان المسؤل ومن أمثالهم سبني وأصدق ولا تفترو ولا تخلق أثملي كان يفعل أمثالها ويحتمل من الأوزار المضاعفة أجالها وبهك نفسه ويحبط أعمالها عياذ بالله من خسران الدين وايتار الجاحدين والمعتمدين قد ضللت اذا وما أنا من المهتدين وأيم الله لو علمت شعرة في فودي غميسل الى تلك الجهة لقطعها بل لقطعتم ما تحت عمامتي من هامتي وقطفها غير أن الرعاع في كل أوان أعداء الملك وعليه أحزاب وأعوان كان أحق أو أجهل من أبي تروان أو أعقل أو أعلم من أنسج بني مروان رب متهم بري ومسر بل بسر بال وهو منه عري وفي الاحاديث صحيح وسقيم ومن التراكيب المنطقية منتج وعقيم وليكن ثم ميزان عقل تعتبره أوزان النقل وعلى الراجح الاعتماد ثم اساعة الاحاد المتصل المتباد والمرجوح الاطراح ثم التزام الصراح بعد النفض من الراح وأكثر ما تسمعه الكذب وطبع جهور الخلق الامن عصمه الله تعالى اليه منجذب ولقد قدقنا من الاباطيل باحجار ورمينا بما لا يري به الكفار فضلاعن الفجار وجرى من الامر المنقول على لسان زيد وعمرو ما لا يدرك منه حفظ الجار واذا عظم الالكاء فعلى تكاة النجد الاتكاء أكثر المكثرون وجهد في تعشيرنا المتعشرون ورمونا عن قوس واحدة وتظمونا في سلك الملاحده أ كفرا أيضا كفرا غفرا اللهم غفرا أعد نظرا يا عبد قيس فليس الامر على ما خيل لك ليس وهل زدنا على ان طلبنا حقنا ممن رام محقه ومحققنا فطار دنا في سبيله عداة كانوا لنا غائظين فانفتق علينا فتق لم يكأله رتق



وما كنا للغب طاقين وبعد فاسأل أهل الحل والعقد والتميز والنقد فعند جهينتهم تلقى الخبر يقينا  
وقدر ضينا بحكمهم يرتخنا فيوبقنا أو يبرثنا فيقينا ايه يامر انراب الى ملامنا وقدح حتى في اسلامنا  
رويدارويدا فقد وجدت قوة وايدا ويحك انما طال لسانك علينا وامتد بالسوء الينا لان  
الزمان لنا صغر ولكم كبير ولا امر عليك مقبل وعما مدبر كما قاله كاتب الحجاج المتبر وعلى الجملة  
فهنا صرنا الى تسليم مقالك جدلا وذهبتنا فاقرونا بالخطا في كل ورد وصدر فهددنا القائل  
ان كنت اخطأت فما اخطا التقدر \* وكنا بمنسفا داوصل الى هنا وعدم انصافا يعلمه الهنا قد ازور  
متجانها ثم افترمتها هنا وجعل يتمثل بقولهم \* اذ عبروا في لواء مقادير قلوب \* ويقولهم المرء يجهز له الحال  
فيعارض الحق بالباطل والحالي بالباطل ويتزع بقول القائل رب سمع هائل وليس تحته طائل  
وقد فرغنا اول أمس من جوابه وبركنا الضغن يلصق حرارة الجوى به وسنم الا ان بما يوسع تبكيتنا  
ويقطع تبكيتنا فنقول له نشدناك الله تعلى هل انغى لك قط وعرض خروج امر ما عن القصد منك  
فيه والغرض مع اجتهادك ائتته في اصدارك واپرادك في وقوعه على وفق افتراحك ومرادك  
أوجيع ما تراوله بادارتك لا يقع الامطابقه لارادتك أو كل ما تقصده وتنبويه تحرزه كاتساء وتحويه  
فلا بد ان يقر اضطرارا بان مطلوبه يشذ عنه مرارا بل كثيرا ما يغت صيده من أشراكه ويطلبه  
فيجهز عن ادراكه فنقول ومشتان من هذا القبيل أيها النبيه النبيل ثم نسرده من الاحاديث النبويه  
ما شينا مما سائرنا في غرضنا منه وما شينا كقوله صلى الله عليه وسلم كل شيء بقضاء وقد رحى العجز  
والكيس وقوله أيضا لو اجتمع أهل السموات والارض على أن ينفعوك بشيء لم يقضه الله لك لم يقدروا  
عليه ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يقضه الله عنك لم يقدروا عليه أو كما قال صلى الله عليه وسلم  
فاخلق به ان يلوذبا كناف الاجام ويزم على نقت فيه كأنما ألجم بلجام حيث نذنا قول له والحق قد ابان  
وجهه وجلاه وقهره بحجته وعلاه ليس لك من الامر شيء قل ان الامر كله لله وفي حاجة آدم وموسى  
ما يقطع لسان الخضم ويرحض عن اثواب اعراضنا ما عسى ان يعاقبها من درن الوصم وكيفما كانت  
الحال وان شاء رأى والاتحال ووقعنا في أوجال وأوجال فنزل عرشنا وطويت فرشنا ونكس  
لوانا ومالك مثوانا فحقن أمثل من سوانا وما في الترخيار ويد الا لطف تكسر من صولة الاغيار  
فحق الا ان لم ننفق من اللطيف تعالى لطفنا ولا عدمننا أدوات ادعية تعطف بلامهلة على جلتنا  
المقطوعة جل النعم الموصولة عطفنا والافتك بعد ادراك السلام ومتبوء الاسلام المحفوف بفرسان  
السيوف والاقلام متبوءه الخلفة العباسية ومقرا العلماء والفضلاء اولى السير الاويسية والقول  
الاباسية قد نوزلت بالجوش وتزنت وزوولت بالزحوف وزلزلت وتحيف جوانبها الحيف ودخلها  
كفار التار عنوة بالسيف ولا تسل اذك عن كيف أيام تجلت عروس المنيه كاشعة عن ساقها مديه  
وجرت الدماء في الشوارع والطرق كالانهار والارديه زقيد الا في القضاة تحت ظلال السيوف  
المنتضاة بالعمائم في رقابهم والارديه وللنجيع سيول تخوضها الخيول فتخضها الى ارساغها وتهم  
ظماؤها بوردها فتشكل عن تجرعا ومساءها فطح صمها ومستعصمها وراح ولم يندظا لها  
ومتظلمها ونزبت مساجدها وديارها واصطلم بالحسام أسرارها لو خيارها فلم يبق من جمهور أهلها  
عن تطرف حسبا عرفت أو حسبا تعرف فلانك متشكك كما متوقفا فحدث تلك الواقعة ان شنعاء  
أشهر عند الموزمين من قفا فابن تلك الجحافل والآراء المدارة في المحافل حين اراد الله تعالى بازالة  
الكفر لم تجدوا لاقلامه تظفر اذن من حلت له نفسه التي هي رأس ماله وعياله وأطفاله اللذان هما من  
أعظم آماله وكل أو جل أو قل ريشه وأسباب معاشه الكنديه بانها ضهوان معاشه ثم وجد مع ذلك  
سيلا الى الخلاص في حال مياسرة ومساهلة دون تعصب واعتياص بعد ما ظن كل الظن أن لا محيد

ولامناص فما أحقه حينئذ وأولاه أن يحمه خالقه ورازقه ومولاه على ما أسداه إليه من رفته  
 وخيره ومعافاته مما ابتلي به كثير من غيره ويرضى بكل إيراد وأصدار تتصرف فيهما الأحكام الالهية  
 والأقدار فالدهر غدار والديار دار مشحون بآلاء كدار والقضاء لا يرذول أبصده ولا يغالب ولا يطالب  
 والدائرات تدور ولا بد من نقص وكاللبدور والعبد مطيع لامطاع وائس يطاع الاستطاع  
 وللخالق القدير جلت قدرته في خليقته علم غيب للذهان عن مداه انقطاع ومالي والتكليف لئلا  
 أحتاج اليه من هذا القول بين يدي ذى الجلالة والمجادة والفضل والطول فله من العقل الأرجح  
 ومن الخلق الأسجج ما لا تلتاظمه تهمتي بصفره والتمتق عنده وشاية الواسي لاعدم من نفره ولا فاز  
 قدحه بنظره والمولى يعلم أن الدنيا تلعب باللاعب وتجرب راحتها إلى المتاعب وقد يمالأ كياس من  
 الناس خدعت وانحرفت عن وصالهم أعقل ما كانوا قطعتم وفات بهم ما فعلت يسار الكواعب  
 الذي جبت وجدعت واثن رهصت وهصرت فتمد نهبتي وبصرت ولئن قرعت ومعضت لقد  
 أرشدت ووعظت ويا ويلنا من تنكرها النابره ورميه النائي غمرة أي غمره أيام قلبت لنا ظهر المحن  
 وغيم أفتها المصمى وأدجن فسرمان ما عاينا جبالها منته ورأينا منها ما لم نحسب كما تقوم الساعة بغته  
 فن استعاذ من شيء فليس تعذما صرنا إليه من الحور بعد الكور والانحطاط من أنجد إلى الغور

فينا نسوس الناس والامر أمرنا إذ نحن فيهم سوفه تتنصف

قبا لدنيا لا يدوم نعيمها \* تقاب تارات بنا وتصرف

وأبها القدر همتنا ارهاقا وجرتنا من صاب الاوصاب كأسادهاقا ولم نفرع إلى غير بابكم المنيع الجنباب  
 المنفتح حين سدت الابواب ولم نلبس غير لباس نعمائكم حين خلعنا ما ألبسنا الملك من الاتواب وإلى  
 أمه يلجأ الطفل لجأ اللهفان وعند الشدايد تمتاز السيوف من الاجفان ووجه الله تعالى يبقى وكل  
 من عليها فان وإلى هنا ينهي القائل ثم يقول حسبى هذا وكفان ولا ريب في استعمال العلم الكريم  
 على ما تعارفه الملوكة بينها في الحديث والقديم من الاخذ باليد عند زلة القدم وقرع الانسان وعض  
 البنان من الندم ديننا تديتته مع اختلاف الاديان وعادة اطردت على تعاقب الازمان والاحيان  
 ولقد عرض علينا صاحب قسالة مواضع معتبرة خير فيها وأعطى من أماته المؤكديه خطه بأيمانته  
 ما يقع النفوس ويكفيها فلم نرو نحن من سلاله الاحمر مجاورة الصقر ولا سقوع لنا الايمان الاقامة  
 بين ظهرا في الكفر ما وجدنا عن ذلك منه دوحه ولو شاسعه وأهنا من المطالب المشاغب حمة شربنا  
 لأسعه وادكرنا أي اذكار قول الله تعالى المنكر لذلك غاية الانكار ألم تكن أرض الله واسعه وقول  
 الرسول عليه الصلاة والسلام المبالغ في ذلك يابغ الكلام أنا بريء من مؤمن مع كافر تترآنا راهما  
 وقول الشاعر الحان على حث المطيه المتناقلة عن السير في طريق منجاتم البطيه

وما أنا واليد نحو نجد \* وقد غسبتهم امة بالرجال

ووصلت أيضا من الشرق إلينا كتب كريمة المقاصد لدينا تسندني الانحياز إلى تلك الجنيات وتتضمن  
 ما لا مزيد عليه من الرغبان فلم نختار الادارنا التي كانت دار آياتنا من قبلنا ولم نرتض الانفواء الامن  
 بجبله وصل جبلنا وبريس نبله ريس بنينا ادلالا على محل اخاء متوارت لاعن كلاله واستنالا لوصاه  
 أجداد لا تظارهم وأقدارهم اصالة وجلاله اذ قدرونا عن سلف من أسلافنا في الايصال من تخلف  
 بعدهم من أخلاقنا أن لا يبتغوا اذادهم هم أمر بالحضرة المرينية بدلا ولا يجسدوا عن طريقها في  
 التوجه إلى فريقها معدلا فاخترقنا إلى الرياض الارضية الفجاج وركبنا إلى البحر الغرقت ظهر البحر  
 الاجاج فلاغروا نرد منه على ما يقر العين ويسقي النفس الشاكية من ألم البين ومن توصل هذا  
 التوصل وتوصل بمثل ذلك التوصل نطارح على سدة اسير المومنين المحارب للمحاربين والمؤمنين

للمستأمنين فهو الخلق الحقيقي بأن يسوغ اصفاء مشاربه و يبلغ أوفى ما ربه على توالي الايام  
والشهور والسنين ويخلص من الثبور الى الجبور ويخرج من الظلمات الى النور خروج الجنين  
ولعل شعاع سعاده يفيض علينا ونفحة قبول اقباله تسرى اليها فتخامرنا أريحية تحم لنا على أن نبادر  
لانقاد قول الشريف الرضي في الخليفة القادر

عظفا أميرا أو منير قانتا \* في دوحه العلياء لا تنفترق  
ما بيننا يوم الفخار تنفوت \* أيدا كلانا في المعالي معرق  
الا لخلافة ميرتك فاني \* أنا عاقل منها وأنت مطوق

لا بل الاخرى بنا والا حبي والانجح لسعيها والاربحي أن نعدل عن هذا المتهاج ويقوم وافدنا بين يدي  
علامه مقام الخاضع المتواضع الضعيف المحتاج وينشد ما قال في الشيرازي ابن حجاج  
الناس يفدونك اضطرارا \* منهم وأفديك باختيار  
وبعضهم في جوار بعض \* وأنت حتى أموت جاري  
فعمش لخبزي وعمش لاني \* وعمش لداري وأهل داري

ونستوهب من الوهاب تعالى جلت أسماؤه وتعاضمت نعمه ماؤه رجة تجعل في يد الهداية أعنتنا  
وعصمة تكون في مواقف المخاوف جنتنا وقبولا بمطغ علينا وافر القلوب وصنعنا سني لنا كل  
مرغوب ومطلوب ونسأله وطالم يبلغ السائل سؤالا وما مولا متبا صادقا على موضوع الندم محمولا  
ثم عزاء حسنا وصبرا جميلا عن أرض أورثنا من شاء من عباده معقبها لهم ومدبرا وسادلا عليهم من  
ستورا الاملاء الطويلة سدولا سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا فليطرطرا  
الوسواس المرفرف مطيرا كل ذلك كان في الكتاب مسطورا لم نستطع عن مورده صدورا وكان أمر  
الله قدرا مقدورا ألو ان الله سبحانه في مقامكم العالي الذي أيده وأعانه سرامن النصر يترجم عنه  
لسان من النصل وترجع فروع البشار الصادقة بالفتوحات المتلاحقة من قاعدته المتأصلة الى أصل  
فيمثله يجب الياذ والعياذ ولشبهه يحق الالتجاء والارتجاء ولا مراما آثرناه واخترناه بعد ان امرشدا  
الله سبحانه واستخترناه ومنه جل جلاله نرغب أن يخبر لنا وجميع المسلمين ويؤب بنا من حمايته ووقايته  
الى معقل منيع وجناب رفيع آمين آمين آمين ونرجو أن يكون ربنا الذي هو في جميع الامور  
حسبنا قد خار لنا حيث أرشدنا وهدانا وساقنا وتوفيقه وحدانا الى الاستجارة بملك حفي كريم وفي  
أعز جار من أبي دواد وأجى أنفاس من الحرث بن عباد يشهد بذلك الداني والقاصي والحاضر والباد  
ان أعانت مله ووظف الاسود بن قنان يذكر وان أنعش حشاشه هالك فا كعب بن مامة على فعله وحده  
يشكر جليسه بكجيس التتفعا بن شور ومذا كره كذا كرسه قيان المنتسب من الرباب الى نور الى  
التحلي بأمهات الفضائل التي أضدادها أمهات ازدائل وهي الثلاث الحكمة والعدل والعفة  
التي تشملها الثلاثة الاقوال والافعال والشمائل وينسوا عنها ما شئت من عزم وحزم وعلم وحلم وتيقظ  
وتحفظ واتقاء وارتقاء وصول وطول ووسع نائل فينور حلاله المشرق يفخر المغرب على المشرق  
وبعده السامى خطره في الاخطار وبينه الذي ذكره في انباهة والنجابة قد طار يباهي جميع ملوك  
الجهات والاقطار وكيف لا وهو الرفيع المنتمى والتجار راضع من الطهارة صفوا البيان الناسي من  
السرارة وسط أبحار في ضنفي المجدو ويجبوح الكرم وسراوة أسرة المملكة التي أكنافها حرم وذوابة  
الشرف التي مجادتها لم ترم من معشر أي معشر بخلاوا ان وهبوا مادون أعمارهم وجبنوا ان لم يحموا  
سوى ذمارهم بنومرين وما أدراك ما بنومرين سم العدة وآفة الجزر النازلون بكل معترك  
والطيون معاقدا لزر لهم عن الهفوان اتقاء وعندهم من السير النبوية اكتفاء انتسبوا الى بر

ابن قيس نخر جوافي البر عن القيس ما لهم القديم المعروف قد تغدى في سبيل المعروف وحدثهم  
الذي تغتته رجال الزحوف من طريق القني والسيوف على الحسن من المقاصد موقوف تحمد  
من صغيرهم وكبيرهم ذابلهم ولدتهم فله آباء أنجبوهم وأمهات ولدتهم ثم الأنوف من الطراز  
الأول اليهم في الشدايد الاستناد وعليهم في الأزمات المعول ولهم في الوفاء والصفاء والاحتفاء  
والعناية والحماية والرعاية الخط والوساع والباع الأطول كأنما عناهم بقوله جرو  
أولئك قوم ان بنوا أحسنوا البناء \* وان عاهدوا وفوا وان عقدوا شدوا  
وان كانت النعماء فيهم جزاها \* وان أنعموا لا كثرها ولا كثروا  
وتعدنا في أبناء سعد عليهم \* وما قلت إلا بالذي علمت سعد

وبقول الوثيق مبناه البليغ معناه

قوم اذا عقدوا عقد الجارهم \* شدوا العناج وشدوا فوقه الكربا

يزيحون عن التزبل كل نازح قاصم وليس له منهم عائب ولا واصم فهو أحق بما قاله في منقر قيس بن  
عاصم لا يفتنون لعيب جارهم \* وهم لحفظ جوارهم فطن

حلاهم هذه الغريزة التي ليست باستكراه ولا جعل وأمير المؤمنين دام نصره قسيمهم فيها حذو  
النعل بالنعل ثم هو عليهم وعلى من سواهم بالأوصاف الملوكة مستعمل ارفض من منهم منه عن غيث  
مات يحموا نار الزبه وانشق غيلهم منه عن ليل صار من قبض على برائنه للوثبه فقل لسكان الفلا  
لا تفرنكم أعداكم وأمداكم فلا يبالى السرحان المواشي سواء مشى اليها النقرا أو الجفلا بل يصددهم  
صدمة تحطم منهم كل عرين ثم يبتلع بعد أشلاءهم المعفرة ابتلاع التنين فهو هو كما عرفوه وعهدوه  
وألفوه أخوالنايا وابن جلا وطلاع الثنايا مجتمع أشده قد احتجكت سنه وبان رشده جاد مجتد  
محترم بحزام الحزم مشمر عن ساعد الجدة

لا يشرب الماء الا من قليب دم \* ولا يبيت له جار على وجل

أسدى القلب آدمى الروا لابس جلد النمر يزني العناد والنوى

وليس بشارى عليه دمامة \* اذا ماسعى بسعى بقوس وأسهم

ولكنه يسعى عليه مفاضة \* دلاص كأعيان الجراد المنتظم

فالنجاء النجاء سامعين له طائعين والوجل الوجل لاحقين به خاضعين قبل أن تساقوا اليه مقرنين في  
الأصفاذ ويعي الفداء بنفائس النفوس والاموال على القاد حينئذ بعض ذوالجهل والقدامه على  
يديه حسرة وندامه اذا رأى أبطال الجنود تحت خوافق الرايات والبنود قد لفحتهم نار ليست بذات  
نخود وأخذتهم صاعقة مثل صاعقة الذين من قبلهم عاد وثمود زعقات تؤز الكائب أزا وهمز المحققا  
للخيل بعد المد المشبع للاعنة همزا وسلا للهندي سلا وهز الخطية هزا حتى يقول النسر للذئب هل  
تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا ثق خليفة الله بذلك في كل من رام أذى رعيتك أو أذاك فقلك  
عادة الله سبحانه في ذوى الشقاق والنفاق الذين يشقون عصا المسلمين ويقطعون طريق الرفاق وينصبون  
حبال البغي والفساد في جميع النواحي والآفاق فلن يجعلهم الله عز وجل من الآمنين أنى وكيف  
وقد أفسدوا وخابوا وهو سبحانه لا يصلح عمل المفسدين ولا يهدى كيد الخائنين وهانحن قد وجهنا الى  
كعبة محمدكم وجوه صلاوات التقديس والتعظيم بعدما زينا معاطفها باستعطافكم بدرتاء أبيهم من  
در العقد النظم منتظمين في سلك أولياتكم متشرفين بخدمة عليائكم ولا فقرة ولا عدمها من  
قصد مثابكم الغريزة وخدمتها وان المترامى على سنائكم لجدير بحرماتكم واعتنائكم وكل ما هو ف  
تبوأ من كنفكم حصنا حصينا عاش ببقية عمره محروسا من الضيم مصونا وقد قيل في بعض الكلام من



فعدت به نكابة الايام اقامته اغاثة الكرام ومولانا ابيده الله تعالى ولى ما يرفه الينامن مكرمة بكر  
ويصنعه لنا من صنيع حافل يخلد في صحائف حسن الذكر ويروي معن حديث جسده وشكره  
طرس عن قلم عن بنان عن لسان عن فكر وغيره من ينام عن ذلك فيوقظ ويستترسل مع الغفلة حتى  
يذكر ويوعظ وما عهد منذ وجد الامر يعانى داعي الندى والتكريم بريثامن الضجر بالمطالبة  
والتبرم حاقظا للبحر الذي اوصى نبي صلى الله عليه وسلم بحفظه مستغرا وسعه في رعيه المستمر ولحظه  
آخذ من حسن النفاذ في جميع الاوقات والالاء بحظه

فؤوم من دوحه السنافر عجز . ايس يحتاج مجنبيه لهنر  
كفه في الاحمال اغزر رويل \* رذراء في الجوف اضع حرز  
حله يسفر اسمك عنه \* قفهم يامدعى الفهم لغزى  
لا تسلمه سياً ولا تستلمه \* نظرة منه فيك تغنى وتجزى  
فنداه هر الفرات الذي قد \* عام فيه الانام عوم الاوز  
وجاه هو المنيع الذي تر \* جع عنه الخطوب مرجع عجز  
فدعوا ذهنه يراول قولى \* فهو ادرى بما تضمن رمضى  
دام يحيى بكل صنع وحق \* ويعافى من كل بوس ورجز

وكانت اياه قد علم على شاكلة جلاله من مد ظلاله وتهدى حاله وتلقى وروى نابت الله واستلاله وتأنيسنا  
بجميل قبوله واذباله ويردنا على حوض كثره المترع بزلاله والله سبحانه يسعد مقامه العلى ويسعدنا  
به في حله وارتياله وما آله وحاه ويؤيد جند المظفر ويؤيدنا بتأييده على تزال عدوه واستزاله وهز  
الدواب لا طفا عذابه وهو سجد نرى على المسؤل أن يره ترة العين في نفسه وأهله وخدمته وأمواله  
وأنتاره وأعماله وكافة شؤونه وأحواله وحق منصل بالسلام وأولى على المقام الجليل مقام الخليفة  
المولى وأزكى الصلاة والسلام على خاتمة أنبيائه رساله سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى  
جميع أصحابه وآله صلاة وسلاما داعية في ابد موصولين بدوام الابد واتصاله ضامنين لمجددهما  
وهم ردهما صلاح فساد أعماله وبلوغ غية آماله وذلك بمشيئة الله تعالى واذنه وفضله وافصالة  
(انتهت الرسالة وما كادت) ووصيا السلطان ابن الاجر المملوك بهد تزوله بميلة الى مدينة قاس باهله وأولاده  
مهتذرا عما أسلفه من اهلها على ما خلفه وبنى بغاس بهض قسور على طريق بنيان الاندلس وتوفى به اسنة  
أربعين وتسعمائة ودفن بزواله على خارج باب السرية وخلف خريفة من بعده يقال في نشر المذاني  
انقرضوا ولم يبق منهم أحد وزعم من قبل انه هلك في وقعة أبي عتبة في حرب الوطاسيين مع السعديين قال  
ولم يحسن هذا الرجل ان يدفع على ما كد دفع عن ملك غيره

يقول في لاد البرزة الى على ساحل ابرجيه وبنوهم مدينة ابيده صانها الله سبحانه وتعالى يمنه

(قال من لفتها لله عنه) رذوفت بعض لبرجيه وبعدها برمارية على تأليف في اخبار الجديت من  
لبن بنوها الى ن انبرعها اسلون منهم دة طفت منه انبته في هذه الترجمة يقال هذا المؤلف  
كانت سنة اتم ونعمها في ذنبر مسحية برفات يقول ويرفتها من تاريخ الهجرة سنة سبع وتسعمائة  
تقريباً بعثت سلطان البرتقال واهله من ريل من دار ملكه اشبونة عمارة في البحر للاستيلاء على بعض  
ثغور المغرب فاجأهم هجبان البحر وموجه الى ساحل البريجة فيما بين آز مور وتيط وكانت البريجة  
على ما يفهم من كلامه من ذلك انهم لم يجره ويحورها كان يسمى بريح النسخ ولازار مسمى بهذا  
لاسم الى الا زفاري البرغاليون على الساحل المذكور ولت طائفة منهم الى البرقظوقوا بالبريجة

وما حولها وأعجبهم المكان فعزموا على المقام به واتفق رأيهم أن يتركوا جماعة هنالك يحفظون المحل ويرجع باقيهم إلى ملكهم ليستأذنه فيما عزموا عليه فتركوا اثني عشر رجلا بالبريج بعد أن حصنوها وصنعوها بما يحتاجون اليه من عدة وقوت ونحوها ورجع الباقيون إلى الملك فأخبروه بشأنهم فأذن لهم وبعث معهم جماعة من البنائين والعملة لينوألهم ما يتحصنون به فقدموا على أخوانهم وشرعوا في إدارة السور على قطعة من الأرض فنذر بهم أهل تلك البلاد من المسلمين وتسايقوا اليهم على الصعب والذلول فقررت نصارى إلى البريجة وتحصنوا بها وأفسد المسلمون كل ما كانوا عملوه في تلك الأيام وأحرقوهم بمحصنهم ووضعوا عليهم الرصد إلى أن فتر عزمهم وأيسوا من نجاح سعيهم فعاد جلهم أو كلهم إلى أشبونة وأعادوا الكلام على ملكهم منويل في شأن البريجة ووصفوا له حسن البقعة وصحة هوائها ومنزلتها من البحر ومن قبائل أهل المغرب من أهل تامسنا ودكالة وغيرهم وأنواعها عسى أن تكون سلبا لا سلبا على غيرهما من بلاد المغرب لاسيما ودولة المسلمين به يومئذ قد تلاشت وملكهم قد ضعف فوق ذلك في نفس الملك واستأنف العزم وبعث معهم حصنة من العسكر تحصل بها الكفاية وتتأنيب المدافعة والممانعة مع جماعة واقرة من البنائين والمهندسين وجلهم ما يحتاجون اليه من آلة وغيرها فانتهوا إلى الموضع المذكور بعد سبع سنين من مقدمهم الأول وتحصنوا غفلة أهل البلاد وشرعوا في بناء حصن مربع على كل ربع منه برج وثيق ودأبوا في العمل ليلا ونهارا فلم تفض الامدة بسيرة حتى فرغوا منه وامتنعوا على المسلمين به وكان انشاؤهم لهذا الحصن على البريجة القديمة بان جعلوها أحد أرباعه وأضافوا اليها ثلاثة أرباع آخر وأداروا السور على الجميع واتخذوا في داخل هذا الحصن ما جلا عظيما لخزن الماء وهو النطفية في لسان الجبل بنوه من بعا بتريبع الحصن مساحة كل ربع منه مائة وثلاثون شرا وجوانبه وقبوه من حجر النصف الجيب النحت المحكم الوضع والالتصام محمول ذلك القبو على ستة أقواس في كل ربع وقال هذا المواقف هو ما تلاحظه من هذا الما قبل يسع عشرين بوطه من الماء ثم شيدوا على أحد أرباع هذا الحصن طريا عظيما مرتفعا جدا ليس صادق التريبع ولا الاستدارة غير مهندس الشكل ثم بنوا في أعلاه على أحد جوانبه بناء آخر لطيف ما ستدير اصاعدا في الجوى وقاله على مدارج لطيفة وجعلوا في أعلاه صارا خارجا من جوفه وناقوسا للحراسة يشرف الحارس منه على نحو خمسة وعشرين ميلا من سائر جهاته وجميع هذه البنائات التي ذكرها هذا المؤلف من الحصن وما معه لازالت قاعة العين والاثرا إلى الآن الا الطرى فانه قد اتخذ في هذه الأيام التي هي سنة سبع وتسعين ومائتين وألف منار المسجد الجامع وذلك أن عامل الجديدة في هذا العصر وهو الرئيس الفاضل أبو عبد الله محمد بن ادريس الجراري حفظه الله استأذن الخليفة وهو السلطان الاعظم المولى الشريف أبو علي الحسن بن محمد العلوي نصره الله في جعله منارا لكون المنار القديم قصيرا لا يسمع الناس الاذان فأذن أعزاه الله في ذلك وهذا العامل اليوم جاد في اصلاحه والزيادة فيه وقد أشرف على التمام وكذلك استأذن هذا العامل حضرة السلطان المذكور في إدارة جدار من داخل سور المدينة يكون مترة على منازل أهلها ويوتهم لان السور المذكور كان مرتفعا على البلد بحيث يكون الصاعد عليه متكشفا على البيوت واستأذنه في اصلاح القبة المشرفة على الصر المعروفة بقبة الخياطين وكانت قد تلاشت وباتخاذ سجن متسع محكم عن عين الداخل من باب المدينة المذكورة لانه لم يكن بها سجن معتبرا فاجابه الخليفة المذكور إلى ذلك كله أدام الله علاه وقد تم جل ذلك وعادت القبة إلى أحسن حالاتها التي كانت عابها أيام البرتقال والله لا يضيع أجر من أحسن عملا وانرجع إلى موضوعنا الذي كنا فيه فنقول ثم شرع نصارى البرتقال بعد الفراغ من الحصن المذكور في إدارة سور المدينة على أوثق وجه وأحكامه وذلك انهم عمدوا إلى بقعة من أربعة من الأرض مساحة كل ربع منها ثلاثمائة وخمس وسبعون خطوة وجعلوا مركزها

الحصن المذكور ثم أداروا بها سورين عاديين فحفر الخارج منهما نحو خمسة عشر شبراً والداخل على نحو  
 الثلاثين منه وبينهما فضاء من دوم والتراب والحجارة الصغيرة فصار السوران بذلك سورا واحداً سمعته  
 خمسون شبراً وهذا في غير الربع الموالي للبحر أما هو فليس فيه ردم وإنما هو سور واحد سمعت أضيقت  
 عداه يسيراً وارتفاع هذه الأسوار من داخل البلد نحو ستين شبراً ومن خارجه نحو السبعين ثم أداروا  
 خارج السور خندقاً قاسماً وجعلوا عمقه أربعة عشر شبراً بحيث بلغوا به الماء وإذا فاض البحر لم ياب  
 جوانبه واتخذوا للدينة ثلاثة أبواب أحدها للبحر وهو باب المرسى وقد سددت بالبناء في هذه السنين واثنان  
 للبر وجعلوا أمامهما أفطرتين بالعمل الهندى بحيث ترفعان وتوضعان وقت الحاجة إلى ذلك فصارت  
 المدينة ممددة في غاية المناعة وكان بنو وطاس في هذه المدة أشغل من ذات النخيل مع برتقال سبتة  
 وطنجة وسائر بلاد الهبط فلذاتنا في هؤلاء النصارى أن يفعلوا ما فعلوه في هذه المدة اليسيرة وجعلوا  
 داخل المدينة خمس حارات وسموا كل حارة باسم كبير من قدمائهم على عادتهم في ذلك واتخذوا بها أربع  
 كنائس واتخذوا المخازن والأهراء للاختزان وسائر المرافق ومن جملتها هري كان يسع ستمائة فنيكة من  
 الحب وأوطنوها بأهلهم وعيالهم وكان فيها جماعة من أشرفهم وذوى بيوتاتهم من أهل أشبونة  
 وغيرها وكانوا يعدون فيها أربعة آلاف نفس ما بين المقاتلة والعيال والذرية وكانوا يأملون الاستيلاء  
 منها على مراكس نجيب الله رجاءهم ثم ذكر هذا المؤلف ما كان يقع بين المسلمين ونصارى الجديدة من  
 الحروب والخارات مما العلتناشير إلى بعضه في محله إن شاء الله

بإستيلاء البرتقال على سواحل السوس وبنائهم حصن فونتي قرب آ كادير وما قيل في ذلك

بإذ كبر بعض المؤرخين من الفرنج أن استيلاء البرتقال على آ كادير كان في مدة ملكهم منويل المذكور  
 آنفاً وأن ذلك كان على حين غفلة من أهل تلك البلاد يقال منويل لما علم طاعة البرتقال منويل أن  
 مرسى آ كادير جيدة لمناعتها وكثرة تجارتها بسبب مجاورتها القبائل السوس وأراد الاستيلاء عليها وكان  
 ينظر أن ذلك لا يتأتى له لحصانتها وكثرة القبائل المجاورين لها ثم خاطر وبعث إليها جيشاً فاستولوا عليها  
 على حين غفلة من أهلها وحصنوها بنوابها دوراً وبرجا جيداً وأخذوا في التجارة بها مع أهل السوس  
 وكثرت أرباحهم ثم لما ضعفت شوكتهم خرجوا عنها وعن أسنى وأزمور فقلت مراده بآ كادير حصن  
 فونتي القريب منه والاقاق كادير أعابني بعده هذا التاريخ بكثير كما سياتى ثم مقتضى ما ذكره أن يكون  
 زمان استيلائهم عليه موافقاً وقريباً لزمان استيلائهم على البريجة ومقتضى ما نقله في التزهة عن ابن  
 القاضى أن يكون استيلائهم عليه في حدود سنة خمس وسبعين وثمانمائة فإنه لما وصف حال السلطان  
 محمد الشيخ السعدى الآتى ذكره إن شاء الله قال وكان له بخت عظيم في الجهاد فتح حصن النصارى  
 بسوس بعد أن أقاموا به اثنتين وسبعين سنة اه وكان فتحه آياه في حدود سبع وأربعين وتسعمائة  
 والظاهر أنهم استولوا على بعض حصون السوس في التاريخ الأول وعلى بعضها في الثاني والله أعلم

بوفاة السلطان محمد الشيخ الوطاسى رحمه الله

بإذ كبر ابن القاضى في الجذوة أن وفاة السلطان المذكور كانت سنة عشر وتسعمائة قال ومن جملة  
 وزرائه أخوه الناصر بن أبى زكرياء والله أعلم وولى الأمر من بعده ابنه محمد البرتقالى على ما ذكره

بإخبار عن دولة السلطان محمد بن محمد الشيخ الوطاسى المعروف بالبرتقالى رحمه الله

لما توفى السلطان محمد الشيخ بوبع ابنه محمد البرتقالى في التاريخ المتقدم وكان نصارى سبتة وطنجة  
 وآصيلاً قد استحوذوا على بلاد الهبط وضائقوا المسلمين بها حتى ألجؤهم إلى قصر كتامة فكان هو الثغر

يومئذيين بلاد المسلمين وبلاد النصارى كما مر وكان السلطان محمد هذا قد عني بجهادهم وترديد الغزو اليهم والاجلاب عليهم حتى شغل بذلك عن البلاد المرأ كشيء وسوا حلها فكان ذلك سيد الظهور والدولة السعدية بها سنة خمس عشرة وتسعمائة على ما نذكره ان شاء الله

### استيلاء البرتقال على ثغر آسفي حرسه الله

قال منويل كان البرتقال قد تشوفوا للاستيلاء على آسفي وكان أهلها فيهم شجاعة أكثر من غيرهم من أهل الثغور فزحفوا اليها وجرى بينهم وبين أهلها قتال شديد هلك فيه عدد كبير من البرتقال وعظم عليهم أن تمتنع منهم بلدة صغيرة ليس لها حامية سوى أهلها ثم طاولوها بالحصار حتى قل القوت عند أهل آسفي وأشرفوا على الهلاك فحينئذ شارطوا البرتقال وأسلموها اليهم على الأمان فاستولوا عليها وحصنوها غاية لتوقعهم كره المسلمين عليهم فكان كذلك فانهم زحفوا اليهم بعد ثلاث سنين من أخذها ووقع بينهم وبين البرتقال حرب شديدة كانت صفوف المسلمين تترادف فيها كأموج البحر وقتل قواد عسكر البرتقال وكبارهم ثم قدمت عليهم شكوا دونه من مادة بالعسكر والراد فقويت نفوس البرتقال وارتحل المسلمون عنها بعد أن أشرفوا على الفتح وتبعهم البرتقال لينتزعوا فيهم الفرصة فكثر المسلمون عليهم واستلبوهم وهذا أول حصار كان على آسفي ثم بعد سنين قلائل زحف المسلمون اليها أيضا ومعهم عدد من المدافع وقتلوا قتالا صعبا وزحفوا الى السور فهدموا منه ثلثة كبيرة واشتد القتال عليها بما خرج عن العادة ثم رحل المسلمون من غير فتح وأعرضوا عنها مدة لم يحسدوا أنفسهم بقتال وعمرت آسفي بالنصارى وانتقل اليها التجار وبنوا بها الدور وكانوا يسبقون منها الحب ويحملونه في السفن الى بلادهم ولعل ذلك الهدنة كانت لهم مع المسلمين ثم عادت للمسلمين بعد نحو ثلاث وعشرين سنة وقال الشيخ أبو عبد الله محمد العربي القاسي في مرآة المحاسن ما نصه قرأت بخط شيخنا أبي عبد الله القصار أن صاحب آسفي أخرج الشيخ أبي عبد الله محمد بن سليمان الجزولي عنها فدعا عليهم فاستل منه العفو فقال أربعين سنة فأخذها النصارى بعدها اه وهذا يقتضي أن استيلاءهم عليها كان في حدود عشر وتسعمائة لان وفاة الشيخ الجزولي رجه الله كانت في سنة سبعين وثمانمائة كما مر وعند الفرنج ما يقتضي أن استيلاءهم عليها كان بعد ذلك بسنتين أو ثلاث والله أعلم

### زحف السلطان أبي عبد الله البرتقالى الى آصيل

قال منويل لما أفضى الامر الى السلطان محمد بن محمد الشيخ الوطاسي أراد أن يأخذ بشارة من البرتقال الذين أسروه لسبع سنين فزحف الى آصيل في حدود أربع عشرة وتسعمائة وحاصرها وطال قتاله عليها ثم اقتحمها المسلمون عليهم اقتحاما واقتلوا في وسط الأزقة والأسواق يومين ثم جاء المسدد الى البرتقال من طنجة وجبل طارق فقويت نفوسهم وخرج المسلمون عنهم لكن ما خرجوا حتى هدموها وأحرقوها ولم يتركوا لهم بها الا الخرابات ثم جد البرتقال في اصلاحها وأقاموا بها برهة من الدهر الى ان رجعت للمسلمين

### استيلاء البرتقال على ثغر آزمور حرسه الله

قال منويل بعث طاغية البرتقال سنة أربع عشرة وتسعمائة الى ثغر آزمور شكوا دونه فيها ألفان من العسكر وأربعمائة خيالة فدافعهم زيان الوطاسي ابن عم السلطان ونشبت هناك البرتقال في الساحل وتكسر جملها وعات فيها المسلمون ورجع الباقي مغاولا ثم بعد أربع سنين بعث اليها الطاغية منويل شكوا دونه فيها عشرون ألفا من العسكر وألفان وسبعمائة خيالة فانتهاوا الى آزمور



وحاصروها بمجراوز حنوا اليها من الجديدة براو وقع حرب شديدة بينهم وبين أهل آزمور وأهل البادية  
ثم انهزم المسلمون وخرجوا من باب تركه لهم البرتقال قصدا قال لانه يقال في المثل الفار منك في الحرب  
اجعل له قنطرة من فضة يبر عليها **و** وقال في التزهة **و** كان تزول النصارى بأزمور سنة أربع عشرة  
وتسعمائة قال وفي هذه السنة بنى النصارى حجرا بادييس وفي أواخر المحرم منها أخذ النصارى يدعى  
الأصنيول مدينة وهران ونكبوا أهلها فامتهم الأسير أو قتل الى ان أعادها الله للإسلام على يد  
الأتراك في حدود العشرين ومائة وألف **هـ** **و** قلت **و** أهل آزمور يزعمون أن استيلاء البرتقال على  
مدنيتهم كان متكررا وسيأتي ما يفهم منه ذلك والله أعلم **و** ومن **و** أخبار السلطان أبي عبد الله ما وقعت  
عليه في تاريخ البرتقاليين من ان السلطان المذكور كتب لطاغيتهم منويل يطلب منه ان يتقدم  
بالوصاية لأصحاب قراصينه البحرية أن لا يتعرضوا لمركبته له كان قد عزم على بعثها الى الجزائر ثم منها الى  
تونس وكان الطاغية لم يجبه أو أبطأ بالجواب فكرر اليه الكتاب ثانيا في القضية المذكورة وسرد هذا  
المؤرخ نص الكتابين معا مترجمين بلغته وذكر ان تاريخ الاول منها ما الثالث والعشرون من جمادى  
سنة عشرين وتسعمائة وتاريخ الثاني الثامن والعشرون من ذي القعدة من السنة **هـ**

### **و** استيلاء البرتقال على نجر المعمورة حرسه الله **و**

**و** قال في نشر الثاني **و** ان الذي اختط حصن المعمورة هو المهدي الشيعي على يد بعض عماله وزعم بعض  
الفرج أن المعمورة من بناء يعقوب المنصور الموحدى قال ولما كان زمان منويل البرتقال بلغه أن مينا  
المعمورة جيدة وبلادها نفاة فبعث اليها طائفة من جنده فوصلوا الى ساحلها وتزوا في البر المقابل  
لها وبنوا هناك برجاً لحصارها ثم أردفهم ملكهم المذكور بعشرة مائة على مائتي مركب مشحونة  
بثمانية آلاف من المقاتلة قال وكان خروج هذه العمارة من مدينة اشبونة في اليوم الثالث عشر من  
يونيه الجمعي سنة ألف وخمسمائة وخمس عشرة مسيحية **و** قلت **و** يوافقها من تاريخ الهجرة تقريبا  
سنة احدى وعشرين وتسعمائة فوافقت مينا المعمورة في الثالث والعشرين من يونيه المذكور  
وحاصروها وألحوا عليها بالقتال أياما وبلغ الخبر بذلك الى السلطان أبي عبد الله البرتقال فبعث  
أخاه الناصر صريخا في جيش كثيف فوصل سادس اغشت من السنة المذكورة وقابل البرتقال قتالا  
شديدا وهزمهم هزيمة قبيحة ثم كانت لهم الكثرة على المسلمين فهزموهم واستولوا على المعمورة وثبت  
قدمهم بها وحصنوها بالسور الموجود بها الآن واستمر واهبها نحو خمس سنين ثم استرجعها المسلمون منهم  
في دولة السلطان المذكور والله تعالى أعلم وفي السنة التي استولوا على المعمورة رجعوا الى موضع  
مدينة آتفي فشرعوا في بنائها ومن يومئذ سميت الدار البيضاء بقواهم سادة طويلة الى زمن السلطان  
المولى عبد الله بن اسمعيل على ما زعم منويل

### **و** أخبار السلطان أبي عبد الله البرتقال مع الشيخ أبي محمد الغزواني رضي الله عنه **و**

أصل الشيخ أبي محمد عبد الله الغزواني دفين حومة القصور من مرا كش من غزوان قبيلته من عرب  
تامسنا وكان في ابتداء أمره يقرأ العلم بدرجة الوادي من عدوة الاندلس بهاس فحصلت له ارادة فسافر  
الى مرا كش ولازم الشيخ التابع وتخرج به ثم انتقل الى بلاد الهبط فترل بها على قبيلة يقال لهم بنو فرنكار  
واجتمع عليه الناس واشتهر أمره وعظم صيته فبلغ ذلك السلطان أبا عبد الله وكان يومئذ يبلاد الهبط  
قد خرج اليها بقصد الغارة على نصارى أصيلا وكان معه في هذه الحركة الشيخ أبو عبد الله محمد بن غازي  
الامام المشهور فتوهم السلطان المذكور من أمر الشيخ الغزواني وخشي على الدولة عاقبة أمره وأغراه  
به مع ذلك الفقيه ابن عبد الكبير البادسي السفيناني الاصل وكان هذا الفقيه يصحب الولاة والعمال

ويخرج في بعوثهم قاضيا فكثر معاينته بالشيخ حتى وقد ذلك في نفس السلطان فبعث اليه فخر  
وأمر بالقبض عليه بالموضع المعروف بتاجناوت وجعله في سلسلة وبعث به الى فاس وتقدم في شأنه الى ابن  
شقران صاحب شرطته بقصبة فاس القديم وكان الشيخ ابن غازي قد مرض في هذه الغزوة وأمر  
السلطان بحمله الى منزله من فاس فلما وصل الى قرب عقبة المساجين اشتد به الحال وأمر أصحابه أن  
يرجوا به هنالك فينما هو كذلك اذمر به الشيخ الغزواني في سلسلته فسأل الموكلين به أن يعرجوا به على  
الشيخ ابن غازي كي يعود ويؤدى حقه فلما وقف عليه طلب ابن غازي منه الدعاء فدعا له بخير وانصرف  
فلما غاب عنه قال ابن غازي لأصحابه احفظوا وصيتي فاني راحل عنكم الى الله تعالى بلا شك قالوا له يا سيدي  
ما عندك يا سيدي فقال ان الله وعدني أن لا يقبض روعي حتى يرني وليا من أوليائه وقد أرايته الساعة فداني  
ذلك على انقضاء الاجل فملاوه من حينه الى منزله فكان آخر العهد به هكذا اساق هذا الخبر صاحب  
الدوحة في ترجمتي الشيخين المذكورين وكانت وفاة ابن غازي أو آخر جمادى الاولى سنة تسع عشرة  
وتسعمائة وهو قال صاحب المراتب عن بعض شيوخه بعد ان ذكر سعاية ابن عبد الكبير بالشيخ  
الغزواني مانصه فتحرر الشيخ الغزواني لزيارة ضريح الشيخ أبي سلهم فعرض له العروسي قائد القصر  
الكبير وناوله كتاب السلطان يأمر فيه بقدم الشيخ الى فاس دار الملك اذ ذلك فقال له الشيخ طاعة  
السلطان واجبة وقال للزائرين معه بلغت النية فتوجه الشيخ الى فاس من ذلك المكان وكلمات في  
منزل ذهبت جماعة من الذين معه فلم يصل معه الا القليل وكان الشيخ أبو البقاء عبد الوارث اليالصوتي  
اذ ذلك ساكتا فاس ولم يكن صحب الشيخ قبل ذلك فلما دخل الشيخ حضرة فاس لقيه أبو البقاء المذكور  
فسلم عليه فشدا الشيخ يده على يده فلم يرسلها حتى عاهده على الرجوع فلما انفصل عنه اشترى خبزاً وعنبا  
وجمل ذلك الى الشيخ وأصحابه فوجدهم عند القاضي أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الله اليفرنى المكاسي  
وهو مؤلف المجالس المكاسية فوجدهم في المسجد القريب من دار القاضي المذكور بدرب السعود  
فناولهم مامعه ووجد الشيخ موكلا به وأصحابه يدخلون ويخرجون ثم دخل القاضي على الشيخ بالمسجد  
فقال له ما هذا الذي يدكر عنك قال أبو البقاء فتسكمت أنا وقلت ان هذا الرجل قد نزل ببلد اعظيمة المناكر  
وأخذت أعددنا كرها وصار هذا السيد ينهاهم عن ذلك فهدي الله على يده من هدى وشفته من أبي  
فقام القاضي وركب الى دار السلطان ثم رجع الى منزله فبات ومن الغد ركب الى دار السلطان أيضا ومعه  
الشيخ الغزواني فلما اطمان بهم مجلس السلطان وكان فيه صاحب تازا وهو أبو العباس أحمد بن الشيخ  
أخو السلطان المذكور سكت الجميع وتكلم كاتب السلطان وامام صلاته وهو قال صاحب المراتب ولم يسم  
لنا فقال للشيخ ما هذا الذي يدكر عنك فقال له الشيخ أنت لا تتسكلم حتى تغتسل من جنابتك فاستشاط  
الكاتب غضبا فقال له أخو السلطان هؤلاء القوم يعنون بالجنابة غير ما تعنيه العامة يشير الى ما في  
الحكم فقال له السلطان من أين تعرف هذا فقال له من سيدي محمد بن عبد الرحيم بن يحيى ففرح  
السلطان بعرفة أخيه ذلك وقال للشيخ نحن نريد قربك وأن تكون معنا في هذه المدينة فقال له على بركة  
الله فانتقل الى فاس القديم وبنى خارج باب القليعة داخل باب الفتوح وأقام هنالك ماشاء الله قبل سبع  
سنين الى ان كانت سنة تعذر فيها المطر وأخذ الناس في استخراج السواقي للحرث فانخرج الشيخ من وادي  
الدين ساقية لم يكن في سواقي السلطان وغيره مثلها فبعث اليه أخو السلطان وهو الناصر الملقب بالكثيد  
بالكاف المعقودة والبال المشددة على لغة العامة وقال له نحن أحق بتلك الساقية فقال له الشيخ خذها  
وأخذ في الرحيل الى مراكش ولما توجه تلقاءها أخذ خنيفه في يده وجعل يشير به من جهة فاس الى  
جهة مراكش ويقول أيا يا سلطنة الى مراكش وهو قال صاحب المراتب هذا حديث شيخنا أبي عبد الله  
النبجي قالوا خنيف معروف وهو نوع من البرانس السود ومعنى أيا بلغة عامة المغرب سيرى معي

وموضع بني فزنيكار أظنه ناصر بن فزنيكار سمى منسوباً إليه إلى الآن وأنه منزله الذي كان يأوي إليه وما زالت آثاره هناك والدار التي بناها باب القلعة هي التصيرة إلى تليذه الشيخ أبي عبد الله محمد بن علي المروزي المعروف بالطالب ولعل سنة انخراجه السواقي هي سنة ست وعشرين وتسعمائة فإنه قد تذكر فيها المطر وحديث عنها انقلاء الكبير المروزي سنة سبع وعشرين وتسعمائة وكأنه أشار إلى انتقال السلطنة عن بني وطاس ملوك فاس إلى السرفاء لسعد بن ملوك مراکش يومئذ والله أعلم

﴿موضوع السلطان أبي عبد الله البرتقالي إلى مراکش ومحاصرة أبي العباس الاعرج السعدي بها﴾

قد تقدم لنا أن ظهور الدولة السعدية ببلاد السوس كان في سنة خمس عشرة وتسعمائة وما زال أمرهم في الزيادة إلى أن كانت دولة أبي العباس الاعرج منهم فاستفحل أمره وبعد صيته وقتك بنصاري السوس فكاتبه أمر أهنتاته أصحاب مراکش ودخلوا في طاعته فانتقل إليها وملكها في حدود الثلاثين وتسعمائة ولما اتصل خبره بالسلطان أبي عبد الله وهو يومئذ بفاس قامت قيامته وأقبل في جوع عديدة ومعه وزيره ابن عمه المسعود بن الناصر كذا في النزهة والذي عند غيره أن الوزير الذي جاء معه هو الناصر أخو السلطان المذكور ولما رأى أبو العباس السعدي ما أقبل به به تحصن بمراكش وشحن أسوارها بالرمية فتقدم السلطان أبو عبد الله ونصب الانفاض على مراکش ودام الحصار عليها أياماً فبحسب أنه قيل للشيخ أبي محمد الغزواني وكان قد استوطن مراکش يومئذ أن أهل مراکش سئمو الحصار فركب الشيخ في جماعة من أصحابه وخرج من باب فاس المعروف اليوم بباب الخميس فوجد رماة السلطان أبي عبد الله يرمون من على الأسوار من أهل البلد فوقف الشيخ ينظر فجاءت رصاصة ضربت صدره وخرقت الجبة التي عليه والتصقت بلحمه كأنها وقعت في صخرة صماء فقبض عليها يده وقال هذه خاتمة حربهم ثم رجع إلى منزله فوردت الأنباء على السلطان أبي عبد الله في تلك الليلة بأن بني عمه قد قاموا عليه بفاس ونبذوا دعوتهم فأصبح من الغد راكباً إلى فاس وظهر مصداق ما قال الشيخ الغزواني ولم يعد لبني وطاس وصول بعدها إلى مراکش ولا إلى أعمالها والله تعالى أعلم

﴿ذكر وزراء السلطان أبي عبد الله وما قيل فيهم﴾

كان من جملة وزرائه ابن عمه المسعود بن الناصر وهو الذي زحف معه إلى مراکش على ماني النزهة وكان من جملة وزرائه انعام بن أمره أخوه الناصر بن محمد الشيخ المعروف عند عامة فاس بابي علاقة وبالكتيد على ما مر في الجذوة بلقب بذلك لكثرة سفكه الدماء واقدامه عليه فكان يقتل الناس ويمجزهم كبيراً وكذا بعبكاسة أيام وزارته بها كذا حدثت غير واحد من أدركه ورآه وتوفي الوزير المذكور سنة ثلاثين وتسعمائة

﴿وفات السلطان أبي عبد الله رحمه الله﴾

كانت وفاة السلطان أبي عبد الله البرتقالي سنة إحدى وثلاثين وتسعمائة على ماني الجذوة ويؤخذ من النزهة أنها كانت سنة اثنتين وثلاثين بعدد الله أعلم وولي الأمر من بعده أخوه أبو حسون بولاية هذه إليه

﴿الخبر عن الدولة الأولى للسلطان أبي حسون بن محمد الشيخ الوطاسي﴾

هو أبو الحسن علي بن محمد الشيخ ابن أبي زكرياء يحيى بن زيان الوطاسي ويعرف بابي حسون البادسي ﴿وقال في النزهة﴾ بويج بفاس سنة اثنتين وثلاثين وتسعمائة ثم قبض عليه ولد أخيه أبو العباس أحمد ابن محمد البرتقالي ونخلعه وأشهد عليه بالخلع أخوذي الحجة من السنة المذكورة انتهى

عن الخبر عن دولة السلطان أبي العباس أحمد بن محمد الوطاسي رحمه الله تعالى

هو أبو العباس أحمد بن أبي عبد الله محمد البرتقال بن أبي عبد الله محمد الشيخ ابن أبي زكرياء يحيى بن زيان الوطاسي يبيع يوم خلع عمه أبي حسون آخر ذي الحجة مئة سنة اثنين وثلاثين وتسعمائة **هـ** قال ابن القاضي **هـ** وقد رأيت البيعة التي كتبت له بخط الامام أبي محمد عبد الواحد بن أحمد الواشيري من انشائه وعليها خطوط جماعة من فقهاء فاس كأبي العباس الحباك والفقير أبي العباس أحمد الماواسي وغيرهما **هـ** قال أبو عبد الله اليفرنى في النزعة **هـ** وانظر ما وجه كتب البيعة لأحمد مع ان خلع أبي حسون لم يكن لموجب والواشيري من أهل الروع ولعله لا مر لم يظهر لنا والله أعلم **هـ** وقال ابن عسكرفي الدوحة **هـ** لما توفي السلطان أبو عبد الله البرتقال ودالت الدولة لولده السلطان أبي العباس أحمد وغص بالشرفاء القائلين عليه ببلاد السوس وزوجهم عمه داهدته مع النصاري المجاورين له ببلاد الهبط وصاحبهم سلطان البرتقال فبلغ ذلك الشيخ أبا عبد الله محمد بن يحيى البهلوي وكان له رغبة في الجهاد وعن له وصلة بالسلطان أبي عبد الله فكان اذا جاءه زائر احضه على الغزو فيساعده على ما أراد من ذلك فلما بلغ الشيخ المذكور ما عقده السلطان أبو العباس من الصلح آلى على نفسه أن لا يلقى السلطان المذكور ولا يمسي اليه ولا يقبل منه ما كان عينه له والده من جزية أهل الذمة بفاس لقوته وقوته عياله فكنت على ذلك الى ان حضرته الوفاة وكان في النزاع وأصحابه دائرون به فقال له بعضهم ياسيدي أخبرك ان السلطان أمر بالغزو وأمر بالنداء به وحض الناس عليه والمسلمون في شره لذلك وفرح ففتح الشيخ عينيه وتهلل وجهه فرحا وجد الله وأتى عليه ففاضت نفسه وهو مسرور بذلك **هـ**

وقعة آغاي بين الوطاسيين والسعديين

قد تقدم لنا في خبر السلطان أبي عبد الله أنه لما حاصر مراكش وأصاب الرصاصة الشيخ الغرواني قال هذه خاتمة حريمهم ولم يعد لبني وطاس وصول الى مراكش ولا الى أحوازها **هـ** قال في النزعة **هـ** فكان أبو العباس الاعرج يتلاقى مع أبي العباس الوطاسي بتادلا وأحوازها قال وكانت بينهما معركة بموضع يقال له آغاي وذلك في ذي القعدة سنة خمس وثلاثين وتسعمائة فافترقا على اصطلاح **هـ** وآغاي موضع قرب مراكش به زاوية الشيخ أبي العزم رحال الكوش

عقد الصلح بين السلطانين أبي العباس الوطاسي وأبي العباس السعدي رحمهما الله تعالى

لما رأى أهل المغرب ما وقع بين السلطان أبي العباس أحمد الوطاسي صاحب فاس وأبي العباس أحمد السعدي المعروف بالاعرج صاحب مراكش من التقاتل على الملك والتهالك عليه وقناء الخلق بينهم دخلوا في الصلح بينهم والراضي على قسمة البلاد وحضر ذلك جماعة من العلماء والصلحاء منهم أبو حفص عمر الخطاب دفين جبل زرهون وأبو الروان المحبوب دفين مكاسة الزيتون وكان صاحب حال وجذب فجعل الناس يوصونه بالسكوت مخافة أن يفسد عليهم أمرهم فلما دخلوا على أبي العباس الاعرج وأخيه وزيره محمد الشيخ وتكلموا فيما جاؤا لاجله وجدوا فيه ماشدة وغلظة وامتناعا من مساعدتهم على ما أرادوا فخلف أبو حفص الخطاب لادخلوها يعني فاسا مادمت على وجه الارض فدخلوها حتى مات بعد مدة فكان بعضهم يقول لو كان بنو وطاس يعترفون شيئا ما دفتوا أبا حفص الخطاب يعني لتركوه في تايوت على وجه الارض لانه خلف لادخلوها مادام على وجه الارض حكاها صاحب تمتع الاسماع **هـ** وذكر في شرح زهرة الثمار **هـ** أن الصلح انبرم بين الطائفتين على أن للاشراف من تادلا الى السوس ولبنى وطاس من تادلا الى المغرب الاوسط وان بمن حضر الصلح المذكور قاضي الجماعة بفاس



أبا الحسن علي بن هرون المطغري بالطاء المهملة مطغرة تلسان والامام الشهير أبا مالك عبد الواحد بن  
 أجد الوائش ربي وغيرهما من مشايخ فاس ويذكر أنه لما توطأت كلمة الحاضرين على الصلح وعقدوا  
 شروطه وهدأت الاصوات وسكن اللجاج أتى بدواة وقرطاس ليكتب الصلح فوضعت الدواة بين يدي  
 أحد من الفقهاء الحاضرين الا وجهه وانقبض ودفعها عن نفسه استحياء في ذلك المحفل أن يكتب  
 ما لا يناسب الجهتين فقام قاضي الجماعة المذكور وأخذ الدواة وأساودها ووضعها بين يدي أبي مالك  
 المذكور فأنشأ أبو مالك في الحين خطبة بليغة ونسخ الصلح على منوال عجيب واخترع اسلوبا غريبا تحبير  
 فيه الحاضرون وعجبوا من ثبات جاشه وجوم قريحته في مثل ذلك المشهد العظيم الذي تخرس فيه  
 ألسن الفصحاء هيبة واكبارا فقام قاضي الجماعة وقبده بين عينيه وقال جزاك الله عن المسلمين خيرا وما هي  
 بأول بركتكم يا آل أبي بكر وكان ذلك كله في حدود أربعين وتسعمائة اهـ

### بغزوة الحرقب أصيلا حرسها الله

ذكر صاحب الدوحة في ترجمة الشيخ أبي الحسن علي بن عثمان الشاوي رحمه الله أنه استشهد في وقعة الحرقب  
 التي كانت في حدود أربعين وتسعمائة بين النصارى والقائد عبد الواحد بن طلحة العروسي على مقربة  
 من أصيلا قال حدثني غير واحد ممن يوثق به ممن حضر الواقعة وبعضهم يصدق بعضها قالوا لما انهزم الناس  
 استقبل الشيخ أبو الحسن النصارى وسيفه في يده وهو يتلو بردة البوصيري فكان ذلك آخر العهد به  
 ولم يرجع الناس من الغد ليحسوا وقتلاهم لم يوقف له على عين ولا أثر وانما وجد غنبار من لباسه عند  
 النصارى وفيه أثر طعنة في صدره اهـ كلام الدوحة في المرأة **ب** أن الشيخ المذكور مات في حياة شيخه  
 الغزواني شهيدا في الجهاد سنة خمس وعشرين وتسعمائة اهـ ولعله الصواب والعروسي المذكور هو  
 من أمراء بني عبد الحميد العروسيين أصحاب قصر كتامة وكانت لهم سياسة وسياسة وجهاد في العدو الى ان  
 انقرض أمرهم أعوام الحسين وتسعمائة **ب** قال في الدوحة **ب** أخبرني غير واحد من فقهاء قصر كتامة  
 أن الشيخ أبا الروان جاء الى القصر وصاحبه يومئذ القائد عبد الواحد العروسي في عصابة من أقاربه  
 أولاد عبد الحميد فصعد أبو الروان صومعة المسجد ثم نادى بأعلى صوته يا بني عبد الحميد اشتر وانى القصر  
 والآن خرجت منه في هذه السنة فسمع القائد عبد الواحد ذلك فقال ان كان القصر له أو يسيده فليترعه منا  
 ما بقى لنا الا كلام الحق نلتفت اليه ومن الغد خرج الشيخ أبو الروان من البلد وهو يقول القائد  
 عبد الواحد وأهله يخرجون من القصر ولا يعودون اليه أبدا فكان كذلك بقدره الله تعالى

### بوقعة أبي عقبة بوادي العبيد وما كان فيها بين الوطاسيين والسعديين من القتال الشديد

هذه الواقعة من أعظم الوقعات التي كانت تكون بين الوطاسيين والسعديين وما زالت العامة تتحدث بها  
 في أندية الى الآن ويبالغون في وصفها والاحبار عنها وقد كرها شعرا وهم في أزجالهم المخلونة وهي  
 محفوظة فيما بينهم وذلك انه لما طمى عباب السعديين على بلاد الحوز وكادوا يلجئون على الوطاسيين  
 دار ملكهم من فاس نهض اليهم السلطان أبو العباس الوطاسي أو آخر سنة اثنتين وأربعين وتسعمائة  
 بجز الشوك والمد في جمع كثيف من الجنود وقبائل العرب في حلها واطعنها وجاء أبو العباس السعدي  
 في قبائل الحوز بحلها واطعنها كذلك فكان اللقاء بمشعر أبي عقبة أحد مشاعر وادي العبيد من تادلا  
 فنشبت الحرب وتقاتل الناس وبرز أهل الحفائظ منهم والترات وقاتل الناس على حرمهم وأحسابهم  
 وعزهم فاقى بعضهم بعضا اقليل اودامت الحرب أياما على ما قيل الى ان كانت الهزيمة على الوطاسيين  
 عشية يوم الجمعة ثامن صفر سنة ثلاث وأربعين وتسعمائة **ب** قال في الجذوة **ب** فرجع السلطان أبو العباس  
 الوطاسي الى فاس وبقيت محلة وقصبة تادلا بيد الشريف السعدي قال وتسمى هذه السنة سنة أبي عقبة

وقال في المرأة وهو ما اشتهر من كرامات الشيخ أبي طلحة الزبير بن محمد المصباحي الشاوي الزناتي أنه لما التقى مقاتلة فاس وسلطانهم أبو العباس أحمد الوطاسي ومقاتلة هرا كس وسلطانهم أبو العباس أحمد الاعرج ومعه أخوه المتولي بعده أبو عبد الله محمد الشيخ سنة ثلاث وأربعين وتسعمائة على مشرع أبي عقبة من وادي العبيدان نزم السلطان أبو العباس الوطاسي وتفترقت جموعه وتبعته الخيل فكادوا يقبضون عليه فحضر هناك رجل على فرس أنثى فجعل يحول بينه وبينهم ويقول له سر يا أحمد ولا تخف ولم يزل معه الى ان رجعوا عنه وأمن الطلب وقد عرف السلطان صفته وتحققها ولم يزل يسأل عن صاحب تلك الصفة حتى قيل له هذه صفة أبي طلحة المصباحي وتحقق ذلك ولما كان خروج السلطان المذكور الذي وصل فيه تطاوين وتزوج بها الخيرة بنت الامير السيد أبي الحسن علي بن موسى بن راشد الشريف وذلك في ربيع الاول سنة ثمان وأربعين وتسعمائة وتطاوين بنى بها قصداً بأطلحة المذكور ونزل عليه فلما رآه عرفه وأيقن انه الرجل الذي أغاثه فأكب عليه السلطان وذكر ما وقع له معه فقال الشيخ يارب كيف العيش مع هذه الشهرة فاقبضني اليك فبات عقب ذلك من سنته **وقال في المرأة** سمعت هذه الحكاية من غير واحد وسألت شيخنا أبا القاسم بن أبي طلحة المذكور فقال لي أعقل مجيء السلطان وأنا صغير جداً أقعد في حجر أبي وعند ركبته اه **وقلت** هو الامير أبو الحسن بن راشد المذكور وهو الذي اختط مدينة شفشاون كما مر **وقد** ذكر في المرأة **وقد** ان وفاته كانت سنة سبع عشرة وتسعمائة فيكون السلطان المذكور اغتاز زوج ابنته بعد وفاته وأعلمه خطبها من أخيها الامير أبي عبد الله محمد بن أبي الحسن والله أعلم **وقد** أعلم ان ما سلكناه هنا من تقديم قضية الصلح على وقعة أبي عقبة هو ما يقتضيه التاريخ الذي صرحوا به وسيأتي بعده هذا ما روي عنهم من انه أن الامر بالعكس والجواب ان قضية الصلح تكررت حسبما يؤخذ مما مر والله أعلم **وقد** في هذه السنة أيضاً عقد السلطان أبو العباس الوطاسي مع يرتقال آسفي صلحاً على ثلاث سنين ودخل في هذا العقد آسفي والجديدة وآزمور وكتب البرتقال بذلك الى ملكهم ووقعت المحادثة في البلاد وتفرغ الوطاسي لقتال السعديين

### بنياء السلطان أبي العباس الوطاسي قنطرة الرصيف بفاس حرسها الله

كان السلطان أبو العباس أحمد بن محمد الوطاسي قد جد بنياء قنطرة الرصيف بحضرة فاس وذلك منتصف سنة احدى وخمسين وتسعمائة وفي ذلك يقول الفقيه أبو مالك عبد الواحد بن أحمد الوائش ريس مشير الى التاريخ المذكور

جسر الرصيف أبو العباس جدده \* نخر السلاطين من أبناء وطاس  
 نجاء في غاية الاتقان مرتفقا \* لمن يمتريه من عسود في فاس  
 وكان تجديده في نصف عام غنا \* من هجرة المصطفى المبعوث للناس  
**وقال الفقيه أبو مالك أيضاً**

أياهل فاس سدد الله سددكم \* برأى أبي العباس حامى حتى فاس  
 وأحبابه أشجاركم وثماركم \* على رغم قوم منكرين من الناس  
 فدام ودام السعد يخدم مجده \* وفاز من الشكر الجليل يا جناس

**وقال الشيخ أبو زكرياء يحيى السراج**

الاسد الذي \* بتسديده سددنا حصينا  
 وخاد في عزه ملكه \* وأولاه فتحنا ونصرنا مينا  
 امام الهدى أحمد المرتضى \* مبيد العدا أعداء المسلمينا

﴿وقال الامام أبو الحسن علي بن هرون﴾  
 لقد سدّ الله رأى العماد \* وأبطل في السد رأى الجهول  
 وقرب مارامه من بعاد \* بجولاي أجد مدحى بطول  
 فطر دأوعكسا السننى بباد \* عقول الملوكة ملوك العقول

﴿وقعة وادى درنة تادلا وأمر الامير أبي زكرياء الوطاسى ومهلسكه رحمه الله﴾

ذكر في المرآة عند الكلام على أبي عبد الله محمد بن يوسف الفاسى وهو والد الشيخ أبي المحاسن رضى الله عنه أن أبا عبد الله المذكور كانت له وجاهة كبيرة عند أمير القصر أبي زكرياء يحيى بن أبي عبد الله البرتقى وهو ربه ثم أخذوا السلطان أبي العباس الوطاسى قال فاتمعت بوجاهة أبي عبد الله الفاسى خلق كثير ولم يسامح هو بنفسه في نيل نبي من الدنيا بسبب ذلك الجاه الى ان أسر الامير أبو زكرياء المذكور في وقعة وادى درنة من تادلا لانسرفاء على بنى وطاس في رجب سنة اثنتين وخمسين وتسعمائة ومات في تلك الليالى القريبة غما وأسفار جهه الله بوقته وكان سلطان السعديين يومئذ محمد الشيخ الملقب بالمهدى فإنه تغلب على أخيه الاعرج وانتزع منه الملك وسجنه كما يأتى ان شاء الله تعالى

﴿استيلاء السلطان محمد الشيخ السعدى على قاس وقبضه على بنى وطاس  
 ومهلك سلطانهم أبي العباس رحمه الله تعالى بفضله﴾

لما غلب السلطان محمد الشيخ السعدى على أخيه أبي العباس الاعرج واستولى على مرا كس طمعت نفسه بالتوغل في بلاد الغرب وقره فقتل غلرب بنى وطاس ونكث ما كان بينه وبينهم من الصلح وره وامنه بحجر الارض ورد اليهم البعوت والسرايا وأكثفهم من شتى الغارات وصار يستلبهم البلاد شيا فسيا الى ان استولى عليها وكان أول مملك من أمصار الغرب مكاسة الزيتون اقتحمها عقب سنة خمس وخمسين وتسعمائة بعد حصار وه مقاتله ثم تقدم الى قاس فالح عليها بالقتال وضاق بها بالحصار مدة قريبة من السنة ثم استولى عليها بعد ان أسر سلطانها أبا العباس الوطاسى وصار في قبضته وكان دخوله اياها أوائل سنة ست وخمسين وتسعمائة ولما دخلها تقبض على الوطاسيين أجمع وبعثهم مصفدين الى مرا كس عدا أبا حسون المخروع فإنه فر الى الجزائر الى ان كان من أمره ما نذكره ثم ان الشيخ السعدى غدر بينى وطاس فيما قبل بعد ان أظهر العفو عنهم وسرح سلطانهم أبا العباس من نفاقه والله أعلم بوقوع الجنود \* كانت وفاة السلطان أبي العباس الوطاسى بمرا كس قرب الستين وتسعمائة اه وزعم منويل انه قتل مذبو بادرعة قال زحف أبو عبد الله محمد الشيخ السعدى الى قاس فبرز اليه أبو حسون الوطاسى وكان قائد جنيس ابن أخيه ووقع بينهم ما قتال عظيم انهزم فيه أبو حسون الى قاس وحاصره السعدى بها ستين ولما قاتل الاقوات وعجز الوطاسيون عن الدفاع نزوا على حكم السعدى فقبض على أبي العباس الوطاسى وفر أبو حسون الى الجزائر واستقل محمد الشيخ السعدى بأمر المغرب وغرب الوطاسيين الى درعة فقتل أبا العباس الوطاسى الذى كان تلمذ له ذبحا اه كلامه

﴿بقية أخبار لسلطان أبي العباس الوطاسى وسيرته﴾

كان من جملة وزراء السلطان أبي العباس المذكور ابنه محمد ومن أخباره ما ذكره في الدوحة في ترجمة الشيخ أبي عثمان سعيد بن أبي بكر المشترقى دفين مكاسة الزينون قال من كراماته الشائعة ما اتفق له مع الوزير أبي عبد الله محمد بن السلطان أبي العباس أحمد الوطاسى لما استوزره أبوه وولاه على مكاسة فكان بها فغضب ذات يوم على أحد المشاورين فهرب المشاورى الى رواية الشيخ أبي عثمان فبعث الوزير

الى الشيخ بان عليه الامان ويبعثه اليه فقال له الشيخ ان شئت ان تذهب الى سيدك فافعل فقال المشاور  
ياسيدي أخاف أن يقتلني فقال الشيخ ان قتلك فالله يقتله فذهب المشاور الى الوزير وبقى عنده ليبتين  
وفي الثالثة قتله ولم يظهر له أثر فجاءت أمه الى الشيخ وقالت له ياسيدي ان ولدي قد قتله الوزير فقال لها  
سبق ذلك في علم الله وان الاخر سيلحقه الا ان يعنى الوزير يرفعك الوز يرتلك الليلة وسلط عليه اكل  
في جسمه فتزق لحمه وتقطع شيا فثسبياً الى ان هلك الليال قلائل من مرضه فاعتبر الناس والسلطان بذلك  
ومن ذلك الوقت زاد الامراء وغيرهم في احترام حرم زاوية الشيخ المذكور اه وكان للسلطان أبي  
العباس اعتقاد في المتصلين وأرباب الاحوال فن فوقعهم من أهل العلم والدين من ذلك ما حكا في  
الدوحة أيضاً في ترجمة أبي الحسن على الصنهاجي المعروف بالدوار قال كان أبو الحسن المذكور من  
اللامتية وكان يدخل دور الملوك من بني وطاس فيتقاه النساء والصبيان يقبلون يديه وقدميه  
فلا ياتفت الى أحد ويعطونه الثياب الرفيعة والدخائر النفيسة ويلبسه السلطان يعني أبا العباس من  
أشرف لباسه فاذا خرج تصدق بجميع ذلك ويمر على حوائت الزياتين فيغمس اكام الحلة التي تكور  
عليه ويبرقعها بالزيت أو بالسمن ولا يزال يدور في الاماكن ويصرخ باسم الجلالة اه قالوا وكان  
السلطان أبو العباس المذكور واقفا عند اشارة الفقيه أبي مالك عبد الواحد بن أحمد الوائش ريسى وهو  
ابن صاحب المعيار لا يتعمدنى أمره ولا يخالف رأيه كما وقع له معه في مسألة رجل اسلامي يعرف  
بعبد الرحمن المنجور وكان تاجرا جامع المال فشهد عليه في حكاية طويلة أربعون رجلا من العدول  
باستغراق ذمته فاخذ السلطان أبو العباس الوطاسي وقتله وصير أملاكه لبيت مال المسلمين فرغب  
أولاد المنجور من السلطان أن يؤثروا له عشرين ألف دينار ويرد اليهم أملاكهم ويسقط عنهم بينة  
الاستغراق فقال السلطان لحاجبه اذهب الى الشيخ عبد الواحد الوائش ريسى وشاوره في ذلك وعترفه  
باني في الحاجة الى هذا المال لاجل هذه الحركة التي عرضت لي فذهب الحاجب اليه وأخبره بمقالة  
السلطان ورغبته في قبول ذلك فقال له الشيخ والله لا ألقى الله بشهادة أربعين رجلا من عدول المسلمين  
لاجل سلطانك اذهب وقل له اني لا أوافق على ذلك ولا أرضاه فرجع الحاجب الى السلطان وأخبره  
بما قال الشيخ فرجع السلطان عما عزم عليه ونظير هذا ما اتفق له معه أيضاً وهو ان الناس خرجوا يوم  
العيد للصلاة فانتظر والسلطان فأبطأ عليهم ولم يأت الى خروج وقت الصلاة وحينئذ أقبل السلطان  
أبو العباس في أهته فلما انتهى الى المصلى نظر الشيخ أبو مالك فرأى ان الوقت قد فات فرق المنبر وقال  
معشر المسلمين أعظم الله أجركم في صلاة العيد فقد عادت ظهر اثم أمر المؤذن فأذن وأقام الصلاة فتقدم  
الشيخ أبو مالك وصلى بالناس الظهر فجعل السلطان أبو العباس واعترف بخطيئته رحم الله الجميع

بما اخبر عن الدولة الثانية للسلطان أبي حسون الوطاسي رحمه الله

لما دخل السلطان أبو عبد الله محمد الشيخ السعدي الى فاس سنة ست وخمسين وتسعمائة وقبض  
على بني وطاس بها حسماً تقدم قرأ أبو حسون هذا الى ثغر الجزائر حقا لدمه ومستحيسا لتركها على  
السعدي وكانت الترك قد استولوا على المغرب الاوسط وانتزعوه من يد بني زيان كما سيأتي فلم يزل  
أبو حسون عندهم يقتل لهم في الغارب والسنام ويحسن لهم بلاد المغرب الاقصى ويعظمها في أعينهم  
ويقول ان المتغلب عليها قد سلبني ملكي وملك آباءي وغلبني على تراث أجدادي فلو ذهبتم معي لقتاله  
لكان رجوا الله تعالى أن يتج لنا النصر عليه وبرزقنا الظفر به ولا تعدمون أنتم مع ذلك منفعة من ملء  
أيديكم غنائم و ذخائر و وعدهم بمال جزيل فأجابوه الى ما طلب وأقبلوا معه في جيش كثير تحت راية  
باشاهم صالح التركاني المعروف بصالح رثيس الى ان اقتحموا حضرة فاس بعد حروب عظيمة ومبارك



شديدة وقرعها محمد الشيخ السعدي الى منجاةه وكان دخول السلطان أبي حسون الى فاس ثالث صفر سنة احدى وستين وتسعمائة ولما دخلها فرح به أهلها فرحاً شديداً وترجل هو عن فرسه وصار يعانق الناس كبيراً وصغيراً وشريفاً وضيعاً ويبكي على مادهم وأهل بيته من أمر السعديين واستبشر الناس بقدومه وتيمناً بطلعته وقبض على كبير فاس يومئذ القائد أبي عبد الله محمد بن راشد الشريف الأدرسي واطمأنت به الدار ثم لم يلبث السلطان أبو حسون الا يسير حتى كثرت شكايه الناس اليه بالترك وانهم مدتوا أيديهم الى الحرير وعاتوا في البلاد فبادر بدفع ما اتفق معه من عليه من المال وأخرجهم عن فاس وتحلف بهم انهم تفر يسير

بمجيء السلطان محمد الشيخ السعدي الى فاس واستيلاؤه عليها ومقتل السلطان أبي حسون رحمه الله

لما قرع السلطان محمد الشيخ السعدي من وقعة الأتراك بفاس وصل الى مراکش فاستقر بها وصرف عزمه لقتال أبي حسون فاحدث في استنقار القبائل وانتخاب الأبطال وتعبية العساكر والاجناد فاجتمع له من ذلك ما شتمت به أزره وقوى به عضده ثم نهض بهم الى فاس فخرج اليه السلطان أبو حسون في رماة فاس وما انضاف اليهم من جيش العرب فكانت الهزيمة على أبي حسون فرجع الى فاس وتحصن بها فتقدم الشيخ السعدي وحاصره الى ان ظفريه في وقعة كانت بينهما بالوضع المعروف بمسلة فقتله واستولى على حضرة فاس وصفاله أمرها وكان استيلاؤه عليها يوم السبت الرابع والعشرين من شوال سنة احدى وستين وتسعمائة على الصواب خلاف ما وقع في الدوحة والله أعلم ومقتل السلطان أبي حسون رحمه الله انقضت الدولة المرينية بالمغرب والله وارت الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين (وبقي علينا الاماع) باوانخردولة بني زيان ملوك تلمسان وكيف كان انقراض أمرهم فلتنشر الى ذلك فنقول كانت دولة بني زيان على ما علمت من الاضطراب سائر أيام بني مرين وكان منهم في صدر المائة التاسعة السلطان الواثق بالله من أمثل ملوكهم وغلبهم على تلمسان في تلك المدة السلطان أبو فارس عبد العزيز ابن أحمد الحفصي فاخذوا بطاعته ثم بعد موته سنة سبع وثلاثين وثمانمائة اعترضوا بعض الشيء الى ان كانت دولة السلطان أبي عمرو وعثمان بن محمد الحفصي ففقر تلمسان أعوام السبعين وثمانمائة مرتين وفي الثانية هدم أسوارها وعزم على استئصال أهلها الى ان تشفع اليه علماءؤها وصلحاءها فاعفاهم وكان الباعث له على غزوها أولاً ما بلغه من ان الأمير محمد بن محمد بن أبي ثابت استولى عليها ففعل ما فعل وصاهرهم ببعض حقدته وقال صاحب بدائع السالكين شاهدت بتلمسان وبعض أعمالها تصريح الخطيب باسم السلطان أبي عمرو وعثمان صاحب تونس ههنا في الذكر على اسم صاحب تلمسان أبي عبد الله من أعقاب بني زيان لما بينهما من الشرط في ذلك وبقيت حال بني زيان متمسكة الى ان ظهر جنس الاصبينول في صدر المائة العاشرة بعد ماتم له ملك الاندلس وعظمت شوكته فطعم للتغلب على ثغور المغربين الأدنى والوسط فاستولى على بجاية سنة عشر وتسعمائة ثم على وهران سنة أربع عشرة وتسعمائة وفعل باهلها الافاعيل ثم ساءتلك الجزائر وشربه لالتها مهاو ضايق المسلمين في نعورهم وضعف بنو زيان عن مقاومته وكان الشيخ الفقيه الصالح أبو العباس أحمد بن القاضي الزواوي ممن له الشهرة والوجاهة الكبيرة في بساط المغرب الاوسط وجباله وكانت دولة العتامنة من الترك في هذه المدة قد زخر عباها وملكته أكثر المسكونة وظهر من قوادعها كرها البصرية قائدان عظيمان وهما خير الدين باشا وأخوه عروج باشا وكانا قد تابعا الغزو على بلاد الكفر برابو مجرا وأوقعا باهل دول الأوربا وقائع شهيرة وطار لهم ذكرك في أقطار البلاد وتمكن ناموسهم من قلوب العباد فكاتبهم الفقيه أبو العباس المذكور وعترفهم بما المسلمون فيسه من مضايقة العدو الكافر وقال ان بلادنا بقيت لك أولاً خيك

أول الذئب فأقبل الترك نحوه مسرعين واستولى عروج باشا على ثغر الجزائر بعدما كاد العدو يملكه  
 فتخلصه منه ثم استولى على تلمسان وغلب بنو زيان على أمرهم وذلك سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة  
 على ما في التزهة ثم إن أهل تلمسان أنكروا سيرة الترك وسئموا ملكتهم ويقال إن الترك عسفوهم  
 وصادروهم على أموالهم وكان عروج قد أغرى بالفتية أبي العباس المستدعي له فقتل شهيدا بعد الثلاثين  
 وتسعمائة ورأى عروج أن أمر المغرب الأوسط لا يصفوله مع وجود الفتية المذكور فدرس عليه  
 من قتله ثم نهض عروج إلى بني يزناسن فكانت الكثرة عليه وقتل هنالك مع جماعة من وجوه عسكره  
 وتفرقت جموعه وعادت تلمسان إلى بني زيان فجددوا بهار ياستهم وأحيوا رمق دولتهم إلى أن عاود الترك  
 غزوها بعد حين وانتزعوها من يد صاحبها أبي العباس أحمد بن عبد الله من أعقاب يغمراسن بن زيان  
 وقال في المرأة مانصه قال الشيخ الإمام قاضي الجماعة أبو محمد عبد الواحد بن أحمد الوائش ريسى وجه الله  
 ومن خطه نقات قدم حسن بن خير الدين التركي فاستولى على تلمسان في أواسط شعبان سنة اثنتين  
 وخمسين وتسعمائة وأخرج منها الأمير أحمد بن الأمير عبد الله وزيره منصور بن أبي غانم ولحقا بدوا  
 مع من انضاف إليهما من أمراء تلمسان وكبرائهم فقدر بهم عمر بن يحيى الوطاسي صاحب دبدو وأخذ  
 أموالهم واعتقلهم وسرح منصور في محرم سنة ثلاث وخمسين وتسعمائة اه واستمرت تلمسان في يد  
 الترك إلى أواسط المائة الثالثة عشرة فاستولى عليها الفرنسيس على ما نذكره إن شاء الله وعلم  
 أنه كان في صدر هذه المائة العاشرة أمور عظام منها ظهور الفرج بالديار المغربية واستيلاؤهم على  
 ثغورها بما لم يعمده مثله قبل ذلك لا سيما البرتقال والاصبنيول حسبما تقدمت الإشارة إليه ومنها  
 ظهور دولة آل عثمان ملوك الترك بالديار الشرقية وما أضيف إليها الظهور الذي لا كفاء له وابتداء  
 هذه الدولة وإن كان قبل هذا التاريخ بنحو مائتي سنة لكن إنما كان عنفوان شبابها وقيضان عباها  
 في هذه المدة لا سيما في دولة سلطانهم الأعظم وخاقانهم الأنجم سليمان بن سليم خان فإنه ملك أكثر المعمور  
 وقام بدعوته من الأمم الجهور وهجمت عساكره على ديار الأرباقانلوهم في أعز بلادهم واستلبوهم  
 من طرفهم وتلادهم وخضعت ملوكها لغزته واستكانوا لصلوته وأعطوه يد المقادة وآتوه من  
 الطاعة والخضوع ما خالف العادة ثم أوطأ عساكره المغريين الأدنى والأوسط فاستولى عليهما وكاد  
 يتناول الأقصى ويضيفه إليهما على ما تنقذ عليه في أخبار السعديين إن شاء الله ومنها ظهور الأولياء  
 وأهل الصلاح من الملامية وأرباب الأحوال والجناب في بلاد الشرق والغرب لئلا ينفتح به  
 للتسورين على النسبة وأهل الدعوى باب متمسح الخرق متمسرا لرتق فاختلط المرعى بالهمل وادعى  
 الخصوصية من لاناقله فيها ولاجل وصعب على جل الناس التمييز حتى بين البهرج والابريز لا سيما  
 العامى الغمر الذي لا يفرق بين الحصباء والدر ويرحم الله الشيخ اليوسى إذ قال في محاضراته مانصه وقد  
 طرق أسمع العوام من قبل اليوم كلام أهل الصولة كفضول القادرية والساذلية رضى الله عنهم وكلام  
 أرباب الأحوال في كل زمان فتعشقت النفوس ذلك وأذعن له الجهور وخاضوا في التشبه بهم فاشتت  
 أن تاتي جاهلا مسرفا على نفسه لم يعرف بعد ظاهرا لثمة فضلا عن أن يعمل فضلا عن أن يخلص  
 إلى الباطن فضلا عن أن يكون صاحب مقام الاوجده يصول ويقول وينابذ المنقول والمعقول  
 وأكثر ذلك في أبناء الفقراء يريد الواحد منهم أن يتحلى بجملة آييه ويستتبع أتباعه بغير حق ولا حقيقة  
 بل مجرد حطام الدنيا فيقول خدام أبي وزريسة أبي ويضرب عليهم المغرم كغرم السلطان ولا يقبل أن  
 يحبوا أحد في الله أو يعرفوه أو يقتدوا به غيره وإذا رأى من خرج يطلب دينه أو من يده على الله تعالى  
 يغضب عليه ويتوعد به بالهلال في نفسه وماله وقد يقع شيء من المصائب بحكم القضاء والابتلاء فيضيفه إلى  
 نفسه فيزداد بذلك هو وأتباعه ضلالا ثم يخرق لهم من الخرافات والامور المعتادة ما يدعيه سيره وديننا

يدست ويوميه ثم يضمن لهم الجنة على مساوي أعمالهم والشفاعة يوم المحشر ويقبض على لجة من ذراع  
 فيقول للجاهل مثله أنت من هذه الكفة فيكتفي جهال العوام بذلك ويبقون في خدمته وولد اعن والد  
 قائلين نحن خدام الدار الفلانية وفي زريبة فلان فلا تخرج عنها وكذا وجدنا آباءنا وهذا هو الضلال المبين  
 وهؤلاء قطاع العباد عن الله الى آخر كلامه فقفا عليه في الفصل الخامس والعشرين منها فانه نفيس  
 وبالله تعالى التوفيق توفي سنة احدى عشرة وتسعمائة توفي الفقيه أبو العباس أحمد بن عيسى الماوسى  
 البطيوى الموقت المسهور توفي سنة اثنتى عشرة بعد هاجم توفي الشيخ الفقيه أبو الحسن علي بن قاسم  
 الشيبى المعروف بالزقاق فقيه فاس وهو صاحب المنظومة اللامية في علم القضاء وغيرها توفي سنة أربع  
 عشرة وتسعمائة في يوم الثلاثاء العشرين من صفر منها توفي الشيخ الامام أبو العباس أحمد بن يحيى  
 الواشربسى مؤلف المعيار وغيره من التأليف الحسان أصله من تلمسان واسمه موطن مدينة فاس  
 الى ان توفي بها في التاريخ المذكور توفي بها أيضا توفي الشيخ الكبير أبو فارس عبد العزيز بن عبد الحق  
 الحرار المعروف بالتباع دفن حومة الفحول من مراكش من أصحاب الشيخ الجزولى رضى الله عنهما  
 وصفه شيخه المذكور بالكيمياء وكان يقال النظره فيه تغنى أفاض الله علينا من مدده توفي سنة تسع  
 عشرة وتسعمائة توفي الشيخ الامام العلامة النظار أبو عبد الله محمد بن أحمد بن غازى العثماني المكاسى  
 ثم القاسى وقد تقدم خبره مع الشيخ أبي محمد الغزوانى رحمه الله توفي سنة ست وستين  
 وتسعمائة انجس المطرب فاس والمغرب واضطر الناس الى استخراج السواقى من الاودية  
 والانهار حتى زرعهم وثمارهم توفي سنة سبع وعشرين بعد هاجم كان الغلاء والجوع الكبير الذى  
 صار تاريخاى الناس مدة توفي سنة ثمان وعشرين بعد هاجم كان اوباء بالمغرب سنة الله في خلقه  
 وفي هذه المدد اعنى أعوام الثلاثين وتسعمائة على ما فى الدوحة توفي الشيخ أبو عبد الله محمد بن منصور  
 السنيانى دفن بخيرة البسابس من بلاد أولاد جاون على مسيرة نصف يوم من مصب نهر سبوانى  
 البحر من جهة الشرق وكان من أصحاب الشيخ التابع والروضة التى عليه بناها الشيخ أبو زيد عبد الرحمن  
 المجذوب يقال انه لما اكملها رآه فى المنام وألبسه حلة خضراء توفي سنة ثلاث وثلاثين وتسعمائة في ثانى  
 يوم من ربيع الاوّل منها توفي الشيخ أبو محمد عبد الكريم بن عمر الحاحى المعروف بالنلاح ضميم القاضى  
 عياض فى روضته بحومة باب ايلان من مراكش وهو من أصحاب الشيخ التابع أيضا وفى هذه المدد على  
 ما فى الدوحة توفي الشيخ أبو يشوام الكلبى بن خدة الصبغى من عرب صبيح كان من أهل العلم والفضل والدين  
 ودفن على صفة نهر سبوان على نحو مرحلة من فاس وقبره مزاراة الى الآن توفي سنة

خمس وثلاثين وتسعمائة توفي الشيخ أبو محمد الغزوانى رضى الله

عنه دفن حومة القصور من مراكش وقد تقدم شئ من

خبره توفي أعوام أربعين وتسعمائة توفي الشيخ

الكامل أبو عبد الله محمد بن عيسى السنيانى

المختارى ثم الفهدى دفن مكاسة

الزتون وهو شيخ جليل القدر

شهير الذكر رضى الله

عنه ونفعنا به

آمين

تم الجزء الثانى ويليه الجزء الثالث اوله ابتداء دولة الاشراف السعديين من آل زيدان

وذكر اوليتهم وتحقيق نسبهم رحمه الله

فهرسة الجزء الثاني من كتاب الاستقصا لاخبار دول المغرب الاقصى

صحيفة	صحيفة
١٢	٣
وقعة تلاغ بين يعقوب بن عبد الحق ويعمراسن ابن زيان	الخبر عن دولة بني مرين ملوك فاس والمغرب وذكر اوليتهم واصلهم
١٣	٣
فتح حضرة مراكش ومقتل أبي دبوس وانقراض دولة الموحدين بها	الخبر عن دخول بني مرين أرض المغرب الاقصى واستيلائهم عليه والسبب في ذلك
١٤	٣
مراسلة السلطان أبي عبد الله محمد المستنصر بالله الحفصي للسلطان يعقوب بن عبد الحق	الخبر عن رياسة الامير أبي محمد عبد الحق ابن محيو المريني
١٤	٤
عقد السلطان يعقوب ولاية العهد لابنه أبي مالك بسلا وما نشأ عن ذلك من خروج قرابته عليه	حرب بني مرين مع عرب رياح ومقتل الامير عبد الحق رحمه الله
١٥	٤
هجوم انصارى على العرائش وتشمس من تغور المغرب	بقية اخبار الامير عبد الحق وسيرته
١٥	٥
وقعة ايسلي بين السلطان يعقوب بن عبد الحق ويعمراسن بن زيان	الخبر عن رياسة الامير أبي سعيد عثمان ابن عبد الحق
١٧	٥
فتح طنجة وسبتة وما كان من أمر العزفي بهما	الخبر عن رياسة الامير أبي معرف محمد ابن عبد الحق
١٨	٦
فتح سجلماسة وما كان من أمرها	الخبر عن دولة الامير أبي بكر بن عبد الحق
١٨	٦
اخبار السلطان المنصور بالله يعقوب بن عبد الحق المريني في الجهاد وما كان له بالاندلس من الذكر الجليل والفخر الجزيل	استيلاء الامير أبي بكر على مكاسة وبيعة أهلها لابن أبي حفص بواسطته
١٩	٧
الجواز الاول للسلطان يعقوب الى الاندلس برسم الجهاد	استيلاء الامير أبي بكر على فاس وبيعة أهلها له
٢١	٨
فتح جبل تينملل ونش قبور بني محمد المؤمن على يد الملباني	انتقاض أهل فاس على الامير أبي بكر ومحاصرته اياهم
٢١	٩
بناء المدينة البيضاء المسماة اليوم بفاس الجديد	استيلاء الامير أبي بكر على مدينة سلا ثم ارتجاعها منه وهزيمة المرتضى بعد ذلك
٢٢	٩
الجواز الثاني للسلطان يعقوب الى الاندلس برسم الجهاد	استيلاء الامير أبي بكر على سجلماسة ودرعة وسائر بلاد القبلة
٢٤	١٠
حدوث الفتنة بين السلطان يعقوب وابن الاحمر وما نشأ عن ذلك من حصار الجزيرة الخضراء وغير ذلك	وفاة الامير أبي بكر رحمه الله
٢٧	١٠
الجواز الثالث للسلطان يعقوب الى الاندلس مغنيا للطاغية ومغتما فرصة الجهاد	الخبر عن دولة أبي حفص الامير عمر بن أبي بكر ابن عبد الحق
٢٨	١٠
انقضاء الصلح بين السلطان يعقوب وابن الاحمر	الخبر عن دولة السلطان المنصور بالله يعقوب ابن عبد الحق
٢٩	١١
الجواز الرابع للسلطان يعقوب الى الاندلس برسم الجهاد	استيلاء انصارى الاصنيول على مدينة سلا وايقاع السلطان يعقوب بهم وطردهم عنها
٣٠	١١
وفادة الطاغية على السلطان يعقوب باحوار الجزيرة الخضراء وعقد الصلح بينهما	خروج بني ادريس بن عبد الحق على عمهم السلطان يعقوب بن عبد الحق
	١٢
	حصار السلطان يعقوب حضرة مراكش وتزوع أبي دبوس منها اليه وهلاك المرتضى



صحيفة	صحيفة
٤٧ الخبر عن دولة السلطان أبي الربيع سليمان ابن أبي عامر عبد الله بن يوسف بن يعقوب ابن عبد الحق	٣٢ وفاة السلطان يعقوب بن عبد الحق رحمه الله
٤٨ نكبة الفقيه الكاتب عبد الله بن أبي مدين واستئصال بني وقاصمة اليهوديين بعد ذلك	٣٢ بقية اخبار السلطان يعقوب بن عبد الحق
٤٨ انتقاض أهل سبتة على بني الاجر ومرض اجعهم طاعة بني هرين	٣٣ الخبر عن دولة السلطان الناصر لدين الله يوسف ابن يعقوب بن عبد الحق
٤٩ انتقاض الوزير عبد الرحمن بن يد يعقوب الوطاسي على السلطان أبي الربيع ومبايعته لعبد الحق بن عثمان والسبب في ذلك	٣٣ قدوم بني اشقياولة على السلطان يوسف بسلا واقطاعه اياهم قصر كتامة والسبب في ذلك
٥٠ الخبر عن دولة السلطان أبي سعيد عثمان بن يعقوب بن عبد الحق	٣٣ حدوث الفتنة بين السلطان يوسف وعثمان ابن يعمر اسن بن زيان صاحب تلمسان
٥٠ غزو السلطان أبي سعيد ناحية تلمسان	٣٤ انتقاض الطاغية سانجة واجازة السلطان يوسف اليه
٥١ خروج الامير أبي علي على ابيه السلطان أبي سعيد والسبب في ذلك	٣٤ حدوث الفتنة بين السلطان يوسف وابن الاجر واستيلاء الطاغية على طريق عظاهرة ابن الاجر له عليها
٥٢ وفادة أهل الاندلس على السلطان أبي سعيد واستصراخهم اياه على الطاغية	٣٥ ثورة عمر بن يحيى بن الوزير الوطاسي بحصن تازوطا
٥٣ انتقاض الامير أبي علي على ابيه السلطان أبي سعيد وما تشأ عن ذلك	٣٦ انعقاد الصلح بين السلطان يوسف وابن الاجر ووفادته عليه بطنجة
٥٤ بناء مدارس العلم بحضرة فاس حرسها الله	٣٧ فتكة ابن الملياني بشيوخ المصامدة وتزويره الكتاب بهم والسبب في ذلك
٥٤ اخبار بني العزفي أصحاب سبتة	٣٨ الحصار الطويل وما تخال ذلك من الاحداث على تلمسان
٥٦ المصاهرة بين السلطان أبي سعيد في ابنه أبي الحسن وبين أبي بكر بن أبي زكرياء الحفصي	٣٩ نكبة بني وقاصمة من يهود فاس
٥٧ وفاة السلطان أبي سعيد بن يعقوب رحمه الله	٤٠ انتقاض ابن الاجر واستيلاء الرئيس أبي سعيد على سبتة
٥٧ الخبر عن دولة السلطان المنصور بالله أبي الحسن علي بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق	٤٠ ثورة عثمان بن أبي العلاء بجبال غمارة
٥٧ حدوث الفتنة بين الاخوين أبي الحسن وأبي علي ثم مقتل أبي علي والسبب في ذلك	٤١ وفاة السلطان يوسف رحمه الله
٥٨ وفادة السلطان ابن الاجر على السلطان أبي الحسن بحضرة فاس وفتح جبل طارق	٤٢ بقية اخبار السلطان يوسف وسيرته
٦٠ فتح تلمسان ومقتل صاحبها أبي تاشفين وانقراض الدولة الاولى لبني زيان بجهاكة	٤٤ الخبر عن دولة السلطان أبي ثابت عامر بن عبد الله بن يوسف بن يعقوب بن عبد الحق
٦١ مراسلة السلطان أبي الحسن لسلطان مصر وبعثه المصاحف من خطه الى المساجد الثلاثة	٤٥ ثورة يوسف بن محمد بن أبي عياد بن عبد الحق وما كان من أمره
٦٤ نكبة الامير أبي عبد الرحمن يعقوب ابن	٤٦ غزو السلطان أبي ثابت بلاد غمارة وسبتة ومحاصرته لعثمان بن أبي العلاء
	٤٦ بناء مدينة تطاوين

صحيفة	صحيفة
٩٩ غزوة السلطان أبي عنان افرريقية وفتح قسنطينة ثم فتح تونس بعدها	السلطان أبي الحسن وفرار وزيره زيان بن عمر الوطاسي والسبب في ذلك
١٠٠ وزارة سليمان بن داود ونهوضه بالعساكر الى افرريقية	٦٥ ثورة ابن هيدور الجزائر وما كان من أمره
١٠١ وفاة السلطان أبي عنان رحمه الله	٦٥ أخبار السلطان أبي الحسن في الجهاد وما كان من وقعة طريف المشهورة
١٠١ بقية أخبار السلطان أبي عنان وسيرته	٦٧ استيلاء العدو على الجزيرة الخضراء
١٠٢ الخبر عن دولة السلطان السعيد بالله أبي بكر ابن أبي عنان بن أبي الحسن المريني	٦٧ بقية أخبار بني أبي العلاء
١٠٣ ظهور أبي حوا موسى بن يوسف الزياني واستيلاؤه على تلمسان ونهوض مسعود بن عبد الرحمن اليه وطرده عنها	٦٨ مراسلة السلطان أبي الحسن لصاحب مصر أبي الفداء اسمعيل بن محمد بن قلاوون
١٠٣ ظهور منصور بن سليمان وبيعة مسعود بن عبد الرحمن له وما نشأ عن ذلك	٧٤ هدية السلطان أبي الحسن الى ملك مالي من السودان المجاورين للغرب
١٠٤ الخبر عن دولة السلطان المستعين بالله أبي سالم ابراهيم بن أبي الحسن المريني	٧٥ مهاجرة السلطان أبي الحسن ثانيا مع السلطان أبي بكر الخفصي
١٠٥ قدوم الغني بالله ابن الأحمر ووزيره ابن الخطيب مخلوعين على السلطان أبي سالم سفر ابن الخطيب الى مراکش وأعمالها وزيارته لاوليائها وأرجائها والسبب في ذلك	٧٥ غزو السلطان أبي الحسن افرريقية واستيلاؤه على تونس وأعمالها
١١٢ بقية أخبار ابن الخطيب بسلاحها الله	٧٧ انتقاض عرب سليم بافرريقية على السلطان أبي الحسن وما نشأ عن ذلك
١١٩ انتقاض الحسن بن عمر القودودي بنو خروجه بتادلا ثم مقتله عقب ذلك	٧٩ انتقاض الاطراف وثورة أبي عنان ابن السلطان أبي الحسن واستيلاؤه على المغرب
١١٩ نهوض السلطان أبي سالم الى تلمسان واستيلاؤه عليها	٨٢ ركوب السلطان أبي الحسن البحر من تونس الى المغرب وما جرى عليه من المحن
١٢٠ وفاة السودان من أهل مالي على السلطان أبي سالم واغترابهم في هديتهم بالرأفة الحيوان المعروف	٨٥ استيلاء السلطان أبي الحسن على مراکش ثم انهزامه عنها الى هنتاتة أهل جبل درن وفاته هناك
١٢٢ مقتل السلطان أبي سالم رحمه الله	٨٦ بقية أخبار السلطان أبي الحسن وسيرته
١٢٣ الخبر عن دولة السلطان أبي عمر تاسعين الموسوم ابن أبي الحسن المريني	٨٩ الخبر عن دولة السلطان المتوكل على الله أبي عنان فارس بن أبي الحسن
١٢٤ القتل بفرسية بن انطول قائد انصارى ومقتل جنده معه والسبب في ذلك	٩٠ تملك السلطان أبي عنان بجاية وتولية عمر بن علي الوطاسي عليها
١٢٤ ظهور عبد الحلیم بن أبي علي بن أبي سعيد ومحاصرته لفاس الجديد ثم فراره عنها	٩٠ ثورة أهل بجاية ومقتل عمر بن علي الوطاسي بها
١٢٥ الخبر عن دولة السلطان المتوكل على الله أبي	٩١ خروج أبي الفضل ابن السلطان أبي الحسن ببلاد السوس ثم مقتله عقب ذلك
	٩٤ وفاة الوزير ابن الخطيب من قبل ساطانه الغني بالله السلطان أبي عنان
	٩٩ رحلة السلطان أبي عنان الى سلا وتطارد على وليها الاكبر أبي العباس ابن عاشر رضي الله عنه

صحيفة	صحيفة
١٣٧ خروج الحسن بن الناصر بغمارة ونهوض الوزير ابن ماساي اليه	زيان محمد بن أبي عبد الرحمن يعقوب بن أبي الحسن المريني
١٣٨ وفاة السلطان موسى بن أبي عنان رحمه الله	١٣٦ وفاة ابن الخطيب من سلا على السلطان أبي زيان بن أبي عبد الرحمن
١٣٨ الخبر عن دولة المنتصر بالله السلطان أبي زيان محمد بن أبي العباس بن أبي سالم بن أبي الحسن	١٣٨ وفاة عامر بن محمد الهنتاقى على السلطان أبي زيان بن أبي عبد الرحمن
١٣٨ الخبر عن دولة السلطان الواثق بالله أبي زيان محمد بن أبي الفضل بن أبي الحسن	١٣٩ مقتل السلطان أبي زيان بن أبي عبد الرحمن
١٣٩ الخبر عن الدولة الثانية للسلطان أبي العباس ابن أبي سالم بن أبي الحسن	١٣٩ الخبر عن دولة السلطان أبي فارس عبد العزيز ابن أبي الحسن
١٣٩ ظهور محمد بن عبد الحليم بن أبي علي بمجاهدة ثم اضمحلاله بعد ذلك	١٣٩ انتفاض أبي الفضل بن أبي سالم ثم مقتله بعد ذلك
١٣٩ نكبة الكاتب ابن أبي عمرو وحر كان بن حسون ومقتلهما	١٣٠ انتفاض عامر بن محمد الهنتاقى وحصار السلطان عبد العزيز اياه وظفره به
١٤٠ أخبار تلمسان واستيلاء السلطان أبي العباس عليها	١٣١ ارتجاع الجزيرة الخضراء من يد الاصفهانيون
١٤٠ وصول هدية صاحب مصر السلطان الظاهر برقوق الى السلطان أبي العباس بتازا والسبب في ذلك	١٣١ نهوض السلطان عبد العزيز الى تلمسان واستيلاؤه عليها وفرار سلطانها أبي حواري يوسف عنها
١٤٠ وفاة السلطان أبي العباس بن أبي سالم رحمه الله	١٣٢ تزوج الوزير ابن الخطيب عن سلطانه الغنى بالله الى السلطان عبد العزيز بتلمسان
١٤١ الخبر عن دولة السلطان المستنصر بالله أبي فارس عبد العزيز ابن أبي العباس بن أبي سالم بقية أخبار السلطان عبد العزيز ووفاته	١٣٢ وفاة السلطان عبد العزيز بن أبي الحسن
١٤٢ الخبر عن دولة السلطان المستنصر بالله أبي عامر عبد الله بن أبي العباس بن أبي سالم	١٣٢ الخبر عن دولة السلطان السعيد بالله أبي زيان محمد بن عبد العزيز بن أبي الحسن
١٤٢ خبر عن دولة السلطان أبي سعيد عثمان بن أبي العباس بن أبي سالم	١٣٣ الخبر عن الدولة الاولى للسلطان المستنصر بالله أبي العباس أحمد بن أبي سالم بن أبي الحسن
١٤٤ حجابة أبي العباس القبائلي ونكته ومقتله	١٣٤ محنة الوزير ابن الخطيب ومقتله رحمه الله
١٤٦ حجابة فارح بن مهدي وأوليته وسيرته	١٣٥ بقية أخبار أمير مراکش عبد الرحمن بن أبي يفلوس
١٤٦ حجابة أبي محمد الطريفي وسيرته	١٣٥ ذكر الشاوية وبيان سبهم وأوليتهم وشرح لقبهم وتسميتهم
١٤٧ حدود العتمة بين السلطان أبي سعيد والسلطان أبي فارس الحفصي	١٣٦ نهوض السلطان أبي العباس الى تلمسان وقتلها وتخريبها
١٤٧ استيلاء البرتقال على مدينة سبتة	١٣٦ خلع السلطان أبي العباس بن أبي سالم وتغريبه الى الاندلس والسبب في ذلك
١٤٩ الخبر عن دولة السلطان عبد الحق بن أبي سعيد ابن أبي العباس بن أبي سالم المريني	١٣٧ الخبر عن دولة السلطان المتوكل على الله أبي فارس موسى بن أبي عنان بن أبي الحسن
١٤٩ زحف البرتقال الى طنجة ورجوعهم عنها	

صحيفة	صحيفة
١٧١ زحف السلطان أبي عبد الله البرتغالي الى آصيلا	١٤٩ أخبار الوزراء والحجاب وتصرفاتهم
١٧١ استيلاء البرتغال على ثغرها زمور حرسه الله	١٤٩ وزارة يحيى بن يحيى الوطاسي ومقتله ومقتل الوطاسيين معه والسبب في ذلك
١٧٢ استيلاء البرتغال على ثغرها المعمورة حرسه الله	١٥٠ رياسة اليهوديين هرون وشاويل وما نشأ عن استبدادهما من المحنة والفتنة
١٧٢ أخبار السلطان أبي عبد الله البرتغالي مع الشيخ أبي محمد الغزواني رضي الله عنه	١٥٠ استيلاء البرتغال على طنجة
١٧٤ نهوض السلطان أبي عبد الله البرتغالي الى مراكش ومحاصرته أبا العباس الاعرج السعدي بها	١٥٠ مقتل السلطان عبد الحق بن أبي سعيد
١٧٤ ذكر وزراء السلطان أبي عبد الله	١٥٢ بقية أخبار بني الأحمر واستيلاء العدو على غرناطة وسائر الأندلس منها وانقراض كلمة الاسلام منها
١٧٤ وفاة السلطان أبي عبد الله رحمه الله	١٥٥ أخبار البرتغال بالمغرب الاقصى على الجملة
١٧٤ الخبر عن الدولة الاولى للسلطان أبي حسون ابن محمد الشيخ الوطاسي	١٥٨ الخبر عن دولة الشريف أبي عبد الله الحفيد وأوليته
١٧٥ الخبر عن دولة السلطان أبي العباس أحمد بن محمد الوطاسي	١٥٨ بيعة السلطان أبي عبد الله الحفيد
١٧٥ وقعة آغماي بين الوطاسيين والسعديين	١٥٨ فتنة الشاوية ووصولهم الى بلاد المغرب
١٧٥ عقد الصلح بين السلطانين أبي العباس الوطاسي وأبي العباس السعدي	١٥٩ استيلاء البرتغال على مدينة آني وآصيلا
١٧٦ غزوة الجرف قرب آصيلا حرسها الله	١٥٩ خلع السلطان أبي عبد الله الحفيد وانقراض أمره
١٧٦ وقعة أبي عقبة بوادي العبيد وما كان فيها بين الوطاسيين والسعديين من القتال الشديد	١٥٩ الخبر عن دولة بني وطاس وذكر نسبهم وأوليتهم
١٧٧ بناء السلطان أبي العباس الوطاسي قنطرة الرصيف بفاس حرسها الله	١٦٠ الخبر عن دولة السلطان أبي عبد الله محمد الشيخ ابن أبي زكرياء الوطاسي
١٧٨ وقعة وادي درنة بآدلا وأسر الامير أبي زكرياء الوطاسي ومهلكه رحمه الله	١٦١ رياسة بني راشد من شرفاء العرب بمغمارة وبنائهم مدينة شمشاون وما يتبع ذلك
١٧٨ استيلاء السلطان محمد الشيخ السعدي على فاس وقبضه على بني وطاس ومهلك سلطانهم أبي العباس رحمه الله	١٦١ ثورة عمرو بن سليمان السيفي ببلاد السوس
١٧٨ بقية أخبار السلطان أبي العباس الوطاسي	١٦٢ بناء مدينة تطاوين
١٧٩ الخبر عن الدولة الثانية للسلطان أبي حسون الوطاسي	١٦٣ قدوم أبي عبد الله ابن الأحمر مخدوما على السلطان محمد الشيخ الوطاسي
١٨٠ مجيء السلطان محمد الشيخ السعدي الى فاس واستيلائه عليها ومقتل السلطان أبي حسون رحمه الله	١٦٨ استيلاء البرتغال على ساحل البريجية وبنائهم مدينة الجديدة صانها الله
	١٧٠ استيلاء البرتغال على سواحل السوس وبنائهم حصن فونتي قرب أكادير
	١٧٠ وفاة السلطان محمد الشيخ الوطاسي رحمه الله
	١٧٠ الخبر عن دولة السلطان محمد بن محمد الشيخ الوطاسي المعروف بالبرتغالي
	١٧١ استيلاء البرتغال على ثغرها آني حرسه الله